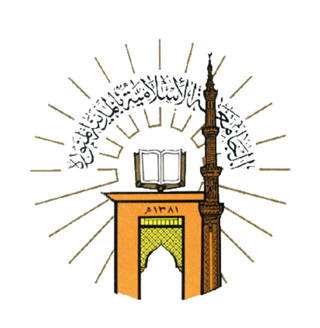
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



كتاب فيه جواب رسالة أهل جزيرة قبرص (في الرد على النصارى)

لشمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي (ت ٧٢٧هـ)

دراسة وتحقيقًا

رسالة علمية مقدمة للحصول على درجة العالمية العالية (الدكتوراه)

إعداد الطالب
عبد الإله بن عبد العزيز بن صالح التويجري

إشراف الأستاذ الدكتور
محمود بن عبد الرحمن قدح

العام الجامعي ١٤٣٥- ١٤٣٦هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

(ۋ ۋ ۇ ۋ ۅ ۅ ۋ ۋ ې ىٻ ٻ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى
ي ي □ □ □ □ ٱ ٻ ٻ ٻ پ پپ پ پ پ پ ٺ ٺ ٺ
ٺ ٿ ٿ

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، وجعله شاهداً ومبشراً ونذيراً، فأكمل به الرسالات، وكان رحمة للعالمين.

أما بعد.

فإن الله تعالى قد أرسل الرسل وأنزل الكتب؛ تبياناً للحق وهداية للخلق، فجاءت الشرائع الإلهية تدعو إلى التوحيد وتنقض الشرك، ولما بعث الله خاتم رسله محمداً ﷺ إلى العالمين، وكان هو البشارة الموعود بها في كتب الأولين، كتم أهل الكتاب ما جاء به من النور المبين، وعادوه، وكانوا به من قبل على الذين كفروا مستفتحين، ولكن انقلبوا على أعقابهم، وكانوا لأهل الشرك متولين، يمدّونهم بما يحاربون به النبي ﷺ وأصحابه، ويزعمون أنهم أهدى من الذين آمنوا سبيلا، ولم يزل أهل الكتاب يحملون لواء الكيد لأهل الإسلام، سالكين في ذلك أساليب شتى، وكلما دبروا مكيدة لإضعاف المسلمين، وتشكيكهم في دينهم، والصد عن دين الله، قيّض الله من أهل الإسلام من يظهر من الدين أضعاف ما كادوا به الحق، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (سائر أعداء الأنبياء... إذا أظهروا من حججهم ما يحتجون به على دينهم المخالف لدين الرسول، ويموهون في ذلك بما يلفقونه من منقول ومعقول، كان ذلك من أسباب ظهور الإيمان، الذي وعد بظهوره على الدين كله، بالبيان والحجة

والبرهان، ثم بالسيف واليد والسنان)[1]. وما من شبهة أو بدعة ظهرت في تأريخ المسلمين إلا وفي أهل الإسلام من ينكرها ويبطلها.

ولقد كان من أعظم ما ينشره أهل الكتاب —ولاسيما النصارى– في ديار المسلمين تلك الأسئلة التشكيكية، والمقالات الجدلية عن الإسلام وشرائعه، والنبوة ودلائلها، وشبهاتهم التي ينصرون بها دين النصرانية المحرف، ويتوارثونها جيلا بعد جيل، كما فعل يوحنا الدمشقي في محاوراته الجدلية، أو تلميذه أبو قرة النصراني، أو ما كتبه عبد المسيح الكندي، أو كما في رسالة راهب فرنسا وغيرها[2]. ومن أهم الرسائل التي تحمل التساؤلات التشكيكية، وأعظمها خطراً، وأشدها تلبيساً وتدليساً، وأكثرها احتفاءً من قِبَل النصارى: الرسالة المنسوبة إلى بولس الأنطاكي (راهب صيدا)، وإلى أهل جزيرة قبرص –على غموض في كاتبها، وصحة نسبتها إليه– إلا إنهم كالمجمعين على ما فيها، وتلقتها الأوساط النصرانية بالقبول قديماً وحديثاً، فلقد كانت رسائل النصارى وأسئلتهم الجدلية للمسلمين من فحوى تلك الرسالة، وفي قضاياها الأساسية تتركز ردود العلماء غالبا، كما في رسالة المهتدي الحسن بن أيوب (ت قبل سنة ٣٨٠هـ) التي نقلها ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح، وكما في ردّ القاضي أبي البقاء الجعفري (ت ٦٦٨ هـ) في كتابه: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، أو الطوفي الحنبلي (ت٧١٦ هـ) في كتابه: الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، ونحوها. وسيأتي مزيد بيان في دراسة الرسالة.

ولقد اشتهرت الرسالة في القرن السابع والثامن الهجري، وردّ عليها الفقيه القرافي المالكي (ت٦٨٤ هـ) في كتابه: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على اليهود والنصارى. كما أرسلت إلى شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨ هـ) فأجاب عنها بكتابه القيم: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. وممن رد عليها: شمس الدين محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي، المعروف بشيخ الربوة (ت٧٢٧ هـ)،

---

(١) الجواب الصحيح ١/٨٧.

(٢) ينظر: الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد ٧٧

فإن له كتاباً باسم: (كتاب فيه جواب رسالة أهل جزيرة قبرص)، ولأهمية هذا الرد، وكونه مخطوطاً ولم ينل حظاً من العناية والدراسة، آثرت دراسته وتحقيقه، في مشروع رسالة العالمية العالية (الدكتوراه) في قسم العقيدة باسم :

كتاب فيه جواب رسالة أهل جزيرة قبرص

(في الرد على النصارى)

لشمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي (ت ٧٢٧هـ)

دراسة وتحقيقاً

وأسأل الله الهدى والسداد.

أهمية الكتاب وأسباب اختياره

لقد كان للكتاب المخطوط أهمية ظاهرة، هي سبب اختيار تحقيقه ودراسته، فمن ذلك:

١. أهمية موضوع الكتاب، وهو الرد على النصارى، ومجادلتهم، وإبطال عقائدهم. وفي هذا العصر، زادت وسائل التشكيك بالمسلمين من قِبَل النصارى، مع ضعف ظاهر لعموم الأمة في التصدي لها، وهذا الكتاب لبنة في جدار التصدي لحملات التنصير.

٢. أن مؤلف هذا الكتاب ممن عرف بحدّة في ذكائه، وسعة اطلاعه، وعاش في عصر شبيه بعصرنا، بكثرة الحروب بين أهل الإسلام والنصارى، وظهور العداوة لأهل الإسلام.

٣. أن هذا (الجواب) ردٌ على رسالة لها أهميتها ومكانتها عند النصارى، وخطورتها على أهل الإسلام –كما سيأتي بيانه–، وقد ردّ عليها العلماء، ومن أشهر من وصلنا ردّه:

أولاً: ردّ الفقيه القرافي المالكي(ت٦٨٤ هـ) في كتابه (الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة).

ثانياً: ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية(ت ٧٢٨ هـ) في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح).

ثالثاً: ردّ (شيخ الربوة) محمد بن أبي بكر الدمشقي(ت ٧٢٧ هـ).

ولكل ردٍ سماته، ومنهجه في إبطال عقائد النصارى، كما سيأتي في المقارنة بينها.

٤. أن المخطوط يعد من المصادر الأصيلة في الرد على النصارى، ونقض شبهاتهم، حيث إنه يعتمد على ما كتبه النصارى أصالة، وما زالوا يعتمدونه إلى عصرنا الحاضر.

٥. أن في تحقيقه إظهاراً لتراث المسلمين في مقارنة الأديان، وسابقتهم في نقد الكتب المحرفة، وقيامهم بواجب النصرة والدعوة إلى الإسلام، وفيه دعوة إلى التوحيد الخالص، وإظهار لدلائله، وإبطال لدلائل الشرك، وبيان لقبحه.

٦. أن المؤلف سار على طريقة المتكلمين في نصوص الصفات ونحوها، فكان في التحقيق تعليق وبيان لما عليه السلف من المعتقد الصحيح، وفي هذا تصويب لأخطاء المتكلمين، وقد كان لشيخ الإسلام ابن تيمية شرح وتصويب لمحصل الرازي وللعقيدة الأصبهانية وهما في العقيدة الأشعرية الكلامية.

٧. ولما سبق من الأهمية، فإن الكتاب ما زال مخطوطاً، والحاجة إلى تحقيقه ودراسته قائمة، ولكي لا تتلقفه الأيدي العابثة بالتراث الإسلامي في الرد على النصارى، لتخدم أغراضاً مذهبية ضيقة (أشعرية، صوفية...).

الدراسات السابقة

لم أجد — فيما اطلعتُ عليه- مَن تناول (شيخ الرَّبوة) بما يكشف عن حياته وآثاره، كما أن المخطوط لم يسبق له أن حقق وأخذ ما يستحقه من الدراسة، فهو جدير أن يأخذ مكانه اللائق به في المكتبة الإسلامية في الرد على أهل الملل والأديان.

خطة البحث

وتشتمل على مقدِّمة، وقسمين، وخاتمة، وفهارس علمية.

المقدِّمة: وتشتمل على أمور:

- أهميّة الموضوع، وأسباب اختياره.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.
- منهج البحث.
- شكر تقدير.

القسم الأول: الدِّراسة. ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف. وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: عصر المؤلف.

المبحث الثاني: نسبه، ومولده، ونشأته وشيوخه، وتلاميذه.

المبحث الثالث: عقيدته، ومذهبه الفقهي.

المبحث الرابع: مكانته العلمية، وأقوال العلماء فيه.

المبحث الخامس: وفاته، وآثاره.

الفصل الثاني: دراسة الكتاب. وفيه تمهيد وستة مباحث:

التمهيد: التعريف بالرسالة المردود عليها، ومحتوياتها، وقيمتها عند النصارى.

المبحث الأول: تحقيق اسم الكتاب المخطوط، وإثبات نسبته إلى مؤلفه، وسبب تأليفه وتأريخه.

المبحث الثاني: موضوع الكتاب، ومنهج المؤلف فيه.

المبحث الثالث: قيمة الكتاب العلمية، وموارد المؤلف فيه.

المبحث الرابع: الملحوظات على الكتاب.

المبحث الخامس: المقارنة بينه وبين كتاب (الأجوبة الفاخرة) للقرافي، وكتاب (الجواب الصحيح) لابن تيمية.

المبحث السادس: وصف النسخة الخطية للكتاب، ونسخ الرسالة المردود عليها، ونماذج منها.

القسم الثاني:النص المحقق، ويشمل الكتاب كاملاً ، ويقع في (١٠٧) لوحات.

الخاتمة: سجلت فيها أهم النتائج.

الفهارس: ذيلت البحث بفهارس علميّة على النحو التالي:

- فهرس الآيات القرآنيّة.
- فهرس الأحاديث النَّبويّة.
- فهرس نصوص أسفار أهل الكتاب.
- فهرس الأبيات الشعريّة .
- فهرس المصطلحات.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الفرق والمذاهب.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

منهج التحقيق

سرت في تحقيق الكتاب وفق المنهج التالي راجياً من الله التوفيق والسداد:

١ - بما أنّ النّسخة التي تحت يدي هي النسخة الوحيدة، فهي المعتمدة، وسميتها (الأصل). وقابلت رسالة النصارى المثبتة في الأصل بنسخها الخطية الموجودة، وبما في (الجواب الصحيح) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٢ - كتبت النصّ وفق الطريقة الإملائيّة الحديثة، دون الإشارة إلى الفوارق في ذلك، إلا ما كان مؤثراً.

٣- أشرت إلى بداية كلِّ لوح ووجهه من المخطوط بوضع خطٍّ مائل في النّصّ هكذا: / مع الإشارة إلى رقمه في الهامش الأيسر.

٤- عزوت الآيات القرآنيّة الواردة في الكتاب بذكر اسم السُّورة ورقم الآية.

٥- عزوت الأحاديث النبوية: فإن كان في الصّحيحين أو أحدهما اكتفيت بمجرّد العزو إليهما، وإلا عزوته إلى بقيّة مصادر السُّنة، مع ذكر كلام أهل العلم في بيان درجته.

٦- عزوت نصوص أسفار أهل الكتاب الواردة إلى مصادرها، ومع إثبات الفرق بين النص في المذكور في الكتاب والنص الحالي في عند أهل الكتاب حسب طبعتهم، متوخياً في ذلك الطبعة الأقرب للنص، وموضحاً رقم الإصحاح ثم الفقرة.

٧- عزوت الآثار إلى مصادرها.

٨- وثقت النُّقول التي أوردها المؤلِّف، ومع إثبات الفروق المؤثرة في المعنى إن وجدت.

٩- علقت على المسائل التي تحتاج إلى تعليق، أو استدراك، أو تصويب، مراعياً الإيجاز.

١٠- وثقت الأبيات الشعرية، ونسبتها إلى قائليها من مصادرها.

١١ — وضعت ترجمة موجزة للأعلام الوارد ذكرهم.

١٢- وضعت تعريفاً موجزاً بالفرق، والقبائل، والأماكن، والبلدان، وكل ما يحتاج إلى تعريف.

١٣- شرحت الكلمات الغريبة، والمصطلحات العلمية.

١٤- التزمت بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

١٥- وضعت فهارس علميّة ملحقة بآخر الرسالة، حسب ما سبق في الخطّة، وقد أخرت ذكرت بقية بيانات المراجع إلى فهرس المصادر والمراجع اختصاراً.

١٦- رمزت لما تكرر كثيراً اختصاراً، وهي:

(الأصل) تدل على النسخة المحققة.

(الجواب) كتاب الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(الرسالة) عند اتفاق جميع نسخ الرسالة المردود عليها. (ن١) النسخة الأولى، (ن٢) الثانية، (ن٣) الثالثة، حسب ما سيأتي وصفها في خاتمة الدراسة.

(ل) لوحة المخطوط، (أ، ب) وجه اللوحة. (ص) الصفحة. (ح) تسلسل رقم الحديث. (< >) ما بينهما زيادة في النص.

(فانديك) هي الترجمة التي قام بها د.سميث ود.فان ديك وبمعاونة بطرس البستاني وناصيف اليازجي ويوسف الأسير، وانتهى منها عام ١٨٦٥م. طبعة دار الكتاب المقدس، مصر ٢٠٠٤م.

(المشتركة) هي الترجمة التي قام بها لاهوتيين من كنائس مختلفة، وصدرت عن جمعية الكتاب المقدس في لبنان. العهد القديم الإصدار الثاني ١٩٩٥م والعهد الجديد الإصدار الرابع ١٩٩٣م.

(الكاثوليكية) هي الترجمة التي قام بها الآباء اليسوعيون في لبنان، وصدرت عن دار المشرق. ط.الثالثة عام ١٩٩٤م.

شكر وتقدير

وقبل وبعد وكل حين، أشكر الله وأحمده حمد الشاكرين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشكر ربي أن منحني والدين كريمين، فلهما الفضل والإحسان بعد الله فيما أصبته من خير، فيا رب ارحمهما وارزقني برهما.

ثم أشكر المشرف القدير الشيخ أ.د محمود بن عبد الرحمن قدح، أبا عبد الرحمن، فنعمّا رأيت قدوة في العلم والأدب، وما في البحث من خير فهو من أفضاله، وما أكثرها..

وأثني بشكري لجنة المناقشة على تفضلها بقبول الرسالة وتسديدها، فلها المنة.

والشكر موصول لقسم العقيدة في الجامعة الإسلامية، وأساتذته الكرام النبلاء، وأخص المشائخ الفضلاء: أ.د سعود الخلف، وأ.د صالح العقيل، ود. أحمد الغنيمان.

كما أشكر قسم العقيدة في جامعة القصيم الذي منحني فرصة دراسة الدكتوراه، وكل من ساعدني في هذا البحث، وأخص د.بدر بن ناصر العواد، ود.عبد الله الميمان، وأخي فردوس، فجزاهم الله خيراً ووفقهم لما يحبه ويرضاه.

وبعد، فقد أفرغت جهدي وطاقتي فيما كتبت وحققت، راجي أن يجعله الله خالصاً صواباً، وأن ينفع به، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

القسم الأول:

الدراسة

وفيه فصلان:

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف.

الفصل الثاني: دراسة الكتاب

الفصل الأول : التعريف بالمؤلف.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: عصر المؤلف.

المبحث الثاني: نسبه، ومولده، ونشأته وشيوخه، وتلاميذه.

المبحث الثالث: عقيدته، ومذهبه الفقهي.

المبحث الرابع: مكانته العلمية، وأقوال العلماء فيه.

المبحث الخامس: وفاته، وآثاره.

المبحث الأول: عصر المؤلف

عاش شيخ الربوة رحمه الله في النصف الثاني من القرن السابع والثلث الأول من القرن الثامن، بين عامي (٦٥٤ — ٧٢٧ هـ) وتنقل بين الشام ومصر..

هذه الفترة مُلئت أحداثاً متسارعة، وتحولات سياسية عظيمة، وصراعات ثقافية، وتقلبات معيشية؛ كأنها النتائج لما سبقها من أحوال القرنين السالفين، أو كالمقدمات الملهمات لما بعدها من تحولات.. ولم تحظ فترة من فترات التأريخ الإسلامي من الدراسة والتدوين التأريخي كما كان لهذه الفترة؛ ففيها ظهرت المدونات التأريخية الراصدة لماجريات الوقائع اليومية، وكما رصد كتّاب الفنون الأخرى في مؤلفاتهم كالأدب والعقائد ونحوها شيئاً من تأريخ الفترة.

ولما كان الأمر كذلك، ولم يكن غرض البحث كتابة تأريخية، وإنما مقدمة تعريفية بين يدي المؤلف وكتابه، اكتفيت بالإشارة عن طول العبارة، ومن رغب الزيادة فدونه الإحالة[1]

([1]) كتب عن أحوال تلك الفترة والتي سبقتها (فترة الحروب الصليبية) كتابات عدة، أهمها:

- كتب التأريخ العام، كالكامل لابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير وتأريخ الإسلام للذهبي والسلوك لمعرفة الملوك للمقريزي
- كتب التراجم العامة، كالوافي بالوفيات للصفدي، أو الخاصة بتلك الفترة، كالدرر الكامنة لابن حجر وأعيان العصر للصفدي.
- كتب الرحلات، كرحلة ابن بطوطة.
- كتب الأمصار، كالنجوم الزاهرة في تأريخ مصر والقاهرة لابن تغري بردي، والأنس الجليل بتأريخ القدس والخليل لمجير الدين الحنبلي وأمراء دمشق للصفدي، والمواكب الإسلامية في المحاسن الشامية لابن كنان الدمشقي.

فسياسياً في هذه الفترة:

كان سقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦ هـ على يد التتار[1]، ثم زحفهم إلى البلاد الشامية..

ومع زحف التتار على بلاد الإسلام: قام سوق الفرق الباطنية موالية للتتار[2]، وتحالف غالب النصارى مع التتار الوثنيين[3]، واستولى الوهن والخوف على قلوب كثير من المسلمين، وسارع بعض أمراء الشام إلى إعلان الطاعة لهولاكو!.. فكانت بلاد الشام منقسمة بين أمراء أيوبيين أو محتلة من صليبين وتتار!.

- كتب سير لأعلام وملوك، كنزهة الناظر في سيرة الملك الناصر لليوسفي، وتذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه لابن حبيب، والدرر البهية في ترجمة ابن تيمية لابن عبد الهادي، وكل ترجمة لابن تيمية وعصره هي ترجمة لعصر شيخ الربوة فعصرهما وموطنهما واحد.
- كتب الحروب الصليبية،، ولاسيما في نهايتها، وهي كثيرة، ينظر في الموسوعة الشاملة في تأريخ الحروب الصليبية لسهيل زكار، فقد جمع ما كتبه المؤرخون المسلمون وغيرهم حول الحروب الصليبية.

(1) التتار: هم قبائل مغولية (منغوليا: بين سيبيريا والصين) ومختلطة مع الترك، ظهرت دولتهم في القرن السابع على يد جنكيز خان، ووضع لهم رسماً لدولتهم وحياتهم يعرف بالياسق، وانقسمت دولته بين أولاده، ومنهم هولاكو الذي قضى على الخلافة الإسلامية، وهم وثنيون وبوذيون، ثم دخل بعضهم الإسلام. ينظر: الكامل لابن الأثير ٣٦١/١٢، سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٢٥/٢٢، الموسوعة العربية الميسرة ص ٣١٨٣.

(2) كفعل النصير الطوسي وابن العلقمي الرافضي أخزاهما الله. ينظر: البداية لابن كثير ٢٠٠/١٣، الوافي للصفدي ١٧٩/١.

(3) كان لهولاكو المغولي زوجة نصرانية تراسل ملوك النصارى! كما أن ملك مملكة أرمينية المسيحي ممن كان له يد في دعم الجيش المغولي، ولما دخل التتار سنة ٦٥٨هـ دمشق كان بين أيديهم الصليب!. ينظر: البداية والنهاية ٢٤٨/١٣، الحركة الصليبية لعاشور ١٠٦٠/٢، ١١٢٣.

وفي هذه الفترة نشأت دولة المماليك[١] في مصر على يد المظفر قطز فأعاد للأمة شيئاً من هيبتها بكسر شوكة التتار في وقعة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ، ثم ضمّ الشام إلى مصر، وأزال تهافت الأمراء الأيوبيين، فكانت دولة المماليك الكبرى، والتي امتدت قرنين من الزمان ونصف القرن (من سنة ٦٥٧ - ٩٢٣ هـ).

وقد عاصر شيخ الربوة من سلاطين المماليك: المظفر قطز (قتل سنة ٦٥٨ هـ)[٢] والظاهر بيبرس (٦٥٨ — ٦٧٦ هـ)[٣] والمنصور قلاوون (٦٧٨ — ٦٨٩ هـ)[٤] والأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون (٦٨٩ — ٦٩٣ هـ)[٥] ثم الناصر محمد

---

(١) المماليك: أصل تسميتهم من كونهم مماليك للحكام يستعينون بهم في شؤونهم حتى أصبحوا القوة العسكرية لهم، وأول من استخدمهم الخليفة المأمون العباسي ثم المعتصم. ودولة المماليك بدأت في مصر سنة ٦٤٨ هـ على الأرجح بعد تولي السلطنة عز الدين أيبك المملوكي ثم ظهرت دولتهم الكبرى (مصر والشام) على يد المظفر قطز سنة ٦٥٧ هـ، وانقسمت دولة المماليك إلى: مماليك بحرية (حتى سنة ٧٩٢هـ) نسبة إلى جزيرة الروضة في نهر النيل حيث أسكنهم فيها نجم الدين أيوب الأيوبي. ومماليك جراكسة أو برجية (من ٧٩٢ حتى سنة ٩٣٢هـ) نسبة إلى سكنهم في برج القلعة. ينظر: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك لعاشور ص١٥٣، عصر سلاطين المماليك لقاسم عبده ص٥٥.

(٢) قطز: السلطان المظفر سيف الدين بن عبدالله من مماليك المعز أيبك، كان شجاعاً ديّناً. ينظر: شذرات الذهب ٥٠٧/٧.، السير للذهبي ٢٠٠/٢٣.

(٣) بيبرس: الملك الظاهر ركن الدين التركي البندقداري ثم الصالحي، وفي العبر للذهبي ٣٠٨/٥: (كان ملكاً سرياً غازياً مجاهداً مؤيداً، عظيم الهيبة خليقاً للملك، يضرب بشجاعته المثل، له أيام بيض في الإسلام وفتوحات مشهورة، ولولا ظلمه وجبروته في بعض الأحايين لعد من الملوك العادلين). ينظر: الشدرات ٦١٠/٧.

(٤) قلاوون: سيف الدين أبو المعالي التركي الصالحي النجمي، جاهد التتار والصليبيين مع الظاهر بيبرس. ينظر: العبر للذهبي ٣٦٣/٥، الشذرات ٧١٥/٧.

(٥) خليل بن قلاوون: الملك الأشرف، قتله نائبه في الصيد. ينظر: العبر ٣٧٧/٥، والشذرات ٧٣٨/٧.

قلاوون[1] وقد تولى الحكم ثلاث فترات: (٦٩٣ – ٦٩٤ هـ) وعمره تسع سنين ثم (٦٩٨ – ٧٠٨هـ) ثم (٧٠٩ – ٧٤١هـ) وبين هذه الفترات تولى أمراء مماليك آخرون[2].

وفي حكم هؤلاء السلاطين وقعت أحداث كثيرة، من أهمها:

- التغلب على التتار ومقاومتهم، بداية من وقعة عين جالوت، واستكمالاً بتتبع الملك الظاهر بيبرس لهم وملاحقتهم، ثم أوقع بباقيهم وقطع دابرهم المنصور قلاوون في وقعة حمص عام ٦٨٠هـ، ثم في وقعة شقحب عام ٧٠٢هـ وللإمام ابن تيمية دور مشهود،حتى آل أمر التتار إلى الاختلاف وإسلام كثير منهم[3].
- مقاومة النصارى الصليبيين، ورد عدوانهم على ممالك وحصون الشام ومصر، ففي عهد الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون وابنه تم استرداد الحصون والقلاع الشامية، حتى كان آخر فلولهم خروجاً سنة ٦٩٠هـ [4].
- انتقال الخلافة من بغداد إلى القاهرة؛ وذلك بعد أن أقام الظاهرُ بيبرس الخليفةَ العباسي المستنصر في القاهرة وبايعه بالخلافة، سنة ٦٥٩هـ؛ ولذا أصبحت مصر مركز العالم الإسلامي وقوته، ومصدراً للقضاء على كل أعداء الخلافة السنية، قال السيوطي: (وأعلم أن مصر حين صارت دار الخلافة عظم أمرها، وكثرت شعائر

---

(1) محمد بن قلاوون: الملك الناصر، قال ابن حجر في الدرر الكامنة ١٤٧/٤: (وبنى في سلطنته من الجوامع والمدارس والخوانق الشيء الكثير جداً... ولم ير أحد مثل سعادة ملكه وعدم حركة الأعادي عليه براً وبحراً مع طول المدة... وكان مطاعاً، مهيباً، عارفاً بالأمور، يعظم أهل العلم والمناصب الشرعية). ينظر: الشذرات ٢٣٤/٨.

(2) ينظر: البداية والنهاية الجزئين ١٣و ١٤ ط.دار الحديث.

(3) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير ٧٠/١٤، وتشريف الأيام والعصور لابن عبدالظاهر ص٤٨.

(4) ينظر: رحيل الصليبين عن المشرق في العصور الوسطى د. سعدون نصر الله.

الإسلام فيها، وعلت فيها السنة، وعفت فيها البدعة، وصارت محل سكن العلماء ومحط نظر الفضلاء)[1]

• الوقوف في وجه الفرق الباطنية والرافضة بعد ظهور قوتهم واتساع نفوذهم في ظل قوة التتار والصليبيين في حربهم على أهل الإسلام، وهم سند لهم.[2] وانتشار الرفض وقوة شوكته في سلطة التتار أمر لا يكاد يخفى، ومن مظاهر ما قام به المماليك في كسر شوكتهم: المرسوم الذي أصدره الناصر قلاوون سنة ٧١٧هـ في إبطال منكرات النصيرية، وإلزامهم بعمارة المساجد [3].

وبالجملة؛ فأهل الشام ومصر هم عصبة الإسلام في ذلك الوقت، قال الإمام ابن تيمية في وصف زمانه: (ومن يتدبر أحوال العالم في هذا الوقت يعلم أن هذه الطائفة هي أقوم الطوائف بدين الإسلام علماً وعملاً وجهاداً عن شرق الأرض وغربها، فإنهم هم الذين يقاتلون أهل الشوكة العظيمة من المشركين وأهل الكتاب، ومغازيهم مع النصارى ومع المشركين من الترك ومع الزنادقة المنافقين من الداخلين في الرافضة وغيرهم كالإسماعيلية ونحوهم من القرامطة معروفة معلومة قديماً وحديثاً، والعز الذي للمسلمين بمشارق الأرض ومغاربها هو بعزهم، ولهذا لما هزموا سنة تسع وتسعين وستمائة دخل على أهل الإسلام من الذل والمصيبة بمشارق الأرض ومغاربها مالا يعلمه إلا الله... وذلك أن سكان اليمن في هذا الوقت ضعاف عاجزون عن الجهاد أو مضيعون له، وهم مطيعون لمن ملك هذه البلاد حتى ذكروا أنهم أرسلوا بالسمع والطاعة لهؤلاء. وملك المشركين لما جاء إلى حلب جرى بها من القتل ما جرى.

---

(1) حسن المحاضرة للسيوطي ٦٦/٢.

(2) ينظر: مجموع الفتاوى ١٥٠/٣٥، الكامل لابن الأثير ٦٥٧/١٠. ومن أمثلة ذلك تآخي التنوخيون الدروز مع الصليبيين!.

(3) ينظر: صبح الأعشى ٣٣/١٣. ورحم الله ابن تيمية حين ألف منهاج السنة كشفاً لتلبيس الرافضي الحلّي، والذي كان سببا في اعتناق السلطان المغولي خدابنده للرفض.

وأما سكان الحجاز فأكثرهم أو كثير منهم خارجون عن الشريعة وفيهم من البدع والضلال والفجور مالا يعلمه إلا الله، وأهل الإيمان والدين فيهم مستضعفون عاجزون، وإنما تكون القوة والعزة في هذا الوقت لغير أهل الإسلام بهذه البلاد فلو ذلت هذه الطائفة والعياذ بالله تعالى لكان المؤمنون بالحجاز من أذل الناس، لاسيما وقد غلب فيهم الرفض وملك هؤلاء التتار المحاربون لله ورسوله الآن مرفوض فلو غلبوا لفسد الحجاز بالكلية.

وأما بلاد أفريقية فأعرابها غالبون عليها، وهم من شر الخلق بل هم مستحقون للجهاد والغزو.

وأما المغرب الأقصى فمع استيلاء الإفرنج على أكثر بلادهم لا يقومون بجهاد النصارى هناك، بل في عسكرهم من النصارى الذين يحملون الصلبان خلق عظيم، لو استولى التتار على هذه البلاد لكان أهل المغرب معهم من أذل الناس، لاسيما والنصارى تدخل مع التتار فيصيرون حرباً على أهل المغرب.

فهذا وغيره، مما يبين أن هذه العصابة التي بالشام ومصر في هذا الوقت هم كتيبة الإسلام، وعزهم عز الإسلام وذلهم ذل الإسلام، فلو استولى عليهم التتار لم يبق للإسلام عز ولا كلمة عالية ولا طائفة ظاهرة عالية يخافها أهل الأرض تقاتل عنه)[1]

وأما أحوال العامة في هذه الفترة: فكانت امتداداً لدولة الأيوبيين، فكثرة تميز الطبقات الاجتماعية أصبح حالة ظاهرة؛ فهناك طبقة الأمراء المماليك، وطبقة التجار، والعسكر، والكتّاب، والفقهاء، والشيوخ المتصوفة أصحاب الطرق وأهل العمائم، والصنائعيين، والفلاحين، والأرقاء... ولكل طبقة معاشهم ونظامهم، بل

---

(1) مجموع الفتاوى ٥٣٢/٢٨.

ومساكنهم. ومع كل هذا كانت العامة تتفق على حماية الدولة الناشئة والوقوف في وجه الأخطار، وكلما ضعف الأمراء عن القيام بهذه المهمة أو توفير الأمن ظهرت الأطماع الداخلية والفتور عن دفع الضرائب وكثرت النزاعات، بيد أن الفترة التي عاشها شيخ الربوة كانت في ظل الأمراء الأقوياء.[1]

وفي هذا القرن: ظهرت كثير من الإصلاحات الإدارية، والتنظيمات العسكرية، فالشام له ثماني نيابات، أكبرها دمشق الشام ثم حلب ثم طرابلس ثم حماة ثم صفد ثم غزة ثم الكرك ثم حمص، ويتبع كل نيابة ولايات وأعمال أقل منها، وفي كل نيابة دواوين للإنشاء والجيش ونحوها مما يوجد نظائرها في القاهرة محل السلطان.[2]

ومما يميز المماليك شدة العناية بتشييد المباني والأوقاف والمساجد والخوانق والأربطة والزوايا[3]،

---

(1) ينظر: عصر سلاطين المماليك د.قاسم عبده ص ١٣٣.

(2) ينظر: نخبة الدهر ص٢١٤، العصر المماليكي د.عاشور ص ٢٨٤.

(3) الزاوية: مسجد صغير يصلح لاعتزال الصوفي ويقصده فيه مريديه، وأغلب الزوايا فيها أضرحة!. والرباط: دار للمتصوفة أحصن من الزاوية. والخوانق: كلمة فارسية بمعنى: بيت، وهي ما يبنى للمتصوفة وفيها مرافق للخدمة، ولم تعرف إلا في القرن السادس، فهي أوسع من الرباط. وقد توسعت في عصر المماليك حتى جاوزت الأربعين، وكان لها دور في حركة الجهاد ضد الصليبيين، كما أنها أصبحت مصدر رزق للمتصوفة، يقول ابن بطوطة في رحلته ص ١٢٢ عن صوفية دمشق: (وكل من انقطع بجهة من جهات دمشق لابد وأن يتأتى له وجه من المعاش: من إمامة مسجد، أو قراءة بمدرسة، أو خدمة بمشهد من المشاهد! أو يكون كجملة الصوفية بالخوانق تجري له النفقة والكسوة). ينظر: الدارس في أخبار المدارس للنعيمي ١/١٩٥، المواعظ والاعتبار للمقريزي ٢/٤١٥، خطط الشام لكرد ٦/١٣٤.

والبيمارستانات[1]، ولاسيما في مصر، كما ظهرت الصناعات الحربية وصناعة السفن والمراكب، كما حرص المماليك على تأمين التجارة وطرق التجار، وعقد الهدن من أجلها في ظل الحروب والصراعات.

ومما يعاب في هذا العصر: كثرة الإقطاعات مما أضعف الفلاحة، وإن كان للناصر قلاوون محاولات في تحجيم الإقطاعات وإصلاح الزراعة[2] والتي واجهتها كثير من الآفات بسبب الحروب والمجاعات؛ ولهذا برز الاهتمام في الزراعة وإجراء القنوات والجسور المائية والقناطر، واستجلبت المؤلفات في الفلاحة وما يصلحها، وإن كان الفلاح البسيط ظل في بعض السنوات يعاني من ارتفاع المعيشة وتدهور المحاصيل، كالغلاء والقحط الشديد الذي وقع في الشام سنة ٦٩٤هـ، كما وقع طاعون وفناء في مصر في العام الذي يليه[3].

وأما عن العلم وأهله: فبعد ضعف بغداد وخرابها كانت الشام دار العلم ومهجره،[4] ولم تزل إلى أن عمر المماليك القاهرة، فكانت محل سكن العلماء ومحط رحالهم، فانتشرت المدارس والمكتبات ودور العلم على اختلاف مذاهبهم، وزادت الكتاتيب لتعليم القرآن والقراءة والكتابة ومبادئ الحساب، وحرص سلاطين المماليك على رعاية العلماء، ورتبت النفقات على القضاة والعلماء والمعلمين من الحكام ونوابهم، باسم: المعاليم أو الجرايات وهي الرواتب، أو الجواميك وهي الأرزاق، أو من نظارة

---

(1) البيمارستان: كلمة فارسية مركبة بمعنى: محل المرضى. ينظر: خطط الشام لكرد ١٥٧/٦.

(2) ينظر: البداية والنهاية ١٤/ ٧٠.

(3) ينظر: البداية والنهاية ٣٠١/١٤.

(4) ينظر: خطط الشام لكرد ٤٠/٥، مدرسة الحديث في الشام من خلال القرن الثامن د.بن عزوز ص ٤٦.

الأوقاف التي سادت الوراثة فيها! وتكثّر بها بعض الفقهاء وترفع عنها آخرون، وكانت محل تهمة أحياناً[١]. كما كثرت الكتب والمصنفات، وكان القرن الثامن نهاية التفوق العلمي[٢].

ومما يحمد في هذا العصر محاربة العلماء والسلاطين للفرق الباطنية والرافضة؛ لذا انحسرت عن الشام ومصر بعد أن كانت لهم دولة وصولة.

وأما المظاهر الصوفية، من الاحتفالات وبناء القبب والمشاهد والركون في الأربطة والزوايا والخوانق، فهي من أهم سمات هذا العصر، وبرعاية من سلاطين المماليك، لذا كانت الطرق الصوفية تنتشر وتتشطر في مصر والشام، ولاسيما بعد هجرة المشارقة البغداديين والمغربة الأندلسيين، ومع التصوف كان المذهب الأشعري، حتى أصبحا سائدين في المفتين والقضاة وبتأييد من السلاطين، فنال كثير من أتباع المنهج السلفي ولاسيما الحنابلة أذىً ومحناً ووشايات، كالذي وقع للإمام ابن تيمية وأصحابه..

وبالجملة، كان التصوف والتمشعر سمة غالبة في التعلم والتفقه، فلا يستغرب من غير المحققين وقوعهم في غوائلهما مع كثرة التقليد والجمود.

---

(١) ينظر: البداية والنهاية ٣٢٢/١٣، ١٠٩/١٤.

(٢) ينظر: خطط الشام لكرد ٤٩/٥.

المبحث الثاني: نسبه، ومولده، ونشأته، وشيوخه، وتلاميذه[1].

نسبه: هو الشيخ محمد بن أبي بكر بن الشيخ عفيف الدين أبي طالب بن عبدان بن فضائل الأنصاري الدمشقي الصوفي. على الأرجح[2].

([1]) المصادر الأولية في ترجمة المؤلف هي أولاً: ما كتبه الصفدي عن المؤلف، وهي أوسع المصادر وأقربها لحياة المؤلف، وهي ثلاثة كتب متقاربة في الترجمة، أوسعها كتاب أعيان العصر ٤/٤٧٥ ثم الوافي ٣/١٣٦ ثم الشعور بالعور ص٢١١. وعن الصفدي أخذ ابن حجر في الدرر الكامنة باختصار ٣/٤٥٨. ثانياً: ما كتبه ابن الجزري في تأريخ أنباء الزمان ٢/٤٠٤، وعنه أخذ الذهبي في تأريخ الإسلام ١٢/٦٠٩.

وأما المصادر الثانوية فهي مصادر متأخرة أخذت عن الصفدي غالباً أو استنبطت بعض سيرته من كتبه، ومنها: كشف الظنون ص٣٦٥، ٣٦٦، ١٠١١، وكنوز الأجداد ص٣٥٠، ومعجم المؤلفين ٣/٣٦٢، والأعلام ٤/١٧٠، وهدية العارفين ٢/١٤٥، اكتفاء القنوع لأدوارد ١/١٢٩، معجم المطبوعات العربية والمعربة ص٨٨١، تأريخ الأدب الجغرافي العربي ١/٣٨٨، وغيرها.

([2]) هكذا جاء نسبه عند ابن الجزري في تأريخ حوادث الزمان وأنبائه ٢/٤٠٤، ٤٤٩، وعند الذهبي في تأريخ الإسلام ١٢/٦٠٩ ت د.بشار معروف، وفي مقدمة مخطوطة الدر الملتقط للمؤلف.

وعند الصفدي في مؤلفاته كالوافي بالوفيات ٣/١٣٦، وفي أعيان العصر ٤/٤٧٥، نسبه إلى جده محمد بن أبي طالب، وتبعه ابن حجر في الدرر الكامنة ٣/٤٥٨، وهو المثبت في مقدمتي مخطوط السياسة في علم الفراسة ومخطوط جواب رسالة أهل جزيرة قبرس، وعليه غالب المترجمين والمفهرسين، كمعجم المؤلفين لعمر كحالة٣/٣٦٢، والأعلام للزركلي ٤/١٧٠.

وسماه بروكلمان في تأريخ الأدب العربي ٢/١٦١: محمد بن إبراهيم بن أبي طالب، ولعله تصحّف عليه اسم أبي بكر أو اشتبه بمحمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري الدمشقي المعروف بالأكفاني، معاصر لشيخ الربوة، وله دراية بالطب والحساب، وألف في الفراسة. ينظر: أعيان العصر ٤/٢٢٥.

ولم تذكر المصادر شيئاً عن أبيه، وأما عن جده: عفيف الدين أبو طالب، أو طالب،

فكان صوفياً من صلحاء أتباع أحمد الرفاعي شيخ الطريقة[1]، وروى ابن الجزري المؤرخ مناقب الرفاعي عن شيخ الربوة عن جده[2]، قال عنه علم الدين البرزالي: (كان صالحاً يصلي الجمعة دائماً تحت النسر)[3] كان مقيماً في قصر حجاج في دمشق[1]، وله فيه

والصفدي إنما نسبه لجده مع معرفته له –كما نقل عن البرزالي ذلك في أعيان العصر ٤٧٧/٤– لاشتهاره بذلك؛ حيث ولادته ونشأته كانت عند جده، وابن الجزري والذهبي يثبتان أبيه وجده عن معرفة ودراية فقولهما أثبت.

([1]) الطريقة الرفاعية أو الأحمدية أو البطائحية، نسبة إلى أحمد بن علي بن أبي الحسين الرفاعي نسبة إلى رفاعة بيت من العرب، قدم أبوه من الغرب، وولد بالبطائح – قرى بين البصرة وواسط العراق – مطلع الخمسمائة، وتوفي سنة ٥٧٨هـ ولم يعقب، تفقه قليلاً على مذهب الشافعي، من الفقراء المتصوفة، قال عنه الذهبي في العبر ٧٥/٣: (كان إليه المنتهى في التواضع والقناعة ولين الكلمة والذل والانكسار والإزراء على النفس وسلامة الباطن، لكن أصحابه فيهم الجيد والرديء، وقد كثر الزغل فيهم، وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار العراق!: من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيات، وهذا ما عرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه، فنعوذ بالله من الشيطان) كما أشار إلى مثل ذلك ابن تيمية، ووقع له مناظرة مع الرديء من المنتسبين إلى الرفاعي، وبين انحرافهم عن الشريعة وكذبهم على شيخهم. ينظر: مجموع الفتاوى ٤٤٥/١١، سير أعلام النبلاء ٧٧/٢١، الأعلام ١٧٤/١، الفكر الصوفي ص ٥٦٢.

([2]) ينظر: تأريخ الإسلام للذهبي ٦١٠/١٢، وابن الجزري هو: محمد بن إبراهيم الدمشقي، المؤرخ الفقيه، ت ٧٣٩هـ له كتاب في التأريخ أسمه حوادث الزمان وأنبائه.ينظر: الدرر الكامنة١٠٣/٣.

([3]) عن أعيان العصر للصفدي ٤٧٧/٤، والبرزالي: القاسم بن محمد، علم الدين، مؤرخ الشام ومحدثها، ت ٧٣٩، له: المقتفى في التأريخ والمعجم الكبير لشيوخه. ينظر: الدرر الكامنة ٢٣٧/٣.

زاوية تعرف باسم زاوية طالب[٢] قال عنه الذهبي: (أحد مشايخ الأحمدية بقصر حجاج، رجل صالح وقور، يعمل السماع![٣] وله زبون وأصحاب مات في صفر (سنة ٦٨٣) وشيعه الخلق)[٤].

مولده ونشأته: ولد شيخ الربوة في زاوية جدّه عفيف الدين في سنة ٦٥٤هـ، وفيها نشأ وتربّى، فكانت نشأته صوفية، وتعلم فيها علوم الصوفية وأخبارهم، قال عنه الصفدي: (كان ذكياً، وعقله بفهم الغرائب زكياً)[٥] فعرف الرمل والأوفاق وأسرار الحروف[٦]، وتكلم في علم الكيمياء[١]، وكان صاحب عقل ناقد؛ فناقش الكيميائيين

والنسر: هي قبة النسر في الجامع الأموي في دمشق، سميت بذلك لشبهها بالنسر، وقد جددت مرات عديدة. ينظر: معجم البلدان ٤٦٧/٢، والمواكب الإسلامية في المحاسن الشامية ٤٢٣/١.

(١) قصر حجاج: هو الذي بناه حجاج بن عبد الملك بن مروان في جنوب غربي دمشق، خارج باب الجابية، وسميت المنطقة باسمه حتى الآن. ينظر: معجم البلدان ٣٥٧/٤.

(٢) تعرف بالزاوية الطالبية الرفاعية، قال النعيمي في الدارس في تأريخ المدارس ١٥٩/٢: (الزاوية الطالبية الرفاعية بقصر حجاج، قال ابن كثير في سنة ثلاث وثمانين وستمائة: وممن توفي فيها الأعيان الشيخ طالب الرفاعي بقصر حجاج، وله زاوية مشهورة به) وينظر: خطط الشام لكرد ١٣٧/٦، وخطط الشام لأكرم العلبي ص ٤٣٠.

(٣) السماع عند الصوفية: الاجتماع على استماع الأشعار والغناء، قال عنه الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٥٣١/١١: (لا نزاع بين أئمة الدين أنه ليس من جنس القرب والطاعات والعبادات). والمتصوفة ليسوا على حال واحدة في الافتتان به. وينظر: الاستقامة لابن تيمية ٢١٦/١، والكلام على مسألة السماع لابن القيم، وفيه تفنيد لشبهات المتعلقين فيه.

(٤) تأريخ الإسلام للذهبي ٤٩٥/١٥، وينظر في سيرته: البداية والنهاية ٣٠٤/١٣، ذيل مرآة الزمان لليونيني ٢١٤/٤، عقد الجمان للعيني ت. د.محمد أمين (العصر المملوكي) ٣٣٥/٢.

(٥) أعيان العصر ٤٧٦/٤.

(٦) الرمل من أضرب الكهانة والتنجيم المتفق على حرمته، والأوفاق وأسرار الحروف: البحث في خواص الحرف إفراداً وتركيباً، والزعم أن لها تأثيرا، ومنه كتابة أبي جاد، وهو من طرائق السحر والتنجيم، وقد انتشرت في بلاد المسلمين، وألف فيها غلاة الصوفية كالبوني وابن عربي،

وأبطل مزاعمهم في صحة الكيمياء[٢]، وكان واسع الإطلاع له معرفة بأقوال المتقدمين، وقدرة على الدخول في الفنون بعقله، يبهر لب سامعه، وصفه الصفدي بقوله: (كان من أذكياء العالم وأقوياء الفهم، الذي من رزقه فقد سلم وسالم، له قدرة على الدخول في كل فن، وجرأة على التصدي لكل ما سنح في الأذهان وعنّ)[٣].

وأصبحت من علومهم!! ينظر: مقدمة ابن خلدون ص ٦٦٤، أبجد العلوم لصديق حسن ص٤٢١، رسالة شريفة فيما يتعلق بالأعداد والحروف والأوفاق للصنعاني ص ٢١ ت.الوصابي، موقف الإسلام من السحر د.حياة باأخضر ١/٢٧٤.

(١) الكيمياء قديماً يراد به: سلب الجواهر المعدنية خواصها وإفادتها خواصاً لم تكن لها، وهدفها: تحويل المعادن الخسيسة إلى ثمينة واكتشاف إكسير الحياة (حجر الفلاسفة: مركب يحافظ على الحياة ويمنع الشيخوخة!) وأصل هذا من خرافات اليونان ثم شاع في أهل الإسلام عن طريق الفلسفة أو التصوف أو كليهما؛ تبعاً لأصولهما ولما فيه من الرمزية والإشارة، ثم طوّرَ البحث في المعادن علماء المسلمين إلى صناعة تعتني بطبائع الأجسام وتحولاتها وتفاعلاتها، وهي الكيمياء الحديثة. ينظر: قصة الحضارة ١٣/١٨٧.

أنكر جمهور العلماء الكيمياء القديمة وأنها ضرب من الخداع والغش أو نوع من السحر، ومنهم: يعقوب الكندي، والبيروني في كتابه: تحقيق ما للهند من مقالة.. ص ١٣٣، وابن تيمية وابن القيم وابن خلدون. ينظر: تحقيق ما للهند من مقالة في العقل مقبولة أو مرذولة للبيروني ص١٣٣، مفتاح السعادة لطاش زادة ١/٣١٧، وممن أبطلها شيخ الربوة في نخبة الدهر ص٥١ ونقدَها نقد خبير بها، مطلع على أسرارها.

(٢) ينظر: نخبة الدهر ص٥٢.

(٣) أعيان العصر ٤/٣٧٤.

ثم مهر في الفراسة وأسرار النفس الإنسانية حتى قال الصفدي: (الذين رأيتهم يقومون بعلم الفراسة ثلاثة: شيخنا نجم الدين بن الكمال[١].. وهذا الشيخ شمس الدين، والحكيم أسد اليهودي[٢]) [٣]

عاش متنقلاً بين بلدان الشام وأغوارها، فسبرها وعرف سهلها وجبالها، فوصفها وصف خبير بها، ودخل مصر وقابل علماءها، ورحل إلى الصعيد وشاهد أحوالها[٤]، وهذا غاية ما وصل إليه، وإن كان له معرفة في البلدان وطبائعها وجغرافيتها، وبالأراضي وما يصلحها، وسماتها وعيوبها، وبالصناعات المائية والأدوات وأصول الحرف.

فنشأته الصوفية، ومعارفه المتنوعة، جعلته محلاً لتولي أعمالا عامة، من أولها: **مشيخة خانقاه حطين**، فعرف بشيخ حطين، وهو الخانقاه الصلاحي[٥] في قرية حطين[٦]،

---

(١) نجم الدين حسن بن محمد الكمال القرطبي القرشي الصفدي،خطيب صفد وقاضيها، توفي سنة ٧٢٣هـ. ينظر: أعيان العصر ٢/٢٣٢.

(٢) ويعرف بالسيدة، يهودي ذكي يحترف الطب والجراحة، عالج بعض أمراء المماليك، وتباحث مع ابن تيمية وابن الوكيل، ت بعد ٧٣٠هـ. ينظر: أعيان العصر ١/٤٨٨.

(٣) أعيان العصر ٤/٤٧٩.

(٤) ينظر: نخبة الدهر ص٢٨٧.

(٥) قال عنه محمد علي كرد في خطط الشام ٦/١٥٢: (أنشاه صلاح الدين، ولم يبق منه إلا مطبخه وأنقاضه) وهو غير الخانقاه الصلاحية علو كنيسة القيامة في القدس.

(٦) حطين: قرية تقع على سفح جبل حطين بين طبرية وعكا، في قضاء طبرية في الجليل، تبعد عن مدينة طبرية فرسخين (٩ كم) وفي سهلها وقعت المعركة الفاصلة مع الصليبيين لتحرير القدس سنة ٥٨٣هـ. ينظر: معجم البلدان ٢/٢٣٤، نخبة الدهر ص ٢٦١. وهي الآن داخل أراضي المحتل اليهودي ومستعمراته.

وكان يخدمه في هذا الخانقاه النجم الحطيني[١]، وقد ابتلي بسببه وأوذي؛ وذلك أن النجم كان جريئاً على الأهوال فتاكاً، فاتفق أن جاء إلى الخانقاه فقير ليبيت فيه، فرأى النجم معه ذهباً فاستدرجه وقتله في الطريق ونهبه وهرب، فبلغت القضية نائب صفد الأمير سيف الدين كراي[٢] فأمر بإحضار الشيخ شمس الدين وضربه ألف مقرعة، على ما قيل، وعوقب زماناً ثم أفرج عنه، وفي حاله مع النجم يقول شعراً[٣]:

الله أكبر يا الله من قدر حارت عقول أولي الألباب في صدره

نجم به كسفت شمس وذا عجب أن يكسف الشمسَ جرمُ النجم مع صغره

---

(١) يعرف بنجيم وهو: أيوب بن أحمد، كان شيطاناً فتاكا لا يردعه عقل ولا شرع، دخل في خدمة الشيخ شمس الدين بحطين من غير رغبة من الشيخ وكان يخاف على نفسه منه، ولم يزل يتردد عليه في الربوة، وكان يغلق أبوابها حذراً منه، فما يكاد يسلم من شره! خالط بعض مماليك السلطان الناصر، فانتفع منهم وتلاعب بهم إلى أن طلبه السلطان وسمّره من القاهرة إلى دمشق سنة ٧١٥هـ. ينظر: أعيان العصر ٤٩٦/٥، الدرر الكامنة لابن حجر ٣٨٨/٤.

(٢) سيف الدين كراي المنصوري السلحدار (صاحب السلاح)، تولى نيابة صفد في سلطنة الناصر قلاوون، واستقال منها سنة ٧٠٠هـ ثم تولى نيابة دمشق سنة ٧١١هـ كان شديد المهابة والديانة. ينظر: أعيان العصر ١٥٠/٤. وصفد: مدينة في الجليل الأعلى شرقي عكا، في فلسطين، استردها صلاح الدين من الصليبيين سنة ٥٨٤هـ، ثم عادت لفرسان الداوية النصارى حتى استردها الظاهر بيبرس سنة ٦٦٤هـ، تمتاز بكثرة البساتين، وكانت زمن المؤلف نيابة عن السلطنة تتبعها قرى وأعمال، كالناصرة وعكا والشقيف وصور. ينظر: معجم البلدان ٤١٢/٣، المواكب الإسلامية لابن كنان ١٣٢/٢، وهي الآن ضمن نفوذ الاحتلال اليهودي لفلسطين.

(٣) ينظر: أعيان العصر ٤٧٧/٤.

ثم إن شمس الدين اتصل بالأمير جمال الدين الأفرم[١] وأعجب به، فولّاه **مشيخة الربوة وإمامتها**[٢]، وكان ذلك سنة ٧٠٩هـ، وفي إمامته كثر رواد الربوة حتى نسب إليها، وكانت جرايته قريب من أربعمائة درهم في الشهر[٣]، لكنه استناب بها غيره، وسافر إلى طرابلس[٤] وأقبل على نائب سلطنتها فولّاه **الحسبة**[٥] **بحصن الأكراد**[٦]،

---

(١) جمال الدين آقوش الرجبي المنصوري الأفرم، كان نصرانياً فأسلم وأعتقه السلطان المنصور وأمّره، تولى نيابة دمشق سنة ٦٩٨هـ في عهد الناصر، كان شجاعاً حكيماً محبوباً، شارك في ردّ التتار عن الشام ونكل بالباطنية، وتلطف مع الإمام ابن تيمية في محنته، توفي بعد ٧٢٠هـ في همدان. ينظر: أعيان العصر ١/٥٦١.

(٢) الربوة: موضع نزه ومليح في لحف الجبل الغربي لدمشق (قاسيون) ويشرف على الغوطة، جامع وعدة مساجد ومدارس وأوقاف، وهي رأس بساتين دمشق، وبها منابع مياهها، ويشقها نهر بردى، وقد تغنى بجمالها وحسنها الشعراء. ينظر: رحلة ابن بطوطة ١/٣٢٩، المواكب الإسلامية في المحاسن الشامية لابن كنان ١/٢٩١، منادمة الأطلال لابن بدران ص٤٠٤. وهي الآن مع حسنها أفسد مما مضى!.

(٣) ينظر: تأريخ حوادث الزمان لابن الجزري ٢/٤٠٤.

(٤) طرابلس: مدينة على البحر الشامي (الروم) بين اللاذقية وعكا، من أعمال دمشق، استعادها المنصور قلاوون من النصارى سنة٦٨٨هـ، وهدم المدينة القديمة المشرفة على البحر وبناها في السهل. ينظر: معجم البلدان ٤/٢٥، مراصد الإطلاع ١/٩١. وهي الآن إحدى المدن الشمالية في لبنان.

(٥) الحسبة في العهد المملوكي: نظام وظيفته المحافظة على النظام العام والمراقبة لما يجري بين الناس من معاملات، والفصل المباشر بينهم، فيما هو دون اختصاص القاضي، وللمحتسب مكان رفيع وسلطته تتفاوت حسب ولايته. ينظر: معجم الألفاظ التأريخية في العصر المملوكي لمحمد دهمان ص ٦١، خطط الشام لكرد ٥/١٢٤.

(٦) حصن الأكراد: حصن منيع على الجبل الذي يقابل حمص من جهة الغرب، بين بعلبك وحمص. قال ابن بطوطة في رحلته ١/٢٦٦: (بلد صغير كثير الأشجار والأنهار بأعلى تل) وقد كان ثغراً فيه أكراد ثم أخذه الفرنج الاسبتارية مدة إلى أن استرده المنصور قلاوون سنة ٦٦٩هـ.

وأضاف معه غيره، ووليّ في الربوة غيره، وبقي شيخ الربوة في حصن الأكراد مدة ثم عُزل.

ثم ولّاه نائب صفد **وكالة فرّادية**[١] من أعمال صفد، وفيها يقول:

قل للمقيمين بفرّادية   من ذا الذي أفتى بإفراديه

ومن لحيني في الهوى عامداً   أصدرني من قبل إفراديه

كما تولى **مشيخة قرية علمين**[٢]، وبقي في بلاد الساحل[٣] متنقلاً من مكان إلى مكان، وآخر ما تولى **حسبة حبراض**[٤].[١]

ينظر: معجم البلدان ٢/٢٦٤، نخبة الدهر ص٢٥٨، زبدة الفكرة في تأريخ الهجرة لبيبرس ص١٢٧.

(١) الوكالة: الفندق أو الخان للتجار، فيه نزل لهم وفناء لعرض بضائعهم، وفي العصر المملوكي كان لها قائم يتولى تنظيمها. ينظر: المواعظ والاعتبار للمقريزي ٣/١٧٠، العصر المماليكي د.عاشور ص٤٨٤. وفرّادية: من أعمال صفد،في الجنوب الغربي منها، تبعد عنها ١٠كم، وتعرف الآن فراضية، ودمرها المستعمر اليهودي وأقام مستعمرة (بارود). ينظر: القرى المدمرة في فلسطين نشر الجمعية الجغرافية المصرية.

(٢) وتعرف بقرية علمين الفقراء، قريبة من قرية مغران (نغران) بالقرب من الشريعة عند جسر يعقوب، كذا وصفها الصفدي في أعيان العصر ٤/٤٧٦. وهي الآن من قرى الجولان المحتلة على الضفة الشرقية.

(٣) بلاد الساحل: هي المطلة على البحر الشامي (ساحل الروم) وقاعدته طرابلس، ولها بلدان وأعمال وحصون، منها: طرسوس، واللاذقية، وحصن المرقب، وعكار، وغيرها. وفي زمن المؤلف (القرن السابع) ينتشر في بعض جبالها الإسماعيلية والنصيرية الملاحدة، وهي من آخر ما خرج منه النصارى. ينظر: نخبة الدهر ص٢٥٧.

(٤) كذا في تأريخ ابن الجرزي ٢/٤٤٩. وحبراض: قال الزركلي في الإعلام ٧/١٣٩: (ولم أجد حبراض فيما بين يدي من كتب البلدان) علق العلاونة في نظرات في الإعلام ص١٤٤: (لعل

وهذه الأعمال تدل على مخالطته لنواب تلك البلدان، ونفوقه فيهم، مع ما يملكه من سعة اطلاع على أخبار الناس وأحوالهم وغرائبهم، وحسن أدب ونظم لطيف ولفظ مليح، قال عنه ابن الجزري: (وكان من المشايخ الفقراء الظرفاء الفضلاء النبلاء الأكياس، وعنده فضائل في علوم كثيرة، منها: الترسل والنظم المليح، وعلى ذهنه حكايات، وطرف جيد من التأريخ وأخبار المشايخ والفقراء، ومن خطه نقلت كرامات سلطان العارفين سيدي أحمد بن الرفاعي)[٢].

لم تكن تلك الوظائف التي تولاها تبلغ مُنية نفسه، ولا مطلب أمله، فلم ينل في حياته حظاً من الغنى أو السؤدد، بل تقلب بين فقر وحرمان، وكان من نظمه يرثي نفسه[٣]:

تأدّب حتى لم يجد من يُناظره   وحتى قَلَتْه كتبُه ودفاترُه

ودارس ما فيها فلم يرَ ذا حجىً   وذا أدب مما يراه يُحاوره

وطاب به الحرمان من كل جانب   وظل إليه الفقر تسعى بوادره

فلو رام بحراً زاخراً وهو ظاميٌ   يحاول منه شربة غاص زاخره

حبراض تصحيف حبراص، وهي قرية قرب أربد بالأردن، وفيها آثار رومانية ومملوكية تبعد عن دمشق ٧٠كم) قال شيخ الربوة في نخبة الدهر ص٢٠٢: (ومن جهة قبلة دمشق حبراص وعملها، وبأرضها مغارة العجب) وهي من قرى حوران، والآن تتبع أربد في شمال الأدرنّ.

(١) ينظر: تأريخ حوادث الزمان لابن الجزري ٢/٤٤٩.

(٢) تأريخ حوادث الزمان لابن الجزري ٢/٤٤٩.

(٣) أعيان العصر ٤/٤٧٩.

وله نظم حسن، قال الصفدي: (كان له نظم ليس بطائل، وكان ربما عرض علي القصيدة وطلب مني تنقيحها، فأغير منها كثيراً)[١] وقال: (وكان ذكياً، وعبارته حلوة، ما تمل محاضرته)[٢]

شيوخه وتلاميذه: لم يعرف لشيخ الربوة شيوخ تلقى عنهم غير جدّه أبي طالب ولم يسجل في تلاميذه غير النجم الحطيني! ومن المستبعد أن لا يكون قد أخذ عن الشيوخ وقابلهم أو لم يتتلمذ عليه ويوخذ عنه؛ وهو قد طاف البلاد الشامية والمصرية، وتولى أعمالاً هي محط نظر العلماء كالحسبة والمشيخة.

ومن أهم من لقيهم شيخ الربوة: مَنْ كانوا يترددون على زاوية جدّه، ويروون أخبار الفقراء والمتصوفة كأخبار الرفاعي التي رواها المؤرخ الجزري عن شيخ الربوة عن جدّه. كما أن كتبه كانت محل إعجاب العلماء وسماعهم، فكتابه السياسة في علم الفراسة أخذه عنه الصفدي وعنه كتبه جملة من العلماء في مصر والشام[٣].

ولعدم بروز شيخ الربوة في العلم الشرعي والرواية، واشتغاله بالوظائف، وكثرة تنقله ثم انعزاله، جعله خالياً من سجلات الشيوخ والتلاميذ، وإنما عرف بأعماله ومؤلفاته التي تدل على سعة إطلاع وتنوع، ولهذا يصحّ أن يقال عنه: إن شيوخه كتبه وتلاميذه مؤلفاته!.

---

(١) الوافي بالوفيات ١٣٦/٣، وينظر: أعيان العصر ٤٧٧/٤.

(٢) أعيان العصر ٤٧٦/٤.

(٣) ينظر: أعيان العصر ٤٧٨/٤.

المبحث الثالث: عقيدته ومذهبه.

عاش شيخ الربوة في نشأته الأولى في بيت ينتسب إلى التصوف، وفي بيئة تفشى فيها التمشعر، ولاسيما في الولاة والقضاة والعمّال، وإن وجدت بدع ونحل ضالة أشتاتاً، ونور السنة وبقايا السلف ظاهران مع قلة المعين .. فكان لنشأته وللبيئة أثرهما في بناء عقيدته، وكان لسماته الشخصية والعلمية مغالبة وانفلات من ربقة التقليد أحياناً، قال الصفدي مبيناً حال شيخ الربوة في معتقده: (فكنت يوماً أراه أشعرياً، ويوماً أراه معتزلياً، ويوماً أراه حشوياً، ويوماً أراه يرى رأي ابن سبعين[1] وقد نحا طريقه) وعلل ذلك بقوله: (لأنه لم يكن له علم، وإنما كان ذكياً)[2] .

وفي تحليل ما كتبه شيخ الربوة نجد مبالغة من الصفدي في وصفه؛ فإن غاية أمره أنه لم يكن يتعصب لرأي ولم يخرج عن الحالة العامة للأشاعرة المتصوفة، ويتجلى ذلك فيما يلي:

كان التصوف لشيخ الربوة سلوكاً مظهرياً في شخصه وما تولاه من مشيختي حطين والربوة، ولم يكن عن عقيدة غالية، فكان يروي أخبار الصوفية وأحوالهم من غير تبيّن لواقع غلاتهم؛ إحساناً للظن بهم، وهي من سمات شخصيته، فهو يجلّ الإمام ابن تيمية السلفي وابن عربي الوجودي![3]. وكان ينكر عقيدة وحدة الوجود ويرى أنها من

---

(1) ابن سبعين: عبد الحق بن سبعين الأشبيلي، ت٦٦٩هـ، وخلف كتباً ورسائل في معتقده في وحدة الوجود. ينظر: بغية المرتاد لابن تيمية ص٤١٨، العبر للذهبي ٣/٣٢٠.

(2) أعيان العصر ٤/٤٧٦، وينظر: الوافي ٣/١٣٦.

(3) ينظر: جواب رسالة أهل جزيرة قبرص (الرد على النصارى) ل: ٢ ص٨٨، ل٦٤ ص٢٧٣.

آثار الصابئة، ولهذا شنع على معاصره الحريري المعروف بابن إسرائيل[١] القائل بوحدة الوجود، ومن شعره:

أنتم حقيقة كل موجود يرى   وجميع هذا الكائنات توهم!![٢]

ولم يكن محتفياً بذكر المتصوفة كثيراً في كتبه، بل حين ذكر الفراسة الإلهامية في كتابه الفراسة وأثبتها للأنبياء والأولياء لم يكن مغالياً فيها كحال غلاة الصوفية[٣].

وفي مسائل أصول الدين، سار على طريقة المتكلمين الأشاعرة في الجملة ، ولاسيما في منهج الاستدلال، وتأويل الصفات.

ففي منهج الاستدلال: زعم أن خبر الآحاد لا يفيد إلا الظن، ولا يستدل به في اليقينيات ولاسيما العقائد[٤]، واستخدم الألفاظ المجملة والمصطلحات الكلامية في إثبات المسائل العقدية عوضاً عن الألفاظ الشرعية، كلفظ: التجسيم، وواجب الوجود، والكمية[٥].

---

(١) ابن إسرائيل: محمد بن سوار بن إسرائيل الشيباني، ولد عام ٦٠٣ وتوفي ٦٧٧هـ وهو على طريقة ابن الفارض في القول بوحدة الوجود، وله شعر في ذلك. ينظر: البداية والنهاية ٢٨٢/٧ .

(٢) نخبة الدهر ص٤٥، وينظر في إبطاله القول بوحدة الوجود في كتابه جواب رسالة أهل جزيرة قبرص (الرد على النصارى) ل: ب/٨٨ ص٣٣٢، والتعليق عليه في ذلك الموضع.

(٣) ينظر: السياسة في علم الفراسة ص ٤ ط. الوطن.

(٤) ينظر: جواب رسالة أهل جزيرة قبرص ل: ب/٦٧ ص٢٦٥، وقد تعقبته في ذلك الموضع، وأبنت منهج السلف في تلقي الأخبار.

(٥) ينظر: جواب رسالة أهل جزيرة قبرص ل: أ/٦٧ ص٢٨١. وقد تعقبته في ذلك الموضع.

وفي ردّه على قول الفلاسفة بالموجب الذاتي أو العلة الأولى أو أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، استعمل طريقة المتكلمين المتأخرين كالرازي والآمدي ولم يخرج عن دلائلهم، ومثل ذلك في إثبات واجب الوجود أو إبطال القول بالتسلسل[1] .

وفي نصوص الصفات: جرى على طريقة المتأولة الأشاعرة، فأول النصوص وزعم أن ظاهرها غير مراد، وإنما هو على سبيل المجاز والاستعارة، فأول صفة المجيء، والاستواء، والوجه، واليدين، والعينين[2] .

وفي مسائل التوحيد كان على قول السلف فيما وقفت عليه: فأبطل قول الصابئة والشرك بالنجوم والأفلاك، وبيّن أن حقيقة قولهم: تقديس مخلوط بشرك، ولم ينقل شيء من

ذلك عن الأنبياء، وأن الزعم بأنها صور عن الملائكة باطل. وقال فيمن زعم تأثير الكواكب ونحوها بالسعود والنحوس : (وقد كذبوا فيما زعموه)[3].

وفي مسائل القضاء والقدر: فلم يخرج عن قول السلف فيه، ولم يوافق الأشاعرة في قولهم بالكسب[4]، قال رحمه الله: (إن الإنسان كاسب، مثاب ومعاقب، وأن الله لا

---

(1) ينظر: جواب رسالة أهل جزيرة قبرص ل: ١٠٣ وما بعدها ص٣٩٧، وقد تعقبته في ذلك الموضع.

(2) ينظر: جواب رسالة أهل جزيرة قبرص ل: ٩٠، ٩١، ص٣٥٣ وقد تعقبته في ذلك الموضع، وأبنت معتقد السلف في إثبات الصفات وما يجب من الإيمان فيها.

(3) نخبة الدهر ص ٤٥.

(4) ينظر في قول الأشاعرة بالكسب وتطوره: الملل والنحل للشهرستاني ١/١٥٥، وفي إبطاله ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٨/٤٠٣.

يظلم مثقال ذرة ولكن الناس أنفسهم يظلمون، وأن الله سبحانه أراد من العالمين ما هم فاعلوه، ولم يجبرهم، ولو عصمهم ما خالفوه، فمن أحسن فلنفسه، ومن أساء فعليها، ولم يخرج أحد منهم عما قدّره)[١].

ومما لا يمكن تجاوزه عند ذكر عقيدة شيخ الربوة: ما تميّز فيه من تفصيل مذاهب الباطنية وإبطالها، وأن حقيقة قولهم: إسلام في الظاهر وكفر في الباطن وإبطال للشرائع. وخلاصة ما هم عليه: توفية الطبع حقه من الأكل والشرب والنكاح لا غير ذلك.[٢]

وبعد، فإن شيخ الربوة وإن وافق المتصوفة والأشاعرة في الجملة فأنه لم يكن متمسكاً برأي طائفة أو شيخ يتعصب له، بل كان يتبع ما وصله من العلم والدين، ولكن ضعف بضاعته في علوم السنة وآثار السلف أوقعه في أغلاط زمانه.

وأما مذهبه الفقهي: فلم ينتسب إلى شيء من المذاهب أو يُنسب إليها، ولم يكن له جهود فقهية يعرف بها، لكن هناك ما يدل على قربه من المذهب الشافعي، من ذلك: أنه نشأ في بيت جده الصوفي الرفاعي الشافعي. وأيضاً: تولى أعمالاً تسند غالباً في زمن المماليك إلى الشافعية. وفي كتابه (الفراسة) اعتنى بكلام الشافعي وترضى عليه على طريقة الشافعية. وهذه الأمور غير كافية في القطع بنسبته إلى الشافعية، ولاسيما وأن كتب تراجم الشافعية لم تذكر له ترجمة.

المبحث الرابع: مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه.

---

(١) نخبة الدهر ص ٢٧٠.

(٢) ينظر: نخبة الدهر ص ٢٠٣.

من خلال تتبع أقوال العلماء الذين قابلوا شيخ الربوة نجد ثناءاً وإعجاباً بشخصيته وقدراته العلمية. وممن اجتمع به مرات عديدة ومدة مديدة الصفدي في صفد، وقد وصفه بأنه من (أذكياء العالم، وأقوياء الفهم، وله قدرة على الدخول في كل فن)[١]. وأيضاً: ابن الجزري ووصفه بقوله (عنده فضائل في علوم كثيرة)[٢].

وبمقارنة ما قيل فيه وما تولاه من أعمال وما وصلنا من مؤلفاته تظهر مكانته العلمية، ومن أهم ما يمكن رصده في شخصيته العلمية ما يلي:

- أنه كان ذكياً قوي الفهم، ويظهر ذلك أن دخوله في العلوم برأيه وعقله أكثر منه بنقله وعلمه، كما في رده على النصارى.
- أنه كان عالماً بأقوال الناس والفرق فيما عاصره كأحوال الفرق الباطنية بالشام، ولم يكن ينقلها عمّن كتب في الفرق، ولذا لم يكن له خبرة بأقوال الفرق في أصول الدين على جهة التفصيل، وقلّ سياق ذلك في مؤلفاته، كما لم يكن ذا خبرة بالآثار والمرويات، فقلّت الآثار في كتبه، وراج عليه ما لا يصح منها.
- أن معرفته بعلوم الصوفية لم يكن عميقاً، ولذا لم يكن حاضراً في مؤلفاته، لاسيما كتاب الفراسة الذي جرى فيه على أقوال المتفرسين بالنظر في صفات الإنسان وخلقته، لا على الطريقة الصوفية القائمة على التجلي والكشف! وعنايته بالتصوف كانت بأخبار المتصوفة وأحوالهم وأشعارهم كما نقل ذلك عنه ابن الجزري[٣].

---

(١) ينظر: أعيان العصر ٤/٤٧٥، ونقله عنه ابن حجر في الدرر الكامنة ٣/٤٥٨.

(٢) ينظر: تأريخ حوادث الزمان لابن الجزري ٢/٤٤٩.

(٣) ينظر: تأريخ حوادث الزمان لابن الجزري ٢/٤٤٩.

- وله إطلاع على علم الكلام، والفلسفة وأقوال الفلاسفة، ومعرفته بالفلسفة الإلهية أقل منها معرفة بالفلسفة الطبيعية[١] التي كان ملماً بها، ولهذا حين ينقل أقوال الفلاسفة في الإلهيات ربما اختلطت عليه أقوالهم، كما في آخر رده على النصارى.
- ومعرفته وجودته وتمكّنه بالطبيعيات المتعلقة بالإنسان وسماته، أو الحيوان وطبائعه، أو النبات والأرض والمعادن ظهرت في كتبه: الفراسة ونخبة الدهر والدر الملتقط، قال كراتشكوفسكي عن مؤلفاته: (يكشف بعضها عن اهتمام ومعرفة جيدة بالعلوم الدنيوية)[٢] وساعده على ذلك تنقله في بلدان الشام ومصر، وتوليه أعمال الحسبة في بعض نواحيها.

---

(١) تنقسم الفلسفة إلى نظرية وعملية، والفلسفة النظرية تشمل ثلاثة علوم: العلم الطبيعي وموضوعه: الأجسام وما يلحق بها من الحركة والسكون، وهو من أوسع علوم الفلاسفة القدماء. والعلم الرياضي وموضوعه: المقادير والأعداد. والعلم الإلهي وموضوعه: الوجود المطلق! ولواحقه. والفلسفة العملية تشمل: تدبير نفسه بالأخلاق، والخاصة وأهل المنزل، والعامة بالسياسة. ينظر: في الفلسفة الأولى للكندي ص٣٠، أبجد العلوم ص٤٦٦. وينظر تعليق ابن تيمية على التقسيم في مجموع الفتاوى ١٢٣/٩.

(٢) تأريخ الأدب الجغرافي العربي ٣٨٦/٢.

المبحث الخامس: وفاته وآثاره.

أصيب شيخ الربوة في العشر سنوات الأخيرة من حياته بصمم وألم، وكان به انفتاق في أنثييه يثور به كل قليل ويقاسي منه شدة، وكان قد كبر سنه وأنقى شيبه، وأضر من عينه الواحدة، مع قلة وفقر ووحدة[١]، فانعزل في بيمارستان صفد[٢]، وظل فيه إلى أن توفي سنة ٧٢٧هـ[٣].

لم يخلّف شيخ الربوة ذرية، ولم تذكر المصادر أن له زوجاً، وإنما خلف آثاراً علمية، ومؤلفات تنسب إليه، وبالغ في تقديرها الصفدي بقوله: (رأيت له عدة من التصانيف في كل علم حتى في الأطعمة ...وكان من أفراد العالم، وله في كل شيء يتحدث فيه مصنف)[٤]، ولم تذكر المصادر من أسماء مؤلفاته ما يتجاوز حدود اليد الواحدة![٥]، وهي ما يلي:

([١]) ينظر: الوافي بالوفيات ١٣٧/٣، أعيان العصر ٤٧٧/٤.

([٢]) بناه تنكز الناصري (ت٧٤١) نائب السلطنة في دمشق، وكان مليحاً. ينظر: الوافي بالوفيات ٣٤١/٨، تأريخ البيمارستانات في الإسلام لأحمد عيسى ص٢٣٤.

([٣]) ذكر ذلك البرزالي المحدث الثبت فيما نقله عنه الصفدي في أعيان العصر ٤٧٦/٤، وعنه ابن حجر في الدرر ٤٥٩/٣، وعليه غالب المترجمين.

وذكر الصفدي في الشعور بالعور ص٢١١ وفي الوافي بالوفيات ١٣٧/٣: أنه توفي عام ٧٢٥هـ وقال: (فيما أظن). وأرخ ابن الجزري في تأريخه حوادث الزمان ٤٤٩/٢ وفاته في عام ٧٣١هـ، ولم يذكر ذلك غيره.

([٤]) أعيان العصر ٤٧٥/٤، ٤٧٨. وفي: الوافي بالوفيات ١٣٧/٣.

([٥]) في تقديري أن المؤرخ الصفدي توهم في ذلك؛ ربما لرؤيته الكتاب مفرقاً فظنه عدة كتب، ولاسيما كتاب نخبة الدهر أو الدر الملتقط، أو ربما رأى ما نسخه بيده فظنه من تصنيفه.

أولاً: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر[١]

نسبه إليه متأخرو المترجمين له كحاجي خليفة وكحالة والزركلي والبغدادي وغيرهم[٢].

وهو من أشهر كتبه وأوسعها، وقد ألفه بعد ٧٢٣هـ، حيث أشار فيه إلى زلزلة وقعت في الشام في تلك السنة[٣].

وموضوعه: في الكوزموغرافيا[٤] والجغرافيا البشرية. وقال عنه محمد علي كرد: (وقد أجاد في وصف جغرافية الشام، فصور حالتها في القرن السابع والثامن، والأرجح أنه طافها كلها، ولم يقصر في جغرافية مصر... ووصف بلاد السودان والزنج والبربر وغيرهم في أواسط أفريقية مما لم يطلع عليه علماء الجغرافيا إلا في العهد الأخير)[٥]. بينما أشار كراتشكوفسكي إلى تحفظ العلماء الأوربيين في تقدير قيمة الكتاب، وأنه دون المؤلفات الأخرى في الموضوع نفسه، لكنه أثنى على تبويب الكتاب وترتيبه،

---

(١) أول طبعة له خرجت عن أكاديمية العلوم الروسية، بعناية مهرن (mehren) في بطرسبرغ سنة ١٨٦٦م، عن نسخة مخطوطة في كوبنهاجن، وعن طبعة نادرة لجزء منه بعناية فرين (fiahn). ينظر: تأريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي، ترجمة صلاح الدين عثمان ٣٨٨/١. ثم طبع اعتماداً على الطبعة الأولى في دار إحياء التراث في دمشق عام ١٩٨٨م. وله نسخة مخطوطة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة. ينظر: المنتخب من مخطوطات المدينة لكحالة (جغرافية٤).

(٢) ينظر: كشف الظنون ص٣٦٥ وسماه (تحفة الدهر)، معجم المؤلفين ٣٦٢/٣، الأعلام ١٧٠/٤، هدية العارفين ١٤٥/٢، اكتفاء القنوع لأدواردافا ١٢٩/١، معجم المطبوعات العربية والمعربة ص٨٨١..

(٣) ينظر: نخبة الدهر ص٨٤.

(٤) الكوزموغرافيا: علم يبحث في مظهر الكون وتركيبه، ويشمل علم الفلك والجغرافيا والجيولوجيا.

(٥) كنوز الأجداد لكرد، ترجمة رقم (٤٦) ص٣٥٠.

واهتمامه بالنبات والحيوان والمعادن وطبقات الأرض، كما أنه يفوق غيره في وصف الشام وفلسطين ومعرفته[1]. ومما يميز الكتاب وصفه للفرق المبتدعة، وأماكنها، ولاسيما الباطنية في الشام[2].

وشيخ الربوة في نخبة الدهر يشير إلى مصادره غالباً، ومن أهمها: كتب الأقدمين، كالمجسطي لبطليموس، والأحجار لأرسطو. ومنها: كتب التأريخ والرحلات، ككتب الخوارزمي والبلخي أحمد بن سهل، وأبو الفرج بن قدامة، والمسعودي، وابن الأثير، والبكري، وابن حوقل. ومنها: كتب المعادن، ككتب جابر بن حيان وابن وحشية. ومن أشهر من نقل عنه: الوطواط ويلقبه أحياناً بأحمد الطيني والمصري والوراق[3]، وقد توافق معه في كثير من المصادر والمباحث، حتى زُعم أن شيخ الربوة ناقل عنه! ولم يرتضِ هذا كراتشكوفسكي[4]، وأنه يخالف واقع الكتابين.

ثانياً: الفراسة أو السياسة في علم الفراسة[5].

---

(1) ينظر: تأريخ الأدب الجغرافي العربي ٣٨٧/٢.

(2) ينظر مثلاً: نخبة الدهر ص ٢٠٣.

(3) الوطواط: جمال الدين محمد بن إبراهيم الكتبي، ت٧١٨هـ، وكتابه باسم (مباهج الفكر ومناهج العبر) ولا يعرف عن حاله شيء كثير. ينظر: المخطوطات الجغرافية العربية د.الغنيم ص١٢٧، مجلة المشرق السنة (١٠) ص٧٢٣ مقالة جرجس الماروني الحلبي.

(4) ينظر:تأريخ الأدب الجغرافي العربي ٣٨٨/٢.

(5) طبع سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م في مطبعة الوطن في مصر، وهي طبعة جيدة، وللكتاب عدة نسخ مخطوطة: في معهد المخطوطات العربية في القاهرة، وفي مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض.

وهو غير كتاب شمس الدين محمد بن إبراهيم الأكفاني المعروف باسم (أساس الرياسة في علم الفراسة) مخطوط في المكتبة الوطنية في باريس رقم ٢٧٢٦، ولابد أنه أفاد من كتاب شيخ الربوة

نسبه إلى شيخ الربوة غالب من ترجم له، قال الصفدي: (كتبته بخطي من خطه، وتناولته منه بصفد، ولم أرَ في كتب الفراسة مثله، وقد نقله مني جماعة أفاضل بمصر والشام، منهم الشيخ شمس الدين الأكفاني، لأنه جمع فيه كلام الشافعي رضي الله عنه، وكلام ابن عربي، وكلام صاحب المنصوري، وكلام أفلاطون، وكلام أرسطو، فجاء حسناً إلى الغاية)[1]

هذا الاستحسان إنما وقع؛ لحسن ترتيبه وتبويبه، ولجمعه ما تفرق من كلام المتقدمين في الفراسة، حيث إن عمدته في الكتاب على سبعة مصادر، وجعل لكل واحد رمزاً، وهم: أفليمون[2]، وأرسطو[3]، والرازي الطبيب[4]، والرازي المتكلم[1]، وإيلاووس[2]،

فقد نقله عن الصفدي، وفيهما تقارب في المصادر. ينظر: الفراسة عند العرب ليوسف مراد ص٤٧.

وجاء في معجم المؤلفين لكحالة ٣٦٢/٣ تسمية (نهاية الكياسة) من مؤلفات شيخ الربوة، ولا أظنه إلا اسم آخر لكتاب الفراسة.

(1) أعيان العصر ٤٧٨/٤، ووهم في ذكر أفلاطون، وصوابه أفليمون.

(2) أفليمون (أفليون): خبير في الفراسة، وله مصنف فيها، عاش في القرن الخامس قبل الميلاد. ينظر:عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢٧/١، تاريخ الحكماء للقفطي ص٦٠، الأعلام ٤٣٩/٧.

(3) أرسطو: عاش بين ٣٨٤- ٣٢٢ ق.م. كتب في المنطق والطبيعة وما وراء الطبيعة والسياسة والأخلاق والشعر، وله كلام في الفراسة في كتابة سر الأسرار. ينظر: أرسطو عند العرب د.بدوي ص٥٨، إغاثة اللهفان لابن القيم ٢٥٥/٢، الفراسة عند العرب د.مراد ص٦٣.

(4) الرازي: هو أبو بكر بن زكريا، صاحب كتاب المنصوري في الطب، وفيه فصول في الفراسة، نسب إلى الإلحاد وإنكار النبوات، ت٣١١هـ. ينظر: السير للذهبي ٣٥٥/١٤، إغاثة اللهفان ١٧٩/٢، من تأريخ الإلحاد د.بدوي ص١٦٣، الفراسة عند العرب ص٦٧.

والشافعي[٣]، وابن عربي الطائي[٤].

لكن يؤخذ عليه: نقله الحرفي من الفراسة للفخر الرازي[٥]، ولم يُشر له!، كما نسب إلى الإمام الشافعي ما نقل عنه في الفراسة من غير نظر وتدقيق، وجمع كل ما قيل من غير تعقّب ولا تحقيق، ويعتذر له في ذلك فيما أشار إليه في مقدمته: من قصده جمع ما كان من باب الفراسة المكتسبة[٦] التي تؤخذ بالعلم والتعليم، وهي محل التجارب

---

(١) الرازي: الفخر محمد بن عمر القرشي البكري، ابن خطيب الري، الأشعري المتكلم، له كتاب في الفراسة لخص فيه كلام أرسطو وزاد عليه، حققه د.يوسف مراد على ثلاث نسخ خطية. ينظر: السير للذهبي ٥٠٠/٢٠،

(٢) إيلاووس لم أجد له ترجمة، ولم يكن لرمزه إشارة في الكتاب!. وذكر د.يوسف مراد في كتابه الفراسة عند العرب ص ٤٦ احتمالين هما: إيلاوس بروميطس الطبيب ولم يعرف بالفراسة أو أبوليوس سوفسطائي في القرن الثاني الميلادي نسب إليه رسالة في الفراسة، ورجح أنه أبقراط اليوناني بدليل ذكره في الكتاب. لكن شيخ الربوة أشار إلى أبقراط صريحاً باسمه من غير رمز، مما يضعف أنه المراد، فربما الاسم ورمزه كان في بداية أمره ثم أعرض عنه، ولم يشر له الصفدي.

(٣) الإمام الشافعي: محمد بن إدريس القرشي المطلبي، ت ٢٠٤، ذكر ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي وآدابه ص٩٦، والذهبي في السير ٣٨/١٠: أن الشافعي رحل إلى اليمن وجمع كتاباً في الفراسة. وأشار ابن القيم في مفتاح دار السعادة ٢١٩/٢: إلى كثرة ما نسب إلى الشافعي في الفراسة ولا يصح أكثره، وأصله ما رواه الحاكم وابن أبي حاتم، كما أبطل دعوى نسبة التنجيم إلى الشافعي، وإنما المأثور عنه قوة الفراسة وجمعه لها.

(٤) ابن عربي الطائي له كتاب مخطوط في الفراسة باسم التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية، وله كلام في الفراسة في كتابه المشؤوم الفتوحات المكية ٣٥٠/٣ (فتح ١٤٨) وغالب كلامه على طريقة المتصوفة من ذكر المخاريق بدعوى الإلهام والكشف!.

(٥) قارن بين المقالة الأولى عند الرازي والمقالات الثلاث الأُول عند شيخ الربوة.

(٦) الفراسة نوعان: الأول: مكتسب، وهو الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأخلاق الباطنة. والثاني: إلهامي، وهو ما يقع في قلوب المؤمنين من المعاني والحقائق من غير برهان، وهذا بالغ فيه المتصوفة وأسسوا عليه قواعد باطلة من الاستدلال بالذوق والكشف. ينظر: مجموع الفتاوى

كحال الطب وإن كانت دلالتها أضعف، ولهذا نقل كل ما وقف عليه ورتّبه، وفي الجملة؛ فالكتاب يدل على سعة إطلاعه، ومعرفته بالعلوم الطبيعية.

ثالثاً: الدر الملتقط من علم فلاحتي الروم والنبط[١].

نسبه إليه الزركلي[٢] وأحمد عيسى[٣]

ويبدو أنه من أول ما ألف، ففي أول المخطوط نسب إلى مشيخة حطين حيث أول أعماله.

وهو يحتوي على مقدمة كالفهرس له، و٢٩ باباً، وفيها: ذكر الشهور الأعجمية وما ينبغي أن يعلمه الفلاح منها، وقواعد حسابية فلاحية، وما يؤثر في النباتات، والأرض صالحها وفاسدها وما يصلحها، وحفر الآبار، وأحوال أهل القرى، والسموم والأدوية، والحشرات وتربية النحل، وتربية الداجن والأنعام..

ومصادره في هذا الكتاب: أشار إليها في المقدمة، وهي كتب بابلية نبطية أو رومية، مترجمة[١] عن طريق ابن وحشية[٢] والزيات[٣] وثابت بن قرة[٤]. ويغلب على الظن أنه

للإمام ابن تيمية ١١/٢٠٥، ٢٠/٤٢، مدارج السالكين لابن القيم ٢/٥٢، السياسة في علم الفراسة ص٤.

(١) مخطوط، له في دار الكتب المصرية نسختان، الأولى: رقم ٢١ زراعة، من غير تأريخ نسخ، ويبدو أنها في القرن الثامن. والثانية: برقم ٨٤ زراعة، نسخت عن الأولى في ٢٠ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦هـ، بيد إبراهيم يوسف مبروك النساخ. ينظر: تاريخ النبات عند العرب لأحمد عيسى ص١٢٤.

(٢) الأعلام للزركلي ٤/١٧٠، وأشار أنه مخطوط في دار الكتب.

(٣) تأريخ النبات عند العرب لأحمد عيسى ص ١٢٤.

استفاد ونقل أغلب مباحث الكتاب من ابن وحشية في كتابه الفلاحة النبطية[٥]، وأغفل ما لا تعلق له في الفلاحة والنبات فكان تهذيباً لبعض ما فيه مما يخص الفلاحة والنبات.

---

(١) قال ابن خلدون في مقدمته ص٦٥٢ عن الفلاحة: (هذه الصناعة من فروع الطبيعيات، وهي النظر في النبات من حيث تنميته ونشؤه بالسقي والعلاج واستجادة المنبت وصلاحية الفصل وتعاهده بما يصلحه ويتمه من ذلك كله. وكان للمتقدمين بها عناية كثيرة، وكان النظر فيها عندهم عاماً في النبات من جهة غرسه وتنميته ومن جهة خواصه وروحانيته ومشاكلتها لروحانيات الكواكب والهياكل المستعمل ذلك كله في باب السحر، فعظمت عنايتهم به لأجل ذلك. وترجم من كتب اليونانيين، كتاب الفلاحة النبطية، منسوبة لعلماء النبط، مشتملة من ذلك على علم كبير. ولما نظر أهل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب، وكان باب السحر مسدوداً، والنظر فيه محظوراً، فاقتصروا منه على الكلام في النبات من جهة غرسه وعلاجه وما يعرض له في ذلك، وحذفوا الكلام في الفن الآخر منه جملةً).

(٢) ابن وحشية: أبو بكر أحمد بن علي بن قيس النبطي الكلداني، اختلف في مولده ووفاته، عاش في النصف الثاني من القرن الثالث ومطلع القرن الرابع، قومه من الصابئة، له مؤلفات في الطب والكيمياء والسموم والفلاحة والنجوم وغيرها، أغلبها مترجم عن الكلدانية. ينظر: الفهرست لابن النديم ص٤٣٣، ٥٠٤، الأعلام ١/١٧٠.

(٣) الزيات: أبو طالب أحمد بن الحسين بن علي، صاحب ابن وحشية، وأخذ عنه بعض ترجماته. ينظر: الفهرست ص٤٣٣.

(٤) ثابت بن قرة الحراني، أبو الحسن الصابئ، رفع شأنه الخليفة المعتضد، ماهر في الطب والفلسفة والهندسة والحساب ومعرفة باللسان السرياني، وله مؤلفات وترجمات عدة، ت٢٨٨هـ. ينظر: السير للذهبي ١٣/٤٨٦، أخبار العلماء بأخيار الحكماء للقفطي ص٩٣.

(٥) كتاب الفلاحة النبطية، مشهور، كبير الحجم ذو أجزاء، بعضها مخطوط وبعضها مفقود، فيه خلط للفلاحة بالتنجيم، نشر صوراً منه فؤاد سزكين سنة ١٩٨٤، له طبعة مشهورة حقّقها د.توفيق فهد، صدرت عن المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ١٩٨٨م، اختلف في مؤلفه الأصلي، وترجمَه ابن وحشية وأملاه على تلميذه ابن الزيات سنة ٣١٨هـ. ينظر: الفهرست ص٤٣٣.

رابعاً: كتاب فيه جواب رسالة أهل جزيرة قبرص. محل التحقيق، وسيأتي الحديث عنه.

خامساً: مقامة في وصف الربوة.

ذكرها المؤرخ ابن الجزري في تأريخه[1]، ولم أجد لها ذكر عند غيره.

سادساً: تصنيف في أصول الدين.

ذكره الصفدي، وعنه كحالة[2]، ولم أجد له أثر.

سابعاً: نظم لطيف.

ذكر بعضاً منه الصفدي[3]، ومن ذلك قوله:

للنفس وجهان لا تنفك قابلةً مما تقابل من عال ومستفل

كنحلة طرفاها في مقابلة فيها من اللسع ما فيها من العسل

وقوله:

نظر الهلال إليه أول ليلة فرآه أحسن منظراً فتزيدا

ورآه أحسن وهو بدر فهو من غم يذوب ويضمحل كما بدا

---

(1) تأريخ حوادث الزمان وأنبائه ٢/٤٠٤.

(2) ينظر: أعيان العصر ٤/٤٧٥، معجم المؤلفين ٣/٣٦٢.

(3) أعيان العصر ٤/٤٧٩، وينظر: الدرر الكامنة ٣/٤٥٩.

الفصل الثاني: دراسة الكتاب.

وفيه تمهيد وستة مباحث:

التمهيد: التعريف بالرسالة المردود عليها، ومحتوياتها، وقيمتها عند النصارى.

المبحث الأول: تحقيق اسم الكتاب المخطوط، وإثبات نسبته إلى مؤلفه، وسبب تأليفه وتأريخه.

المبحث الثاني: موضوع الكتاب، ومنهج المؤلف فيه.

المبحث الثالث: قيمة الكتاب العلمية، وموارد المؤلف فيه.

المبحث الرابع: الملحوظات على الكتاب.

المبحث الخامس: المقارنة بينه وبين كتاب (الأجوبة الفاخرة) للقرافي، وكتاب (الجواب الصحيح) لابن تيمية.

المبحث السادس: وصف النسخة الخطية للكتاب، ونماذج منها.

التمهيد: التعريف بالرسالة المردود عليها، ومحتوياتها، وقيمتها عند النصارى.

الرسالة المردود عليها هي: رسالة أهل جزيرة قبرص، وقد أرسل منها نسختان:

الأولى: إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، وكانت قبل سنة ٧٢٠هـ.[١]

والثانية: إلى شيخ الربوة الدمشقي، وصلت إليه عن طريق كليام[٢]، في سنة ٧٢١هـ[٣] .

([١]) ذكر الصفدي في نصرة الثائر ص٩١: أن رسالة أهل قبرص وصلت إلى يد كليام التاجر الفرنجي سنة ٧٢٠هـ، وأن الإمام ابن تيمية أجاب عنها بمجلدين. وهذا يدل على وصولها إليه قبل ذلك، ويقدر أن الجواب الصحيح كتب سنة ٧١٧هـ، وفي مخطوط الرسالة ن٣٠: أن الرسالة بعثت إلى ابن تيمية في شهور سنة ٧١٦هـ. ينظر: مقدمة د.الطويان لكتاب النبوات ص٨٨.
وبعث الرسالة من القبارصة إلى شيخ الإسلام لا غرابة فيه؛ فالرسالة القبرصية لشيخ الإسلام والتي كتبها في مطلع السبعمائة الهجرية يطلب من ملك قبرص فكاك أسارى المسلمين والإحسان إليهم كانت محل تعارف بين الإمام والقبارصة، وبين الرسالة والجواب الصحيح قريب من خمس عشرة سنة.

([٢]) ترجمته في مقدمة الجواب، وقد توهم شيخ الربوة فجعل كليام مشاركاً في محاورة علماء النصارى في الاستفصال عن بعض ما يعتقدونه، فكليام هو المرسل للنسخة فقط، وأما المحاور: فمخطوطات الرسالة تشير إليه بصيغة المجهول، وفي رسالة بولس الأنطاكي تشير إلى أنه المحاور لهم، وأن بولس قد قابل أكابر النصارى من بلاد الروم والقسطنطينية والأفرنج ورومية وغيرها وكتب ما يعتقدونه في النبي عليه الصلاة والسلام والقرآن والإسلام.
وفي النفس شيء من صدق ذلك؛ فإن صياغة هذه الشبهات والاستدلال لها من القرآن ونصوص الكتب السابقة بترجمة عربية مشهورة لا يتقنها إلا من خالط أهل الإسلام وعرف علومهم ولسانهم، وهذا لا يكون إلا من نصارى المشرق، ونصارى الغرب في ذلك الزمن يستبعد أن يصدر منهم مثل ذلك؛ فهم أقل معرفة ودراية بالعلوم والفلسفة.

([٣]) يحتمل وصولها إلى شيخ الربوة عن طريق المؤرخ الصفدي الذي اطلع عليها سنة ٧٢٠هـ، ولما بينهما من لقاءات في صفد.

وقد أختلف العلماء في مؤلفها، فالأكثرون ينسبونها إلى بولس الأنطاكي[1]، حيث ينسب إليه رسالة إلى بعض أصدقائه من المسلمين في صيدا[2]، وموضوعهما وأفكارهما وكثير من ألفاظهما متوافقة[3].

وقد نقل القبطي الصفي بن العسال في كتابه الصحائح[4] رسالة قريبة من رسالة

---

(1) بولس الأنطاكي: لا يعرف من سيرته إلا نزر قليل، راهب من أنطاكية، واختير أسقفاً لصيدا، ملكاني المذهب، له رسائل فلسفية على طريقة أرسطو في إثبات العقائد النصرانية، منها: رسالة مختصرة عقلية، والفرق المتعارفة من النصارى واتفاقها واختلافها، وشرح التوحيد والاتحاد، وغيرها. وقد اختلف في عصره، فقيل: في القرن الثالث عشر الميلادي، قاله الآب لويس شيخو، وغراف. وقيل: في الرابع عشر الميلادي، قاله الآب جورج قنواتي وسهيل قاشا. واختار د. عبد الراضي أنه عاش في القرن العاشر. ويقرب أنه عاش في الثالث عشر أو قريب منه. ينظر: مجلة المشرق الكاثوليكية ٨٤٠/١، المخطوطات العربية لكتبة النصرانية لشيخو ص٦٩، تاريخ الأدب العربي المسيحي لغراف ٧٢/٢، أدب الجدل والدفاع في العربية لموريتس ص٨٥، المسيحية والحضارة العربية للآب جورج قنواتي ص٢٦٨، تأريخ التراث العربي المسيحي للأقباط للآب سهيل قاشا ص٣٣٦، منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى د.عبد الراضي عبد المحسن ص٦٣.

(2) رسالة بولس الأنطاكي إلى بعض أصدقائه من المسلمين في صيدا، لها عدة نسخ خطية، محفوظة في مكتبة الفاتيكان وغيرها. ينظر: أدب الجدل والدفاع في العربية ص٨٦. نشرت أولاً في باريس سنة ١٩٠٣م، ثم نشرها لويس شيخو في مجموع مقالات دينية قديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارى، ثم حققها بولس خوري مع ترجمة إلى الفرنسية سنة ١٩٦٤م وطبعها معهد الآداب الشرقية في بيروت.

(3) ينظر: المسيحية والحضارة العربية للآب جورج قنواتي ص٢٦٨، تأريخ التراث العربي المسيحي للأقباط للآب سهيل قاشا ص٣٣٧.

(4) صفي الدولة بن العسال، من أسرة العسال القبطية المشهورة في القرن السابع الهجري، كاتب في ديوان الجيش ت١٢٦٠م، جمع قوانين الكنيسة القبطية، وله مجادلات في نصرة العقائد النصرانية، منها: الصحائح في جواب النصائح، ألفه تلبية لطلب البطريك كيرلس بن لقلق، ووهم شيخو في ظنه أن النصائح لابن سيد الكل القفطي ت٦٩٧هـ فإن القفطي له النصائح في الرد

القبارصة ونسبها إلى ملوك النصارى[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عن الرسالة: (إن كتاباً ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى... وما ذكروه في هذا الكتاب هو عمدتهم التي يعتمد عليها علماؤهم في مثل هذا الزمان، وقبل هذا الزمان، وإن كان قد يزيد بعضهم على بعض بحسب الأحوال، فإن هذه الرسالة وجدناهم يعتمدون عليها قبل ذلك، ويتناقلها علماؤهم بينهم، والنسخ بها موجودة قديمة، وهي مضافة إلى بولص الراهب أسقف صيدا الأنطاكي، كتبها إلى بعض أصدقائه، وله مصنفات في نصر النصرانية، .. وقد عظم هذه الرسالة، وسماها: الكتاب المنطيقي الدولة خاني المبرهن عن الاعتقاد الصحيح والرأي المستقيم)[2].

رجح شيخنا د. عبدالراضي أن رسالة أهل قبرص هي رسالة بولس الأنطاكي المختلف في عصره، وأنها في القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري، وأن ابن العسال نقل منها، وأن رسالة المهتدي الحسن بن أيوب[3] إلى أخيه كانت ردّا

على الرافضة لا النصارى. ينظر: طبقات الشافعية للسبكي٨/٣٩٠. ينظر: في ترجمة ابن العسال: المخطوطات العربية لكتبة النصارى ص ١٢، المسيحية والحضارة العربية لقنواتي ص٢١٦.

([1]) ينظر: الصحائح في جواب النصائح لابن العسال ص ٣٧.

([2]) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/٩٨. وتسميته بالكتاب المنطيقي لم أجده عند غيره.

([3]) الحسن بن أيوب كان نصرانياً فأسلم وكتب لأخيه علي يبين له سبب إسلامه وفساد النصرانية وصحة الإسلام، ويقدر أنه عاش في القرن الرابع الهجري، ولا تعرف له ترجمة سوى الإشارة إليه في الفهرست للنديم ص٢٢١، وذكره فيمن لا يعرف أمره من متكلمة المعتزلة، ونقل شيخ الإسلام في الجواب الصحيح كتاب الحسن إلى أخيه، وهو يدل على تبحره في النصرانية وأن إسلامه كان عن معرفة وبصيرة. ينظر: الجواب الصحيح ٤/٨٨، أدب الجدل والدفاع في العربية ص١٦٥.

على رسالة بولس، ويستدل لرأيه: بتطابق مباحثهما، وبعض ألفاظهما، واحتفاء الإمام ابن تيمية برسالة الحسن ونقله لأغلبها، لكون المردود عليه واحد.

وفي تقديري أن الاستنتاج في نظر؛ لأن القرن العاشر فيه الكثير من الجدل الكلامي والفلسفي بين المسلمين والنصارى الذي لا يمكن معه إغفال بولس أو رسالته لما يحمله من قيمة فلسفية عند النصارى، ومع ذلك لم يشر له أحد بأدنى إشارة! مما يدل على تأخره عن ذلك، وأنه عاش في عصر الحروب الصليبية أو بعدها بقليل، زمن لا يحتفى بشرقي مثله، وابن العسال القبطي نقل مثل رسالة بولس ولم ينسبها إليه، فلو كانت من تأليفه لما خفي على مهتم بجمع تراث النصارى مثله.

وأما تطابق المباحث بين رسالة بولس ورسالة الحسن فليس أمراً مرجحاً؛ لكون المسائل المثارة من النصارى تكاد تكون واحدة، ينقلها المتأخر عن المتقدم.

والمختار: أن الرسالة قديمة ومنشأها من نصارى المشرق الملكانيين، واحتفى بها ملوك الروم، وتناقلها النصارى بينهم، يزيدون وينقصون فيها، ويظهرونها لمواجهة المسلمين بالتشكيك في دينهم، وبولس الأنطاكي أرسلها إلى بعض أصدقائه المسلمين في صيدا، وأهل قبرص أرسلوها إلى الإمامين: ابن تيمية وشيخ الربوة عن طريق كليام التاجر الفرنجي، ويدل على ذلك أمور:

- وجودها بأزمنة أقدم من زمن بولس الأنطاكي، كما ذكر الإمام ابن تيمية، ويحتمل أن الحسن بن أيوب استفاد منها في كتابه إلى أخيه.
- أن الصفي بن العسال نسبها إلى ملوك النصارى، لا شخص معين.

- أن بولس الأنطاكي نسب إليه رسائل وكتب فاقت العشرين، وما صح نسبته إليه على التحقيق خمس مؤلفات![1] مما يجعل الانتحال عليه كثير؛ مما يضعف أن يكون أصل الرسالة من تأليفه.
- أن رسالة أهل جزيرة قبرص لم تنسب إلى بولس الأنطاكي في أي من المخطوطات، وقد عثرت على ثلاث نسخ مختلفة أقدمها سنة ٧٣٧هـ، واثنتين منها مصدرة باسم رسالة أهل جزيرة قبرص إلى ابن تيمية.
- وجود فوارق بين الرسالتين، وهي طفيفة في الشبهات والحوارات، لكن توجد زيادة ونقص في بعض الألفاظ، وزيادة في الأدلة القرآنية والنصوص الكتابية وبعض المعاني في رسالة أهل قبرص، وهذا يدل على تغاير بين الرسالتين، وأن أصلهما واحد.

وأما محتوى رسالة أهل جزيرة قبرص: فقد احتوت بطريقة سردية شبهات موجهة لأهل الإسلام ودفاع عن دين النصرانية، ولخصها شيخ الإسلام ابن تيمية في جوابه بقوله: (ومضمون ذلك ستة فصول:

الفصل الأول: دعواهم أن محمداً ﷺ لم يبعث إليهم بل إلى أهل الجاهلية من العرب، ودعواهم أن في القرآن ما يدل على ذلك، والعقل يدل على ذلك.

الفصل الثاني: دعواهم أن محمداً ﷺ أثنى في القرآن على دينهم الذي هم عليه، ومدحه بما أوجب لهم أن يثبتوا عليه.

الفصل الثالث: دعواهم أن نبوات الأنبياء المتقدمين، كالتوراة والزبور والإنجيل وغير ذلك من النبوات، تشهد لدينهم الذي هم عليه من الأقانيم، والتثليث، والاتحاد، وغير ذلك، بأنه حق وصواب، فيجب التمسك به، ولا يجوز العدول عنه إذا لم يعارضه شرع يرفعه، ولا عقل يدفعه.

([1]) عن حاشية محقق الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/٩٩.

والفصل الرابع: فيه تقرير ذلك بالمعقول، وأن ما هم عليه من التثليث ثابت بالنظر المعقول، والشرع المنقول، موافق للأصول.

والفصل الخامس: دعواهم أنهم موحدون، والاعتذار عما يقولونه من ألفاظ يظهر منها تعدد الآلهة، كألفاظ الأقانيم؛ فإن ذلك من جنس ما عند المسلمين من النصوص التي يظهر منها التشبيه والتجسيم.

والفصل السادس: أن المسيح عليه السلام جاء بعد موسى عليه السلام بغاية الكمال، فلا حاجة بعد النهاية إلى شرع يزيد على الغاية ، بل يكون ما بعد ذلك شرعا غير مقبول)[1]

ويضاف : محاولتهم نفي التحريف والتغيير عن كتبهم، ومدافعتهم عن تسميته الله تعالى جوهراً.

وبالجملة؛ فالرسالة تكذيب برسالة النبي ﷺ ، ومحاولة لتثبيت عقائد النصارى بالمنقول والمعقول.

وأهمية هذه الرسالة عند النصارى كبيرة، فقد أخذوها بالقبول مع جهالة كاتبها! فلا زالوا يتناقلونها، ويقتبسون منها[2]، فهي عمدته في القديم كما أشار إلى ذلك الإمام ابن تيمية، ولم تخرج شبهاتهم غالبا عنها، ولهذا اكتفى بها ابن العسال القبطي في بيان موقف النصارى من أهل الإسلام[3]، وتظهر خطورتها بما يلي:

---

(1) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/١٠٤.

(2) ينظر: مقدمة لويس شيخو للرسالة في مقالات دينية قديمة ص١، منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى د.عبد الراضي ص .

(3) الصحائح في النصائح لابن العسال ص٤٠.

- أنها جمعت الشبهات المثارة ضد الإسلام والقرآن والنبي ﷺ ، فكانت عمدة كل نصراني مشكك.
- أنها اعتمدت على الآيات القرآنية ونصوص الكتب السابقة المجملة في الاستدلال.
- أن لغتها سهلة وترتيبها منطقي في الجملة، مع اعتمادها على التفلسف ودعوى الدلالة العقلية في معضلات العقائد النصرانية كالتجسد والتثليث.
- ما تحمله من سمات جعلتها محل وفاق في الجملة بين طوائف النصارى المختلفة، ومن أهم تلك السمات:
  - أنها تتجه لإثارة الشبهات ضد عقائد أهل الإسلام في الله عز وجل، والقرآن، والنبي ﷺ، ومحاولة تصحيح دين النصارى جملة.
  - أن الرسالة ذكرت أصول العقائد النصرانية المتفق عليها من غير تفصيل لاختلافات الفرق النصرانية.

فرسالة بهذه الأهمية جعلها محل أجوبة العلماء، وإبطالها إبطال لما دونها من كتب النصارى ورسائلهم.

المبحث الأول: تحقيق اسم الكتاب المخطوط، وإثبات نسبته إلى مؤلفه، وسبب تأليفه وتأريخه.

اسم الكتاب:

(**كتاب فيه جواب رسالة أهل جزيرة قبرص**) كذا جاء في الصفحة الأولى من المخطوط.

ولم أجد من أسماه بغير ذلك غير موريتس أسماه: الجواب بالنفثات السبوحية عن رسالة أهل الملة المسيحية. ونسبه إلى أبي بكر بن علي التروحي[1]. وهذا وهم ظاهر، فإنه أخذ العنوان من آخر المخطوط، وأبو بكر التروحي هو الناسخ.

نسبته إلى مؤلفه:

نسب الجواب في الصفحة الأولى من المخطوط إلى شيخ الربوة الدمشقي، ونسبه إليه بعض المتأخرين من المستشرقين، اعتماداً على ذلك، ومنهم:

أردمان فريتش[2]، وموريتس شتينشيدر[3]، وكراتشكوفسكي[4] وغيرهم.

ومما يدعم صحة نسبة المخطوط إلى شيخ الربوة ما يلي:

- ورود أبيات شعرية في المخطوط نسبها الصفدي إلى شيخ الربوة، وهي قوله:

يا من تعالى أن يجوز بذاته   وصفاته التلويح والتصريح[5]

---

(1) أدب الجدل والدفاع في العربية ص٥٧.

(2) الإسلام والمسيحية في العصر الوسيط ط.١٩٣٠م.

(3) أدب الجدل والدفاع في العربية ص١٧٣.

(4) تأريخ الأدب الجغرافي العربي ص٢٨٧.

(5) ينظر: ل أ/٨٧ ص٣٤٤.

- مطلع الجواب في قوله: (أجاب به العبد بالذات والصفات الفقير إلى الله من كل الوجوه والجهات) كأنه مطلع كتاب السياسة في علم الفراسة.
- أسلوب الجواب ولغته تدل على تشابه مع مؤلفات شيخ الربوة كنخبة الدهر.

ولما سبق، مع نسبة المخطوط في مطلعه إلى شيخ الربوة، ولكونه لم ينسب إلى غيره، صح الاطمئنان بنسبة المخطوط إلى شيخ الربوة الدمشقي.

سبب تأليف الجواب وتأريخه:

الباعث على تأليف هذا الجواب هو وقوف المؤلف على الرسالة النصرانية المشككة، فكتب جوابه حمية للدين، وطلباً للثواب، ودعوة إلى الإسلام. كما جاء في مقدمة الجواب.

وكان تأريخ وصول رسالة أهل جزيرة قبرص إلى شيخ الربوة في صفر سنة ٧٢١هـ وكمل جوابه في جمادى الآخرة من السنة المذكورة.

المبحث الثاني: موضوع الكتاب، ومنهج المؤلف فيه.

لقد كان الكتاب جواباً لرسالة بعث بها النصارى، فهو متقيد بما ورد في الرسالة من مواضيع، ينقضها فصلاً فصلاً، من أولها إلى آخرها، فجاء جوابه شاملاً لشبهات النصارى واستدلالاتهم الواردة في الرسالة، وهي غالب ما يستدل بها النصارى على أهل الإسلام.

ففي خطبة الكتاب: بعد الثناء على الله بما هو أهله، وتنزيهه عن الإشراك والحلول والاتحاد، ثم الشهادة لنبيه ﷺ بالرسالة، وأنه بشارة الأنبياء –عليهم السلام–قبله، ذكر سبب تأليفه.

ثم شرع في جواب أولى مسائل الرسالة، وهي دعوى النصارى: أن رسالة النبي ﷺ خاصة بالعرب. ثم أعقبها بذكر البشارة بنبوة نبينا محمدﷺ في الكتب السابقة وأخبار الكهان وغيرهم، ثم ذكر نكتاً في: رد بعض ما عليه النصارى كعقيدة الصلب والفداء، وفرقهم، وحال المسيح وحوارييه، وقسطنطين الملك وعقده مجمعاً للنصارى، وأشار إلى وسطية هذه الأمة، وتفسير بعض البشارات، وختم بإبطال ما احتج به النصارى على خصوصية الرسالة المحمدية.

ثم عقد اثني عشر فصلاً، في كل فصل يسوق كلام صاحب الرسالة ويجيب عليه.

الفصل الأول: أجاب عن دعوى النصارى: أن القران صحح ما هم عليه بتعظيم المسيح وأمه، وأنه صحح الأناجيل، وهذا أوجب لهم عدم ترك ما هم عليه.

الفصل الثاني: بيّن حجج القرآن وبراهينه الدالة على بطلان اعتقاد النصارى، وتحريف التوراة واختلاف نسخها، وحال الأناجيل، واختلافها، وضرب مثالاً في: مولد المسيح ونسبه.

الفصل الثالث: أجاب عن دعوى النصارى: أن القرآن أثنى على المسيح وأتباعه، وأمر نبيه محمداًﷺ أن يسألهم، وهذا يدل على نفي تهمة تحريف أناجيلهم. كيف وقد كتبت باثنين وسبعين لساناً؟ فأبطل كل ذلك ببيان التبديل ونفي التواتر، وبيان كيف تقررت الأناجيل، كما بين ابتداع النصارى لشرائعهم من الصلوات والصيام والحلال والحرام.

الفصل الرابع: أجاب عن دعوى النصارى: أن الكتب السابقة صححت ما هو عليه من اعتقادات، وأن القرآن أمر بمجادلتهم بالتي هي أحسن، وأنه أثنى على سلوكهم. فبين شرك النصارى، والحاجة إلى بعث الرسل وختم النبوة، كما أبطل زعمهم أن تلاميذ المسيح رسل معصومون، وأبطل ما يزعمونه من مخاريق.

الفصل الخامس: أجاب عن دعوى النصارى: أنهم موحدون، وأن تثليثهم من جنس ما عند المسلمين من نصوص الصفات، واستدلالهم بما في القرآن والكتب السابقة على التثليث، ففسر ما جاء في القرآن والكتب السابقة ودلالته على التوحيد لا التثليث.

الفصل السادس: أجاب عن دعوى النصارى: أن اعتقادهم بالتجسد ثابت، في كتب الأنبياء المتقدمين، كالتوراة والزبور.

الفصل السابع: أجاب عن دعوى النصارى: أن القرآن إنما ذم اليهود لانحرافهم عمّا جاءت به الرسل، وهم متمسكون بما جاءت به الرسل. وذكر مناظرة وقعت له، كما أبطل زعمهم بنوة المسيح وأنه إله من إله، كما أشار إلى قضية الصلب، وسيرة بولس وما أحدثه في النصرانية.

الفصل الثامن: أجاب عمّا استدل به النصارى على صحة التثليث (كالتتمة لما سبق) وبيّن فساد الأمثلة المضروبة له، وأشار إلى بطلان التجسد والاتحاد.

الفصل التاسع: أجاب عن دعوى النصارى: أن المسلمين يثبتون الصفات، وهذا يوهم التجسيم وأن التثليث مثله. فبين أن لا حجة للنصارى في ذلك.

الفصل العاشر: أجاب عن اعتراض النصارى على إنكار المسلمين قولهم بالجوهر.

الفصل الحادي عشر: أجاب عن دعوى النصارى: أن موسى –عليه السلام– جاء بشريعة العدل، وعيسى –عليه السلام– جاء بشريعة الفضل، ولا حاجة للرسل بعد ذلك.

الفصل الثاني عشر: أجاب عن خاتمة رسالة النصارى، ودعوتهم إلى الإسلام، ونبذة في رسالة المسيح عليه السلام وحال قومه معه، ثم ساق عقيدة مجملة على طريقة المتكلمين في إثبات واجب الوجود، وإبطال الحلول والاتحاد، وتنزيه الله تعالى.

هذا مجمل ما جاء في جواب شيخ الربوة الدمشقي على رسالة أهل جزيرة قبرص.

ومنهج المؤلف في جوابه:

فإنه لما كان جواباً لرسالة اقتضى أن يتتبع مزاعم الرسالة وينقضها بعد أن يوردها، وأن يكون محصوراً بها.

فكان **منهجه العام في الجواب**: تقسيم الرسالة إلى فصول حسب مواضيعها، وفي كل فصل يوضح مسائله ويظهر بطلانها ثم يجيب عما أوردوه من استدلالات.

ربما تكرر الجواب لتكراره في الرسالة، ولما كانت الرسالة شاملة لاعتقادات النصارى الكبرى (ألوهية المسيح، والصلب والفداء، والتثليث، والتجسد، والشرائع المبتدعة، وتكذيب رسالة محمد ﷺ) كان جوابه مفنداً لها، مكرراً لها بالنقض والإبطال.

ومنهجه في الرد والإبطال ما يلي:

- تعدد الاستدلال وتنوعه، فكان يورد الآيات القرآنية، ونصوص أهل الكتاب، والوقائع التاريخية، وما قاله أهل اللغة، إلا أن استشهاده بالأحاديث النبوية كان نادراً وبالمعنى، مما يؤكد أنه قليل البضاعة منها.

- كثرة الهجوم على العقائد النصرانية وإبطالها قبل أن يدفع ما استدلوا به، ولهذا كان يغلب في أسلوبه: الوصف والشرح التهكمي لإظهار بطلان عقائدهم، مما جعل الأسلوب الوصفي يظهر جلياً في ردّه[١].

وظهر **ثانياً**: الأسلوب العقلي، والمتمثل في: إظهار التناقض بين العقائد[٢]، وضرب الأمثلة والتشبيهات[٣]، وقياس الأولى[٤] وإبراز المحالات في عقائدهم[٥]، والتنزل في الجدل والتسليم الافتراضي كما في ظهور المسيح بعد حادثة الصلب[٦]، والسبر والتقسيم لإبطال عقائدهم[٧]، وقلب ما استدلوا فيه عليهم[٨].

وثالثاً: استخدم الأسلوب النقلي، المتمثل باستحضار الآيات القرآنية وتفسيرها وتصحيح الفهم الخاطئ لها، والاستعانة بالنصوص الكتابية، وشي من التأريخ وأحوال الناس، ورد الشبهة إلى أصلها كقولهم بالاستغناء عن الشريعة المحمدية وأن أصله من السامرة وبراهمة الهنود[٩]. وأحسن في توظيف النصوص الكتابية الواردة في الرسالة بما ينقض مراد النصارى منها[١٠].

---

(١) ينظر مثلاً: ل أ/٣٦ ص٢٠٤، ل ب/٥٣ ص٢٥٢.

(٢) ينظر مثلاً: ل ب/٣١ ص١٨٨، ل ب/٦٢ص ٢٨٠.

(٣) ينظر مثلاً: ل أ/٤ ص٩٢، ل أ/٤٣ ص٢٢٦، ل ب/٤٦ ص٢٣٦، ل ب/٨٨ ص٣٤٨.

(٤) ينظر مثلاً: ل أ/١٩ ص١٤٨، ل أ/٥٥ ص٢٥٨.

(٥) ينظر مثلاً: ل ب/٣٩ ص٢١٦، ل أ/٥٣ ص٢٥٢.

(٦) ينظر مثلاً: ل أ/٧٤ ص٣١٠، ل ب/٨٦ ص٣٤٣.

(٧) ينظر مثلاً: ل أ/٧٢ ص٣٠٦.

(٨) ينظر مثلاً: ل أ/٣٨ ص٢١٢ ، ل ب/٤٤ ص٢٣٢، ل ب/٥٦ ص٢٦١.

(٩) ينظر مثلاً: ل أ/٩٦ ص٣٨٠.

(١٠) ينظر مثلاً: ل أ/٥٨ ص٢٦٥، ل ب/٦٢ ص٢٨٠، ل أ/٦٤ ص٢٤٧.

رابعاً: استخدم الأسلوب العاطفي، وهذا يظهر بين ثنايا وصفه لعقائد النصارى، وفي إظهار الشفقة عليهم بما هم فيه من ضلال، ودعوته لهم، وإظهار النصح والصدق معهم، كقوله : (وأغلظنا القول عليكم وصدعنا بالحق شفقة عليكم ومحبة للنوع الإنساني ورحمة وبياناً لبطلان هذه الدعوى وإنذاراً لكم من الشرك؛ فإنه ظلم عظيم)[1].

ومن ذلك: إيراد الأبيات الشعرية والمقطوعات الأدبية، وبعضها من إنشائه.

وفي لغة الكتاب الجواب: غلب عليه الوضوح، والمباشرة في الخطاب، والبعد عن التكلف والسجع والغموض، وقد يكون فيه ضعف أحياناً في العبارة والتراكيب.

ويظهر في لغته العبارات الكلامية والمصطلحات الفلسفية كما في الفصل العاشر[2]، أو في تعقيبه الأجوبة في خاتمته بإثبات واجب الوجود وإبطال الاتحاد.

ومما يظهر في لغته: استخدام بعض الأساليب غير المشهورة، كاستخدامه اللغة المعروفة بـ (أكلوني البراغيث)[3]، واستخدام (لاسيما) بدون (لا)، وجمع الإنجيل بالإنجيلات بدل الأناجيل.

وفي الجملة، كان الجواب متوسطاً في كثير من نواحيه: في حجمه، وقوة حججه، وتنوع أساليبه، وجمال بيانه.

وقد جاء الجواب إثر الرسالة بأربعة أشهر فكان يحمل مشاعر مؤلفه من الغيرة لدين الله والحماس للدفاع عنه، من غير مراجعة وتأنٍ، فنثر كنانته لا يولي على

---

(1) ينظر مثلاً: ل ب/٨٤ ص٣٣٧، ل ب/٩٦ ص٣٨١.

(2) ينظر مثلاً: ل ب/٩٢ ص٣٦٦.

(3) ينظر مثلاً: ل ب/٥٢ ص٢٥٠، ل ب/٣٢ ص١٩٢.

شيء غير ما تذرع به النصارى من الشبهات فكشفها ونقضها، وعينهُ على إبطال ما أحدثوه من الشرك والقول بالتثليث.

المبحث الثالث: قيمة الكتاب العلمية، وموارد المؤلف فيه.

ظل جواب الدمشقي متوارياً عن أنظار العلماء كحال مؤلفه، فلم يذكره أحد إلا في العصر الحديث كحال مؤلفاته! ولعل زمنه استغنى بالقامات العلمية المتوافرة فنسي ولم يذكر إلا عبر المخطوطات. وقيمة الشيء تعرف بما يحدثه من أثر، وفي جواب شيخ الربوة على النصارى تظهر القيمة من ناحيتين:

أحدهما: قيامه بواجب الوقت، من الرد على شبهات النصارى في زمنه، الذي شهد انكساراً للنصارى؛ فالصليبيون يخرجون من ديار الإسلام خائبين، وحلفاؤهم من نصارى المشرق والتتار في اختلافٍ من أمرهم، فتأتي أجوبة العلماء على شبهات النصارى قوة للمسلمين ونصرة للحق وإزهاقاً للباطل، يقول ابن القيم في فوائد قصة وفد نجران: (فيه جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل واستحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحة من إسلام من يرجى إسلامه منهم، وإقامة الحجة عليهم، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة)[1].

الثاني: جواب الشمس الدمشقي يأتي ضمن جهود العلماء في مجال الرد على النصارى ومقارنة الأديان، تلك الجهود التي اتسمت بالشمول في قضايا الجدل بين المسلمين والنصارى، وإن كان يحمل قيمة خاصة تظهر فيه أكثر من غيره، وهي:

القيمة الوصفية لعقائد النصارى الدالة على عمق تصور أهل الإسلام لما عليه النصارى من ضلال، كما إنه يمثل حالة من الحوار والجدال بالتي هي أحسن،

(1) زاد المعاد ٦٣/٣.

وفي الكتاب استنباطات جيدة، مثل: الفرق بين المشرك والكتابي، وسبب تكرار طلب المؤمن للهداية، وحاجة البشرية للرسل، وختم النبوة، وغيرها.

موارد المؤلف في كتابه:

لم يشر المؤلف إلى شيء من موارده، خلاف ما عليه في كتبه الأخرى، ويبدو أن المؤلف كتب الجواب ولم تكن بين يديه كتب ينقل منها، وإنما يستحضر ذلك من قلبه، بدليل وقوعه في أوهام لا تصدر إلا مع غفلة وبعد عن النظر في الكتب كالغلط في أسماء أو تواريخ مشهورة أو اختصار في سياق حادثة[1].

هناك ما يشير إلى أنه اطلع على مراجع واستفاد منها، وهي ما يلي:

- نسخ من التوراة والأناجيل وشي من تواريخ النصارى، لم يصرح بأسمائها[2].
- كتاب الأعلام للقرطبي، وقد اشتركا في أغلاط معينة، مثل قصة بولس وعلاقته في نشأة الفرق النصرانية[3]، كما اشترك معه في ذلك كتاب الأجوبة الفاخرة للقرافي، والذي لم يشر إلى شيء من موارده كحال الدمشقي في كتابه.
- أخذ في تقديري عن جملة من العلماء، منهم: الخزرجي في مقامع هامات الصلبان ولاسيما في الحيل النصرانية، والجعفري في تخجيل من حرّف الإنجيل في البشارات، وهؤلاء قد أخذوا عمن سبقهم: كعلي بن ربن الطبري في الدين والدولة في إثبات النبوة، والقاضي عبدالجبار في تثبيت دلائل النبوة، والسموأل في بذل المجهود، وغيرها، وربما اطلع مباشرة على تلك الكتب من غير واسطة، وأخذ اللاحق عن السابق سمة لا يكاد يخلو منها تأليف مشترك في فن معين.

وأما الجواب الصحيح للإمام ابن تيمية فيبدو أن الدمشقي لم يقف عليه، لأنه لا يظهر اشتراك بينهما، ولو وقف عليه لكان كتابه أجود، ولسلم مما وقع فيه من أغلاط.

---

(1) سيأتي أمثلته في المبحث التالي.

(2) ينظر: ل أ/٧٧ ص٣١٨.

(3) ينظر: ل ب/٧٨ ص٣٢٠.

المبحث الرابع: الملحوظات على الكتاب.

كل جهد بشري لا يخلو من تقصير وخلل، فيستدرك بعضهم على بعض، ولا يغضي ذلك من منزلة قائله، إذ النقص لازم لجميع الخلق، ولئن كان لشيخ الربوة في جوابه فضائل فإن عليه ملحوظات يستوجب التنبيه إليها، والعلم رحم بين أهله، وهذه الملحوظات على ضربين:

الأول: ما كان شكلياً لا يؤثر على مقصد الجواب ولكنه ينقص تمامه، كالغلط في أسماء الأشخاص ونحوه.

الثاني: ما كان له أثر في مقصد الجواب والمحاجة ويضعفها، كأن يقول قولاً يصح جواباً في المحاجّة وهو في نفسه غير صحيح، ومثاله: تأويل نصوص الصفات على غير ظاهرها. والمؤلف وغيره من المتكلمين وإن وقعوا في الغلط في تحقيق القول الحق إلا إن النصارى أضعف في الحجة منهم، ولا يستطيعون لهم جواباً، فالنصارى أشد تحريفاً لنصوصهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك: (وإن كان النصارى وغيرهم يعجزون عن الرد على هؤلاء، إذ كان ما يعتمدون عليه في تنزيه الله عن خصائص الأجسام طرقاً ضعيفة، لا تثبت على المعيار العقلي...)[1]

وهذا الخطأ لابد من بيانه وتقويمه، فهو مؤثر على أهل الإسلام، وإن كان قد يحمد لصاحبه دفاعه عن الإسلام بما يستطيعه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكذلك متكلمة أهل الإثبات مثل: الكلابية، والكرامية، والأشعرية إنما قُبلوا واتّبعوا واستحمدوا إلى عموم الأمة بما أثبتوه من أصول الإيمان، من إثبات

---

(1) الجواب الصحيح ٤٣٢/٤. وينظر: ١٧٧/٢.

الصانع وصفاته، وإثبات النبوة، والرد على الكفار والمشركين وأهل الكتاب، وبيان تناقض حججهم)[١].

ومن أهم ما يلحظ على شيخ الربوة في كتابه ما يلي:

أولاً: سلوكه مسلك المتكلمين في جوابه، ويظهر ذلك في : رده لخبر الآحاد في العقائد، واستخدام الألفاظ المجملة والمبتدعة في تقرير العقائد، وتأويل بعض نصوص الصفات.[٢]

ثانياً: وقوعه في أغلاط علمية، وهي:

- الغلط في القول بإرسال عيسى عليه السلام إلى جميع أهل زمانه، والصواب أن رسالته خاصة في بني إسرائيل[٣].
- الغلط في تنزيل كل ذكر في (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله) على نبي من أولي العزم، وهو مما لا دليل عليه[٤].
- الغلط في سياق بعض سيرة بولس، والزعم بأنه أول من أحدث الفرق الثلاث عند النصارى[٥].

ثالثاً: وقوعه في أوهام أو سبق قلم، سببه عدم توفر المصادر بين يديه، وهذه الأوهام هي:

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/٤.

(٢) وقد تعقبته في هذا المسلك، ينظر: ل أ/٦٣ ص٢٨١، ل ب/٦٧ ص٢٩٥، ل ٩٠ ص٣٥٢ وما بعدها، ل ب/٩٨ ص٣٨٥.

(٣) ينظر: ل ب/١٥ ص١٣٥، ل أ/٩٧ ص٣٨٣.

(٤) ينظر: ل أ/٦٠ ص٢٧٢.

(٥) ينظر: ل ب/٧٨ ص٣٢٠.

الوهم بنسبة رؤيا بختنصر الملك إلى سنحاريب[١]، الوهم في فتح صقلية[٢]، الوهم في مدد ملوك الفرس[٣]، الوهم بتسمية يهوذا بهيرودس[٤]، الوهم في زمن قسطنطين[٥].

رابعاً: ترجيح قول ضعيف أو غير مشهور، وذلك في تفسير (حياً) في قوله تعالى (□ □ □ ى)[٦] .

وكذلك القول بنسخ آيات العفو بآية السيف[٧].

خامساً: شيخ الربوة لم يشر إلى موارده، مع ما في الإشارة إلى الموارد من زيادة الثقة في المكتوب، ولعله لما كان جواباً لنصارى رأى أن لا فائدة من ذكر مراجعه مع تشكيكهم بالقرآن أصح الكتب على الإطلاق، أو لعله لما لم تكن بين يديه لم يشر إليها خشية أن ينسب إليها ما لا يصح.

وأخيراً، فالملاحظات لا تفسد قيمة الجواب، ولاسيما بعد تصويبها، وفي الكتاب أجوبة سديدة، ومجادلة لأهل الكتاب بالاهتمام جديرة، فعفا الله عنا وعن شيخ الربوة الخطأ والزلل.

---

(١) ينظر: ل أ/٨ ص١١٠ .

(٢) ينظر: ل ب/٨ ص١١٥.

(٣) ينظر: ل ب/٨ ص١١٤.

(٤) ينظر: ل ب/١٨ ص١٤٧.

(٥) ينظر: ل أ/١١ ص١٢٢.

(٦) ينظر: ل ب/٢٥ ص١٦٤.

(٧) ينظر: ل ب/٤٩ ص٢٤٣.

المبحث الخامس: المقارنة بينه وبين كتاب (الأجوبة الفاخرة) للقرافي، وكتاب (الجواب الصحيح) لابن تيمية.

لما ظهرت رسالة النصارى المشككة في دين الإسلام والمصححة لدين النصارى انبرى لها أهل العلم بالرد والإبطال، **فكان أول ما وصل إلينا:**

كتاب الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة[١] لشهاب الدين القرافي[٢] وقد صدر كتابه بقوله: (فإن بعض النصارى قد أنشأ رسالة على لسان النصارى مشيراً أن غيره هو القائل، وأنه هو السائل)[٣] ثم قسّم كتابه إلى أربعة أبواب:

---

(١) له عدة نسخ خطية، والكتاب مطبوع، وقد نُشر أولاً على هامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق، في مطبعة الموسوعات بمصر سنة (١٣٢٢هـ) ثم حَقق قسماً منه (الباب الأول والثاني) د.سالم القرني، في رسالة ماجستير بجامعة الإمام بالرياض سنة ١٤٠٤هـ. وحققه كاملاً د.ناجي سلامة في رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى سنة ١٤٠٤هـ، ونشر بتحقيق د.بكر عوض، عن مكتبة وهبة بالقاهرة سنة ١٤٠٧هـ. والإحالة على ط.الثالثة ١٤٣٠هـ.

ونسب إلى القرافي ردّ على النصارى باسم (أدلة الوحدانية) ولا تصح نسبته إليه، لأن الكتاب أهدي إلى الملك الأيوبي الكامل كما في مقدمته، وقد توفي الكامل سنة ٦٣٥هـ وولادة القرافي سنة ٦٢٦هـ فهو ابن عشر سنين! وأيضاً: في خاتمة الكتاب وعد بتأليف رد على اليهود، فلو كان للقرافي لأشار لوعده في الأجوبة الفاخرة، ولم توجد أدنى إشارة للكتاب في مصنفات القرافي كحال بقية كتبه. وقد حققت أ.فاطمة آل معافا الكتاب في جامعة الملك سعود ونسبته إلى الخطيب الإسكندراني.

(٢) أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي المالكي المعروف بالقرافي نسبة لموضع في القاهرة، عاش بمصر بين (٦٢٦- ٦٨٤هـ) وأخذ عن العز بن عبدالسلام وابن الحاجب وغيرهم، وتتلمذ عليه كثيرون، أشعري المعتقد، له تآليف مشهورة، أغلبها في الفقه وأصوله، ومنها: الذخيرة في الفقه المالكي، والفصول في اختصار المحصول للرازي، والفروق، وغيرها. ينظر: الوافي بالوفيات ٢٣٣/٦، الأعلام ٩٤/١.

(٣) الأجوبة الفاخرة ص٤٩. لم يصرح بالاسم، فيحتمل أنه أراد رسالة بولس الأنطاكي أو رسالة أهل جزيرة قبرص، وما نقل من الرسالة كان انتقاءً وبالمعنى.

الباب الأول: تتبع فيه ما جاء في رسالة النصارى، وبيّن ما التبس فيها من القرآن الكريم، وذكر فيه خمس عشرة شبهة وأجاب عنها.

الباب الثاني: في أسئلة لأهل الكتاب يتولعون بإيرادها غير أسئلتهم المذكورة في الرسالة، وهي عشرون سؤالا وأجاب عنها.

الباب الثالث: في معارضة أسئلتهم بأسئلة يتعذر عليهم الجواب عنها، وأورد سبعة ومائة سؤال.

الباب الرابع: في إظهار ما في كتب اليهود والنصارى مما يدل على صحة ديننا الإسلامي، وإثبات نبوة نبينا عليه السلام، وأورد إحدى وخمسون بشارة.

وعند المقارنة بين الأجوبة الفاخرة وجواب شيخ الربوة يظهر اشتراكهما في أمور:

أولاً: الباعث على التأليف، وهو الرد على الرسالة النصرانية.

ثانياً: مصادرهما متقاربة، ويكاد يكون كتاب الإعلام للقرطبي هو القاسم المشترك بينهما[1].

ثالثاً: اشتركا في بعض الأغلاط العلمية، وأهمها: اعتماد العقيدة الكلامية الأشعرية في ردّ حجج النصارى العقلية، فتأولا الصفات وردّا خبر الآحاد في إثبات العقائد.

كما اشتركا في قلة البضاعة الحديثية، والغلط في بعض المسائل، منها: الغلط في حياة بولس وتأسيس فرق النصارى.

رابعاً: اشتركا في استخدام الأسلوب الوصفي التهكمي في تصوير عقائد النصارى، وقد استخدمه قبلهما القرطبي في الإعلام، وهو عند القرافي أشد قسوة وأغلظ في

---

(1) لم يشر القرافي إلى مصادره سوى تأريخ المسيحي والصحاح للجوهري! ولا شك أنه نقل من كتاب الإعلام للقرطبي، كما يظهر في المقارنة بينها. ينظر: مقدمة تحقيق الأجوبة الفاخرة د.ناجي ١١١/١ (رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى غير منشورة).

اللفظ[1]. كما استخدم القرافي أساليب أخرى كالأسلوب العقلي والنقلي والعاطفي، وهو في الأسلوب العقلي أكثر بياناً وتنوعاً من شيخ الربوة في جوابه.

وافترقت أجوبة القرافي في الأجوبة الفاخرة عن جواب شيخ الربوة بما يلي:

أولاً: انتقى القرافي في الأجوبة من رسالة النصارى خمس عشرة شبهة ورد عليها باختصار وتركيز سوى استطراده في الشبهة السادسة والخامسة عشرة، ثم أعقب ذلك بالأبواب الثلاثة التي هي تتمة للرد وزيادة في الحجة، فلم يكن القرافي مكتفياً بالرسالة وحدها، بل كان يرد كل ما يعلمه من اعتقادات باطلة لأهل الكتاب. في حين كان شيخ الربوة متقيداً بما في رسالة النصارى ولم يزد عليها.

ثانياً: كثرة التفريعات، والإيرادات الناقضة لشبهات النصارى، والدخول في تفاصيل مذاهبهم عند القرافي، بينما لا تجد مثل تلك الكثرة عند شيخ الربوة.

ومن أمثلة ذلك: في عقائد النصارى: أورد القرافي تقريباً في إثبات عبودية المسيح اثني عشر سؤالاً، وفي ردّ عقيدة الصلب سبعة أسئلة، وفي رد عقيدة التجسد خمسة أسئلة، ومثلها في التثليث، وفي إبطال وثيقة أمانة النصارى اثنين وعشرين سؤالاً، وفي تفاصيل عباداتهم وشعائرهم خمسة وعشرين سؤالاً. في حين كانت إشارة شيخ الربوة إلى بعض ذلك باختصار. وفي ذكر البشارة بالنبي ﷺ ، فالقرافي ذكر ثنتين وخمسين بشارة، وعند شيخ الربوة لم تتجاوز الخمس عشرة.

ثالثاً: اشتمل ردّ القرافي على اليهود، فقد أورد خمسة وعشرين سؤالاً موجهاً إليهم، بينما لم يعتن شيخ الربوة في الرد على اليهود.

رابعاً: تميز كتاب الأجوبة الفاخرة بحسن الترتيب وسلامة العبارة وبساطة الأسلوب وكثرة الموضوعات، وتنقله بين الأدلة العقلية والنقلية، وغلبة اللغة الفقهية الأصولية

---

(1) ينظر مثلاً: ص ٥٣، ٦٦، ١١٨، ١٤٤.

على كثير من ردوده، وكان متفوقاً على شيخ الربوة في ذلك، حيث كانت عبارة شيخ الربوة متوسطة ومواضيعه أقل، وغلب عليه اللغة الكلامية.

وفي الجملة؛ كان القرافي في الأجوبة يرد على أهل الكتاب مستحضراً ما يعرفه عنهم، بينما كان شيخ الربوة يرد على الرسالة النصرانية، فكان كتاب القرافي ضعف كتاب شيخ الربوة[1].

الكتاب الثاني في الرد على رسالة أهل جزيرة قبرص:

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح[2] لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني[3]، وهو أوسع ردوده على النصارى، وله ردود آخرى، منها: الرسالة القبرصية، ومسألة الكنائس، ورسالة كلمة الله عيسى ابن مريم، كما له كلام مبثوث في بعض مؤلفاته[4].

كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، من أواخر ما ألفه شيخ الإسلام في الرد على النصارى وبعد جدال طويل مع المقالات الفلسفية والكلامية، فكأنه أراد بالجواب أن يكون عاماً لجميع الطوائف النصرانية، ومن شابهها في المقالات من الفلاسفة والمتكلمين،فتسمية جوابه بالصحيح يشعر بأن ثمت أجوبة دون ذلك،

([1]) بلغت صفحات الأجوبة الفاخرة في طبعة د.بكر عوض ٣٥٠ صفحة بخط دقيق، وهي في تحقيق د.ناجي ٦٥٠ صفحة. بينما بلغت صفحات جواب الدمشقي في هذا التحقيق ٣٥٠ صفحة.

([2]) له نسخ خطية، والكتاب مطبوع، طبع أولا في مطبعة النيل عام ١٩٠٥م ثم في مطبعة المدني عام ١٩٦١م في مجلدين، ثم حقق في رسائل علمية في جامعة الإمام سنة ١٤٠٦هـ، حققه د.علي بن حسن ود.عبد العزيز العسكر ود.حمدان الحمدان، وطبع في دار العاصمة بالرياض، والإحالة على ط.الثانية ١٤١٩هـ.

([3]) ستأتي ترجمته في ص٨٨.

([4]) ينظر في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على النصرانية: منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى د.عبد الراضي ص٨٥.

فكان جوابه مبطلاً لأقوال النصارى وأقوال الحلولية والاتحادية والباطنية والفرق الكلامية فيما أخطؤوا فيه.

بدأ الجواب الصحيح بذكر مقدمات عامة بين يدي الرد على رسالة أهل قبرص، ثم التعريف بالرسالة، وبعد ذلك عقد فصولاً وجزأ كلام النصارى وتتبعه بالجواب حرفاً حرفاً، ويطيل في الأجوبة، ويستطرد في إبطال شبهات أخرى تناسب السياق، وقد أبطل كل ما يحتجون به من الشبهات النقلية والعقلية على دعوى خصوصية الرسالة المحمدية، أو الاستغناء عنها، أو نفي التبديل عن كتبهم، أو التثليث، أو دعوى التجسد وألوهية المسيح. ثم أعقب ذلك بذكر شاهدين على بطلان ذلك[١]:

الشاهد الأول: كتاب الحسن بن أيوب بعد إسلامه إلى أخيه، وفيه يبطل ما استدل به النصارى على أصول معتقداتهم كالتثليث والتجسد ونحوها بالدلائل العقلية، وعلق عليه شيخ الإسلام شارحاً ومصوباً. وهذا من الاستعانة بكتابات المهتدين إلى الإسلام.

الشاهد الثاني: ما كتبه المؤرخ ابن البطريق الملكي[٢] في تاريخه المسمى بنظم الجوهر[٣]، والذي جعله ابن تيمية شاهداً على ما ابتدعه آباء الكنيسة خلال تاريخها، كما أنه استعان بردّه على طائفتي النساطرة واليعاقبة، وعلق عليه بإلزام طائفة الملكية

---

(١) ينظر: الجواب الصحيح ٤/٨٨، ٤/١٨٣.

(٢) ابن البطريق: سعيد بن البطريق، طبيب ومؤرخ، ثم بطريقاً للاسكندرية سنة ٣٢١هـ، حتى توفي سنة ٣٢٨هـ ٩٤٠م، وله مؤلفات في التاريخ والجدل النصراني. ينظر: طبقات الأطباء ٢/٨٦، الأعلام للزركلي ٣/١٤٤.

(٣) طبع باسم: كتاب التأريخ المجموع على التحقيق والتصديق تأليف افتيشيوس المكنى سعيد ابن البطريق، كتبه إلى أخيه عيسى في معرفة التواريخ الكلية من عهد آدم إلى سني الهجرة الإسلامية. طبع في بيروت في مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٥م. ينظر: المخطوطات العربية لكتبة النصرانية لشيخو ص٤.

بما لزم الطوائف الأخرى، وهذا من إبطال أقوال النصارى بضرب الباطل بباطل مثله أو أدنى منه، ثم بيان أن الصواب خارج عن أقوالهم جميعاً. وفي هذا الشاهد: استثمار للجدل الداخلي بين الفرق النصرانية، وفيه إلزام النصارى كاتبي الرسالة بقول الموافق لطائفتهم الملكية فيما يظهر باطلهم، ليكون أقطع للحجة.

فكان الشاهد الأول مظهر لفساد عقائدهم بقول أحد علمائهم، وكان الشاهد الثاني دليلاً على فساد ما ابتدعوه بقول مؤرخهم، وهذا جماع إبطال حجة الخصم: بقطع سندها عن المعصوم، وإظهار فسادها في نفسها.

ولما انتهى من مناقشة الرسالة النصرانية وأبطل آخر شبهاتهم، وهي دعوى الاستغناء عن رسالة النبي محمد ﷺ تلاه بذكر دلائل النبوة لخاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام، وطرق العلم ببشارة الأنبياء قبله به ﷺ ، فساق قريباً من ثلاثين بشارة من الكتب السابقة، وشرحها ودلل عليها بما يوافقها من النصوص الإسلامية، ثم ختم الجواب الصحيح في ذكر دلائل النبوة، والفرق بين النبي الصادق والدّعي، وساق بعضاً من أعلام نبوته ﷺ .

وبالجملة، فالجواب الصحيح موسوعة علمية في الدرس المقارن في الأديان، أتى على معاقد الشبهات النصرانية، وعند مقارنته بجواب شيخ الربوة الدمشقي يظهر اشتراكهما فيما يلي:

- أن موضوع الدعوى متفق بينهما، وهو رسالة أهل جزيرة قبرص.
- أن طريقتهما في سياق الدعوى والجواب عليها متقاربة، فهما يذكران جزءاً من نص رسالة النصارى ثم الجواب عليه إلى آخرها. وقد ذكرا رسالة النصارى كاملة، وإن وقع بينهما اختلافات لفظية طفيفة، لاختلاف نسّاخ الرسالة النصرانية.

- قد استوعبا في جوابهما على جميع شبهات النصارى الواردة في الرسالة وهي غالب ما تقع فيه مجادلة النصارى، وكان جواب شيخ الإسلام مطولاً مفصلاً، بينما كان جواب الدمشقي مختصراً، ولم يكن الرد على اليهود غرضاً في كتابيهما[1].

هذا، وإن سمات الاشتراك بينهما تكاد تتلاشى إذا ما اطلعنا على محاسن الجواب الصحيح، ومن أهمها ما يلي:

أولاً: أنه جمع صحيح دلالتي المعقول والمنقول، واستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث والآثار السليمة، وبما يوافقها من نصوص الكتب السابقة، مع تنقيح للدلالة ونظر في الأسانيد.

ولم يقتصر على ما يستدل به النصارى بل أضاف إليه ما شابهه مما يظن أن لهم به حجة، وذكر من أخبار ونصوص كتبهم عن أحبارهم أو من أسلم منهم مما لا يحسن أن يأتي بمثله النصارى.

كما استدل بما يقوله عظماء النصارى وملوكهم، كالنجاشي وهرقل وغيرهم، ممن خبروا دين النصرانية وعاصروا زمن بعثة النبي ﷺ.

وفي استدلاله بالمعقول كان يردّ بصحيحه على كل غالط فيه، من النصارى أو ممن شابههم من أهل الإسلام.

---

(1) بلغت صفحات الجواب الصحيح أكثر من ٢٥٠٠ صفحة في ستة مجلدات في الطبعة المحققة، ووصفه ابن القيم الكافية الشافية بقوله:

وكذا جواب للنصارى فيه ما   يشفي الصدور، وإنه سِفران   (رقم البيت ٣٦٦٠)

ومثله عن ابن رجب في الذيل٢/٤٠٠ وعند أكثر مترجميه: أنه في مجلدين، وعن الصفدي في الوافي ١٧/٧: في ثلاث مجلدات.

بينما بلغت صفحات جواب الدمشقي قريب من ٣٥٠ صفحة، في ١٠٧ لوحات، بما يعادل نصف مجلد أو مجلد لطيف، أي: بما يعادل سدس الجواب الصحيح.

ثانياً: في مصادره في الجواب[١]، كان يذكرها على كثرتها وتنوعها من كتب أهل الإسلام وغيرهم، ويشير إلى المصدر بما يناسبه من الكلام، ففي تفسير القرآن ينقل عن أئمة المفسرين، وفي الأحاديث والآثار لا يتركها مرسلة عن مصادرها وأقوال أهل الصنعة عليها، وفي تأريخ النصارى والوقائع ينقل عن المؤرخين من المسلمين وأهل الكتاب إلى غير ذلك، وفي مصادره الشفهية يعززها بما يوافقها مما في الكتب.

ثالثاً: في الجواب الصحيح يظهر كثرة الاستشهاد بالمنقول من القرآن والآثار، مع تفسير الآيات القرآنية والتحقيق في بعض ما يذكره المفسرون حول الآية[٢].

رابعاً: فيه ذكر لمقالات الفرق الإسلامية، ولاسيما فيما شابهوا فيه بعض أقوال النصارى.

خامساً: في أجوبته تظهر سمات يتفوق فيها شيخ الإسلام على من كتب في الرد على النصارى، أهمها:

- أنه يهتم بتأصيل المسألة شرعاً وعقلاً، وبيان باطل الناس وصوابهم فيها، ومن أمثلة ذلك: مسألة المضافات إلى الله سبحانه، والحيل الشيطانية والكرامات والمعجزات[٣].
- أنه يقيم أدلته من المعقول على وفق دلالة الآيات القرآنية، فلا يستصحب المذاهب الكلامية، أو المذهبية، ولهذا سلم من أغلاط المتكلمين في ردودهم على تثليث النصارى، أو غلاط المتصوفة في

---

(١) ينظر في تعدادها: منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى ص٣٩.

(٢) كتفسيره لآيات سورة يس ٢/ ٢٥٠.

(٣) ينظر: الجواب الصحيح ٢/١٥٥، ٢/٣٣٨.

ردودهم على تجسد المسيح، ونحوها. وكانت حجته ظاهرة لا تنقض ولا تتناقض، وجواباً لمؤولة النصوص أو من قصر في فهمها[١].

- تفسيره للمصطلحات كالتثليث والحلول ونحوها، وبيانه المعاني الصحيحة من الباطلة، ومراد النصارى منها.
- أنه يستطرد في الجواب إلى مسائل تناسب المقام، ويجيب عن إشكالات لم تذكر في رسالة النصارى، كما في استطراده في ذكر الحواريين، أو في بدعة الرهبانية[٢].
- أنه اهتم بذكر الكليات والأصول الجامعة التي تصح بها الدلالة وتستصحب في المناظرة، ومن تلك الكليات:

١/ قول شيخ الإسلام: (أن كفرهم وضلالهم – أي: النصارى — من هذين الوجهين: تبديل دين الرسول الأول، وتكذيب بالرسول الثاني)[٣] فكان يبين تبديلهم وتكذيبهم في أغلب ردوده.

٢/ بيانه: أن الكلام على صدق الرسول وكذبه متقدم على الكلام على خصوصية رسالته أو عمومها[٤].

٣/ بيانه: أن الاحتجاج بكلام الأنبياء يحتاج إلى ثلاثة أمور: ثبوته عنهم، وصحة ترجمته إلى اللسان العربي، ومعرفة معناه وتفسيره[٥].

٤/ بيانه: التلازم بين صدق الأنبياء جميعاً، وتنوع دلائل صدقهم[٦].

---

(١) ينظر: الجواب الصحيح الجزء الثالث كاملاً.

(٢) ينظر: الجواب الصحيح ٢/١٩٣، ١/١٣٧.

(٣) ينظر: الجواب الصحيح ١/١١٠.

(٤) ينظر: الجواب الصحيح ١/١٢٤.

(٥) ينظر: الجواب الصحيح ٢/٣٨٨.

(٦) ينظر: الجواب الصحيح ١/٨١، ١/١٢٧.

٥/ بيانه: أن سبب ضلال الغلاة: ألفاظ متشابه، أو خوارق شيطانية ظنوها كرامات، أو أخبار كاذبة[1]. إلى غير ذلك من الأصول والكليات.

سادساً: كانت عبارة شيخ الإسلام محررة وواضحة ، وأسلوبه متين، وترتيب فصوله وطولها حسن، مع سلامة من الأغلاط العلمية واللغوية، وهو من أحسن مؤلفاته، وكلها حسن، ولا غرو فهو إمام في المنقول والمعقول، وجامع للفروع والأصول.

وهذا جملة مما تميز به الجواب الصحيح، وبه تعرف صورة المقارنة بينه وبين شيخ الربوة الدمشقي أو الأجوبة الفاخرة للقرافي، فالجواب الصحيح أحسنها وأحكمها وأوسعها، ويليه الأجوبة الفاخرة للقرافي، ثم جواب شيخ الربوة الدمشقي.

---

(1) ينظر: الجواب الصحيح ٢/٣١٥.

المبحث السادس: وصف النسخة الخطية للكتاب، ونماذج منها.

النسخة الخطية لجواب شيخ الربوة الدمشقي، وحيدة محفوظة في مكتبة جامعة أوتريخت في هولندا (***Utrecht***) تحت رقم (٤٠) شرقي.

وهي نسخة كاملة، مكتوبة بخط نسخي واضح حسن، سالمة من الخرم والنقص إلا في موضع كلمة واحدة، كتب بالحمرة بداية الفصل أو الجواب، ووضع خط أحمر فوق بداية كل فقرة.

وقع فيها بعض الأغلاط الإملائية، ككتابة بعض الأعداد أو اختلاف محل النقط.

وفي أولى صفحاتها هوامش ترجمة لبعض نصوص التوراة والإنجيل بلغة لاتينية من تصرف المتأخرين.

ناسخها: أبو بكر بن علي بن عوض التروحي، انتهى من النسخ في الخامس عشر من شهر ربيع الأول من سنة ٧٧٣هـ، أي بعد وفاة المؤلف بـ(٤٦ سنة) ويبدو من حواشي الناسخ أنها معارضة على أصل صحيح للمؤلف.

عدد الأوراق: (١٠٧) أي: بمجموع (٢١٤ صفحة) في كل صفحة من ١٥ إلى ١٧ سطر. متوسط كلمات السطر: ١٠ كلمات.

ورمزت لها بـ (الأصل).

أما نسخ رسالة أهل جزيرة قبرص (**المردود عليها**): فوقفت على ثلاث نسخ خطية كاملة، ونسخة رابعة ضمن الجواب الصحيح لابن تيمية.

والنسخ الثلاث كلها محفوظة في المكتبة الوطنية (الأهلية) في باريس في فرنسا.

النسخة الأولى: محفوظة ضمن مجموع رقم ٢٠٤ ، وناسخها: صليبا بن يوحنا القس الموصلي، في الماغوصة من أعمال قبرص، سنة ٧٣٧هـ. وهي أقدم النسخ، وكتبت بخط نسخ عادي، مصححة، سالمة من النقص، وعدد أوراقها (١٨).

ورمزت لها بـ (الرسالة ن١)

النسخة الثانية: محفوظة ضمن مجموع رقم ٢١٤، ولا يعرف ناسخها ولا تأريخ النسخ، وكتبت بخط الثلث الجميل، وسالمة من النقص والخرم، وعدد أوراقها (١٨).

وذكر في بدايتها بأنها مرسلة إلى الشيخ الفاضل تقي الدين ابن تيمية في دمشق، وهي أقرب النسخ الثلاث عند المقارنة إلى النص المثبت في الجواب الصحيح.

ورمزت لها بـ (الرسالة ن٢)

النسخة الثالثة: محفوظة ضمن مجموع رقم ٢١٥، ولا يعرف ناسخها ولا تأريخ النسخ، وكتبت بخط النسخ العادي، وسالمة من النقص والخرم، وعدد أوراقها (٢١).

وذكر في بدايتها بأنها مرسلة إلى الشيخ الفاضل تقي الدين ابن تيمية في دمشق سنة ٧١٦هـ، وهي أقرب النسخ للنص المثبت في جواب الدمشقي.

ورمزت لها بـ (الرسالة ن٣)

عند اتفاق النسخ الثلاث اكتفي بـ (الرسالة)

النسخة الرابعة: هي التي ساقها الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح، وقد اعتمدت الطبعة المحققة التي أخرجتها دار العاصمة في الرياض بتحقيق د.علي حسن ود.عبد العزيز العسكر ود.حمدان الحمدان. وقد عارض المحققون ما أثبته

الإمام ابن تيمية بنسخة محفوظة بمكتبة المتحف القبطي في القاهرة برقم (٩٥)، وهي ناقصة.

ورمزت لها بـ (الجواب).

وفيما يلي صوراً لها مرتبة:

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي ضوا مصباح التوحيد قلوب المصطفين
من العباد وزحزح عنها ظلمات الشرك فما لو كوكبها في اوج
الشرف والاسعاد واستبصرت بانوار الرسالة المحمدية
فنطقت السنتها بتنزيه مبدعها عن الشركا والانداد
ونفث روح القدس في روعها فقدسته عن اتخاذ الصاحبة
والاولاد سبحانه وتعالى عن الحلول بذوات الممكنات
والاتحاد والتشبث بناسوت تولد عن مجموع عناصر
قضى العقل عليه بالاستحالة والنفاد وجل جلاله الاكرم
عن الاستعانة من خلقه وسواه على تنفيذ مشيئته وتحصيل
مراده واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الذي
انبهرت العقول في ضيا مجده وغرقت افكار المقدسين
في بحار معرفته وخرت عقولها ساجدة لعلو جده واشهد
ان محمدا عبده ورسوله الذي بشرت برسالته التوراة

والانجيل وسطعت اشعة براهينها لما اتضح لاولي الالبا
من معجزها الباهر الدليل واشرقت انوار تعينه المغارب
والمشارق وخفقت بالبر والبحر اعلام كمال النفوس البشرية
لما نزهت عن النقايص الواحد الخالق وارتسم في جواهرها
بحكم كتابه المنير رسوم المعارف والتعاليم ومحت اثار
ما ادى الى الشرك الصريح في الربوبية من القول بالاقانيم
فكانت رسالته بحمد الله هدى ورحمة للعالمين وبرهانا
قاطعا حجج الجاحدين والمعاندين وسلطانا قاهرا لمن
تمادى في كفره والحد وبيانا اوضح فساد قول من جعل
ان الواحد الاحد يجزى ويتعدد فصلوات الله وسلامه
عليه وعلى من تبع هداه ولمن ارسله لاقامة منار
التوحيد وارتضاه وبعد فانه لما كان اليوم العاشر
من شهر صفر سنة احدى وعشرين وسبعماية للهجرة
النبوية الشريفة المحمدية على صاحبها افضل الصلاة
والسلام والثاني عشر من مرش والاذار سنة الف

Ex manuscripto
Ar. A° 721
Hegira

Martii
Adar A° 1632 Epoche
Alexandrini

صورة اللوحة الأولى من الأصل

م

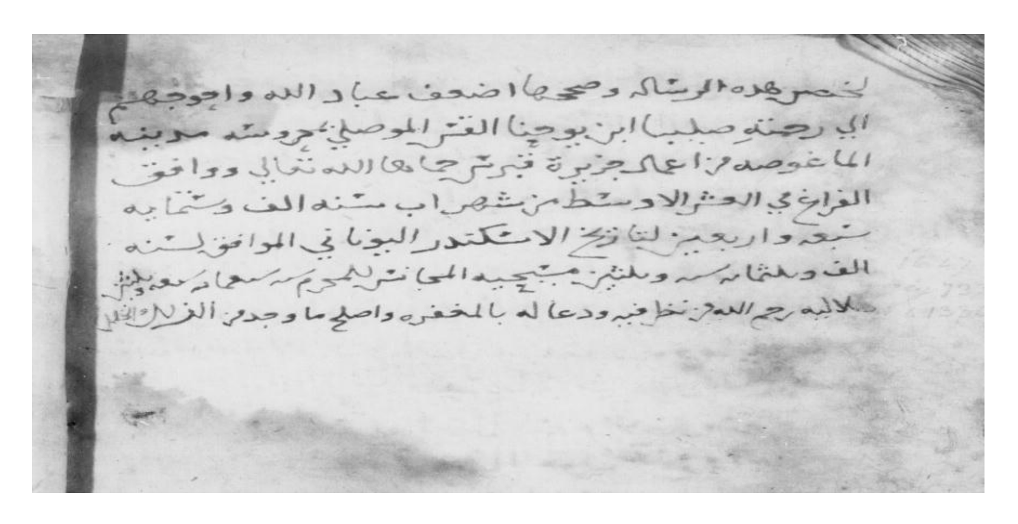


صورة اللوحة الأخيرة من الأصل

بسم الله الحي العديم الازلي
اما بعد الذي يعلم مولانا الشيخ المكرم الرئيس
النبيل الفاضل الاوحد النفيس اطال الله
انعامه بقاه وحرسه من الاسوا وتولاه
سالتني ان افحص لك فحصًا بينًا ما تعتقده النصارى
المسيحيين المختلفة السنتهم المتفرقة في اربعة زوايا
العالم من المشرق الى المغرب ومن الجنوب الى الشمال
والقاطنين بجزاير البحر والمقيمين في البر المتصل الى
مغيب الشمس وانني لما وصلت الى جزيرة قبرس اجتمعت
ببعض اجلا تلك البلاد ورؤسايهم وفاوضت افاضلهم
وعلمايهم وما علمت من راي القوم الذي رايتهم وخاطبتهم
عن دينهم وما يعتقدونه وما يحتجون به عن انفسهم
حيث سالتني فاجبت الى مسالتك لاجل افراط مودتك
ولكثرة تحمل قايلا ان القوم يقولون انا سمعنا ان قد
ظهر في العرب انسان اسمه محمد يقول انه رسول الله
فلم نزل الى ان حصل هذا الكتاب عندنا فقلت لهم اذا كنتم
قد سمعتم بهذا الانسان واجتهدتم على تحصيل هذا
الكتاب الذي اتى به عندكم فلاي حال لم تتبعوه
ولاسيما في الكتاب يقول ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن

50
يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين اجابوا قايلين
لاجل اشيا قرانا وما هي قالوا منها ان الكتاب عربي وليس
بلساننا حسب ما جا فيه بقوله وانزلنا قرآنا عربيا
وايضًا وجدنا فيه يقول في سورة الشعرا ولو انزلناه
على بعض الاعجمين فقراه عليهم فما كانوا به مومنين
وقال في سورة البقرة كما ارسلنا فيكم رسول منكم يتلوا
عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون وقال في سورة آل عمران
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل
لفي ضلال مبين وقال في سورة القصص لتنذر قوما
ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون وقال في سورة
السجدة لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم
يهتدون وقال في سورة يس لتنذر قوما ما انذر
اباوهم فهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم فهم لا
يومنون فلما راينا هذا فيه علمنا انه لم ياتِ
الينا بل الى الجاهلية من العرب الذي قال انه ياتيهم
رسول ولا يدنوهم من قبل وانه لا يلزمنا اتباعه لاننا نحن
قد اتانا رسل من قبله خاطبونا بالسنتنا وانذرونا

صورة اللوحة الأولى من النسخة الأولى من الرسالة


لخص هذه الرسالة وصححها اضعف عباد الله واحوجهم
الى رحمته صليبا ابن يوحنا الفقير الموصلي حرسه من[illegible]
الماغوصة من اعمال جزيرة قبرس حماها الله تعالى ووافق
الفراغ في العشر الاوسط من شهر اب سنة الف وستماية
سبعة واربعين لتاريخ الاسكندر اليوناني الموافق لسنة
الف وثلثماية سنة وثلثين مسيحية المعاشر [illegible]
الاية رحم الله من نظر فيه ودعا له بالمغفرة واصلح ما وجد من الزلل والخلل

صورة خاتمة النسخة الأولى من الرسالة

78

٨٥

بسم الآب والابن والروح القدس اله واحد

نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقه بنسخ
الرسالة التي وردت من جزيرة قبرص الى
الشيخ الفاضل تقي الدين ابن التيمية بدمشق
المحروسة قال

الذي يعلم به مولاي الشيخ الرئيس الفاضل الاوحد لنفيس
اطال الله في انعم النعم بقاه وحرسه من الاسوا وتولاه سالني ان
احصل لك تبينا ما يعتقده النصارى المسيحيين المختلفة
السنتهم المفترقة في اربع زوايا العالم من المشرق الى المغرب
ومن الجنوب الى الشمال والقاطنين بجزائر البحر والمقيمين
بالبر المتصل الى البحر المحيط واني لما وصلت الى جزيرة قبرص
واجتمعت ببعض اجلا تلك البلاد ورؤساهم وفاوضت افاضلهم
وعلماهم وما علمته من راي القوم الذين رايتهم وخاطبتهم عن
دينهم وما يعتقدوه ويحتجون به عن انفسهم حسب ما سالتني
فاجبت سوالك لاجل فرط مودتك وكثرة محبتك فانا لاان
القوم يقولون اننا سمعنا ان قد ظهر في العرب انسانا اسمه
محمد يقول انه رسول الله واتى بكتاب يقول انه منزل عليه من

صورة الوجه الأول في اللوحة الأولى من النسخة الثانية من الرسالة

203

بسم الله الخالق الحي الناطق علينا رحمته امين
نبتدي بعون الله وحسن ارشاده بكتب
نسخه الرساله التي وردت من جزيره قبرس
الي الشيخ الامام تقي الدين ابن التيميه بمدينة
دمشق المحروسة في شهور سنه ستة عشر
وسبع مايه العربيه ولله المجد الى الابد
قال الذي اعلم به مولاي الشيخ الرييس الفاضل الاوحد
النفيس اطال الله في اتم النعم بقاه وحرسه من الاسوي
وتولاه لما سالتني ان افحص لك فحصا بينا عما يعتقدوه
النصاري المسيحيين المختلفه السنتهم المتفرقه
في ربع زوايه العالم من المشرق الى المغرب ومن الجنوب
الي الشمال والقاطنين بجزاير البحر والمقيمين بالبر
المتصل الى البحر المحيط واني لما وصلت الى جزيرة
قبرص واجتمعت ببعض اجلا تلك البلاد وروسايهم
وفاوضت افاضلهم وعلماوهم وما علمت من راي
القوم الذين رايتهم وخاطبتهم عن دينهم وما يعتقدونه
وما يحتجوا به عن انفسهم حسب لما سالتني لما جبت

صورة الوجه الأول من اللوحة الأولى في النسخة الثالثة من الرسالة

القسم الثاني:

النص المحقق

كتاب فيه جواب رسالة أهل جزيرة قبرس[١]

أجاب به العبد بالذات والصفات، الفقير إلى الله تعالى من كل الوجوه والجهات،

محمد بن أبي طالب[٢] الأنصاري الصوفي الدمشقي،

أثابه الله وأيده بعون منه بمَنه ويُمنه.

وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى آله.

أرسلت في أيام من صفر سنة إحدى وعشرين وسبعمائة،

ورجع الجواب إليهم في سلخ جمادى الآخرة من السنة المذكورة.

غفر الله لمصنفها ولكاتبها ولقارئها ولسامعها ولجميع المسلمين.

---

(١) قبرس: بالسين المهملة عند غالب المتقدمين وبالصاد في المعاجم المتأخرة، مترجمة عن الإغريقية: kypros، وأصل معناها: النحاس الجيد، وهي: جزيرة كبيرة في بحر الروم (الأبيض المتوسط) في شماله الشرقي، وتعد مركز التقاء بين الشرق والغرب، دخلتها المسيحية مبكراً قبل منتصف القرن الأول المسيحي، ومن أهلها: برنابا (المنسوب إليه الإنجيل)، فتحها المسلمون أكثر من مرة وأول من غزاها معاوية رضي الله عنه في زمن الخليفة عثمان رضي الله عنه سنة ٢٨هـ وهادن أهلها، وفيها توفيت أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها (وقبرها مشهور حتى الآن).

وأهلها نصارى، وهي في عصر المؤلف بأيدي النصارى الأرثوذكس، وفرسان الهيكل الصليبيين (الأسبتارية) وكانت مركزاً لشن حملاتهم على الشام ومصر، ثم تحولت إلى الكاثوليك، حتى استردها الحاكم المملوكي برسباي سنة ٨٢٩ هـ ثم دخلت في طاعة الدولة العثمانية سنة ٩٧٩هـ ونزح إليها الأتراك، ثم خضعت للاحتلال البريطاني عام ١٨٧٨م، واستقلت منه عام ١٩٤٥م، وشعبها يتألف من أتراك مسلمين ويونان نصارى.

ينظر: معجم البلدان لياقوت ٣٠٥/٤، نخبة الدهر للدمشقي ١٤٢، تأريخ الطبري ٦٠٠/٢، دائرة المعارف الكتابية (مادة: قبرس)، قبرس والحروب الصليبية د.سعيد عاشور.

(٢) هكذا في الأصل منسوباً إلى جده، وينظر في تحقيق ذلك في قسم الدراسة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ضوّأ بمصباح التوحيد قلوب المصطفَين من العباد، وزحزح عنها ظلمات الشرك، فتألق كوكبها في أوج الشرف والإسعاد، واستبصرت بأنوار الرسالة المحمدية فنطقت ألسنتها بتنزيه مبدعها عن الشركاء والأنداد، ونفث روح القدس[(١)] في روعها فقدسته عن اتخاذ الصاحبة والأولاد، سبحانه وتعالى عن الحلول بذوات الممكنات والاتحاد، والتشبث بناسوتٍ تركب عن مجموع عناصر قضى العقل عليه بالاستحالة والنفاد، وجلّ جلاله الأكمل عن الاستعانة بمن خلقه وسواه على تنفيذ مشيئة وتحصيل مراد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي انبهرت العقول في ضياء مجده، وغرقت أفكار المقدسين في بحار معرفته وخرت عقولها ساجدة لعلو جدّه[(٢)].

١/أ

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي بشرت برسالته التوراة / والإنجيل[(٣)]، وسطعت أشعة براهينها لما اتضح لأولي الألباب من معجزها الباهر الدليل، وأشرقت

---

(١) روح القدس: الرُّوح (بضم الراء) تطلق في القرآن والسنة على ستة أوجه، وهي: الأول: الوحي الإلهي. الثاني: القوة والثبات والنصرة التي يؤيد الله بها المؤمنين. الثالث: بمعنى جبريل عليه السلام. الرابع: الروح التي سأل عنها اليهود وأجيبوا بأنها من أمر الله، في قوله تعالى: (□ □ □) سورة الإسراء: آية ٨٥. الخامس: بمعنى عيسى عليه السلام. السادس: الروح التي بها حياة الأبدان. ينظر: الروح لابن القيم ص: ٣٧٠. والمراد به هنا جبريل عليه السلام، الموصوف بالقدس، كما قال تعالى: (□ □ □ □ □ □) النحل: آية ١٠٢. وسيأتي بيان معنى الروح عند النصارى في ل ١١/أ ص١٢٥.

(٢) الجدّ: الجلال والعظمة، ومنه قوله تعالى: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ) الجن: ٣. معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣٦٤/١.

(٣) التوراة: كلمة عبرانية بمعنى: الشريعة أو القانون، وفي اصطلاح اليهود: هي الأسفار الخمسة من العهد القديم: (التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية)، التي يعتقد اليهود أن موسى عليه السلام كتبها بيده، تطلق على أسفار العهد القديم مجازاً. وفي اصطلاح المسلمين:

بأنوار بعثته[١] المغارب والمشارق، وخفقت بالبر والبحر أعلامُ كمال النفوس البشرية لما نزهت عن النقائص الواحد الخالق، وارتسم في جواهرها بحِكَم كتابه المنير رسوم المعارف والتعاليم، ومحت آثار ما أدى إلى الشرك الصريح في الربوبية من القول بالأقانيم، فكانت رسالته - بحمد الله - هدىً ورحمةً للعالمين، وبرهاناً قاطعاً حجج الجاحدين والمعاندين، وسلطاناً قاهراً لمن تمادى في كفره وألحد، وتبياناً أوضح فساد قول من جعل أن الواحد الأحد تجزأ وتعدد، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى من اتبع هداه، وآمن بمن أرسله لإقامة منار التوحيد وارتضاه، وبعد.

فإنه لما كان اليوم العاشر من شهر صفر سنة إحدى وعشرين وسبعمائة للهجرة النبوية الشريفة المحمدية[٢]، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، والثاني والعشرين[٣]

هي الكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام هدى لبني إسرائيل. وقد دخلها التبديل والتحريف. ينظر: دائرة المعارف الكتابية (مادة: توراة)، دراسات في اليهودية والنصرانية د.الخلف ص: ٥٧.

الإنجيل: كلمة عبرانية أو يونانية بمعنى: البشارة، وهو عند النصارى: ما كتب عن المسيح وحياته ومناقبه في البشارات الأربع المنسوبة إلى لوقا ومتّى ومرقس ويوحنّا، وهي التي اختارها مجمع نيقية (٣٢٥م) ورفض ما سواها. ويطلق مجازاً على أسفار العهد الجديد، وليس فيه تشريعات؛ لأن عيسى جاء متمماً لرسالة موسى عليهما السلام. وأما في اصطلاح المسلمين: فهو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى هدى لبني إسرائيل. ينظر: المدخل إلى العهد الجديد للقس فهيم عزيز ص: ١٥٨، البشارة بنبي الإسلام ٦٦/١.

(١) في الأصل: (بغيته).

(٢) التأريخ الهجري وضعه الخليفة الراشد الفاروق سنة سبع عشرة من الهجرة، وبدأه بالمحرم الموافق لـ ١٦/ يوليو / ٦٢٢م، وهو من شعار أهل الإسلام، ويعتمد الأهلة في إثبات الشهور، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن الأنبياء ما وقّتوا العبادات إلا بالهلال، وإنما اليهود والنصارى حرّفوا الشرائع) اقتضاء الصراط المستقيم ٥٣٢/١، وينظر: تأريخ الطبري ٣٨/٤، ولمعرفة أثر الوثنية في تواريخ النصارى وأعيادهم ينظر: كتاب الأصول الوثنية للمسيحية لـ: أندريه وأدغار وكارل غوستاف، ترجمة: سميرة عزمي، ص: ٤٩.

وتأريخ ١٠/ ٢ (صفر) /٧٢١ هـ يوافق ١١/ ٣ (مارس) / ١٣٢١ م.

(٣) في الأصل (الثاني عشرين).

ب/١

من مارس[١] وآذار سنة ألف / وستمائة واثنتين وثلاثين للإسكندر ذي القرنين اليوناني[٢]، والسادس عشر من برمهات سنة ألف وسبع وثلاثين لدقلطيانوس القبطي[٣]، والسابع عشر من خرداذماه[٤] سنة ستمائة وتسعين ليزدجرد بن شهريار بن كسرى أنوشروان الفرسي[٥]، وردت على يد الأرتب الأديب كليام التاجر، وزير

---

(١) في الأصل: (مرس).

(٢) الإسكندر: اسم يوناني بمعنى: حامي البشر. والإسكندر الأكبر هو: ابن فليفوس المقدوني، اليوناني، المصري، عاش بين (٣٥٦ ق. م — ٣٢٣ ق. م) باني الإسكندرية، ملك بلاد الروم وفارس فلقب بذي القرنين، وليس هو المذكور في القرآن، قال ابن تيمية: (وهذا كان مشركاً يعبد هو وقومه الأصنام، ولم يكن يسمى ذا القرنين. . . ولا وصل هذا المقدوني إلى أرض الترك ولا بنى السد، وإنما وصل إلى بلاد فارس) الجواب الصحيح ٣٤٥/١، وينظر: أعلام المورد ص:٥٦، تأريخ الطبري ٥٧٣/١، قاموس الكتاب المقدس (مادة: إسكندر)، تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص: ٥٧.

وإلى الإسكندر ينسب التأريخ السرياني أو اليوناني، ويبدأ من الاثنين الأول من تشرين الأول (أكتوبر) سنة ٣١٢ ق. م، وهو تقويم شمسي، ومارس هو الشهر الثالث منه بالتسمية الغربية اليونانية ويقابله آذار بالتسمية الشرقية السريانية.

(٣) في الأصل (سبعة). دقلديانوس: (ديوقليتيانوس) أحد ملوك الرومان، عاش بين (٢٨٤م — ٣٠٥م) أعاد تقسيم الدولة الرومانية إلى أربعة أقاليم، اضطهد في عصره نصارى مصر واستشهد منهم خلق كثير فسمي بعصر الشهداء، ثم ملك بعده قسطنطين الذي رفع الظلم عن النصارى، وقد اتخذ الأقباط عصره بداية للتقويم القبطي، ولهذا نسب إليه، وهو يعتمد على التقويم المصري الشمسي القديم، وأوله: ٢٩ آب (أغسطس) عام ٢٨٤م، وأسماء الشهور مشتقة من أسماء الآلهة أو الأعياد، وبرهمات: الشهر السادس منه. ينظر: الجواب الصحيح ٢٠٦/٤، أعلام المورد ص: ١٩٨، قصة الحضارة ٣٧٩/١١، مختصر تأريخ الدول ص: ٧٧.

(٤) في الأصل: (خرداذاماه).

(٥) يزدجرد بن شهريار، آخر الملوك الساسانيين في بلاد فارس، سقط حكمه في عهد الخليفة عمر سنة ١٥هـ = ٦٣٦م، وقتل في مرو سنة ٣١هـ، وإليه ينسب التأريخ الفارسي، وهو تأريخ شمسي، وبدايته في: ١٦ حزيران (يونيه) عام ٦٣٢م = ١١/٣/٢٢هـ، وخرداذماه: الشهر

المرقب كان أدام الله مسرته(١)، رسالة حسنة التلطف، غريبة المغزى، عجيبة المرمى، كما قيل(٢):

مريضةٌ في حواشي مرطها بَلَل. . . يُهدى لكل عليل منه إبلال

الثالث من الشهور الفارسية. ينظر: أعلام المورد ص٥٠٤، البداية والنهاية لابن كثير ١٧٩/٧. وفي تفاصيل التقاويم ينظر: الآثار الباقية للبيروني ص: ١٣ وما بعدها، والموسوعة العربية العالمية (مادة: تقاويم).

(١) كليام: اسم غربي ينطقه العرب كما رسمه المؤلف، وهو يختلف رسمه في الغرب فيقال: فيللم أوغليوم أو غليام أو وليم أو ويليام. قاله الزركلي في الأعلام ١٥/١. وبحثت عن شخصية المراد، فوجدت في التاريخ الإسلامي المعاصر للمؤلف عدداً ممن تسمى بهذا الاسم، أشهرهم: كليام التاجر الجنوي –نسبة إلى جنوة على ساحل إيطاليا– والذي اتصل بالملك العادل الأيوبي سنة ٦٠٦هـ ويبعد أن يكون المراد. والأقرب أن المراد: هو وزير قلعة الشقيف، ذكر في حوادث سنة ٦٦٦هـ كما في نهاية الأرب للنويري ٣٠/٩٢١، أو هو مقدم الداوية (فرقة عسكرية صليبية كالأسبتار) الذي كتب معه السلطان المملوكي المنصور قلاوون هدنة في عام ٦٨٢هـ. ينظر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور لابن عبد الظاهر ص: ٣٤، وصبح الأعشى للقلقشندي ٦٣/١٤.

قال الصفدي في نصرة الثائر على المثل السائر ص٩١: (وقد وردت رسالة من جزيرة قبرص على يد كليام الفرنجي التاجر في سنة عشرين وسبعمائة تقريباً، ووقفت عليها بمدينة صفد. . . أجاب عنها الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله في مجلدين).

والمرقب: قلعة حصينة منيعة تشرف على البحر المتوسط، شرق مدينة بانياس في سورية، بناها الخليفة الرشيد، واستولى عليها النصارى سنة ٥١٠هـ، قال عنها ابن الأثير: (وهي من حصونهم التي لا ترام، ولا تحدث نفسه بملكه؛ لعلوه وامتناعه، وهو للأسبتار) استعادها المنصور قلاوون سنة ٦٨٤هـ بالأمان والهدنة. ينظر: معجم البلدان ١٠٨/٥، الكامل في التاريخ ١٦٧/١٠، صبح الأعشى ٤٨/١٤.

(٢) البيت لأبي إسحاق الغزي (ت ٥٢٣هـ) لكن كلمة (عليل) بدلها (مريض)، من قصيدة مطلعها:

هبت لنا وبرود الليل أسمال . . . صباً لها من جيوب الغيد أذيال

ومعنى مرطها: الكساء. كما في لسان العرب ٣٩٩/٧. إبلال: شفاء. كما في معجم مقاييس اللغة ١٨٦/١. ينظر: ديوان أبي إسحاق الغزي، ص: ٤٢٤، ت: د. عبد الرزاق حسين ط. مركز جمعة الماجد.

متحلّية بقلادة من جواهر كلِمٍ من آيات القرآن المجيد، الميسر للذكر، والشفاء لما في الصدور، تنزيل الحكيم الحميد، أرسلها الأساقفة والبطارقة والقسيسون[١] والرهابنة[٢]، أماثل الملة المسيحية، وأكابر الأمة العيسوية، من جزيرة قبرس، نسختان: إحداهما[٣]، إلى الشيخ الإمام قدوة الأنام أبي العباس أحمد بن تيمية، أدام الله النفع به، وأمتع ببقائه[٤].

---

(١) الأساقفة: جمع أسقف، معربة عن اليونانية، بمعنى: مشرف، وهي رتبة دينية فوق القس ودون البطرك، وهو رئيس القسوس، وراعٍ لأبرشية مكونة من عدّة كنائس أو منطقة معينة، وفي العصور الأولى من المسيحية لم يكن فرق بين القس والأسقف.

البطارقة: جمع بطريق، بالكاف أو القاف، معربة عن اليونانية، بمعنى: الأب الرئيس، ولم تعرف مرتبة البطريق إلا بعد القرن الثالث الميلادي، وهي أعلى مرتبة كهنوتية.

القسيسون: جمع قسيس وقس، معربة عن اليونانية، بمعنى: شيخ، وهو المفتي في دين النصارى، ورتبته في الكهنوت بين الأسقف والشماس، ويكون راعياً لقرية أو حيّ. ينظر: قاموس الكتاب المقدس ص٧٢، دائرة المعارف الكتابية ١/٢٦٠، الموسوعة العربية الميسرة ٩٩٩، ١١٥٨، ١٤٩٢، أسرار الكنيسة السبعة ص١٨٤.

وهذه المراتب من بدع النصرانية التي لم ترد عن أنبيائهم ولا في كتبهم المقدّسة، وإنما هي من تواضعهم عليها، ومن خرج عنها سمي: خارجيّاً أو كافراً أو مهرطقاً، وفرق النصارى مختلفون فيها وفي شرائطها. ينظر: الجواب الصحيح ٤/١٨٨، الأعلام للقرطبي ١/٤٠٥ ت. السقا، صبح الأعشى ١٣/٢٧٦، المسيحية د. عبد الحليم محمود ص: ١٧١، وقد أشار إلى أن المراتب من تأثير الجماعات الوثنية والنظم اليهودية.

(٢) الرهابنة: جمع رهبان (المفرد) لا جمع راهب، وأصل الرهبنة: الخوف والرهبة، وهي وصف للمنقطع للعبادة. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ٢/٣٣٠، ولسان العرب ١/٤٣٦.

(٣) في الأصل (نسختين: أحدهما) وهو غلط.

(٤) ابن تيمية: تقي الدين، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية النميري، الحرّاني، الحنبلي، عاش بين (٦٦١ – ٧٢٨هـ) شهرته طبقت الآفاق، تبحر في علوم كثيرة، وناظر وكتب في مسائل الفقه والكلام والأديان، وأوذي وسجن مرات ومات في سجنه بالقلعة في دمشق، ومن مؤلفاته: درء تعارض العقل والنقل، وبيان تلبيس الجهمية، والجواب الصحيح وغيرها، ينظر:

أ/٢

والثانية، إلى من ظنوا أن عنده علماً، فلما وقف العبد الفقير المشار إليه عليها / وتدبرها، علم أنهم التمسوا عما تضمنته جواباً، فاتحين بذلك في طلب المناظرة أبواباً، ظانّين بأنهم قد ظفروا بما يؤيد لهم مقالة، أو يسدد لدينهم بذكره دلالة، ووجد العبد الفقير المشار إليه جميع ما تمسكوا به هباءً، أو كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً، فحسن عندي رد الأجوبة عمّا أوردوه، وإظهار البرهان على بطلان ما اعتقدوه، بعد أن فصلت رسالتهم تفصيلاً، وأوضحت بإثبات الحق الجواب عن كل فصل لمن أراد إلى الحق سبيلاً، ذبّاً عن دين الله واتباعَ رضوانه، راجياً أن يبوئني الله بذلك دار أمانه، فاستخرت الله تعالى وسألته العصمة من الخطأ في الجواب، وحسن التوفيق والهديَ إلى الحق والصواب، فقلت مبتدياً، وبالله تعالى مهتدياً:

أرسلتم أيها الآباء الأفاضل، والمعلمون الأماثل، والرؤساء الكهان، جاثليقية[1] هذا الزمان، ألهمكم الله رشدكم، وهدى إلى الحق قصدكم، تقولون بطريق الإخبار[2]:

العقود الدرية لابن عبد الهادي، سير أعلام النبلاء ٢٨٨/٢٢، الجامع لسيرة شيخ الإسلام خلال سبعة قرون لعزيز شمس.

(١) الجاثليق: معرب عن اليونانية، بمعنى: شامل وعام، وهو مقدم الأساقفة بمنزلة البطريك. ينظر: المعجم الوسيط ١/ ١٠٧.

(٢) أغفل المؤلف ذكر مقدمة رسالة أهل جزيرة قبرص، وقد ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح ١١٩/١، وهي مذكورة في مخطوطات الرسالة (وفي تصديرها خلاف بين النسخ)، وهي في ن ١: بسم الله الحي المحيي القديم الأزلي (وفي ن ٢: بسم الأب والابن وروح القدس إله واحد، وفي ن ٣: بسم الله **(في النسخ الثلاث: بسم، وصوابه: باسم)** الخالق **الحي الناطق علينا رحمته آمين)** (وفي ن ٣: نبتدئ **بعون الله وحسن إرشاده بكتب نسخة الرسالة التي وردت من جزيرة قبرص إلى الشيخ الإمام تقي الدين ابن التيمية بمدينة دمشق المحروسة في شهور سنة ست عشرة (في الأصل: ستة عشر) وسبعمائة العربية، ولله المجد إلى الأبد)** (ونحوه في ن ٢ بدون تأريخ). أما بعد، الذي يعلم مولانا الشيخ المكرم الرئيس السيد الفاضل الأوحد النفيس، أطال الله بقاءه، وحرسه من الأسواء وتولاه. (من هنا بداية ما في الجواب الصحيح) سألتني أن أفحص لك فحصاً بيناً ما يعتقده النصارى المسيحيون، المختلفة ألسنتهم، المتفرقة في أربع زوايا العالم، من المشرق إلى المغرب، ومن الجنوب إلى الشمال، والقاطنون بجزائر البحر،

إننا لمّا / سمعنا أن قد ظهر إنسان في العرب اسمه محمد يقول: إنه رسول الله. وأتى بكتاب يذكر فيه: أنه منزل عليه من عند الله. فلم نزل إلى أن حصّلنا الكتاب عندنا[١]، وقرأناه وفهمناه وتدبرناه، فتحققنا منه: أن محمداً أرسل إلى العرب دوننا؛ إذ هو عربي وليس بلساننا، حسب ما جاء فيه[٢]، وهو قوله في سورة الشعراء: (ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ) الآيات[٣]، وقوله في سورة البقرة: (ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ) الآيات[٤]، وقوله في سورة آل عمران: (ۋ ې ې ې ې □ □ □ □ □ □ □) الآية[٥]، وقوله في القصص: (ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ) الآية[٦]، وكذلك في سورة السجدة[٧]، وقوله في سورة يس: (ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ) الآية[٨]. ب/٢

والمقيمون في البر المتصل إلى مغيب الشمس، وإنني (في الجواب الصحيح: وإن الأسقف دميان الملكي الرومي) لما وصلت إلى جزيرة قبرص، اجتمعت ببعض أجلاء تلك البلاد ورؤسائهم، وفاوضت أفاضلهم وعلماءهم، وما علمت من رأي القوم الذين رأيتهم وخاطبتهم عن دينهم وما يعتقدونه، وما يحتجون به عن أنفسهم، حيث سألتني فأجبت إلى مساءلتك؛ لأجل إفراط مودتك وكثرة محبتك، قائلاً: إن القوم يقولون: **إنا سمعنا. . .**).

(١) في الجواب الصحيح ١٢٠/١ والرسالة بعد هذا، ما نصه: (فقلت لهم: إذا كنتم قد سمعتم بهذا الإنسان، واجتهدتم على تحصيل هذا الكتاب الذي أتى به عندكم، فلأي حال لم تتبعوه؟ ولا سيما في الكتاب يقول في سورة آل عمران: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ). أجابوا: لأحوال شتى. فقلت: ما هي؟ قالوا: منها: أن الكتاب عربي وليس بلساننا. . .).

(٢) في الجواب الصحيح ١٢١/١ والرسالة استدلال بآيتين لم يذكرهما المؤلف قبل ما ذكره من الآيات، وهما قوله تعالى: (ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ) سورة يوسف: ٢، وقوله تعالى: (ﮫ ﮬ ﮭ) سورة الشعراء: ١٩٥.

(٣) سورة الشعراء: آية ١٩٨ — ١٩٩.

(٤) سورة البقرة: آية ١٥١.

(٥) سورة آل عمران: آية ١٦٤.

(٦) سورة القصص: آية ٤٦.

(٧) في الرسالة والجواب الصحيح ذكرت الآية بلفظها وهو قوله تعالى: (ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ) ينظر: سورة السجدة: آية ٣.

(٨) سورة يس: آية ٦.

فلما رأينا هذا فيه علمنا: أنه لم يرسل إلينا، بل إلى جاهلية العرب الذي[(١)] قال: إنه لم يأتهم رسول ولا نذير من قبله. وأنه لا يلزمنا اتباعه؛ لأننا نحن قد أتانا رسل من قبله: خاطبونا بألسنتنا، وأنذرونا بديننا الذي نحن متمسكون به يومنا هذا، / وسلّموا إلينا التوراة والإنجيل بلغاتنا على ما يشهد لهما الكتاب الذي أتى به هذا، حيث يقول في سورة إبراهيم: (ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ) الآية[(٢)]، وقوله في سورة النحل (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ)[(٣)]، وقوله في سورة الروم: (ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ) الآية[(٤)]، فقد صح في هذا الكتاب أنه لم يأت إلا إلى جاهلية العرب.

أ/٣

وأما قوله: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ) الآية[(٥)]، فيريد بحسب مقتضى العدل: الذي جاءهم به بلغتهم، لا غيرهم ممن لم يأتهم ما جاء فيه[(٦)].

فغاب عنكم الصواب لمعنيين:

أحدهما: ترك الاقتداء بذوي الأدب، مع أنكم أهل أدب ومعارف ورتب.

---

(١) في الرسالة: (**إلى الجاهلية من العرب الذي قال**. . .) وفي الجواب الصحيح ١٢٢/١: (الذين قال).

(٢) سورة إبراهيم: آية ٤.

(٣) سورة النحل: آية ٣٦.

(٤) سورة الروم: آية ٤٧.

(٥) سورة آل عمران: آية ٨٥.

(٦) في الجواب الصحيح ١٢٣/١ والرسالة: (**فيريد بحسب مقتضى العدل: قومه الذين. . . ممن لم يأتهم بما جاء فيه**). وهذه الشبهة: (رسالة النبي ﷺ خاصة بالعرب) ذكرها أيضاً: ابن العسال النصراني في القرن السابع الهجري في كتابه الصحائح ص: ٣٧، وأسندها إلى الملوك النصارى. ومن المعاصرين السير وليم كما ذكر المستشرق أرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام ص: ٥٠.

وثانيهما: عدم اللحاق بذوي الألباب، مع صحة أذهانكم وانقيادكم للحق إذا ظهر لكم.

أما ترككم الأدب: فكونكم لم تمجّدوا رسول الله ﷺ بما يليق بجليل قدره، وكرامته عند ذكره، وخاطبتم الواصلة رسالتكم إليه بالتمجيد لاسمه، وهو ذرّة من ذرّات وجود الرسول / وواحد من مئين ألوف ألوف شعوب ربوات من أمته، وتابعيه وخدام شريعته، ولأن العادة الجارية في سنة المخاطبة والمكاتبة – ولو بين الأعداء والمجهول بعضهم عند بعض – استعمال الأدب، مع أن اسم الرسول ﷺ يقتضي المدح والحمد من مسميّه، سواء قصد مسميّه ذلك أو لم يقصده؛ فإن الاسم محمد، ومحمد ضد مذمم، فمن سمّاه بمجرد اسمه مدحه وحمده ومجّده طوعاً وكرهاً.

ب/٣

وإننا معشر المسلمين لا نذكر نبيّاً من الأنبياء ولا نسمع بذكره إلا ونصلي عليه ونسلم[(١)]، ونمجّد الرب تعالى بذكر أسمائه المقدسة عن مزاحمة اشتراك الأسماء المتخلق بها العباد في التسمية[(٢)]، كالاسم الذي افتتحتم به رسالتكم، وهو قولكم: (باسم

---

(١) الصلاة على نبينا محمد ﷺ اختلف العلماء في حكمها، مع إجماعهم على مشروعيتها، قال ابن حجر في فتح الباري ١١/١٨٣: (أما حكمها فحاصل ما وقفت عليها عشرة أقوال) ثم ساقها. وحاصل الأقوال: أنها تجب في مواضع كالتشهد الأخير في الصلاة، وتتأكد في مواضع كيوم الجمعة، وتستحب مطلقاً حسب الطاقة. ينظر: الشفا للقاضي عياض ٣/٤٤٦، والتمهيد لابن عبد البر ١٦/١٩١، والمغني لابن قدامة ١/٥٧٩. وكذلك يستحب الصلاة والسلام على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال ابن القيم: (وقد حكى غير واحد الإجماع على أن الصلاة على جميع النبيين مشروعة، منهم الشيخ محيي الدين النووي وغيره) جلاء الأفهام ص: ٥٤٥ ت: النشيري، وينظر: الأذكار للنووي ص: ٩٩ ت: الأرناؤوط.

(٢) أسماء الله تعالى توقيفية، ولا يسمّى سبحانه إلا بما سمّى به نفسه، في كتابه أو سنة نبيه ﷺ، وأسماؤه سبحانه على قسمين:

الأول: ما كان مختصّاً به سبحانه، كلفظ الجلالة (الله) أو الرحمن ونحوه، فلا يجوز تسمية غيره به، لأنه لا يقبل الشركة.

الإله الناطق)[١]. والنطق إن أردتم به العلم والإدراك، أو الكلام النفساني، أو الكلام اللساني، أو المسموع من المتكلم بأدوات جسمية أو غير جسمية، فإنه اسم مشترك، وليس من الأسماء المقدسة الحسنى[٢].

٤/أ

وما مثلنا نحن وأنتم وسائر المليّين في تمجيدنا / للرسل والأنبياء عليهم السلام إلا كمثل من يمدح الشمس فيقول: إنها مشرقة الضياء نيّرة. سواء قال ذلك أو لم يقله فإن الشمس في عزها أغنى عن قوله. وإنما تمجيدنا وصلاتنا وسلامنا على الأنبياء شرف لنا في الدنيا والآخرة[٣]، وسيّما[٤] السيّد المسيح المهجور ذكره من النصارى الغالين فيه، ومن اليهود القالين له، إذ هؤلاء يقولون عند ذكره: له منا السجود.

والثاني: ما كان من الأسماء له معنى كلّي تتفاوت أفراده، كالملك والجبّار والعزيز والرحيم ونحوها، فهذا يجوز إطلاقه على الله وعلى غيره، وهو مختص فيما أضيف إليه، فإذا أضيف إلى الله اختص به بما يليق به سبحانه من الكمال والجلال، وإذا أضيف إلى المخلوق اختص به بما يليق به من النقص والضعف. ينظر: تفسير ابن كثير ٣٦/١، مجموع فتاوى ابن تيمية ٩٧/١٢، بدائع الفوائد لابن القيم ١٤٩/١.

(١) كما في مخطوطة رسالة النصارى النسخة ٣، وهذا يرجح أن المؤلف اطلع عليها دون غيرها.

(٢) (الناطق) ليس من الأسماء الحسنى المقدّسة؛ لأنه لم يرد في الكتاب والسنة، وليس لكونه مشتركاً، بل جعله مشتركاً وأنه يدل على العلم والإدراك أو الكلام النفسي ... إلخ غير مسلم به، فإن النطق: هو الصوت المسموع، والصوت في حق الباري سبحانه لا يماثله شيء، ولا يطلق النطق على العلم أو الكلام النفسي إلا مقيداً بما يدل عليه. ينظر: التسعينية لابن تيمية ٩٥١/٣، مجموع الفتاوى ٢٩٦/٦، شرح المواقف للجرجاني ١٠٣/٨، شرح النونية لابن عيسى ٢٧٩/١.

(٣) ذكر ابن القيم أربعين فائدة من فوائد الصلاة على النبي ﷺ في جلاء الأفهام ص: ٦١٢.

(٤) كذا في الأصل. وأكثر أهل اللغة على منع حذف (لا) من (لا سيّما)، قال أبو حيان في الارتشاف ١٥٥٢/٣: (وحذف (لا) من (لا سِيَّما) إنما يوجد في كلام الأدباء الْمُوَلَّدِين، لا في كلام مَنْ يُحْتَجُّ بكلامه). وأجازه الرضيّ في شرحه للكافية ٧٩٣/٢. وسيأتي الحذف في مواضع أخرى.

وهؤلاء لا يذكرونه إلا بالسوء وبالجحود[١]. فإنا نصلي عليه ونسلم، ونقول فيه ما قال ربنا عز وجل: ﴿ٹ ٹ ڈ ڈ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ﴾ الآية[٢].

وأما عدم اللحاق بذوي الألباب الذين أوحى الله إليهم وحيه وأسمعهم كلامه بألسنة رسله فآمنوا به وبكتبه وبرسله: فلكونكم زعمتم أن ظهور سيدنا محمد ﷺ كان بغتة، مفاجأة للناس من غير أن يبشر به نبي متقدم، ولا رسول من الرسل، ولا هتفت بنعته الجانّ، وسجعت بوصفه الكهان[٣]، ولا كان اسمه ونعته مكتوباً في التوراة في / سبعة[٤] مواضع، وفي الإنجيل مثل ذلك[٥].

---

(١) رفع النصارى المسيح فوق قدره حتى صرفوا له العبادة من دون الله، ولم ينزلوه المنزلة التي يستحقها بكونه رسول الله وكلمته، ثم أهانوه بالصفات التي نسبوها إليه من الصلب والذل ونحوه. ينظر: هداية الحيارى لابن القيم ص: ٣٤٢. بينما وصف اليهود المسيح عليه السلام بأبشع الصفات، كقولهم عنه: إنه ابن زنى، وساحر، كذّاب. ينظر مثلاً: إنجيل يوحنا ٨/٤١ وفيه: (إننا لم نولد من زنى، لنا أب واحد هو الله) تعريضاً بالمسيح، وانظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود ص: ١٠٥، فضح التلمود للأب. برانايتس، ترجمة: زهدي الفاتح ص: ٥٥، موقف اليهود والنصارى من المسيح د. سارة العبادي.

(٢) سورة النساء: آية ١٧١.

(٣) الكهان: جمع كاهن، وهو: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار، وقد كان في العرب كهنة يتحاكمون إليهم، ومنهم من يزعم أن له رئيّاً من الجن يلقي إليه الأخبار، ومنهم من يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات يستدل بها. ينظر: النهاية لابن الأثير ٤/٢١٤. وقد هتفت الجانّ بخبر بعثة النبي ﷺ ، وأخبرت بذلك الكهّان، وقد جمع العلماء أخبارهم كما في: كتاب هواتف الجانّ للخرائطي، وكتاب الهواتف لابن أبي الدنيا، أو في كتب السيرة ودلائل النبوة.

(٤) في الأصل (سبع) وهو غلط.

(٥) ذكر المؤلف اثنتي عشرة بشارة، وهي أكثر من ذلك، مع ما في نسخ التوراة والإنجيل المتداولة من التحريف، وقد أشار ابن تيمية رحمه الله إلى خمسة أوجه لمعرفة البشارة بالنبي ﷺ ، وهي:

الأول: ما ذكر في كتبهم، وهو كثير. والثاني: إخبار من وقف على كتبهم، ممن أسلم أو لم يسلم، بذكره ﷺ فيها. والثالث: إخباره ﷺ أنه مذكور في كتبهم في القرآن والسنة. والرابع: أعلام نبوته ﷺ مع إخباره بأنه مذكور في الكتب المتقدمة تدل على صحة البشارات.

ب/٤

مع أنكم واليهود تقرؤون يومنا هذا في التوراة ما ترجمته بالعربية: (جاء الله من

والخامس: ما في الكتب السابقة من البشارة من الأحداث المستقبلية وأهمها نبي عظيم يخرج في آخر الزمان، ولا يكون إلا هو ﷺ . وقال: (والطريق الأول هو من أظهر الحجج على أهل الكتاب، وأظهر الأعلام على نبوته ﷺ). ينظر: الجواب الصحيح ١٨٧/٥، وهداية الحيارى ص: ٤١٤ ت: د. الحاج. ولعلماء المسلمين جهود كثيرة في إبراز ما في التوراة والإنجيل من التبشير بالنبي ﷺ تفسيراً لقوله تعالى: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ) سورة الأعراف: آية ١٥٧.

في هامش الأصل عند كل بشارة كلام باللاتينية بخط مغاير ومتأخر في الزمن، كأنه توضيحات وترجمة.

سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلى بجبال فاران)[١] وتعلمون أن المراد بسيناء[٢]: موسى والتوراة، فإن سيناء طور المخاطبة، وأن المراد بساعير[٣]: المسيح والإنجيل، إذ ساعير مدينة الناصرة موضع البشارة بالمسيح، وأن المراد بجبال فاران[٤]: محمد والقرآن، فإن فاران مكة، وجبال فاران جبال الحجاز.

---

(١) سفر التثنية: ٢/٣٣. وهذه البشارة نظير قوله تعالى في سورة التين: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ) ينظر في تفسيرها ورد الشبهات حولها: الجواب الصحيح ٢٠٠/٥ – ٢١٠، تخجيل من حرف الإنجيل للجعفري ٦٥٤/٢.

(٢) سيناء: اسم موضع في شبه جزيرة سيناء يضاف إليه الطور (الجبل) فيقال: طور سيناء، ويسمّى: حوريب، وهو الموضع الذي كلّم الله فيه موسى عليه السلام، واختلف الكتّاب النصارى في تحديده، فقيل: هو في وادي فيران. وقيل: هو جبل موسى. وقال البلادي في معجم المعالم الجغرافية ص: ١٨٩: (هو جبل ما زال معروفاً، إذا وقفت في آخر شمال الحجاز رأيته شامخاً، ليس بينك وبينه غير خليج العقبة، وبه بلدة عامرة تسمى: الطور) وينظر: قاموس الكتاب المقدس ص: ٤٩٧، ودائرة المعارف الكتابية (مادة: جبل سيناء).

(٣) ساعير: (سعير) اسم لجبال فلسطين، واسم لقرية من قرى الناصرة بين عكا وطبرية، وفي قاموس الكتاب المقدس ص: ٤٦٦ ما يدل على أنها جنوب البحر الميّت جنوب فلسطين. ينظر: معجم البلدان ١٧١/١، نخبة الدهر للمؤلف ص: ٢١٢.

(٤) فاران: كلمة عبرانية بمعنى: الجبل المغور، وقيل: المزيّن، وقيل: الظليل. وهو اسم لمكة أو لجبالها، أو لجبال الحجاز كلها، وفي قاموس الكتاب المقدس ص: ٦٦٧: أنها بين سيناء وسعير بوادي فيران. وهو موضع معروف لكن تفسير نصوص التوراة به غلط بيّن. ويرده ما جاء في التوراة: أن إسماعيل سكن في بريّة فاران كما في سفر التكوين ٢١/٢١. قال ابن قتيبة: ليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة، فإن ادّعوا أنها غير مكة فليس ينكر ذلك من تحريفهم وإفكهم) نقله ابن تيمية في الجواب الصحيح ٢٠٠/٥. وينظر: إفحام اليهود للسموءل ت: الشرقاوي ص: ٦٠، ١١٨، معجم البلدان ٢٢٥/٤، البحث الصريح للشيخ زيادة الراسي ت: د. الخلف ص: ٢٢٥.

وكذلك تقرؤون أنتم واليهود في التوراة ما ترجمته: (قال الله لموسى: قل لهم – يعني: بني إسرائيل –: نبي يقيمه الله لكم من إخوتكم مثلي، ويجعل الله كلامه في فيه)[١]، ويعلمون أن بني إسرائيل ليس لهم إخوة إلا بنو إسماعيل[٢]، ولم يقم في بني إسماعيل وبني قيدر[٣] قائم بناموس[٤] عام وشريعة عظمى مثل موسى غيرُ محمد، ولما كان في التوراة أنه لا يأتي في بني إسرائيل نبي مثل موسى[٥] قال الله: (أقيم نبيّاً من إخوتكم) ولم يقل: (منكم) لئلا يتناقض القول، فكان نبينا القائم من بني إسماعيل، وكان كلام الله في فيه / يقوله قولاً[٦]، وهو أمي: لا تعلّم ولا كتب ولا سافر؛ ٥/أ

---

(١) سفر التثنية: ١٨/ ١٨، ١٩ والنص فيه (فانديك): (أقيم لهم نبيّاً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه). كما وردت هذه البشارة على لسان بطرس الحواري كما في أعمال الرسل: ٢٢/٣. وانظر نموذج تحريف النصارى لهذه البشارة في: إظهار الحق ١١٢٨/٤.

(٢) في الأصل (بني) والصواب (بنو).

(٣) قيدر: (بالدال المهملة والمعجمة، وقيدار) قال السهيلي: (تفسيره: صاحب الإبل) وروي وجه آخر: بمعنى الملك. كما في الروض الأنف ٣١/١، ٤١. وفي قاموس الكتاب المقدس ص: ٧٥١ بمعنى: أسود. وهو من أبناء إسماعيل عليه السلام، وهو جدّ العرب، وأرضهم تسمى: أرض قيدار. كما في سفر التكوين ١٢/٢٥ وسفر أشعياء: ١١/٤٢، وفي سفر أرميا: ٢/ ١٠ ما يدلّ على أن بني قيدار (العرب) كانوا على التوحيد ملة إبراهيم، وهذا يوافق ما في صحيح البخاري رقم (٢٤٨٤) وغيره: أن أول من غير ملة إبراهيم عمرو بن لحي في عصر كنانة. ينظر: تأريخ الطبري ١٩٣/٢، المفصل في تأريخ العرب لجواد علي ٩١/٢.

(٤) ناموس: اسم يوناني بمعنى: شريعة أو قانون. وقد يخص بشريعة موسى عليه السلام، قاموس الكتاب المقدس (مادة: ناموس) وفي اللغة العربية: الناموس: صاحب السر، وما يستتر به. معجم مقاييس اللغة ٤٨١/٥، صحيح البخاري رقم (٣٢١٢).

(٥) جاء في سفر التثنية: ٣٤ /١٠: (ولم يقم من بعدُ في بني إسرائيل نبي كموسى. . .) وقد ذكر رحمت الله في: إظهار الحق ١١٢٢/٤ عشرين وجهاً في المماثلة بين نبينا محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام، ومصداقه في قوله تعالى: (ۓ ۓ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ۇ ۇ ۈ ۈ ۉ) المزمل: آية ١٥.

(٦) ذكر رحمت الله الهندي عشرة أوجه تبين مطابقة هذه البشارة لحال نبينا محمد ﷺ في إظهار الحق ١١١٦/٤.

فيظنّ الظانّ أنه تعلّم في السفر[١].

وكذلك في التوراة أيضاً ما ترجمته: (قال الله لإسماعيل: سمعتك[٢]، ها أنا نمّيْته وباركته، وجعلته لأمة عظيمة، مُذمَذ، يولد اثني عشر شريفاً)[٣] وأنتم واليهود تعلمون: أنه لم ينمَّ ويبارك ويبعث للأمة العظيمة ويولد اثني عشر شريفاً سوى محمد، والمسمى مُذمَذ[٤] والمبارك جِدّاً جِدّاً ﷺ .

---

(١) لم يسافر ﷺ للتعلم قط، وإنما سافر قبل بعثته مرتين: في صحبة عمه أبي طالب وهو صغير، وللتجارة وهو شاب لم يبلغ الثلاثين، ولم يكن يفارق صَحبه في سفره. ينظر: الجواب الصحيح ٤٠٠/١، وأما بعد بعثته فكثير، قال ابن القيم: (كانت أسفاره ﷺ دائرةً بين أربعة أسفار: سفره لهجرته، وسفره للجهاد وهو أكثرها، وسفره للعمرة، وسفره للحج) زاد المعاد ٤٦٢/١.

(٢) في الأصل: سمعتد.

(٣) سفر التكوين: ٢٠/١٧ والنص فيه (الكاثوليكية): (وأما إسماعيل فقد سمعت قولك فيه. وها أنا ذا أباركه وأنميه وأكثره جدّاً جدّاً، ويلد اثني عشر رئيساً، وأجعله أمة عظيمة). وفي ترجمة (فانديك): (وأكثره كثيراً جداً)، وتكثير نسل إسماعيل عليه السلام ومباركته ذكر في أكثر من موضع في التوراة مثل: سفر التكوين: ٩/١٦، ١٧/٢١.

(٤) على هامش الأصل تعليق بخط مغاير بالتالي: (مع أن عدده بالعبراني ٩٢، فهو يطابق عدد محمد ﷺ)

مذمذ: كلمة عبرانية، وردت في بعض المصادر العربية: بماد ماد، ومؤدمؤد (بوزن عمر)، ومئذمئذ (بكسر الميم والهمزة). قال ابن القيم في هداية الحيارى ص: ٣٣٥: (اختلف في معناها علماء أهل الكتاب، فطائفة تقول: معناها جدّاً جدّاً، أي: كثيراً كثيراً ... وقالت طائفة أخرى: بل هي صريح اسم محمد، ويدل عليه: أن الألفاظ العبرانية قريبة من العربية) واختار المهتدي السموءل في كتابه إفحام اليهود ص: ١١٥: أنها بمعنى: جدّاً جدّاً، وأنها دالة على محمد بحساب الجمل. وقال القاضي عياض في الشفا ٢٣٤/١: ومن أسمائه ﷺ في الكتب السالفة ماذماذ ومعناه: طيب طيب) وينظر: الأعلام للقرطبي ص: ٢٦٥، تخجيل من حرف الإنجيل ٦٥٢/٢، الجواب الصحيح ٢١٩/٥، إظهار الحق ١١٣٦/٤، وينظر شهادة المؤرخ ابن العبري المسيحي لهذه النبوءة في: تأريخ مختصر الدول ص: ٢٣.

وكذلك جاء في السفر الخامس من التوراة ما ترجمته: (قال الله لموسى: سأقيم لبني إسرائيل نبيّاً مثلك، فليسمعوا له ويطيعوه، ومن خالفه فإني أعاقبه وأعرض عنه)[١] وهذا يقرؤه السامرة[٢] واليهود، وتعلمونه أنتم، وأنه ما جعله في آخر التوراة إلا للتوكيد والعهد[٣]، ولم يأت مثل موسى سوى محمد ﷺ .

ومما جاء من وصفه والتبشير به من المسيح عليه السلام: قوله في الأناجيل الأربعة للتلاميذ ليلة الفصح[٤] ما معناه: (إني ذاهب عنكم وخير لكم أن أذهب، لأن البارقليطس يرسله الله إليكم)[١] (يعلمكم كل شيء)[٢]

ب/٥

(١) سفر التثنية: ١٨/ ١٥ (الكاثوليكية): (يقيم لك الرب إلهك نبيّاً مثلك من وسطك، من إخوتك، فله تسمعون) وفي فقرة ١٩: (وأي رجل لم بسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي فإني أحاسبه عليه). وفي التوراة السامرية: (فأنا أطالبه). انظر: التعليق على البشارة ما قبل السابقة.

(٢) السامرة: اسم عبراني بمعنى: مركز الحارس، وأصلها: نسبة إلى مدينة السامرة (القديمة) وقامت على أنقاضها مدينة نابلس، وهي المملكة الشمالية حين انقسام مملكة إسرائيل، ومن فرق اليهود، ويعرفون أيضاً باسم: الشكيميين نسبة إلى بلدة شكيم، وهم جيل توالد في السبي الآشوري، ولذا يحتقرهم اليهود، واتهموا المسيح بأنه سامري لذلك كما في يوحنا: ٤٨/٨، والسامريون يبطلون نبوة غير موسى عليه السلام، ولا يؤمنون بغير توراتهم (الأسفار الخمسة وسفري يوشع والقضاة) ويعظمون جبل جرزيم ويتوجهون إليه. وهم الآن جماعات قليلة. ينظر: الفصل لابن حزم ٨٢/١، دائرة المعارف اليهودية ٧٢٥/١٤، قاموس الكتاب المقدس ص: ٢٥٨، مقدمة د. السقا للتوراة السامرية .

(٣) أي: في سفر التثنية. وهو آخر الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى عليه السلام، وفيه تأكيد لخضوع أهل الكتاب للتعاليم و الوصايا الواردة في سفر الخروج: ٢٠. ينظر: مقدمة سفر التثنية في طبعة دار المشرق في بيروت للكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية (مادة: الأسفار الخمسة).

(٤) الفصح: عيد النصارى بعد الصيام الكبير، ذكرى لقيام المسيح بعد الصلب، يقع بين (٢٢/ مارس - ٢٥/ أبريل) على خلاف بين كنائسهم فيه، وهو عند اليهود ذكرى خروجهم من مصر، ويقع في ١٥/ نيسان، وعيد الفصح يعتمد التقويم العبري لذا هو ثابت عند اليهود دون النصارى. ينظر: تاريخ الطبري ٧٣٥/١، هداية الحيارى ص: ٥٥٦، مجموعة الشرع الكنسي للنصراني حنانيا إلياس ص: ١١٥.

والبارقليطس / معناه: الرسول[٣].

وقال أيضاً ما ترجمته: (إذا أنا ذهبت فإن أركون العالم يأتي إليكم)[١] (يوبّخ العالم على العدل، وعلى الخطيئة من أجلي، وعلى الحكم)[٢] ولم يأت بعد المسيح من وبّخ العالم على هذه الثلاثة وكان أركون العالم سوى محمد ﷺ [٣].

---

(١) إنجيل يوحنا: ٧/١٦. ولكن لفظ (البارقلطيس) أبدل إلى (المعزى) أو (المؤيد) ونحوهما، وهذا من التحريف والتبديل، فإن لفظ (البارقليط) نقله الأثبات من علماء المسلمين والنصارى، ولا يزال محققوهم يعلمون التبديل، كما في شهادة من أسلم منهم ك عبد الله الترجمان (أنسلم تورميدا)، وهي سبب إسلامه كما في كتابه: تحفة الأريب ص: ٤٢، وعبد الأحد داود في كتابه: محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى ص: ١٩٤ وفي طبعات الأناجيل المعربة القديمة كنسخة لندن ١٨٣١ م يوجد لفظ البارقليط، كما أشار إلى ذلك رحمت الله الهندي في إظهار الحق ١١٨٥/٤، وقد أشار شيخنا د. محمود قدح، في تحقيقه لكتاب: تخجيل من حرف الإنجيل ٧٠٣/٢، إلى اطلاعه على مخطوط للإنجيل في إسطنبول يحتوي على هذا اللفظ. وسواء ثبت لفظ البارقليط أو المعزى أو المؤيد فإن الصفات الواردة معه تدل على صفات نبينا محمد ﷺ . ينظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم لموريس ص: ١٨١، بيركليت اسم نبي الإسلام د. السقا ص: ٢٦.

(٢) إنجيل يوحنا: ٢٦/١٤.

(٣) البارقليطس: كلمة يونانية وأصلها (periqlutos) وجرى لها تحريفات، ومعناها: الحمد أو المحمود أو حسن الذكر، وعلماء أهل الكتاب مختلفون في إثبات لفظها وتفسير معناها، وحاصل أقوالهم في معناها: المخلّص، أو المعزّى، أو الحمّاد، أو المحامي، أو الشفيع. والأكثرون على الأول، وهذه الأقوال لا تخرج النص عن كونه بشارة بنبينا محمد ﷺ ، وقد ذكر رحمت الله الهندي ثلاثة عشر وجهاً في انطباقها عليه ﷺ في إظهار الحق ١١٩١/٤، وينظر: تخجيل من حرف الإنجيل ٧٠٢/٢، الجواب الصحيح ٢٨٧/٥، الأجوبة الفاخرة للقرافي ص: ٤٢٤، الجواب الفسيح للآلوسي ٢٧٧/١، محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى لعبد الأحد ص: ١٩٤.

في هامش الأصل كتب بخط مغاير بتوقيع كاتب التعليق السابق عبارة، وهي: (فيه بحث، يا ليته لم يكتب هذا حتى لا يضحكون النصارى الكلاب). لعله ظن أن لا حجة في هذا اللفظ على النصارى.

وقال المسيح أيضاً ما معناه: (حق حق أقول لكم أن البارقليط الآتي بعدي ينبثق من فيه روح الحق، ويوبخ العالم لكونهم اتخذوني هزؤاً أو بغضوني مجاناً، فاسمعوا له وأطيعوا)[٤].

---

(١) إنجيل يوحنا: ١٤/ ٣٠، ولكن ورد بلفظ (رئيس) كما في ترجمة فانديك مثلاً، أو (سيد) كما في الترجمة الكاثوليكية.

(٢) إنجيل يوحنا: ٨/١٦ والنص فيه (المشتركة): (ومتى جاء وبخ العالم على الخطيئة، والبر، والدينونة) وفي بعض النسخ (يبكت) و (أخزى) بدل (وبخ)، وينظر: إظهار الحق ١١٩٥/٤.

(٣) التوبيخ على الثلاثة فسر في النص بعده: ٩/١٦ – ١١ (أما على الخطيئة فلأنهم لا يؤمنون بي، وأما على البر فلأني ذاهب إلى الآب ولن تروني، وأما على الدينونة فلأن سيد هذا العالم أدين وحكم عليه) فالتوبيخ للعالم أجمع دليل على عموم رسالة النبي ﷺ ، ومعنى التوبيخ على الخطيئة: بالتحذير من الشرك والمعاصي، وقد جاء نبينا ﷺ بالتحذير منها، والتوبيخ على البر: على عدم الإيمان بالنبي ﷺ وقيل: سيوبخ القائلين بصلبه، المنكرين لنجاته، والتوبيخ على الدّينونة: بفضح رئيس العالم الشيطان وكشف ألاعيبه، والدينونة: من الديّان بمعنى الحكم على الناس ومحاسبتهم، والنصارى يزعمون أن الله أوكل للمسيح الحكم على الناس وحسابهم. ينظر: التخجيل ٧١١/٢، الجواب الصحيح ٢٩٢/٥، محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى لعبد الأحد ص: ٢٠١، البشارة بنبي الإسلام د. السقا ٢٨٦/٢، محاضرات في النصرانية ص: ١٠٠.

وأما الأركون فمعناه: العظيم القدر، ووصف النبي ﷺ في سفر إشعياء ٥/٩ بـ (أركون السلام). ينظر: التخجيل ٦٧٥/٢، ٧١٤، الجواب الصحيح ٣٠٥/٥، هداية الحيارى ص: ٣٤٠ وفيه تفصيل ومقارنة بما ورد في السنة النبوية.

(٤) إنجيل يوحنا: ١٥/ ٢٥ – ٢٦ بلفظ مقارب وفيه تقديم وتأخير والنص فيه (فانديك): (إنهم أبغضوني بلا سبب، ومتى جاء المعزى الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق، الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضاً) وفي يوحنا: ١٣/١٦ (فانديك): (لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به). وانظر: التعليق السابق على البشارة ما قبل السابقة.

وقال المسيح أيضاً حين كان ماراً ببيت عيانا[١] وسأله رئيسها قائلاً: أنت إيليّا[٢] أو أكمد؟ فقال: (لست إيليّا ولا أكمد، وإنما أنا ابن للبشر الوحيد)[٣] وأنتم

---

(١) بيت عيانا: (بيت عينا) يطلق في الإنجيل على مكانين، أحدهما: قرية صغيرة جنوب شرق بيت المقدس، تعرف الآن بالعازرية، وفيها بيت لعازر كان يتردد عليه المسيح في آخر حياته كما في إنجيل متى: ١٧/٢١ ويوحنا: ١٨/١١، والثاني: في عبر الأردنّ حيث كان يوحنا المعمداني (شرق نهر الأردنّ الآن)، ولهذا يرى بعض علماء النصارى أن ذكر بيت عينا غلط أو سهو من الناسخ، وإن كان هو المشهور في كثير من نسخ إنجيل يوحنا، وأن الصواب هو بيت عبرة، المعروفة في عبر الأردن. وأن المكان الثاني غلط ولا يستقيم مع رحلات المسيح عليه السلام. ينظر: قاموس جورج للكتاب المقدس ٢٦٧/١، دائرة المعارف الكتابية (مادة: بيت عبرة) تفسير إنجيل يوحنا للأب متى المسكين ١٣٦/٢.

(٢) في الأصل كتبت في الموضعين: (أالوليا).

(٣) إنجيل يوحنا: ١٩/١ - ٢٨، ولكن لم يذكر (أكمد) بل ذكر بدلها (النبي)، والقائل يوحنا المعمداني (يحيى) وليس المسيح عليهما السلام، والنص فيه (الكاثوليكية): (وهذه شهادة يوحنا، إذ أرسل إليه اليهود من أورشليم بعض الكهنة واللاويين يسألونه: من أنت؟ فاعترف ولم ينكر، اعترف: لست المسيح. فسألوه: من أنت إذاً؟ أأنت إيليا؟ قال: لست إياه. أأنت النبي؟ أجاب: لا! فقالوا له: من أنت فنحمل الجواب إلى الذين أرسلونا؟ ماذا تقول في نفسك؟ قال: أنا صوت مناد في البرية: قوموا طريق الرب. كما قال النبي أشعيا، وكان المرسلون من الفريسيين، فسألوه أيضاً: إذا لم تكن المسيح ولا إيليا ولا النبي، فلم تعمد إذاً؟ أجابهم يوحنا: أنا أعمد في الماء، وبينكم من لا تعرفونه، ذاك الآتي بعدي، من لست أهلاً لأن أفك رباط حذائه، وجرى ذلك في بيت عينا عبر الأردن، حيث كان يوحنا يعمد) وهذا النص يبطل قول النصارى إن المراد بـ (إيليا المنتظر) هو يوحنا المعمداني، لأن يوحنا نفى ذلك عن نفسه، ولأن إيليا يأتي بعد ذلك، ويوحنا في عصر المسيح وقبله. وانظر في البشارة بنبي آتٍ يسمى (إيليّا) في: إنجيلي متى: ١٥/١١، ١٠/١٧ ومرقس: ١٢/٩، وهو غير إيليا (إلياس) النبي في بني إسرائيل في القرن التاسع ق. م. وانظر: محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى ص: ١٤٩، والبشارة بنبي الإسلام د. السقا ٣٧٠/٢ وأشار إلى أن (إيليّا) تدل على (أحمد) في حساب الجمل.

تعلمون أن أكمد: أحمد باللغة اللاتينية[١]، فإن حرف الحاء لا يوجد فيها. وهذا معنى ما جاء في كتابنا من قول المسيح: (ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ)[٢].

ومما جاء في وصفه ﷺ في المزامير وكتب النبوات[٣] التي تقرؤونها وتصدّقون بها:

قول داود عليه السلام[٤] الذي معناه بالعربية: (اللهم أيد عبدك / الذي جعلته ملكاً ونبيّاً مباركاً، كالشمس نوراً، وكالمطر رحمة، وكالبحر علماً، تأتي[٥] به من الأمة الوحشية، يملأ الأرض علماً وعدلاً، بيده السيف ذو الحدين[٦]، وكلامك الحق في فمه، يدعى الأمين في بني قيدر، تخرّ له ملوك سبأ، تهدي إليه ملوك الحبشة هدايا من

٦/أ

(١) في الأصل (اللاتيه).

(٢) سورة الصف: آية ٦.

(٣) المزامير: وفي العبرية يسمى: تهاليم، أحد الأسفار اليهودية المعروفة بالأناشيد أو الكتابات، ويغلب عليها الطابع الأدبي في الحكم والمواعظ، وهي خمسة أقسام، وعددها مائة وخمسون مزموراً، أغلبها منسوب إلى داود عليه السلام، وبعضها لمؤلفين معروفين كسليمان وآساف وموسى، ومنها ما هو مجهول المؤلف ويسمّونها: المزامير اليتيمة. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: مزمور) ص: ٥١٣. ولهذا لا يصح تفسير الزبور المذكور في القرآن الكريم بأنه المزامير. وإنما داود عليه السلام أوتي زبوراً (قطعاً من الكتب)، لا أن الزبور هو المزامير المعروفة المحرّفة، وقد أشار ابن تيمية في الجواب الصحيح ٥٠/٣ إلى أنه اطلع على نسخة من الزبور فيها تصريح بنبوة محمد ﷺ ، واطلع على نسخة أخرى ليس فيها شيء من ذلك.

وكتب النبوات: هي أسفار الأنبياء، وهي قسمان: الأنبياء المتقدمون (الكبار)، والمتأخرون (الصغار). ينظر: المدخل إلى الكتاب المقدس حبيب سعيد ص: ٩١، اليهودية د. شلبي ص: ٢٣٨.

(٤) داود: اسم عبري بمعنى: محبوب، وهو ابن يسي (إيشي)، من أنبياء بني إسرائيل وثاني ملوكهم، ووردت سيرته في سفر صموئيل الأول وسفر الملوك الأول، ولم يقدّره كتبة الأسفار فنسبوا إليه ارتكاب الفواحش (حاشاه) ينظر: قاموس الكتاب المقدس ص: ٣٦١، وقد ورد ذكره في القرآن في ١٦ موضعاً، ووصفه الله بالعلم والحكمة والحكم والأوبة. ينظر: تاريخ الطبري ٣٣٦/١.

(٥) في الأصل: (يأتي).

(٦) في الأصل (ذا الحدين).

الجزائر، يسبّح الله بالتسبيحة الجديدة، يدعو إلى الله وحده لا شريك له، يكون نوره في الأرض كضياء الشمس والقمر، طوبى لبيت الرب المسكينة المضطهدة يطهّرها من كل الأنجاس، ولا تبقي عليها صنماً، طوبى لك يا يثربا، يقوم مجدك به إلى دهر الداهرين، آمين)[١] وهذه بمجموعها صفات نبينا ونعوته.

---

(١) المزامير، مزمور: ٧٢ /١ – ١٩، بلفظ مشابه، والنص فيه (فانديك): (اللهم أعط أحكامك للملك وبرّك لابن الملك، يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحق. . . ينزل مثل المطر على الجزاز، ومثل الغيوث الذارفة على الأرض، يشرق في أيامه الصديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر، ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض، أمامه تجثو أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب، ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة، ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية، ويسجد له كل الملوك، كل الأمم تتعبد له، لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين له. . . ومبارك اسم مجده إلى الدهر ولتمتلئ الأرض كلها من مجده. آمين ثم آمين). ملوك ترشيش: ملوك شعوب البحر المتوسط كما يظهر من دائرة المعارف الكتابية (مادة: ترشيش)، والجزائر: ذكر ابن تيمية المراد: جزيرة العرب، والجزيرة التي بين الفرات ودجلة، وجزيرة قبرص، وجزيرة أهل الأندلس، وملوك شبا: الحبشة أو بمعنى سبأ، كما في دائرة المعارف الكتابية (مادتي: شبا، سبا).

وفي مزمور: ١٤٩ / ٥: (تنويهات الله في أفواههم، وسيف ذو حدين في يدهم) قال القرافي في الأجوبة الفاخرة ص: ١٧٠: (والسيوف العربية ذوات شفرتين، والعجمية لها شفرة واحدة).

وفي سفر إشعياء: ٤٢/١٠ – ١٢: (غنّوا للرب أغنية جديدة، تسبيحة من أقصى الأرض. أيها المنحدرون في البحر وملئه والجزائر وسكانها. لترفع البريّة ومدنها صوتها والديار التي سكنها قيدار، لتترنم سكان سالع، من رؤوس الجبال ليهتفوا. ليعطوا الرب مجداً، ويخبروا بتسبيحه في الجزائر). وقد نقل الآلوسي في الجواب الفسيح هذه البشارة من طبعتين في زمانه وقارنهما بنقل القرافي في الأجوبة الفاخرة ليبين مدى التحريف في الأناجيل. والمراد بالديار التي سكنها قيدار: أرض مكة، كما في سفر التكوين ١٢/٢٥ وسفر أشعياء: ١١/٤٢، وسالع: (سلع) جبل صغير شمال غرب المسجد النبوي في المدينة المنورة، كما في معجم البلدان ٢٣٦/٣، وليس كما يزعم قاموس الكتاب المقدس (مادة: سلع): أنها يحتمل أن تكون في سفح جبل هور، بين أريحا وجبل سينا، مدينة البتراء في الأردنّ؛ لأن سياق النص وارد في أرض قيدار (أرض العرب). ينظر في شرح

وبيت الرب: مكة[١]، ويثربا: أرض مدينته ﷺ التي هاجر إليها[٢]، وسبأ: بلدة باليمن[٣]، ولم يقم في اليمن وجزيرة العرب قائم دعا إلى الله تعالى وملأ الأرض علوماً وعدلاً، وخرّت له ملوك الحبشة[٤] طائعة وملوك سبأ والعرب العرباء، وطهّر الكعبة من الأصنام والشرك، وأخلى جزيرة العرب / من الأصنام، ودعا إلى الإسلام عشر سنين بالقرآن والمعجزات، وثلاث[٥] عشرة سنة بالقرآن والمعجزات والسيف ذي الحدين، ومات عن مائة ألف صحابي وأربعة عشر ألف صحابي، كلهم كالتلاميذ وكأنبياء بني إسرائيل سوى نبينا محمد ﷺ[٦].

ب/٦

البشارة: الدين والدولة لابن ربن ص: ١٤٢، الأجوبة الفاخرة للقرافي ص: ١٧١، التخجيل ٦٦٣/٢، الجواب الصحيح ٢٤٦/٥.

(١) بيت الرب: يطلق في التوراة على مواضع العبادة، وأطلق على الكعبة المشرفة في مكة في مواضع، كما في سفر ميخا: ١/٤، ٢، ينظر: دائرة المعارف الكتابية (مادة: بيت الله).

(٢) يثرب: من أسماء المدينة قبل الهجرة، نسبة إلى: يثرب بن قاينة من نسل سام بن نوح، وبه عرفت في الكتابات التأريخية عند غير العرب قديماً، وسماها النبي ﷺ بطيبة وطابة، ولها أسماء أخر، مُهاجَر النبي ﷺ، ورد في فضلها أحاديث صحيحة. ينظر: معجم البلدان ٨٢/٥، المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ١١٩/٢.

(٣) سبأ: نسبة إلى عامرها: سبأ بن يشجب، بلدة في أقاصي اليمن، مدينتها: مأرب، وكان لها دولة وملوك حتى سلط الله عليهم سيل العرم، ويقسم المؤرخون ملوك سبأ إلى أربع فترات: (المكاربة، ثم السبئيين، ثم الحميرية الأولى، ثم الحميرية الثانية). ينظر: معجم البلدان ١٨١/٣، الكامل في التاريخ ١٦١/٢، دراسات في تأريخ العرب القديم د. بيومي ص: ٢٤٠.

(٤) الحبشة: أرض واسعة في القرن الأفريقي، ساحلها مقابل لبلاد اليمن، وتعرف في التوراة باسم: كوش، وهي الآن: تضم دول أثيوبيا وجيبوتي وأريتريا. وملوكها تسمى: النجاشي، ومنهم: أصحمة الذي عاصر بعثة النبي ﷺ وآمن به. ينظر: دلائل النبوة للبيهقي ٢٨٥/٢، المسالك والممالك للبكري ٣٢٦/١، دائرة المعارف الكتابية (مادة: أثيوبيا).

(٥) في الأصل (ثلاثة). وهو غلط.

(٦) سيرته ﷺ عَلَم على نبوته، فلم تخضع الملوك والشعوب له طائعة ويكثر أتباعه إلا لظهور صدقه. قال السعدي في تفسيره ص: ٤٦: (فمن عرف النبي ﷺ معرفة تامة، وعرف

وكذا قول أرميا(١) في تنبئه بالمسيح وبه صلى الله عليهما حيث يقول: (قال لي ملاك الله: قم فانظر ماذا ترى؟ فرأيت رجلاً أبيض أحمر راكباً حماراً وبين يديه شعوب شعوب وربوات ربوات. ثم قال لي ملاك الله: قم فانظر ماذا ترى ثانية؟ فنظرت فإذا رجل أسمر أحمر راكباً جملاً، كأن وجهه القمر، وبين يديه ربوات وشعوب مئين وألوف، يسبحون الله تسبيحاً جديداً، يدعون الله وحده وينادون في كل سنة بالبريّة الموحشة من رؤوس الجبال وبطون الأودية: أتيناك أتيناك. ليتني معهم، إلى دهر الداهرين)(٢) فالذي رآه أرميا أولاً هو المسيح عليه السـلام،

سيرته وهديه قبل البعثة، ونشوءه على أكمل الخصال، ثم من بعد ذلك، قد ازدادت مكارمه وأخلاقه العظيمة الباهرة للناظرين، فمن عرفها، وسبر أحواله، عرف أنها لا تكون إلا أخلاق الأنبياء الكاملين، لأنه تعالى جعل الأوصاف أكبر دليل على معرفة أصحابها وصدقهم وكذبهم) ينظر: الشفا للقاضي عياض ١/١٧٦.

(١) أرميا: اسم عبري بمعنى (الرب يؤسس)، وهو ابن حلقيا الكاهن، عاش في القرن السابع قبل الميلاد، اضطهده اليهود حتى قتلوه، ينسب إليه سفر باسمه من أسفار العهد القديم، يحتوي على (٥٢) إصحاحاً، فيه: نبوءات وشيء من تأريخ بني إسرائيل، كتبه صديقه باروخ ونسبه إليه، وفيه ما ليس منه قطعاً كالإصحاح (٥٢)، كما ينسب إليه مراثي من أسفار العهد القديم، تحتوي على (٥) إصحاحات، فيها: تأريخ خراب القدس وغزوها. كما ينسب إليه رسالة غير قانونية (الأبوكريفا). ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: إرميا) إظهار الحق ١/١٤٨.

(٢) معنى هذه البشارة ورد في سفر إشعياء: ٢١/٦ - ٨، وليس في إرميا، والنص فيه (الكاثوليكية) وقد كثر تحريفه: (قال لي السيد: اذهب فأقم الرقيب وليخبر بما يرى. فيرى ركباً، أزواج فرسان ركاب حمير وركاب جمال فيصغي إصغاء شديداً. ثم يصرخ الرقيب: إني قائم على المرصد دائماً في النهار وواقف على المحرس طول الليالي. فإذا بركب من الرجال وأزواج فرسان قد أقبلوا. ثم عاد وقال: سقطت سقطت بابل وحطمت إلى الأرض جميع منحوتات آلهتها). وهي توافق ما جاء عن النجاشي ملك الحبشة رضي الله عنه، حين بعث إليه النبي ﷺ عمرو بن أمية يدعوه إلى الإسلام، فقال: (أشهد بالله إنه للنبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وإن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة

٧/أ

والذي رآه ثانياً هو نبينا محمد ﷺ [١] / والتسبيح الجديد (أتيناك أتيناك) هو معنى قولنا في الحجّ: (لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك) . والأمة الوحشية هي العَرب العُرب العرباء والمستعربة[٢]، أهل مكة والمدينة ومن حولهما من العرب.

وكذا قول إشعيا[٣] عـــن الله تعـــــــــــــــالى يخـــــــــــــــبر

عيسى براكب الجمل، وإن العيان ليس بأشفى من الخبر) ينظر: السيرة النبوية لابن إسحاق ٦٠٧/٢، زاد المعاد لابن القيم ٦٠٣/٥.

وينظر في تتمة البشارة: سفر إشعياء: ٤٢، ٦٠ ففيه وصف لمكة والحج إليها والتسبيحة الجديدة (التلبية) قال الجعفري في التخجيل ٦٨٠/٢: (وقد أكثر أشعيا عليه السلام من ذكر محمد وأحمد ووصف أرضه وبلاده وبيته ومنازل أبيه إسماعيل، فلم يبقَ لجاحد علة ولا لمنكر ريبة).

[١] قال ابن تيمية في الجواب الصحيح ٢٥٠/٥: (ومما ينبغي أن يعرف: أن الكتب المتقدمة بشرت بالمسيح كما بشرت بمحمد ﷺ ، وأنذرت بالمسيح الدجال).

[٢] العرب ينقسمون إلى: العرب الأُول، ويسمّون: عاربة أو عُرْباء، وهم المتكلمون بالعربية ابتداءً، كعاد وثمود والعمالقة. والعرب المستعربة، وهم الداخلون في العربية بعد العجمة، كإسماعيل وأبنائه، ومنهم أهل مكة: قريش، وأهل المدينة: الأوس والخزرج. ينظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ص: ١١.

[٣] إشعياء: اسم عبري بمعنى (خلاص الرب)، وهو ابن آموص، عاش في القرن الثامن قبل الميلاد، ويعده أهل الكتاب من الأنبياء الكبار، ويلقبه النصارى بالإنجيلي لكثرة تنبؤاته بالمسيح، وهو ممن قتلته اليهود. ويُنسب إليه أحد أسفار العهد القديم، ويحتوي على (٦٦) إصحاحاً، فيه: وصايا الأنبياء لبني إسرائيل وشيء من تأريخهم. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: أشعيا). قال رحمة الله الهندي في إظهار الحق ١٥٠/١ نقلاً عن علماء النصارى قولهم: (إنه لا يمكن أن يكون الباب الأربعون وما بعده إلى الباب السادس والستين من كتاب إشعيا من تصنيفه).

عن <أمة>[١] محمد ﷺ قائلاً: (ويحجّون في كل شهر ومن سنة إلى سنة إلى بيت الله الحرام، ويقربون لله ربهم قرابين زكية نقية، وينظرون إلى الأمة الخبيثة الماردة بني إسرائيل، لا يبلى حزنها، ولا ينقطع بلاها إلى الأبد)[٢].

وقول إشعيا أيضاً: (في ذلك اليوم سأبطل السبوت والأعياد كلها، وأعطي المؤمنين بي سنة جديدة مختارة، كالسنة التي أعطيتها لموسى عبدي يوم حوريب يوم الجمع الكبير، سنة جديدة مختارة آمر بها، وأخرجها من صهيون)[٣].

---

[١] كلمة (أمة) من هامش الأصل.

[٢] ينظر معناه في: سفر إشعياء: ٦٠ /٤، ٧، ١٢ (فانديك): (قد اجتمعوا كلهم، جاؤوا إليك، يأتي بنوك من بعيد وتحمل بناتك على الأيدي. . . كل غنم قيدار تجتمع إليك، كباش نبايوت تخدمك، تصعد مقبولة على مذبحي. . . لأن الأمة والمملكة التي لا تخدمك تبيد، وخراباً تخرب الأمم) وسيأتي النص من كلام النصارى في رسالتهم في ل أ/٤٢ ص٢٢٦.

[٣] لم أجدها في إشعياء، وستأتي في نص رسالة أهل جزيرة قبرص في: ل أ/٧٠ ص٣٠٥، مما يدل على تسليمهم بها، وكما نقلها ابن تيمية في الجواب الصحيح ٤٣٢/٣. وجاء معناها في سفر إشعياء: ٢/٢، ٣ (فانديك): (ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه كل الأمم وتسير شعوب كثيرة، ويقولون: هلم نصعد إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله. لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب). وفي سفر ميخا: ٤/ ٢، وينظر: التخجيل ٦٨٩/٢.
ومصطلح (آخر الأيام) يراد به: أيام مستقبلية. وهذه الفقرات ينزلها النصارى على المسيح، وأنها تدل على نهاية شعب الله (اليهود) وظهور شريعة جديدة. ينظر: تفسير سفر إشعياء وقاموس الكتاب المقدس (مادة: إشعياء). وهذا يخالف ما جاء عن المسيح من أنه لم يأت ليبطل الناموس كما في إنجيل متّى: ٥/ ١٧، وإنما الذي جاء بالشريعة الجديدة نبينا محمد ﷺ .

ومثلها في سفر ملاخي: ٤/٤ – ٦: (اذكروا شريعة موسى عبدي التي أمرته بها في حوريب على كل إسرائيل الفرائض والأحكام. ها أنا ذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف، فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن) وشريعة موسى التي أُمر بها في حوريب يوم الاجتماع: أنه يقيم لهم نبيّاً

وهذا القول من إشعيا ليس عن المسيح، لأنه لا يقوم في بني إسرائيل مثل موسى[١]، ولأن الله تعالى قال على لسان إشعيا: (إنه يأمر بالسنة الجديدة أمراً من عنده) [٢] / وليس دين النصرانية كذلك بل هو تقنين أهل المجامع أيام قسطنطين، كما نبين بعد إن شاء الله تعالى.

ب/٧

وكثير مثل ذلك في كتب النبوات وسفر الملوك ما لو أوردته لزاد عن المقصود.

ومنه: رؤيا سنحاريب [٣] أول ملوك بابل للصنم الذي رآه، وعبّر له رؤياه دانيال النبي[٤] قائلاً: (أما رؤيا الملك رأس الصنم وعنقه من الذهب الخالص فهي دولتك

من إخوتهم، كما في سفر التثنية: ١٨/ ١٨، وسبق بيان البشارة بإيليا، والتوافق بين موسى ونبينا محمد عليهما الصلاة والسلام. وحوريب: هي سيناء، مكان تكليم الله لموسى عليه السلام. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: سيناء). وينظر: نص آخر في سفر إرميا: ٣١/٣١ – ٣٧.

[١] انظر في الفرق بين موسى وعيسى عليهما السلام: إظهار الحق ١١١٧/٤ ومما قال رحمه الله: (شريعة موسى مشتملة على الحدود والتعزيرات وأحكام الغسل والطهارات والمحرمات من المأكولات والمشروبات، بخلاف شريعة عيسى عليه السلام ...).

[٢] لم أجد هذا النص في سفر إشعياء بهذا اللفظ، وفيه ٤٢/١٠ – ١٢: (غنّوا للرب أغنية جديدة) قال رحمت الله في إظهار الحق ١١٥٧/٤: (والتسبيحة الجديدة عبارة عن العبادة على النهج الجديد التي هي في الشريعة المحمدية).

[٣] سنحاريب: اسم آكادي، ملك آشوري (٧٠٤ – ٦٨٢ ق. م) ابن عم بختنصر، سار بجيشه لبيت المقدس فأسره ملكُ بني إسرائيل حزقيا، ثم أطلقه بمشورة النبي إشعياء. ينظر: تأريخ الطبري ٥٣٢/٢، قاموس الكتاب المقدس (مادة: سنحاريب).

وقد وهم المؤلف فأسند هذه الرؤيا إلى سنحاريب وإنما هي لبختنصر الذي هو أعظم ملوك بابل وليس أولهم (٦٠٥ – ٥٦٣ ق. م).

[٤] دانيال النبي: معنى الاسم في العبرانية: الله قضى. أحد الأنبياء الكبار عند بني إسرائيل، وهو من سبط يهوذا، ويرتفع نسبه إلى داود، عاش في السبي البابلي، نال مكانة رفيعة عند بختنصر بعد تفسيره لرؤياه، وهو يُشبّه بيوسف عليه السلام في حاله وسيرته، توفي في عصر

ودولة بنيك، وأما كون صدره ويديه فضّة خالصة فهي دولة ثانية دون الدولة الأولى، وأما كون بطنه وفخذيه[١] من حديد فهي دولة شغبة عسوفة جائرة، وأما كون ساقيه وقدميه من فخّار فهي دولة تأتي باضطراب وضعف وبها انقراض دولة الفرس، وأما الحجر الذي أتى من الحجاز ودق قوائم الصنم فحطّمها وحطّم الصنم كله ونَما حتى بلغ السماء وانتشر حتى ستر الأفق فهو نبي يبعث من جزيرة العرب لا يقوم له شيء، وتنشر دعوته في مجموع الأرض، ويزول به دولة المخالفين له، يملأ الأرض عدلاً وعلماً وخيراً) [٢]

كورش ملك الفرس. وروي في أخباره آثار مرسلة. وله سفر منسوب إليه، يحتوي على (١٢) إصحاحاً، فيه: شيء من تأريخ بني إسرائيل في عصر الاضطهاد وتنبؤات مستقبلية، وأكثر المحققين من النصارى ينفون أن يكون كتبه بنفسه وإنما كتبه شخص مجهول ولا سيما الإصحاحات السبعة الأولى منه. ينظر: المصنف لابن أبي شيبة ٢٨/٨، البداية والنهاية لابن كثير ٤٢/٢، قاموس الكتاب المقدس (مادة: دانيال)، رسالة في اللاهوت لسبينوزا ص: ٣١٦.

[١] في الأصل (يداه ... فخذاه).

[٢] سفر دانيال: ٣٨/٢ – ٤٥. وقد توهم المؤلف في سياق بعض ألفاظها، ونص تعبير الرؤيا كالآتي (فانديك): (فأنت هذا الرأس من ذهب، وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك، ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتتسلط على كل الأرض، وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد لأن الحديد يدق ويسحق كل شيء. وكالحديد الذي يكسر تسحق وتكسر كل هؤلاء، وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف والبعض من حديد فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث إنك رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين، وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف فبعض المملكة يكون قويّاً والبعض قصماً، وبما رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين فإنهم يختلطون بنسل الناس ولكن لا يتلاصق هذا بذاك كما أن الحديد لا يختلط بالخزف، وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفني كل هذه الممالك وهي تثبت إلى الأبد، لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب). وقد فسر غالب أهل الكتاب

أ/٨

وهذه الرؤيا / <تعبيرها>[١] عند اليهود والفرس.

وفي كتاب الأنسيا لزرادشت[٢] الذي أخبر الفرس أيضاً في كتابه المسمى

والمسلمون الرؤيا: بأن المراد بالدولة الأولى: مملكة بابل (رأس من ذهب). والثانية: مملكة فارس (صدر وذراعان من فضة). والثالثة: مملكة اليونان (بطن وفخذان من نحاس). والرابعة: مملكة الرومان (ساقان من حديد) وقد انقسمت إلى شرقية (بيزنطة) وغربية (روما) (رِجلان من حديد وخزف) ثم الحجر الذي يسحق جميع الممالك وهو المملكة الخامسة، فاختلفوا فيه: فزعم اليهود أنه المنتظر الآتي لخلاصهم بينما النصارى جعلوه في المسيح! وإنما تصدق هذه الرؤيا على ظهور دولة الإسلام، لأنها هي التي سحقت الممالك الأخرى. ينظر: إظهار الحق ٤/١١٦٧، محمد ﷺ لإبراهيم خليل ص: ٦٩، الماضي والحاضر والمستقبل في نبوءات دانيال لإبراهيم صبري ص: ٣٤، سفر دانيال آية آية للقس ناشد حنا ص: ٥٢.

(١) بين المعقوفتين بياض بمقدار كلمة، والمثبت لما يقتضيه السياق، وربما يصح تقديرها أيضاً: مثلها.

(٢) كتاب الأنسيا: (الأفستا) نقل إلى العربية باسم (الأبتساق) وهو الكتاب المنسوب إلى زرادشت، ولم يبق منه بيد المجوس إلا جزء واحد، وينقسم إلى خمسة أقسام: ١. الفنديداد = الشرائع. ٢. الفسبرد = أدعية المواسم. ٣. اليسنا =العبادة والتسابيح. ٤. اليشتا = ابتهالات الملائكة. ٥. خوردة أفستا = الأبتساق الصغير. ينظر: قصة الحضارة ٣/٤٤٠، الإعلام بمناقب الإسلام للعامري ص: ١٥٩، الأسفار المقدسة د. وافي ص: ١٥٦، إيران في عهد الساسانيين لكرستنسن ترجمة الخشاب ص: ٤١.

أما زرادشت: فهو ابن بوراشاسب، من أصل آري، ولد في أذربيجان، عاش في القرن السادس قبل الميلاد على الأرجح، اختلف في شخصيته، ونسج حوله كثيرٌ من الخوارق، انتسب إليه المجوس، واختلف في نبوته كما اختلف في المجوس هل لهم كتاب إلهي؟ فقيل: إنه نبي أرسل إلى ملك إيران (كشتاسب) وأوحي إليه كتاب الأبتساق، ولكن الزرادشتية انحرفت عن تعاليمه إلى الوثنية وعبادة النيران كما انحرف النصارى عن تعاليم المسيح. وممن قال بنبوّته: الشهرستاني وابن حزم والمسعودي وغيرهم. وقيل: إنه حكيم قومه، وتعاليمه قائمة على مبدأ الأصلين: النور والظلمة مصدرين للخير والشر، وعلى عبادة النار والتوجه إليها. واختاره جماعة كالجاحظ والطبري والعامري وابن الجوزي. وهو الأقرب؛ لأن الراجح أن المجوس ليسوا بأهل كتاب، فلو

بالأنسيا[1]: أن من علامات إتيان النبي العربي المشار إليه خمود النار الموقودة بفارس للعبادة من المجوس بولادته،

كان زرادشت نبيّاً لكانوا أهل كتاب، ولذكرهم الله في الذين فيهم سعيد في قوله تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ) البقرة: آية ٦٢، وإنما ذكرهم مع المشركين في الملل الست في سورة الحج: آية ١٧: (ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ) ينظر: تاريخ الطبري ٩٨/٢، تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٦٢، الفصل لابن حزم ٩١/١، الملل والنحل للشهرستاني ٢٨٣/١، الفتاوى الكبرى لابن تيمية ١٠٨/٣، إيران في عهد الساسانيين لكرستنسن ترجمة الخشاب ص: ٤١.

[1] نقل جماعة من العلماء أن نبيّنا محمداً ﷺ مذكور في كتب المجوس، ولهذا بحثوا فيها عن البشارات بالنبي ﷺ ، وهذا مبني على القول بأن للمجوس كتاباً، وممن نقل البشارات: الشهرستاني في الملل والنحل ٢٣٩/١، ابن الأثير في الكامل في التأريخ ٢٥٩/١، القادياني عبد الحق فديارتي في كتابه الذي ألفه بالإنجليزية وترجم إلى لغات عدة: محمد في الأسفار العالمية، ومن بعده عالة عليه، عباس العقاد في كتابه: مطلع النور ص: ١٩، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي في كتابه: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند ص: ٣٠٥، محمود الشريف في كتابه: الأديان في القرآن ص: ٢٧١، د. الشفيع الماحي في بحثه: محمد ﷺ في أسفار المجوس الزرادشتيين نشره في مجلة العلوم التربوية في جامعة الملك سعود ٢/ ١٤١٤ هـ، هشام طلبة في كتابه: محمد ﷺ في الترجوم والتلمود والتوراة ص: ٤٢. ومن جملة ما نقل: تنبؤ زرادشت بانطفاء نار المجوس، وغور بحيرة ساوة، وتساقط فروع الشجرة التي وصفها زرادشت كما سقط التمثال في نبوة دانيال، وغيرها. ينظر: المراجع السابقة، وأيضاً: محمد ﷺ في الكتب المقدسة لسامي عامري ص: ٤٦٤.

لكن أغفل نقل هذه البشارات من كتب المجوس كثير من المتقدمين الذين كتبوا عن حضارات الهند وفارس كالبيروني في كتابه: تحقيق ما للهند، مع محاولته استقصاء مقالات أديان الهند وعاداتهم، وإنما ذكرها بعض المتأخرين، لذا قيل: إنها مما استفاده المجوس وغيرهم من أهل الأديان في زمانهم، ويؤيده ما قد قيل: إن زرادشت صحب أرميا النبي. وقيل: إنها مما أدخل في كتبهم بعد اختلاطهم مع الحضارة الإسلامية، ولا سيما في زمن المأمون حين نشطت الترجمة. وهذا القول مال إليه د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي في كتابه: فصول في أديان الهند ص: ١٩٧

وغور بحيرة ساوة، وفيض وادي السهاوة بالماء، وانشقاق إيوان كسرى[(١)].

فكان ذلك كما قال دانيال وزرادشت، وسقطت منه أربع عشرة شُرّافة[(٢)]، وفسّرها سطيح الكاهن لابن أخته عبد المسيح[(٣)] رسول كسرى بأن دليل النبوة الخاتمة وظهور الملة الحنيفية بعد أربعة عشر ملكاً يملكون من الفرس، فملكوا الأربعة عشر في مدّة عشر سنين، وانقرضوا بالإسلام[(٤)]. وقصة ذلك مشهورة في العرب والعجم[(١)].

وكتابه: دراسات. . . ص: ٣٠٦، ويحتمل الأمرين معاً. وينظر: تأريخ ابن خلدون ١٦١/٢، تأريخ مختصر الدول لابن العبري ص: ٨٢.

(١) غور بحيرة ساوة: ذهاب مائها كما في لسان العرب ٢٠١/٧، وساوة مدينة بين الري وهمذان، جنوب غربي طهران في إيران. معجم البلدان ١٧٩/٣. وفيض وادي السهاوة: ارتفاع مائه، ووادي السهاوة (السماوة: كذا وقع في المصادر): جنوب غرب بغداد في العراق. وإيوان كسرى: كلمة فارسية بمعنى: الصّفة العظيمة. كما في لسان العرب ٤٠/١٣. وكسرى: هو أنو شروان بن قباذ حكم بين (٥٢٦ — ٥٧٩ م) وفي عهده ولد المصطفى ﷺ .

(٢) في الأصل (أربعة عشر). شرافة: من الشرفة وهي أعلى الشيء، وما يوضع على أعالي القصور حتى يشرف على غيره. لسان العرب ٦٣/٨.

(٣) سطيح الكاهن: هو ربيع بن ربيعة الغساني من الأزد، سمي سطيحاً لكونه منبسطاً على الأرض لايقوى على القيام والقعود، عمّر طويلاً في الجاهلية، وكانت العرب تتحاكم إليه، وعرف بصحة الرأي، توفي بالجابية سنة ٥٧٢ م. روي فيه حديث لا أصل له أن النبي ﷺ قال عنه: (نبي ضيعه قومه) ينظر: السيرة لابن هشام ٤٨/١، البداية والنهاية ٢٧٠/٢، الأعلام للزركلي ١٤/٣. وابن أخته عبد المسيح: ابن عمرو الغساني، شاعر من أهل الحيرة، ومن الدّهاة والمعمرين، أدرك الإسلام وبقي على نصرانيته، توفي سنة ١٢ هـ. ينظر: السيرة لابن هشام ٤٩/١، الأعلام ١٥٣/٤.

(٤) قوله: فملكوا الأربعة عشر في مدة عشر سنين. وهم من المؤلف، ويخالف ما ذكره أهل التأريخ، والمثبت في مصادر القصة: أن عشرة منهم ملكوا خلال أربع سنين. والملوك الأربعة عشر هم: أنو شروان وحكم ٤٨ سنة، ثم ابنه هرمز وحكم ١٢ سنة، ثم أبرويز بن هرمز وحكم ٣٨ سنة وفي عهده بعث النبي ﷺ ، ثم شيرويه (قباذ) بن أبرويز وحكم ٨ أشهر، ثم أردشير بن شيرويه وحكم سنة و٦ أشهر، ثم شهربراز لم يكن من بيت الملك وحكم ٤٠ يوماً، ثم بوران

وكذلك أيضاً: لما وصلت مراكب المسلمين إلى جزيرة صِقلِّيَّة[٢] وصاروا بها منازلين أهلها أرسل ملكها إلى أمير المسلمين بملاءة مرقومة خمس صور تماثيل، وقال

بنت أبرويز بن هرمز وحكمت سنة و٤ أشهر، ثم جشنسيدة من أبناء عم أبرويز الأبعد وحكم أقل من شهر، ثم آزرميدخت بنت أبرويز وحكمت ٦ أشهر، ثم كسرى بن مهرجشنس من أبناء أردشير وحكم أياماً، ثم حرزاذخسروا من أبناء أبرويز وملك أياماً وقتل، ثم فيروز ابن مهرجشنس وقتل بعد توليه مباشرة، ثم فرخزاذ خسروا وملك ٦ أشهر، ثم يزدجر بن شهريار وبعد توليه بسنتين غزا المسلمون فارس في القادسية سنة ١٥ هـ. وفرّ داخل مملكته إلى أن قتل في خلافة عثمان سنة ٣١ هـ، ولم يقم بعده كسرى. ينظر: الكامل في التاريخ ٣٠٦/١، المعارف لابن قتيبة ص: ٦٦٣.

(١) هذه العلامات وتفسير سطيح الكاهن لها مشهور في كتب السير، قال ابن الأثير في منال الطالب ص: ١٥٤: (حديث سطيح هذا مشهور بين الرواة ومذكور في دلائل النبوة). وأخرجه: أبو نعيم في دلائل النبوة ٩٦/١، والبيهقي في دلائل النبوة ١٢٦/١، وابن هشام في سيرته ١١/١، والطبري في تأريخه ١٦٦/٢، كلهم من طريق مخزوم بن هانئ عن أبيه. قال ابن عساكر: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مخزوم عن أبيه، تفرد به أبو أيوب البجلي. قال الذهبي في السيرة ص: ٣٥: هذا حديث منكر غريب. وروي من طريق آخر عن بشير بن تيم كما في الخصائص الكبرى للسيوطي ٥١/١ قال ابن حجر في الإصابة ٢٧٩/٦: مرسل.

وتفسير سطيح قوله: (إذا ظهرت التلاوة، وغارت بحيرة ساوة، وخرج صاحب الهراوة (يعني: النبي ﷺ) وفاض وادي السماوة، فليست الشام لسطيح بشام، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات، ثم تكون هنات وهنات، وكل ما هو آت آت).

(٢) في الأصل (اصقلية) والصواب بدون همزة: ضبطت بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء وهو الأشهر، وبفتح الصاد والقاف، وبالسين والصاد. ينظر: معجم البلدان ٤١٦/٣، الأنساب ٨٠/٨، وفيات الأعيان ٢١٥/٣. وجزيرة صقلية: أكبر جزر بحر الروم (المتوسط)، مثلثة الشكل، بين إيطاليا وتونس، وهي إلى إيطاليا أقرب، وأهلها نصارى أرثوذكس ثم كاثوليك بعد الاسترداد، أول غزو لها كان في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ٣٢ هـ، ثم تكرر الغزو إلى أن فتحها القاضي أسد بن الفرات في خلافة المأمون سنة ٢١٢ هـ، واستمر فيها المسلمون قرنين ونصف القرن، وكان منها علماء وأدباء، وكان النصارى فيها أحسن حالاً من أيام حكم

لهم: سمّوا لنا أسماء من هذه تماثيلهم؟ فسمّوا اسم نبيّنا ﷺ لمعرفتهم لمثاله[١]، وسمّوا أسماء خلفائه الأربعة. فسألهم الملك عن / الثالث؟ فقالوا: هو الخليفة. فوادعهم على ما أرادوا وسلّم إليهم الجزيرة، وبنوا بها المساجد والمآذن وأقاموا الصلاة وشعائر الإسلام بها. وذلك لعلم الملك بظهور سيّدنا رسول الله ﷺ وإعلاء دينه على كل دين[٢].

ب/٨

وقصة بحيرا ونسطور الراهبين ببصرى معه، حين رأياه مع قافلة قريش ومع عمّه أبي طالب وهو دون البلوغ، فنزلا إليه وقبّلا يده، وسألاه عن الشامة التي بكاهله[٣]، وعن أشياء أخبرهما بها، وبشّرا عمّه بالنبوة والملك وعظمة الشأن، وعرفا القافلة

البيزنطيين، ثم استولى عليها النصارى ولا تزال. ينظر: العرب في صقلية د. إحسان عباس، تأريخ صقلية المسلمة د. عزيز أحمد.

[١] يمكن أن تقرأ: لتمثاله.

[٢] لم أجد هذه القصة، ويظهر أن المؤلف وهم فيها؛ ولا سيما أن غزو صقلية لم يكن في زمن عمر. ويشبه تلك: ما جاء في خبر جبير بن مطعم فقد رأى صورة النبي ﷺ وخليفته أبي بكر رضي الله عنه في دير في الشام قبل إسلامه. وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير ١٧٩/١، والطبراني في المعجم الكبير ١٢٥/٢، والبيهقي في دلائل النبوة ٣٧٤/١، لكن في سنده جهالة، قال الهيثمي في المجمع ٢٣٤/٨: (فيه من لم أعرفهم). ويشبهها أيضاً: ما جاء في خبر هشام بن العاص حين قدم على هرقل في زمن أبي بكر، وفيه: أنه رأى صور الأنبياء، وفي خاتمتهم صورة نبيّنا محمد ﷺ. أخرجه أبو نعيم في الدلائل ٥٠/١، وضعفه ابن حجر في الإصابة ٢٣٢/٤. وأخرجه من طريق آخر: البيهقي في الدلائل ٣٧٥/١ عن الحاكم، وقال عنه ابن كثير في تفسيره ٤٨١/٣: إسناده لا بأس به.

[٣] الشامة التي بكاهله ﷺ بين كتفيه، وتعرف بخاتم النبوة، وجاء وصفه كأنه زر الحجلة وكبيض الحمامة، ويعرفه أهل الكتاب من كتبهم. ينظر: صحيح البخاري كتاب المناقب باب: خاتم النبوة (ح ٣٥٤١)، وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب: إثبات خاتم النبوة (ح ٤٣٣٥).

باخضرار الشجرة التي نزلوا بها من أجله، وبتظليل الغمامة له في جملة سفره، وقالا: إن المسيح بشّر به، وهو أركون العالم، فاحترزوا عليه من اليهود فإنهم أعداؤه[١].

[١] الصحيح أن قصة الراهبين بحيرا ونسطور حادثتان منفصلتان، وليستا حادثة واحدة كما أوهم المؤلف.

الأولى: حادثة لقاء الراهب بحيرا بالنبي ﷺ ، كانت في سفره الأول مع عمه أبي طالب في صغره، ورويت بأسانيد لا تخلو من ضعف، وأجودها ما أخرجه الترمذي في جامعه: كتاب المناقب، باب: بدء نبوة النبي ﷺ (ح ٣٦٢٠) وقال: (حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، وأخرجه ابن جرير الطبري في تأريخه ٢٧٨/٢، والحاكم في مستدركه ٦١٥/٢ وقال: (صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه) وتعقبه الذهبي في تلخيصه: بأنه موضوع. وأخرجه البيهقي في الدلائل ٢٥/٢ وقال: (وأما القصة فهي عند أهل المغازي مشهورة). وابن إسحاق في السيرة ٢٣٦/١، وغيرهم. وجعلها ابن كثير من مرسلات الصحابة كما في البداية والنهاية ٢٨٦/٢، وقال ابن حجر في الإصابة ٣٥٣/١: (وقد وردت هذه القصة بإسناد رجاله ثقات من حديث أبي موسى الأشعري) ومدارها على تفرد أبي نوح قُرّاد (عبد الرحمن بن غزوان) أخرج له البخاري ووثقه جماعة من الأئمة كابن المديني وابن حبان، وقال الدارقطني: ثقة له أفراد. كما في تهذيب التهذيب ٢٤٧/٦. لكن بعض ألفاظ القصة منكرة باتفاق الحفّاظ ينظر: زاد المعاد ٧٦/١، وتاريخ الإسلام للذهبي ٥٠٤/١. وللقصة أسانيد أخر تقوّيها وتدل على أن لها أصلاً. ينظر: الخصائص الكبرى للسيوطي ٨٤/١، وللألباني مقالة في تصحيح القصة باسم: **حادثة الراهب المسمى (بحيرا) حقيقة لا خرافة**. وتسمية الراهب بحيرا وردت في روايات واهية. وبحيرا: اختلف في ضبط اسمه: بالمد والقصر وبفتح الباء مع كسر المهملة بعده أو ضمها وفتح ما بعدها، وهو راهب نصراني على مذهب أريوس على الأشهر، ونُقل عن الزهري أنه من أحبار اليهود. كما اختلف في عدّه من الصحابة، فذكره في الصحابة ابن منده وأبو نعيم، ولم يعدّه منهم ابن حجر وإن كان آمن بالنبي ﷺ ، لكن قبل بعثته. ينظر: تجريد أسماء الصحابة للذهبي ٤٤/١، الإصابة ١٨٣/١، البداية والنهاية ٢٨٦/٢.

الحادثة الثانية: سفره ﷺ في شبابه في تجارة لخديجة رضي الله عنها مع غلامها ميسرة، وفيها ذكر للراهب نسطور ومعرفته بأنه نبي. ونسطور قيل: اسمه سرجيس بن إسكندر، كان ينكر لاهوت المسيح. ينظر: دائرة المعارف للبستاني ٢١٧/٥. وأخرج هذه الحادثة ابن سعد في

وقصة فتح بيت المقدس مشهورة[١]، إذ حاصرها المسلمون وطال الحصار، حتى أرسل البترك[٢] والأساقف بها يقولون: لا نسلّم البلد إلا إلى عمر أمير المؤمنين، فلما وصل من الحجاز وعليه ثوب فيه رقع مختلفة، فأنزعوه إياه / أصحابه وألبسوه غيره، وتراءى لأهل بيت المقدس، فقالوا: ليس هو المطلوب، فنزعه ولبس الثوب المرقع وتراءى لهم، فقالوا: هذا الذي يفتح البلد وهو أمير المؤمنين وخليفة النبي العربي، ثم وادعوه على الجزية، وسلّموا البيت المقدس لأهله، ولم يكن ذلك إلا عن علم منهم ببعثة محمد ﷺ إلى الناس كافة، وظهور دينه على الدين كله، وأن خليفته عمر يفتح البيت المقدس من صفته كذا ومن حاله كذا[٣].

٩/أ

الطبقات الكبرى ١٢٩/١، وأبو نعيم في الدلائل ١٧٢/١، وإسنادهما فيه متروك. وذكرها أهل السير كما في سيرة ابن هشام ٢٤٧/١، المنتظم لابن الجوزي ٣١٥/٢. وقد ذكر بعض المؤرخين أن الحادثة الثانية نسبت لبحيرا على مذهب نسطور النصراني، فهما رجل واحد. ينظر: الإصابة ٥٠٦/٦.

[١] بيت المقدس: البيت المبارك، المسجد الواسع في مدينة القدس الواقعة على سلسلة جبال الخليل، متوسطة بين البحر الميت والأبيض المتوسط. ويطلق أيضاً على مدينة القدس، لكونه شرفها، ورد في فضلها آيات وأحاديث، وتحتفظ بمعالم تأريخية قديمة، ولا يزال اليهود يحاولون إلغاء إسلاميتها. وتسمى أيضاً: إيليا في عصر الرومان، ويسميها اليهود: أورشليم، وهو اسم كنعاني وليس عبرانيّاً كما يدّعيه اليهود. ينظر: مراصد الاطلاع ١٢٩٦/٣، الجواب الصحيح ١٩٢/٤، القدس مدينة الله أم مدينة داود د. ظاظا ص: ٩.

[٢] كذا في الأصل (البترك) وهذا من إطلاقات العامة على لفظ البطرك. كما في صبح الأعشى ٢٧٦/١٣.

[٣] فتح بيت المقدس كان ذلك سنة ١٦ هـ وقيل غير ذلك، وكان أهل الكتاب يعرفون أنها تفتح على يد الخليفة عمر لما يجدون وصفه في كتبهم، جاء في سفر زكريا: ٩/٩: (ابتهجي جدّاً يا ابنة صهيون، اهتفي يا بنت أورشليم. هو ذا ملكك يأتي إليك. هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان) ويزعم النصارى أن النص في دخول المسيح للقدس. ولايصح؛ لكون الصفات الواردة في النص (ملك، سلطانه من البحر إلى البحر. . .) لا

ومنه قصة سواد بن قارب <الكاهن>[١] لما دخل على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في مجلس خلافته، فقال له عمر: نشدتك الله يا سواد، هل تحسن اليوم من كهانتك[٢] شيئاً؟ فخجل سواد، وقال: تالله يا أمير المؤمنين ما استقبلتَ أحداً من جلسائك بمثل ما استقبلتني به، فقال عمر: والله ما أردت إلا أن أسمع ما اتفق وأسمعه، فقال سواد: بينا أنا ذات ليلة نائم إذ أتاني نجيّي فأنبهني من نومي، وقال: سواد، اسمع أقل لك، فقلت: هات، فقال:

ب/٩

عجبت للجن وأجناسها /. . . وحملها العيس بأحلاسها[٣]

تهوي إلى مكة تبغي الهدى. . . ما مؤمنو الجن كأرجاسها

قال: فلم يحرّك قوله مني شيئاً، فلما كان في الليلة الثانية أتاني فوكزني برجله، وقال: سواد، اسمع أقل لك، فقلت: هات، فقال:

عجبت للجنّ وتطلابها. . . وحملها العيس بأقتابها [٤]

تهوي إلى مكة تبغي الهدى. . . ما مؤمنو الجن ككذّابها

تنطبق عليه. ينظر: تأريخ الطبري ٦٠٧/٣، فتوح البلدان للبلاذري ص: ١٨٩، الطبقات لابن سعد ٣٠٣/٣، وقصة نزع قميص عمر رضي الله عنه وردت في: تأريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٣٠٦/٤٤، البداية والنهاية ٥٧/٦، كلاهما من طريق ابن أبي الدنيا، وفي سنده عبدالله بن مسلم المكّي وهو ضعيف كما في تهذيب الكمال ١٣٠/٦.

[١] زيادة من هامش الأصل. سواد بن قارب الأزدي الدوسي أو السدوسي، له صحبة ووفادة، توفي بالبصرة سنة ١٥ هـ. ينظر: الإصابة لابن حجر ١٤٩/٣.

[٢] في الأصل (كهانيك) والتصويب من دلائل النبوة لأبي نعيم ١١٢/١.

[٣] العيس: الإبل البيض مع شقرة يسيرة. النهاية لابن الأثير ٣٢٩/٣. الأحلاس: جمع حلس وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب. النهاية ٤٢٣/١.

[٤] أقتابها: جمع قتب، وهو رحل صغير على قدر السنام. لسان العرب ٦٦١/١.

فحرّك قوله مني شيئاً، فلما كان في الليلة الثالثة أتاني فوكزني برجله فأيقظني، وقال: سواد، اسمع أقل لك، فقلت: هات، فقال:

عجبت للجن وأدوارها. . . وحملها العيس بأكوارها [(١)]

تهوي إلى مكة تبغي الهدى. . . ما مؤمنو الجن ككفارها

فارحل إلى الصفوة من هاشم. . . بين روابيها وأحجارها [(٢)]

فقمت من ساعتي فشدّيت على قلوص لي[(٣)]، وسرت إلى مكة، فأتيت فسألت عن النبي ﷺ فأُخبرت أنه في منزل خديجة[(٤)]، فأتيت إليه فطرقت الباب فخرج إليّ، وقال لي: سواد، إني رسول الله إليك وإلى سائر الناس، فقلت له: وما آيتك؟ فقال: آيتي ما قال لك نجيّك في الثلاث / ليال - وكنتُ يا أمير المؤمنين نظمت قصيدة في الطريق — فاستنشدني سجع نجيّي، وقال لي: قل ما قلت أنت، فقلت:

أ/١٠

أتاني نجيّي بعد هَدْوٍ ورقدة. . . ولم أكُ فيما قد بَلَوت بكاذب[(٥)]

ثلاث ليال قوله كل ليلة. . . أتاك رسول من لؤي بن غالب

---

(١) في الدلائل للبيهقي ٢/٢٥٠: (عجبت للجن وتجَبَارها). أكوارها: جمع كُور بالضم، وهو رحل الناقة بأداته. النهاية ٤/٢٠٨.

(٢) في الأصل (دوابها) والتصويب من دلائل النبوة لأبي نعيم ١/١١٣. روابيها: ما ارتفع من الأرض. النهاية ٢/١٩٢.

(٣) كذا في الأصل، وفي الدلائل لأبي نعيم ١/١١٣: فشددت على راحلتي.

(٤) أكثر الروايات كما في الدلائل لأبي نعيم، والدلائل للبيهقي، والمعجم الكبير للطبراني: أنه أتى النبي ﷺ في المدينة في المسجد وحوله أصحابه. وفي البداية والنهاية ٣/٥٦٧ ت. التركي: (فأتيت المدينة يعني مكة) وهذا تفسير من ابن كثير ترجيحاً لرواية سعيد بن جبير، وفيها: حتى أتيت مكة. قال الطبراني عنها: أقرب إلى الصحة. وصنيع البخاري في صحيحه بذكره في إسلام عمر رضي الله عنه يشعر أنه في مكة.

(٥) في الأصل (تلوت) والتصويب من الدلائل لأبي نعيم ١/١١٣.

فشمرت عن ذيلِ الإزار وأدلجت. . . بيَ الذعلب الوجناء بين السباسب[(١)]

فأعلم أن الله لا رب غيره. . . وأنك مأمون على كل غائب

وأنك أدنى المرسلين وسيلة. . . إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب

فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى. . . ولو كان فيما جاء شَيْب الذوائب [(٢)]

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة. . . سواك بمغنٍ عن سواد بن قارب [(٣)]

فعرض علي الإسلام فأسلمت، فقال له الإمام: هل تحسن منها شيئاً اليوم، فقال سواد: معاذ الله يا أمير المؤمنين أُنسيتها منذ أسلمت[(٤)].

[(١)] في الأصل (عن ذيلي الإزار وأدلجت. . بي الذعلب الوجناء عبر السباسب) والتصويب من الدلائل لأبي نعيم ١/١١٣. الذعلب الوجناء: الناقة السريعة. النهاية ٢/١٦١. السباسب: القَفْر، والمفَازة. النهاية ٢/٣٣٤.

[(٢)] في الأصل (يا خير شافع. . . ولو كان فيما جاءك شيب. . .) والتصويب من الدلائل لأبي نعيم ١/١١٣ وهو في عامة المصادر. الذوائب: جمع ذؤابة، الضفيرة في شعر الرأس، وقياسها: الذآئب، كما في الفائق للزمخشري ٢/٢٠.

[(٣)] في الأصل (لا ذي شفاعة) وهذا يوافق ما في المستدرك للحاكم ٣/ ٦٠٨. والأكثر على الرفع كما في الدلائل لأبي نعيم ١/١١٣.

[(٤)] حديث سواد بن قارب أخرجه العلماء فيما هتفت به الجانّ بشارة ببعثته ﷺ ، وله ألفاظ عدّة ولا سيما في الأبيات الشعرية، فأخرجه: البيهقي في الدلائل ٢/٢٤٨، وأبو نعيم في الدلائل ١/١١١، والطبراني في المعجم الكبير ٧/١٠٩، والحاكم في المستدرك ٣/٦٠٧، وابن إسحاق كما عند ابن هشام في السيرة ١/٢٣٦، وله طرق عدة ذكرها ابن حجر في الإصابة ٣/١٤٩، وهي لا تخلو من ضعف وانقطاع، ولكن قال في الفتح ٧/١٧٩: (وهذه الطرق يقوى بعضها ببعض)، وأصل القصة في صحيح البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب: إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ح ٣٨٦٦) كما جزم بذلك ابن حجر في الإصابة ٣/١٤٩، وابن كثير في البداية ٣/٥٦٦ ت. التركي، وقال البيهقي في الدلائل ٢/٢٤٨: (يشبه أن يكون هذا هو الكاهن الذي لم يذكر اسمه في الحديث الصحيح).

فلم يكن إرسال محمد ﷺ مفاجأة بغتة من غير تقدّم تبشير به ولا إعلام، بل ظهرت علامات نبوّته وآيات رسالته في أقطار الأرض، وبشّرت به الأنبياء والعلماء والكهان، وهتفت به الجانّ، وكانت اليهود / سكّان الحجاز أشد الناس انتظاراً لظهوره لينتصروا به على العرب الجاهلية، فلما ظهر كانوا أول كافر به، وأشد عداوة من كل عدو[١].

ب/١٠

وكذلك كان الصدر الأول من النصارى ينتظرون مجيئه، ويعلمون أنه إذا جاء يوبّخ العالم كما قال المسيح، فلما ظهر قسطنطين الملك[٢]، ورأى منام النصرة على الأعداء بالملائكة والأعلام والصلبان[٣]، وســـــأل عن الصلـــــــــــــيب،

---

[١] أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره ١/٣٢٥، وأبو نعيم في الدلائل ١/٨٢: عن ابن إسحاق بسنده، عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه. فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه. فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء بن معرور، وداود بن سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمّد ﷺ ونحن أهل شرك، وتخبروننا بأنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته. فقال سلام ابن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنّا نذكر لكم، فأنزل الله في ذلك من قولهم: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ) والأثر حسن بشواهده.

[٢] قسطنطين الأول بن قسطنديوس، أمه هيلانة نصرانية من الرّها، إمبراطور روماني حكم بين (٣١٢ – ٣٣٧ م) أول من تنصّر من الأباطرة الرومان، ولم يعمد إلا على فراش موته، أكرم النصارى في زمنه، وأمر ببناء الكنائس، وأعاد بناء بيزنطة وسوّرها وسمّاها القسطنطينية، ومات بالحمى، وأقيم على قبره تمثال يعبده الوثنيون. ينظر: تاريخ ابن الوردي المسمى (تتمة المختصر في أخبار البشر) ١/٥٤، وتاريخ ابن البطريق المسمى (التأريخ المجموع على التحقيق والتصديق) ص: ١٢١، تأريخ مختصر الدول لابن العبري ص: ١٣٤، أعلام المورد ص: ٣٤٨.

[٣] المنام الذي رآه قسطنطين معروف عند النصارى، تناقله مؤرخوهم كالمؤرخ يوسابيوس القيصري في كتابه: حياة قسطنطين ص: ٢٤، والمؤرخ ابن البطريق في تأريخه ص: ١٢١، والمؤرخ

وأخبروه بأهل الناصرة[1] وتعظيمهم للصليب، وأرسل إليهم، وحضر منهم نحو الثمانين رجلاً، وكان ذلك بدء ظهور دين النصرانية، وهو دون المسيح بنحو من مائة عام أو دون ذلك[2]، وحبّب إلى قسطنطين إظهار دين النصرانية، واجتمعت الكلمة

ابن العبري في تأريخ مختصر الدول ص: ١٣٤، نقلها القرطبي عن القس حفص بن البر الذي نسبها إلى علماء النصارى، وعلق القرطبي عليها بقوله: (من أين عرفت صدق قسطنطين...؟ لعله كذب! وأراد بذلك صلاح رعيته... ثم لو سلمنا أنه صدق في رؤياه، فمن أين علم أن الذي كلمه ملك؟ فلعله شيطان قصد إضلالكم، وكذلك كان). الإعلام ص: ٤٣١. وينظر: الجواب الصحيح ٣٢٣/٢، وقد اختلف المؤرخون في السبب الذي دعا قسطنطين لإعزاز النصرانية، ويفضل النصارى ذكر رؤيا الصليب للنصر على الأعداء، وغالب المؤرخين يشككون فيها. وقيل: إن تنصره بتأثير والدته عليه، وقيل: إنه لما كبر خشي على ملكه، فاستشار من نصحه بأن يحتال على أهل دين ينصرونه، ففعل ذلك في دين المسيحية. ينظر: ما سبق من المراجع، وتأريخ ابن الوردي ٥٤/١، والكامل في التأريخ ٣٩٦/١، ومروج الذهب للمسعودي ١٤١/١، وقصة الحضارة ٣٨٧/١١.

(١) الناصرة: تقع في منطقة الجليل في فلسطين، قريبة من طبريّة، قال المؤلف في نخبة الدهر ص: ٢١٢: (من أعمال صَفَد أيضاً الناصرة، ومنها ظهر المسيح عليه السلام، وموضع البشارة به من الملائكة لأمه مريم معروف ويزوره النصارى وغيرهم. . . وأهل الناصرة كانوا مفتاح دين النصرانية ومنشأه وأساسه، وذلك في زمن قسطنطين) ينظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص: ٢٧٧.

(٢) الذين حضروا للمجمع الذي دعا إليه قسطنطين اختلف في عددهم، وما يقرّه غالب النصارى أنهم ٣١٨ أسقفاً، وأشار ابن البطريق إلى أن الذين اجتمعوا ٢٠٤٨، واختار منهم الملك ٣١٨ أسقفاً وافقوا على ما أراد من سنّ للقوانين. وكان ذلك بعد توليه بست سنين، في سنة ٣٢٥ م أي بعد ثلاثة قرون من المسيح. فما ذكره المؤلف وهم منه. ينظر: تأريخ ابن العبري ص: ١٣٦، تأريخ ابن البطريق ص: ١٢٦، مروج الذهب للمسعودي ١٤١/١، مجموعة الشرع الكنسي ص: ٤١، مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص: ٢٤٣.

من أهل مملكته على ذلك، وترتب الذي في المجامع السبعة[١]، وجُمع الإنجيل من أفواه المخبرين الأربعة: متّى ولوقا ومرقس[٢] ويوحنّا[٣]. واطلع قسطنطين على ذكر

---

[١] المجمع: هو مجلس يُدعى إليه النصارى لمعالجة أمر أو حل مشكلة أو النظر في نصوصهم المقدّسة. والمجامع السبعة: هي التي استقر عليها قول النصارى بأنها مجامع مسكونية، واختلف فيما عداها، وهي تبدأ من مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م وسابعها مجمع نيقية الثاني سنة ٧٨٧ م. ينظر: مجموعة الشرع الكنسي ص: ٢، محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص: ١١٠.

[٢] في الأصل: مرقش.

[٣] في مجمع نيقية الذي دعا إليه قسطنطين تم اختيار الأناجيل الأربعة من بين سائر الأناجيل:

الأول: إنجيل متى، وهو من الأناجيل القانونية، وأولها وأطولها، يبلغ ٢٨ إصحاحاً، ولم يرتب حسب تأريخ الوقائع، إنما على الموضوعات وتشابهها في حياة المسيح، ويحاول كاتبه إتمام تأريخ إسرائيل. ومتى: من مئتيا في العبرية بمعنى: عطية يهوه، يزعم النصارى أنه كان جابياً في كفر حانوم، ويذكر له اسم: لاوي بن حلفي، وأنه أحد التلاميذ الاثني عشر، وينسب إليه أحد الأناجيل.

الثاني: إنجيل مرقس، الثاني من الأناجيل القانونية، وأقدمها عند البعض، وأقصرها، فيه ١٦ إصحاحاً، رتبت أحداثه حسب تأريخ وقوعها. ومرقس: اسم لاتيني بمعنى: مطرقة، ولد في أورشليم، وتعرف على بطرس الحواري، وابن أخت برنابا، وصحب بولس، وقتل سنة ٦٨ م.

الثالث: إنجيل لوقا، الثالث من الأناجيل القانونية، بمثابة رسالة موجهة لشخص، فيه ٢٤ إصحاحاً، وباتفاق النصارى أن كاتبه لم يشاهد الوقائع، لفق غالبه من إنجيلي متى ومرقس. ولوقا: اختصارٌ لـ (لوكانوس) بمعنى: مانح النور. طبيب، واختلف في موطنه، ويظن أنه من الجيل الثاني بعد المسيح، ولم يكن من اليهود بل هو أممي، رافق بولس في رحلاته.

الرابع: إنجيل يوحنا، الرابع من الأناجيل القانونية، وفيه ٢١ إصحاحاً، ويفارق الأناجيل الثلاثة بكونه ليس عرضاً لحياة المسيح إنما عرض للنظرة اللاهوتية بطريقة فلسفيّة بكونه كلمة الله والمخلص للبشر. . إلخ. ويوحنا: هو ابن زبدي الصيّاد، وأمه: سالومة، وهو من التلاميذ الاثني عشر ويعرف بالحبيب، ولد في صيدا، وسكن بعد المسيح أورشليم وأفسس، وهو من آخر

البارقليطس وأركون العالم، والذي ينبثق من فيْه روح الحق، والذي يعلّم التلاميذ ما لم يكن المسيح علّمهم إياه، والذي يوبّخ العالم على العدل / والحكم والخطيئة من أجل المسيح، وأجلِ بغضهم له مجاناً.

أ/١١

ففحص قسطنطين عن هذا الآتي المنتظر من هو؟ فخشي أصحاب القوانين على ما شرعوا فيه أن يتغيّر ويرجع عنه قسطنطين انتظاراً للآتي، فقرّروا في ذهنه أن هذا الآتي هو المشار إليه من المسيح: إنما هو روح القدس[١]، وأنه هو المتكلم بجميع

الحواريين موتاً، وينسب إليه غير الإنجيل ثلاث رسائل ورؤيا. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مواد: متى، مرقس، لوقا، يوحنا).

ونسبة الأناجيل الأربعة إلى أصحابها لا تثبت عند المحققين من النصارى وغيرهم، كما اختلفوا في زمن كتاباتها، وفي اللغة التي كتبت بها، وفي مصادرها. قال ويل ديورانت في قصة الحضارة ١١/٢١٠: (ملاك القول: أن ثمة تناقضاً كثيراً بين بعض الأناجيل والبعض الآخر، وأن فيها نقطاً تأريخية مشكوكاً في صحتها، وكثيراً من القصص الباعثة على الريبة والشبيهة بما يروى عن آلهة الوثنيين، وكثيراً من الحوادث التي وضعت عن قصد لإثبات وقوع كثير من النبوءات الواردة في العهد القديم، وفقرات كثيرة ربما كان المقصود منها تقدير أساس تأريخي لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة أو طقس متأخر من طقوسها) وينظر: المدخل إلى العهد القديم للقس عزيز فهيم ص: ١٤٦، وينظر: إظهار الحق ١/١٥٢، المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص: ٥٧، مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص: ٤٧، مصادر النصرانية د. عبد الرزاق الأرو ص: ٣٧٩، محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص: ٣٩.

[١] روح القدس عند النصارى: مرّ الاعتقاد به بمراحل: فالمسيح وحواريوه كان اعتقادهم به موافقاً لما جاء عن أنبياء بني إسرائيل بكونه بمعنى الوحي الذي يأتي به جبريل عليه السلام، أو بمعنى التأييد والنصرة للمؤمنين كما تدلّ عليه شواهد من الكتب السابقة، كما جاء في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ٣/٣: (جبرائيل روح الله الحي) وفي إنجيل لوقا ١/٣٥، قيل لمريم: (إن الروح القدس سينزل عليك وقوّة العلي تظللك)، ثم بعد ثلاثة قرون، في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م قال المجتمعون: (نؤمن بالروح القدس) إيماناً مجملاً، ثم في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م أضافوا الاعتقاد بألوهية الروح القدس فأصبح ثالث الأقانيم، مع بيان بعض صفاته،

ما نحن قائلوه وفاعلوه[١]، وأنك إنما أنت متكلم به وواجد ما أنت واجده به في نفسك. فاستقرّ ذلك عند قسطنطين، وكان من عبدة الأصنام وروحانيات الكواكب، صابئيّاً[٢]، فجوّز ما زعموه من أمر روح القدس لأنس نفسه باعتقاد الروحانيات، وكان هذا مبدأ الضلالة ومنشأ الجهالة.

فقالوا: (ونؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد، الناطق في الأنبياء) فهو شخصية حقيقة مساوٍ للأب والابن في الذات والجوهر، ويتولى تأييد المؤمنين وتطهيرهم. ثم ظهر اختلاف فرق النصارى القائلين بالأقانيم الثلاثة في ماهية روح القدس ومحل انبثاقه؟.

ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: الروح القدس)، مجموعة الشرع الكنسي ص: ٢٤٥، تأريخ الفكر المسيحي لحنّا الخضري ٦٣١/٤.

[١] في الأصل (قائلونه وفاعلونه) وجوزه سيبويه وبعض النحاة في الشعر. ينظر: الكتاب ٩٦/١، وشرح التسهيل لابن مالك ٨٤/٣.

[٢] الصابئة: اختلف في أصل اشتقاقها، قيل: من صبأ، أي: مال عن الحق. وقيل: من صبأ الآرمية بمعنى: يغطس. والصابئة اختلف فيهم، وهم مذاهب مختلفة، فمنهم: من يزعم أنه يتبع نوحاً عليه السلام، ومنهم من يزعم أنه يتبع يحيى عليه السلام، ومنهم: من لفق دينه من اليهودية والمجوسية أو النصرانية. وذكر ابن تيمية أصنافاً من الصابئة، فمنهم: صابئة حنفاء، وهم في الصابئة بمنزلة من كان متبعاً لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتحريف والتبديل، وهؤلاء حمدهم الله تعالى وأثنى عليهم. ونقل عن السلف فيهم أقوالاً، ثم ذكر صابئة: دخلوا في دين أهل الكتاب، وآخرين: يعبدون الملائكة، ويقرؤون الزبور، ويصلون، فهم يعبدون الروحانيات العلوية وهؤلاء من المشركين، وهم الأكثر. (الرد على المنطقيين ص: ٤٥٤) وهذا الصنف تأثر بهم قسطنطين مع كونه وثنيّاً، هم الباقون الآن في العراق، ويعرفون بالمندائين. ينظر: المفصل لجواد علي ٧٠٤/٦، الملل والنحل للشهرستاني ١٥٠/٢، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٤٠٠/١، الجواب الصحيح ١٢٣/٣، مجموع الفتاوى ٢١/٥، تفسير ابن كثير ٢٩٠/١، تفسير آيات أشكلت لابن تيمية ٢٤٠/١.

ولا زال الأمر على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون، وأرسل الله محمداً بالهدى ودين الحق الصحيح، وأخذ في توبيخ العالم كما بشّر به المسيح. ب/١١

فكان من جملة توبيخه للنصارى: قول الله تعالى له في القرآن – الذي قلتم: إنكم حصّلتموه وقرأتموه وفهمتموه –: ﴿ٱ ب ٻ ٻ پ پ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ﴾[1] وكيف يستنكف؟ وهو عبد مقرب عارف بربه، ومن قوله في الإنجيل: (لا تدعوني صالحاً، ليس صالح إلا وحده)[2] وقوله أيضاً: (لست أفعل مشيئتي، وإنما أفعل مشيئة الرب الذي أرسلني)[3] وفي تضرعه ودعائه وسهره وتعبّده واستغاثته بالله ليلة الفصح كفاية[4].

وكان من التوبيخ على الخطيئة العظمى أيضاً: قوله تعالى على لسان الرسول الحقّ موبّخاً للنصارى، ومهدداً ومتوعداً لهم: ﴿ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ﯦ □ □ □ □ □ □﴾[5]. /

---

(١) سورة النساء آيتا: ١٧١، ١٧٢. في الأصل زيادة (قل) وهذا وهم بآية المائدة:٧٧.

(٢) إنجيل متى: ١٧/١٩، وإنجيل مرقس: ١٨/١٠، وإنجيل لوقا: ١٩/١٨. ١٢/أ

(٣) إنجيل يوحنّا: ٣٤/٤، ٣٠/٥، ٣٨/٦، إنجيل مرقس: ٣٦/١٤.

(٤) قال بولس عن المسيح في رسالته إلى العبرانيين: ٧/٥: (في أيام بشريته قَرب تضرعات واستغاثات، وصراخ شديد، ودموع ذوارف للقادر، الذي بوسعه أن يخلصه من الموت، فاستجاب له من أجل تقواه) وانظر: أناجيل: متى: ٤٠/٢٦، ومرقس: ٤٠/١٤، ولوقا: ٤٢/٢١.

(٥) سورة المائدة: آيات ٧٣ – ٧٥. في الأصل: (تتوبون إلى الله وتستغفرونه). نهاية لوحة ١٢/أ عند قوله تعالى (والله غفور)

وكان من توبيخ النصارى أيضاً: قوله تعالى: ﴿ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ں ڻ ڻ ڼ ڽ ۀ ۀ ہ ہ ۂ ۂ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ﴾[١].

وكان من التوبيخ للنصارى المجسّمة[٢]: قوله تعالى: ﴿ے ے ۓ ۓ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □ □ □﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ﴾[٤].

وكان أيضاً من التوبيخ لعموم جاهلية النصارى القائلين بإلهية المسيح وأمه، كفراً فطيراً [٥]، والقائلين في الكنائس ليلة البشارة[٦]: (يا أم الإله، يا ستّ، يا حنّونة، يا

ب/١٢

(١) سورة المائدة: آية ١٧.

(٢) تجسيم النصارى بنسبة الولد لله تعالى، وهذا ما عليه النصارى القائلون بالتثليث.

(٣) سورة مريم: آيات ٨٨- ٩٥. وفي الأصل: (ينفطرن) بالنون، قرأ بها حمزة وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر. ينظر: تفسير الآية في فتح القدير للشوكاني ص: ٩٠١.

(٤) سورة الكهف: آيتا ٤، ٥. في الأصل: (وتنذر) نهاية لوحة ١٢/ب عند قوله تعالى (أفواههم).

(٥) كفراً فطيراً: بمعنى: مخترعاً، من الفطر: الإنشاء والاختراع، أو بمعنى: ملفقاً متناقضاً، من الفطير: العجين الذي لم يختمر. لسان العرب ١١/١٩٩.

(٦) ليلة البشارة: أي بشارة الملَك جبريل لمريم بعيسى عليهما السلام، وتروى في إنجيل لوقا: ١/٢٦ – ٣٨ بما يشبه كثيراً ما جاء في القرآن في سورة مريم (آيات: ١٦ – ٢١). وهي عند النصارى يوم عيد البشارة في ٢٥ آذار / مارس (٢٩ من شهر برمهات القبطي). ومريم: هي ابنة عمران، وأمّها حنّة من سبط يهوذا من آل داود، وقصة ولادتها وكفالة زكريا عليه السلام لها في القرآن في سورة آل عمران وبشارتها بعيسى في سورة مريم. وكذا الأناجيل تذكر الحادثتين وتغفل بقية شبابها وحياتها، إلا في إشارات سريعة كما في يوحنّا في قضية الصلب، ويعظّمها النصارى ولا سيما الكاثوليك والأرثوذكس، ولهم باسمها كنائس وصلوات. بينما يذكرها اليهود بأوصاف مشينة. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: مريم)، الموسوعة الميسرة ص: ١٦٨٩.

عروس، يا من لا عرس لها، يا من ولدت الله بلا زرع)[١]: فقال الله تعالى إخباراً عمّا يقول للمسيح يوم القيامة: (**ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ**) [٢].

ومن التوبيخ للعالم المذموم – اليهود – وتهديدهم وتوعّدهم[٣] بالعذاب والسخط قوله تعالى: (**ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ**) [٤]. ١٣/أ

فهذا هو التوبيخ من الرسول الحقّ، الموبّخ للعالم على العدل، وعلى الحكم، وعلى الخطيئة من أجل المسيح.

---

[١] هذا جزء من ترنيمات النصارى لمريم، ودعائهم إياها، وهي مذكورة في صلواتهم، وقد ظهر تسميتها بوالدة الإله في مجمع أفسس عام ٤٣١م، والذي قرّر فيه إطلاق لقب والدة الإله (Theotokos) على مريم عليها السلام، وحرّم فيه نسطوريوس (أسقف القسطنطينية) الذي سمّاها: والدة المسيح الذي حلّ فيه الإله، تعالى الله عن قولهم. ينظر: تأريخ ابن البطريق ١٥٧، مجموعة الشرع الكنسي ص: ٣٣١، الأجوبة الفاخرة للقرافي ص: ١٥٤، مصادر النصرانية ص: ٧٧٤، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية للتنير ص: ١٠٥، الجواب الفسيح للآلوسي ١/٢٢٨.

[٢] سورة المائدة: آيات ١١٦ – ١١٨.

[٣] في الأصل: تهديهم وتواعدهم.

[٤] سورة النساء: آيات ١٥٣ – ١٥٨. نهاية لوحة ١٣/أ عند قوله (كتاباً).

وهو أركون العالم / المنبثق من فيه روح الحق، أعني: القرآن العظيم، الذي هو روح من أمر الله، كما قال تعالى: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ۉ ۉ ې ې ې ى ى ى □ □ □ □ □﴾[٢] يعني: يوم القيامة. وقال تعالى: ﴿ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ﴾[٣].

ب/١٣

والبارقليطس: الرسول الحق، صاحب البيان والتعريف والقول العدل، الذي نصّ عليه المسيح، وليس هو روح القدس؛ فإنها قوة روحيّة روحانيّة ملَكانيّة إلهية، لا جسم لها ولا أعضاء، ولا فم تتكلّم منه وينبثق منه روح الحقّ، ولا لها لسان توبّخ العالم به[٤].

ونقول كما قال المسيح عن أركون العالم: الرسول الناطق بكلام الله، والمرسل من عند الله، وموبّخ العالم بلسانه، وموضّح الحقّ لهم ببيانه، وبشر شريف يوحى إليه، ونبي كريم ﷺ ، وليس بقوة متوهمة تشتبه في العقل بقوى كثيرة، وللخصوم عليها إيرادات وطعون.

---

(١) سورة الشورى: آية ٥٢.

(٢) سورة غافر: آية ١٥.

(٣) سورة النحل: آية ٢. وفي الأصل غلط في بدايتها: (يلقي الروح. . .).

(٤) للنصارى في تفسير البارقليط (المعزي) أقوالٌ، منها: أنه ألسن نارية نزلت على التلاميذ. ومنها: أنه المسيح. ومنها: أنه روح القدس، وهذا ادعاء الأكثر منهم. ينظر: هامش الكتاب المقدس ط. المشرق (يوحنا: ١٤/٢٦) دائرة المعارف الكتابية (مادة: باراقليط). وقد ردّ هذه الادعاءات العلماء، كالجعفري في التخجيل ٢/٧٠٧ وقال – عن خبرة بحال النصارى، كما ذكر ابن تيمية عنه في الجواب الصحيح ٥/٢٨٩ –: (ولم أرَ أحداً من النصارى يحسن تحقيق مجيء هذا (الفارقليط) الموعود به) وينظر: ابن تيمية في الجواب ٥/٢٩٠، ورحمت الله الهندي في إظهار الحق ٤/١١٩١ وساق ثلاثة عشر وجهاً من ألفاظ البشارة ترد تفسيره بروح القدس، وذكر د. السقا في كتابه أقانيم النصارى ص: ٥٧: أن الأب متّى المسكين ذكر أنه توجد وثيقة في كنيسة فينّا ليوسابيوس القيصري فيها كلمة البارقليط وصف لشخص بشري.

وإذا / اتضح هذا وظهر برهانه، فلنذكر نكتاً[١] حساناً: أ/١٤

نكتة[٢]:

قوله: (جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلى بجبال <فاران>[٣]، وأتى من ربواتٍ قدسٍ)[٤] عنى بالمجيء: إلى طول مدة دولة موسى وثبوت شريعته.

وعنى بالإشراق: إلى قصر مدة المسيح، وبَهْر نور ما جاء به من مفهوم قوله: (كونوا سماويين، وأبونا الذي في السماوات)[٥] وقوله: (إنما جُعل السبت من أجلك، ولم تجعل أنت من أجل السبت)[٦] وقوله: (إنكم تصيرون إلى حياة أبدية)[٧].

وكانت دولته قبل احتجابه ورفعه إلى السماء سنتين ونصف، والعمر كله اثنتان[٨] وثلاثون سنة ونصف[٩]، وذلك شروق ولمع لا مجيء.

---

(١) في الأصل (نكثاً) وصوابه: نكتاً جمع نكتة.

(٢) في الأصل (فكثة) وما بعدها كذلك.

(٣) في الأصل سقط لكلمة (فاران).

(٤) سفر التثنية: ٢/٣٣. وسبق سياق البشارة في ل أ/٥ ص٩٦.

(٥) هذا قول المسيح فيما ينقله النصارى عنه في إنجيل متّى: ٥/ ٤٨. بلفظ قريب (فانديك): (فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل) ومعنى كاملين عند النصارى: سماويين.

(٦) يشير النصارى إلى أن تعظيم السبت إنما هي شريعة يهودية، وأن المسيح بعد قيامته – بزعمهم - لم يعد إلى اجتماع السبت في الهيكل، وقال للتلاميذ كما في إنجيل مرقس: ٢٧/٢: (السبت إنما جعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت) وعلّل: أن اليهود حرّفوا السبت. وينظر: إنجيل متّى: ١٢/١ – ٧، ولوقا: ٦/١ – ٥. وإفحام اليهود للسموءل ص: ١٠٨.

(٧) نقل كتّاب الأناجيل عن المسيح ا لوعد بالحياة الأبدية في مواضع كثيرة، كما في إنجيل متّى: ١٩/٢٠، وإنجيل يوحنا: ٣٦/٣. وغيرهما.

(٨) في الأصل (اثنان).

(٩) اختلف النصارى في المدّة التي قضاها المسيح في الدعوة: فالأناجيل الثلاثة (متّى ومرقس ولوقا) تحدّدها بعام واحد، وفي إنجيل يوحنّا بثلاثة أعوام، بناءً على أعياد الفصح التي شهدها. قال

وعنى بالاستعلاء: الاستواء على ذروة قوس البناء وأعلى فعل القنطرة[١] في المثال، وأنّ نبيّنا يستعلي دينه وشريعته على كلّ ما سواه، ولا يخرج عن ظله الظليل واستشراقه شيء ممّا قبله.

وعنى بالإتيان من ربوات قدس: أنّ كلّ واحد من الثلاثة يكون من الملوكية والشرف، فكان موسى من بيت بطلميوس فرعون ملك مصر[٢]، وكان المسيح من جهة أمّه من / ذرّية داود المِلك النبيّ[٣]، وكان محمّد من أشرف قبيلة وأشرف بيت في

ب/١٤

الشهرستاني في الملل والنحل ١/٢٢٠: (وأوحي إليه إبلاغاً عند الثلاثين، وكانت مدة دعوته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام) ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: المسيح)، قصة الحضارة ١١/٢٥٠. أما عمره عند رفعه: فثلاث وثلاثون سنة عند أكثر المؤرخين، وقيل غير ذلك. ينظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢/٥١٦.

(١) القنطرة: الجسر، أو ما ارتفع من البنيان. ينظر: لسان العرب ١٢/٢٠٢.

(٢) بيت بطلميوس: حكمت في مصر ق. م بأربعة قرون بعد الإسكندر الكبير، وتعرف: بالبطالسة، وفرعون: بمعنى البيت الكبير وهو اسم لكل من حكم مصر، والذي تربى موسى عليه السلام في قصره لا يعرف على التحديد، فقد ذكر المؤرخون أقوالاً قائمة على الظنّ والمقاربة، ولكن ما ذكره المؤلف مخالف لما ذكره أغلب المؤرخين من أن فترة موسى كانت ق. م بأكثر من عشرة قرون. ينظر: معجم أعلام المورد ص: ١٠٧، قاموس الكتاب المقدس (مادة: فرعون).

(٣) يرفع النصارى نسب المسيح إلى داود من جهة زوج مريم – بزعمهم – يوسف النّجار مع إقرارهم أنه ولد بلا أب! كما في إنجيلي متّى: ١/١ – ١٧، ولوقا: ٣/٣٢ – ٣٨، وبينهما اختلاف في السلسلة والنصارى مختلفون في توجيه ذلك، والأشهر عندهم أن متّى أثبت نسب يوسف ولوقا أثبت نسب مريم، وهذا غلط بيّنه رحمت الله الهندي. ينظر: الفصل لابن حزم ٢/٣٢، إظهار الحق ١/١٨٧، قاموس الكتاب المقدس (مادة: مواليد الرب يسوع).
ورفع نسب مريم إلى داود عليهما السلام فيه خلاف، ولا خلاف في انتسابها إلى آل عمران المصطفين على العالمين كما في سورة آل عمران: آية ٣٣: (ڈ ڈ ک ک ک ک گ گ گ گ گ) . وعمران على الأرجح أنه من سلالة داود. ينظر: تفسير ابن كثير لهذه الآية ٢/٣٣ ت. السلامة.

العرب[١]، فكل واحد منهم أتى من ربواتٍ شرفٍ وقدسٍ، لا ما زعمته اليهود أنه آتٍ يأتي من أرض بيت المقدس، وهو المسيح عندهم ينتظرونه[٢]، وذلك محال.

نكتة:

لما كان عند اليهود من كلام التوراة: إنه لا يأتي في بني إسرائيل نبي مثل موسى[٣]. وجاء المسيح بما جاء به من حلّ السبت[٤] ومن التشريع الجديد أنكره

---

(١) جاء في الحديث الصحيح: (إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم) رواه مسلم (ح ٢٢٧٦). وينظر: الشفا ١/١٦٥.

(٢) يعتقد كثير من اليهود بظهور المسيح المخلِّص في آخر الزمان يختلف عن مسيح النصارى، ويعيشون في حياة هانئة سعيدة في زمنه، وعلى يديه استرداد بيت المقدس، ومن نسل داود عليه السلام، ويستدلون عليه بما جاء في سفر إشعياء: ٤٥/١٧: (وأما إسرائيل فيخلص بالرب خلاصاً أبديّاً، لا تخزون ولا تخجلون إلى دهور الأبد) وغيرها، قال السموءل المغربي — وقد كان يهوديّاً فأسلم — في إفحام اليهود ص: ١٢٦: (ينتظرون قائماً يأتيهم، من آل داود النبي. . . ويعتقدون أيضاً: أن هذا المنتظر متى جاء يجمعهم بأسرهم إلى القدس، وتصير لهم دولة، ويخلو العالم من سواهم، ويحجم الموت عن جنابهم المدة الطويلة) قال ابن القيم في هداية الحيارى ص: ٤٢٣: (وقد عوّضوا من الإيمان بالمسيح ابن مريم بانتظار مسيح الضلالة الدجّال، فإنه هو الذي ينتظرونه حقّاً، وهم عساكره، وأتبع الناس له). ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية للمسيري ٥/٢٩٤.

(٣) ينظر: ما سبق في ل أ/٥ ص٩٧.

(٤) تعظيم السبت شريعة يهودية، أصلها: كما في سفري التكوين: ٢/٣ والخروج: ٣١/١٢ – ١٨ زعمهم أن الله استراح بعد خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وأمرهم أن يسبتوا، أي: يستريحوا. تعالى الله عن إفكهم، وكذبهم الله في القرآن في سورة ق: آية ٣٨: (ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ) ولم يلتزم اليهود بالسبت ويحفظوا فيه العهد! كما ذكر الله تعالى عنهم في القرآن في سورة البقرة: آية ٦٥: (ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ). وقد نقم اليهود على المسيح عيسى أنه لم يحترم السبت ونقض ناموس موسى عليه السلام مع أنه وعظ

الفرّيسيُّون[١]، وقالوا: لا يأتي في بني إسرائيل مثل موسى نبيّ مرسل، ولا يقوم فيهم غيره. وفاتهم أن المسيح ليس من بني إسرائيل؛ بل بشر وحيد، مثله كمثل آدم في الخلق، قال الله له: كن فكان. وذلك[٢] لتمام النعمة وكمال القسمة الرباعية المقتضية للحكمة[٣]: فإن آدم مخلوق من غير أب ولا أم، وسائر بنيه وذريّته كل منهم مخلوق من أم وأب، وخلقت حواء أم البشر من أب بلا أم وهو آدم، فإنّها خلقت من ضلعه[٤]، وخلق المسيح من أم وهي مريم بلا أب. فكملت القسمة الرباعية ولا مزيد عليها[٥]. ولما كان ذلك كذلك؛ / كانت[١] مريم وعاءً لخلق المسيح بكلمة كن فكان، فلم يكن من بني إسرائيل مثل موسى.

في يوم السبت وبيّن أنه ما جاء لينقض بل ليكمل، لذا سعوا في قتله. ينظر: إفحام اليهود ص: ١٠٨، موقف اليهود والنصارى من المسيح د. سارة العبادي ص: ٥١.

(١) الفريسيون: جمع فريسي، في الآرامية بمعنى: المنعزل. وهم إحدى فرق اليهود، وأكثرها، ويسمى علماؤهم: بالكتبة والربانيين، وهم أشد اليهود تمسكاً بتعاليم التوراة التي كتبها عزرا، ويزعمون أنها مخلوقة منذ الأزل، ويعظّمون التلمود، ويعتقدون بمسيح منتظر وباليوم الآخر، وبدأ ظهورهم قبل ميلاد المسيح بمائة سنة وهم من سعى باضطهاد المسيح وأتباعه، وقد قاومهم المسيح كما تصور ذلك الأناجيل كإنجيل متّى: ٢٣. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: فريسي)، ملامح من التأريخ القديم ليهود العراق د. سوسة ص: ١٦٥، اليهودية د. شلبي ص: ١٦٦، الفرق والمذاهب اليهودية لعبد المجيد همّو ص: ٥٤.

(٢) في الأصل (ولذلك).

(٣) في الأصل (المقتضيها الحكمة).

(٤) كما قال تعالى في سورة النساء: آية ١: (ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ). وفي حديث أبي هريرة في صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم (ح ٣١٥٣): (فإن المرأة خلقت من ضلع) بيان أن حواء خلقت من ضلع آدم عليهما السلام. ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٥/٢٠٧.

(٥) ذكر هذا المعنى في تفسير قوله تعالى: (ﯦ ﯧ ﯨ). قال ابن كثير في تفسيره ٥/٢٢١: (فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته، وعظيم سلطانه، فلا إله غيره، ولا رب سواه).

نكتة:

قول أرميا في تنبّئه: (إنّه رأى شعوباً شعوباً وربوات ربوات بين يدي المسيح)[٢] إشارة إلى أنه أرسل إلى الأمم الأربع[٣] الذين كانوا في زمنه، وهم: المجوس واليهود

---

(١) تكررت كلمة (كانت) فربّما كانت منقلبة عن (كذلك) كما صوبته.

(٢) ينظر: ما سبق في ل أ/٧ ص١٠٧.

(٣) في الأصل (الأربعة).

وهم المؤلف بالقول بأن المسيح أرسل لعموم أهل زمانه؛ فإن رسالة المسيح لم تكن عامة، وإنما هي خاصة لبني إسرائيل، كما قال تعالى في سورة الصف: آية ٦: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ)، وفي حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود. . .) رواه مسلم (ح ٨١٥). وخصوصية رسالة المسيح يدل عليها أمور: منها: أن البشارة بمولده كانت مصحوبة بأنه لبني إسرائيل خاصة، كما في إنجيل متّى: ٦/٢: (لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل) وفي لوقا: ٣٠/١: (ويعطيه الرب كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد) وبيت يعقوب بنو إسرائيل. ومنها: إشارات في الأناجيل أن المسيح أخبر أنه لم يأت إلا لبني إسرائيل كما في متّى: ٢٤/١٥: (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) ومنها: أن المسيح أمر تلاميذه أن ينشروا دعوته بين بني إسرائيل، ففي إنجيل متّى: ٥/١٠ – ٢٣: (هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم لا تمضوا، إلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. . . فإني الحق أقول لكم: لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان!) وما يستدل به النصارى من قول المسيح كما في خاتمة إنجيل متّى: ١٩/٢٨: (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم) ومثلها في خاتمة إنجيل مرقس: ١٥/١٦. فلا يسلم لهم؛ فإن نقّاد النص الكتابي من المسيحيين وغيرهم يشككون في إثبات الخاتمتين، ولا يثقون فيهما. ينظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص: ٥٥، ٦١. كما أنهما معارضتان بما ذكر عن المسيح عليه السلام، وبواقع دعوته ودعوة تلاميذه، وإنما ابتدع التنصير في غير بني إسرائيل بولس وخالفه التلاميذ. ينظر: المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير ص: ١٠٤

والصابئة واليونان الفلاسفة[١]، وكذلك رؤيته للشعوب والربوات بين يديْ نبيّنا محمد ﷺ وعلى المسيح أيضاً، فإنّها إشارة إلى أنه[٢] مرسل إلى العالمين كافّة: اليهود والنصارى والمجوس والصابئة والمشركين الجاهليّة، والثقلين الإنس والجنّ، لأنه خاتم النبيّين، ومتمّم مكارم الأخلاق، وكما أنه ليس بعد التمام تمام فكذلك ليس بعد الختام ختام.

نكتة:

لما افترقت النصارى في غلوّهم في المسيح إلى أربع[٣] فرق[٤]:

---

[١] الفلاسفة: قال ابن القيم في إغاثة اللهفان ٢/٢٥٧: (الفلاسفة اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها، وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصّاً بمن خرج عن ديانات الأنبياء، ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه) واليونان: منطقة واقعة في الضفّة الشمالية للبحر المتوسط، وعرفت بحضارتها القديمة ومدارسها الفلسفية، وقد دخلها الرومان عام ١٦٨ ق. م، فانتشرت الثقافة واللغة اليونانية في أرجاء مملكة الرومان، وقد بعث الميسح عليه السلام في دولة الرومان، وكان من أتباعه فلاسفة يونان كبولس ويوستنيوس. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: يونانيون)، تأريخ الكنيسة ليوسابيوس ص: ٥٧، تحريف رسالة المسيح لبسمة جستنية ص: ٣٨٥.

[٢] في الأصل تكررت جملة (إشارة إلى أنه) وذلك سهو من النّاسخ.

[٣] في الأصل (أربعة).

[٤] تقسيم فرق النصارى اختلف فيه الكتّاب، وحديث الافتراق الصحيح المشهور في السنن والمسانيد كما قال الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٣/٢٤٥: (وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة) يدل على واقع النصارى من غير تعيين للفرق، وإنما يذكر أجناسها أو أشهرها، والتفرق بين النصارى يدور غالباً حول: التثليث، طبيعة المسيح ومشيئته، ووالدته، انبثاق روح القدس، الصلب. والأشهر ذكر الفرق الأربع المشهورة: اليعقوبية، والملكانية، والنسطورية، والأريوسية. ومنهم من يغفل الأخيرة لإنكارها للتثليث. ومنهم من يزيد على ذلك.

* ملاحظة: سياق المؤلف للفرق النصرانية يحتمل أمرين: أحدهما: أنه أراد بيان تعدد الآلهة في النصرانية، وعلى هذا تم التعليق. الثاني: أن يريد قول النصارى في المسيح، وعليه؛ فإنه أراد

ب/١٥

فرقة ربّعت، فقالت: أب، وابن، وروح قدس، والإنسان القديم، طبيعتان ومشيئة واحدة. وهـؤلاء هـم البطلانيـون[(١)] /

فلاسفة النصارى [(٢)]، سمّوا العالَمَ الأكبر: إنساناً قديماً، ذا ذات كلّية مجرّدة: عقل كلّي ونفس كلّية وصورة الصور[(٣)]. وسمّوا الإنسان: عالماً أصغر، ذا روح وعقل ونفس

بالمثلّثة (طبيعتان ومشيئتان) النسطورية، والمثنّية (طبيعتان ومشيئة واحدة) الملكانية، والموحدة (طبيعة واحدة ومشيئتان) اليعقوبية وقولهم: مشيئة واحدة، وذكر المشيئتين وهم. فسياق المؤلف للفرق موهم.

(١) هكذا في الأصل، ولم أجد من تسمّى بهذا الاسم. وربما تصحّف عن: الأفلوطونيين. نسبة إلى أفلوطين (٢٠٥ م — ٢٧٠ م) وهو شخصية فلسفية مقدّرة عند فلاسفة النّصارى المتقدمين (عصر آباء الكنيسة). واعتبرت فلسفته في: العلة الأولى والعقل (اللوغوس) والنفس، صورة للثالوث عند الكنيسة ثم المادة والموجودات، متأثراً بأفلاطون (٤٢٧ ق. م). ينظر: موسوعة الفلسفة د. بدوي ٢٠٢/١، تطور الفكر الديني الغربي د. حنفي ص: ٢٨، تأريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص: ٣٢٥.

(٢) فلاسفة النصارى: هم من استخدم الفلسفة في تقرير العقائد المسيحية. والتحقيق: أن الفلاسفة لم يتخلوا عن فلسفاتهم بل صبغوها بمسميات دينية، وتعود أصول فلاسفة النصارى إلى: وثنية يونانية كالقديس يوستينيوس (ت ١٦٥م) أو يهودية يونانية كبولس وأرسطون (ت ١٤٠م). وفي عصر آباء الكنيسة (القرون المسيحية الأولى) اشتهرت الفلسفة الأفلوطونية المحدثة (رائدها الفيلسوف اليهودي أفلوطين ت ٢٧٠ م) وتميز بها القديس أوغسطين (ت ٤٣٠م) ثم في العصر الوسيط الكنسي اشتهرت فلسفة أرسطو، وتميزت عند القديس توما الأكويني (ت ١٢٧٤م). ينظر: موسوعة الفلسفة د. بدوي ١٩٣/١، روح الفلسفة في العصر الوسيط لإتين جلسون ترجمة د. إمام ص: ٤٥٣، تحريف رسالة المسيح جستينية ص: ٣٨٨، تطور الفكر الديني الغربي د. حنفي ٢٨، ٤٣.

(٣) الكلّيّ: هو الذي نفس تصور معناه لا يمنع الشركة فيه، وعند الفلاسفة العقل الكليّ: أشرف الموجودات وأعلاها، والمراد به: جملة العالم الذي آخره العقل الفعّال، وهو التالي للمبدأ الأول (العلة الأولى)، والنفس الكلّيّة: هي أوسط الموجودات، التي تنفعل من العقل بالأجسام وساطة. وصورة الصور: الفكر المطلق وهو ما يقابل أصل المادة (الهيولى)، وكلها كليّات مجرّدة.

ناطقة وجسد[١]. وقالوا: المظاهر والمباطن الأربعة إله واحد، طبيعة واحدة، ومشيئة واحدة[٢].

وفرقة ثلّثت، فقالت: الأب، والابن، والروح القدس، ثلاثة أقانيم[٣] جوهرية إله واحد، فالأب موجود لذاته حيّ بالروح ناطق بالابن، والابن ناطق لذاته موجود

ينظر: معيار العلم للغزالي ص: ٢٩٢، ٢٧٩. المعجم الفلسفي د. صليبا ٧٤١/١، ٨٤/٢، ٢٣٨. واختلف الفلاسفة في وجود الكليّات، ومنشأ غلط كثير منهم كأفلاطون وأرسطو: القول بوجود كليّات مجردة في الخارج. قال الإمام ابن تيمية في الصفدية ٢٧٩/٢: (فإن هؤلاء المتفلسفة كثيراً ما يغلطون فيظنون ما هو موجود في الأذهان موجوداً في الخارج. . . ومثل غلط أفلاطون وشيعته في الطبائع الكلّيّة، **كالإنسان الكلّي والحيوان الكلّي، حيث ظنّوا أنها تكون في الخارج كليات مجردة عن الأعيان** أزلية أبدية لم تزل ولا تزال) ينظر: تأريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ليوسف كرم ص: ٧٠.

(١) ينظر قول الفلاسفة في العالمين الأكبر والأصغر: المعجم الفلسفي د. صليبا ٤٦/٢.

(٢) لم يقل أحد من النصارى: إن هناك أربعة أقانيم، وإنما مآل قول فلاسفة النصارى إثبات أربعة: الأول: العلة الأولى عند الفلاسفة تقابل الأب عند النصارى، والثاني والثالث: العقل عند الفلاسفة (اللوغوس بالمصطلح اليوناني)، وهو منقسم إلى: عقل باطن (المثال عند الأفلاطونية، والمحرك الأول عند الأرسطية)، وعقل صادر عنه (العقل الفعّال). وقابله عند النصارى (الكلمة، الابن)، وهي منقسمة إلى: لاهوتية أزلية، كما في مطلع إنجيل يوحنّا: (في البدء كان الكلمة) وناسوتيّة في المسيح (والكلمة صار جسداً). والرابع: النفس أو روح الكون ويقابلها روح القدس عند النصارى. ينظر: تأريخ الفلسفة اليونانية لكرم ص: ٢٩٧، تأريخ الفكر المسيحي للقس حنّا ص: ٤٥٤، موسوعة الفلسفة ١٧٤/١.

(٣) الأقانيم: جمع أقنوم، لفظ يوناني، وقيل: سرياني، بمعنى: أصل، أو شخص، وقيل غير ذلك. وهي للتمييز بين الأب والابن وروح القدس في المسيحية. وعرف اللفظ في الفلسفة عند أفلوطين الفيلسوف اليهودي ثم نقل إلى النصرانية، وأول من أطلقه أوريجانوس ت ٢٥٤ م. ويفضّله النصارى للتعبير عن الثالوث لما يحمله من غموض. قال الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح ٢٠٠/٣: (قولهم بالأقانيم مع بطلانه في العقل والشرع، لم ينطق به عندهم كتاب، ولم يوجد هذا اللفظ في شيء من كتب الأنبياء التي بأيديهم، وفي كلام الحواريين، بل هي لفظة

بالأب حيّ بالروح، والروح حيّة لذاتها موجودة بالأب ناطقة بالابن، طبيعتان مشيئتان[(١)].

وفرقة ثنّت، فقالت: لم يولد المسيح إذ ولد إلا مخلوق إنسان تام، مهيّأ لحلول الإله فيه، فلمّا عمّده يوحنّا المعمداني[(٢)] حلّت فيه روح القدس، وصار من وقت التعميد[(٣)] إلهاً تامّاً وإنساناً تامّاً، من جوهر أبيه، وعاين يوحنّا الروح ترفرف عليه،

ابتدعوها. . . ولهذا يضطربون في تفسير الأقانيم، تارة يقولون أشخاص، وتارة خواص، وتارة صفات، وتارة جواهر، وتارة يجعلون الأقنوم اسماً للذات والصفة معاً، وهذا تفسير حذّاقهم) وذكر الأصفهاني النصراني (يعقوبيّ عاش في ق ١٢ م) في رسالته: أشرف الحديث في شرفي التوحيد والتثليث ص٤٢: ثمانية أقوال في تفسير الأقنوم، وضعّف سبعة ورجّح الأخير واعترف أنه مبهم أيضاً!. ينظر: المعجم الفلسفي د. صليبا ١/١١٢، النصرانية من التوحيد إلى التثليث د. الحاج ص: ٢٠٧، الخلاصة اللاهوتية للقديس توما ١/٣٦٦.

(١) هذا قول عامة فرق النصارى بعد مجمع نيقية (٣٢٥ م): التثليث، وقد اختلفوا في طبيعة الميسح إلى فرق ثلاث. حاصل أقوالها ما ذُكر في كتاب أدلة الوحدانية للإسكندري (المنسوب للقرافي) ص ٣٤: (مدار قول هؤلاء الثلاث فرق — أعني: اليعقوبية والنسطورية والملكية — أن يعقوب يقول: إن المسيح جوهر واحد وأقنوم واحد. ونسطورس يقول: هو جوهران وأقنومان. والملكية يقولون: جوهران وأقنوم واحد) وينظر: بولص الأنطاكي في رسالته في الفرق المتعارفة بين النصارى، نشرت في مجلة المشرق الكاثوليكية / السنة السابعة ص ٧٠٢.

(٢) يوحنّا المعمداني: مسمّى النبيّ يحيى بن زكريا عليه السلام في الإنجيل، وأصله سرياني، وردت البشارة لزكريا به في سورة آل عمران: آية ٣٩: (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ) وهو ابن خالة عيسى عليهما السلام وولد قبله بستة أشهر، وسمي: المعمداني: لتعميده عيسى بنهر الأردن كما في إنجيل متّى: ٣/١٣ – ١٦، وتعميده التائبين كما في إنجيل لوقا: ٣/ ٢، ولا يعرف التعميد قبله في اليهود، ولم يذكر في العهد القديم، وقد قتله هيرودس الملك. ينظر: البداية والنهاية ٢/٣٩٣، التخجيل ١/١٣٣، قاموس الكتاب المقدس (مادة: يوحنّا).

(٣) التعميد: ويسمّى: التغطيس والمعمودية. إحدى بدع النصارى في دينها وأسرارها السبعة، ولا يعرف التعميد قبل يوحنّا في اليهود، وحيث لم يذكر في العهد القديم، وإنما جاء في

وسمع النداء من السماء وشهد به[١]. وكذلك أمّه كانت ذاتاً حسّاسية مهيأة لقبول حلول / كلمة الله فيها، فلما حلّت الكلمة فيها تجسّدت فيها واتحدت، فكانت كالابن في الإلهية[٢]. مشيئة واحدة وطبيعتان[٣]. ١٦/أ

وفرقة قالت بالوحدة وعدم المغايرة، طبيعة واحدة ومشيئتان[٤].

العهد الجديد كما في إنجيل مرقس: ١٦/١٦: (من آمن واعتمد خلص)، مما يدل أنه ليس من شرائع الأنبياء وإنما مصدره وثنيات قديمة، وهو غمس التائب بالماء، وهو علامة على التطهير من الخطيئة أو الانتساب للكنيسة، تختلف الكنائس حول طريقة التعميد وتعميد الصغار. ينظر: تحفة الأريب للترجمان القس سابقاً ص: ١٣٤، العقائد الوثنية ص: ١١٥، أسرار الكنيسة السبعة للقس حبيب جرجس ص: ٢١، قاموس الكتاب المقدس (مادة: معمودية).

[١] في إنجيل متّى: ١٦/٣، ١٧ (فانديك): (فلمّا اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه، وصوت من السماوات قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت).

[٢] سيأتي تفسير الاتحاد والتجسد. وقال بألوهية مريم من النصارى طائفة البرابرنية (المريمتيين) وذكر ابن حزم في الفصل ١/١١٠: أنها انقرضت، وينظر: تحفة الأريب ص: ١٤١. وقد اتخذت غالب فرق النصارى لمريم عبادات وصلوات من دون الله، قال القاضي عبد الجبار في تثبيت دلائل النبوة ١/١٤٦: (وإنما ينكره من لا يعرف أقاويل النصارى وحقيقة النصرانية) وينظر في تحقيق هذا الأمر واشتهاره: مقالٌ للأب. لويس شيخو في مجلة المشرق الكاثوليكية مجلد السنة السابعة ص: ٣٩٥.

[٣] القول بإلهين اثنين متحدين قال به فرق من النصارى: المرقيون (إله خير وإله شرّ)، البرابرنية (ألوهية المسيح ومريم) وأيضاً: قال به بعض النصارى قبل أن تقرّ ألوهية روح القدس في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م كأتباع مقدونيوس. الفصل ١/١٠٩.

[٤] القول بإله واحد، قال به طوائف من النصارى، ولا سيما قبل انعقاد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م، كأتباع أبيون، وبولس الشمشاطي، وآريوس، وغيرهم. ينظر: الفصل لابن حزم ١/١٠٩، الملل والنحل للشهرستاني ص: ٢٤٠.

فردّ الله تعالى هذه المقالات الأربع، وبيّن كفر قائلها، ووبّخهم بلسان رسوله محمد ﷺ بقوله في القرآن:

(ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ)[1].

(ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ)[2].

(ﯤ ﯥ ﯦ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ) الآية[3].

(ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ) الآية[4].

وقوله تعالى: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ) أي: تنزهت وتقدّست (ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ)[5]،[6].

---

(١) سورة المائدة: في موضعين: آية ١٧، ٧٢.

(٢) سورة المائدة: آية ٧٣.

(٣) سورة الكهف: آيتا ٤، ٥. وفي الأصل: الرحمن. وهو غلط.

(٤) سورة مريم: آيتا ٨٨، ٨٩.

(٥) سورة المائدة: آية ١١٦. قال الألوسي في تفسيره روح المعاني ٦٥/٧: (واستشكلت الآية: بأنه لا يعلم أن أحدًا من النصارى اتخذ مريم عليها السلام إلهاً. وأجيب عنه بأجوبة. الأول: أنهم لما جعلوا عيسى عليه الصلاة والسلام إلهًا لزمهم أن يجعلوا والدته أيضًا كذلك؛ لأن الولد من جنس من يلده، فذكر (إلهين) على طريق الإلزام لهم. والثاني: أنهم لما عظّموها تعظيم الإله أطلق عليها اسم الإله كما أطلق اسم الرب على الأحبار والرهبان في قوله تعالى في سورة التوبة: آية ٣١: (ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ) لما أنهم عظّموهم تعظيم الرب. والتثنية حينئذٍ على حد القلم أحد اللسانين. والثالث: أنه يحتمل أن يكون فيهم من قال بذلك. ويعضد هذا القول ما حكاه أبو جعفر الإمامي عن بعض النصارى: أنه قد كان فيما مضى قوم يقال لهم: : المريمية يعتقدون في مريم أنها إله. وهذا كما كان في اليهود قوم يعتقدون أن عزيرًا ابن الله عز اسمه، وهو أولى الأوجه عندي) وينظر: تفسير القرطبي ٣٧٥/٦.

(٦) قال الإمام ابن تيمية في تفسير الآيات التي ذكرت أقوال النصارى: أن عيسى هو الله، أو أنه ابن الله، أو أنه ثالث ثلاثة. في الجواب الصحيح ١١/٢: (والنصارى قالت الأقوال الثلاثة، فذكر الله عنهم هذه الأقوال، ولكن من الناس من يظنّ أن هذا قول طائفة منهم، وهذا

نكتة:

لما يقال للمسيح: (ﭹ ﭺ ﭻ) الآية، ويقول: (ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ) ويسوق إلى قوله: (□ □ □ □)[١] يكون مثله – صلى الله على نبيّنا / وعليه –كمثل نائب ملِك عظيم بَلَغه أن النائب دعا إلى طاعة نفسه دون الملك، فقال له الملك تهديداً: أأنت دعوت الناس إلى طاعتك من دوني؟ فقال: لا، وإن الملك ليعلم مني أنني لم أدعهم إلا إلى طاعته. ثم تحمّله الإذلال والقرب من الملك على الشفاعة فيهم.

ب/١٦

فوافق المسيحُ عليه السلام نبيَّنا ﷺ في الرأفة بالعباد، والرحمة لهم، والشفقة عليهم، وطلب المغفرة لهم والعفو عنهم؛ حيث يقول نبيّنا ﷺ يومَ وقعة أحد[٢]، وقد استشهد عمّه حمزة المسمى أسد الله [٣]، وشجّ جبينه وكسر بعض أسنانه، وقتل سبعون من أصحابه، واشتد بأس الكفار على المسلمين، وهو في تلك الحال يقول:

قول طائفة منهم. كما ذكره طائفة من المفسرين، كابن جرير الطبري والثعلبي وغيرهما. والصواب أن هذه الأقوال جميعها قول طوائف النصارى المشهورة: الملكية واليعقوبية والنسطورية).

[١] سورة المائدة: آيات ١١٦ – ١١٨.

[٢] وقعة أحد: غزوة وقعت عند جبل أحد (شمال المدينة، يبعد عن المسجد النبوي خمسة أكيال ونصف الكيل تقريباً) في شوال من السنة الثالثة للهجرة حين خرجت قريش وحلفاؤها بثلاثة آلف لردّ هزيمتها يوم بدر. ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٦٤/٢.

[٣] حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه: عم نبيّنا ﷺ وأخوه من الرضاعة، وأسن منه بسنتين، أسلم في السنة الثانية من البعثة، معدود في شجعان قريش، ولقبه رسول الله ﷺ بأسد الله، وسيد الشهداء، وقصة استشهاده أخرجها البخاري في صحيحه في كتاب المغازي باب: قتل حمزة بن عبد المطلب (ح ٤٠٧٢). ينظر: الإصابة ٣٧/٢.

(اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) وهو يكررها مرات[١]، وأصحابه يمسحون دمه عن وجهه[٢].

والمسيح يقول – عند سماع التعنيف بقول: (ﯹ ﯺ ﯻ) –: (□ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □) أي: رب العزة المنزّه عمّا يقول الظالمون / الجاهلون، ولم يقل: أنت الغفور الرحيم[٣]؛ إجلالاً منه للإله تعالى، وتعريضاً بالعزة التي هي الامتناع

١٧/أ

---

(١) أخرج البخاري في أحاديث الأنبياء (ح ٣٤٧٧) ومسلم في كتاب الجهاد باب: غزوة أحد (ح ١٧٩٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيّاً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) قال النووي في شرح مسلم ١٢/١٥٠: (وقد جرى لنبيّنا ﷺ نحو ذلك يوم أحد) وجاء مصرحاً به في صحيح ابن حبان ٢/ ١٦٠ (ح ٩٦٩) وفي المعجم الكبير للطبراني ٦/ ١٢٠ (ح ٥٦٩٤) وقال عنه الهيثمي في المجمع ٦/١١٧: رجاله رجال الصحيح. وينظر: فتح الباري ٦/٥٢١.

(٢) ينظر في شدة ما أصاب النبي ﷺ ما أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب: ما أصاب النبي من الجراح يوم أحد. ومسلم في كتاب الجهاد باب: غزوة أحد.

(٣) قال ابن القيم في مدارج السالكين ١/٤٠: (ومن ها هنا كان قول المسيح عليه السلام: (□ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □) أحسن من أن يقول: وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم، أي: إن غفرت لهم كان مصدر مغفرتك عن عزة، وهي كمال القدرة، وعن حكمة، وهي كمال العلم، فمن غفر عن عجز وجهل بجرم الجاني، فأنت لا تغفر إلا عن قدرة تامة، وعلم تام، وحكمة تضع بها الأشياء مواضعها، فهذا أحسن من ذكر الغفور الرحيم في هذا الموضع، الدال ذكره على التعريض بطلب المغفرة في غير حينها، وقد فاتت، فإنه لو قال: وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم، كان في هذا من الاستعطاف والتعريض بطلب المغفرة لمن لا يستحقها ما ينزّه عنه منصب المسيح عليه السلام، لا سيما والموقف موقف عظمة وجلال، وموقف انتقام ممن جعل لله ولداً، واتخذه إلهاً من دونه، فذكر العزة والحكمة فيه أليق من ذكر الرحمة والمغفرة، وهذا بخلاف قول الخليل عليه السلام: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ) ولم يقل: فإنك عزيز حكيم، لأن المقام مقام استعطاف وتعريض بالدعاء، أي: إن

والرفعة المنزّهة عن كل ما قالوه بأفواههم، وظنّوه بعقولهم، وجهلوه لقصر أفهامهم، وأخطؤوا فيه لقلة العلم منهم، ونسبوه إلى الله تعالى غلطاً وسفهاً بغير علم ولا تعقّل، فلم يصل إلى الله تعالى شيء من مقالتهم، ولا يناله شيء من ادّعائهم وباطلهم.
فتعرّض للشفاعة مع حفظ الأدب وملاحظة العزة والحكمة[١].

نكتة:

لما أرسل الله نبيّنا بالهدى ودين الحق، ووبّخ العالم على الخطيئة والعدل كما بشّر به المسيح، وأنزل الله الخبر الحق عن طهارته ونزاهته وسلامته وعصمته من الذين كفروا، وأنه لم يقتل ولم يصلب ولكن شبّه لهم، استيقظت فطر أولي الألباب، وقالوا: صدق الله ورسوله، وصدق المسيح في خبره وبشارته بهذا الرسول المنبثق من فيه روح الحق، وما ينبغي للمسيح المصطفى المقرّب المنتقى الذي سمّاه الله: كلمته / وروحاً منه، أن يعذّب ويهان، ويربط وتخلع ثيابه، ويكلّل بالشوك بدلاً من تاج الملك، ويحمّلونه ويحمله الأرذال خشبته ليصلب عليها، ويسحبونه سحباً، ويلطمونه بأيديهم لطماً مبرحاً، قائلين له: أنت ملك يهوذا! أنت كلمة الله! أنت ابن الله! أنت رسول

ب/١٧

تغفر لهم وترحمهم، بأن توفقهم للرجوع من الشرك إلى التوحيد، ومن المعصية إلى الطاعة، كما في الحديث: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون). وينظر: تفسير القرطبي ٢٩٢/٦.

[١] أخرج الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب: دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم (ح ٢٠٢) عن عبدالله بن عمرو بن العاص: أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: (ڦ ڃ ڄ ڇ ڇ ڃڄ ڍ ڍ ڃ ڄ) وقال عيسى عليه السلام: (□ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □) فرفع يديه، وقال: (اللهم، أمتي أمتي) وبكى. فقال الله عز وجل: يا جبريل، اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله: ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله. فأخبره رسول الله ﷺ بما قال. وهو أعلم. فقال الله: (يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل: إنّا سنرضيك في أمّتك ولا نسوؤك). وهذا من تمام شفقته ﷺ على أمّته، وموافقته لدعوة عيسى عليه السلام.

الله!. ويلطمونه ويقولون له: إن كنت نبيّاً فقل لنا: من لطمك؟ ثم لم يزالوا معه على ذلك حتى أوصلوه إلى موضع الصلب، فصلبوه. وشنقوا عن يمينه ويساره شخصين.

وبقي مصلوباً طول نهار الجمعة إلى العصر، وبات عطشانَ يتلظى، ويسأل أن يُسقى شربة ماء، فبلّوا له إسفنجة بخلّ وماء حنظل حارق[١] ورفعوها إليه في رأس قصبة، فلما امتصّ منها سعر وجهه ومات، ولم يسمع من كلامه شيء سوى عند الموت، قالت مريم المجدلانية[٢] وهي مع أمّه تحت صليبه وهما تبكيان: سمعته يقول وقد اسودّت الدنيا وأظلمت: (ليماثا فاختاني؟)[٣] الذي ترجمته بالعربية: (يا إلهي، لماذا تركتني؟)[٤]. وأمّه وخالته ومريم المذكورة وجماعة نسوة / تحت خشبته يبكين ويندبن[٥].

١٨/أ

---

(١) في الأصل (حاذق).

(٢) مريم المجدلانية: نسبة إلى مجدلة (محلة واقعة على الشاطئ الغربي لبحيرة طبريّة، تبعد عن مدينة طبرية ٥ أكيال شمالاً)، وصفتها الأناجيل: بأنها مريضة وأخرج منها المسيح سبعة شياطين، وأنها شاهدة لحادثة الصلب والدفن، وشرّفها المسيح بحديثه معها بعد قيامته!. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: مريم)، الموسوعة العربية الميسرة ص: ١٦٩٠.

(٣) كذا في الأصل. ونقل قريباً منها الغزالي في الردّ الجميل ت. الشرقاوي ص: ١٢٠، وقال: (وهذه كلمات عبرانية).

(٤) اختلفت الأناجيل في آخر ما قاله المسيح: في إنجيل متى: ٢٧/ ٤٦: (إيلي، إيلي، لِمَ شَبَقْتَنِي؟ أَيْ: إلهي، إلهي، لِمَاذا تركتني؟) وقريب منه في إنجيل مرقس: ١٥/٣٤، وفي إنجيل لوقا: ٢٣/٤٦: (يا أبتاه، في يديك أستودع روحي) وفي إنجيل يوحنّا: ١٥/٣٠: (قَدْ أُكْمِل)، كما اختلفت الأناجيل في ساعة الصلب.

(٥) الذي شهد في حادثة الصلب كما تزعم النصارى – غير أعدائه اليهود –: في الأناجيل الثلاثة: (متّى ومرقس ولوقا) كما في متى: ٢٧/٥٥، ٥٦: (وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد، وهن كن قد تبعن يسوع من الجليل يخدمنه، وبينهن مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب ويوسي، وأم ابني زبدي) فهن نسوة وينظرن من بعيد. بينما خالف في إنجيل يوحنّا:

فلما كان آخر النهار أنزلوه إلى والي الشرطة، بعد أن طعنوه بحربة في جنبه، وضربوه بخشبة على ساقيه كسروهما، ثم لفّوه في لفافة ودفنوه ببستان يعرف بالفاخوري موضع العمارة المعروفة الآن بالقيامة بالبيت المقدس[١]، كما هو مكتوب مؤرّخ عند اليهود والنصارى[٢].

ثم فحص العلماء الربّانيون عن الذي ألقى الله عليه شبه المسيح، من هو؟

١٩/٢٥، ٢٦: (وكانت واقفات عند صليب يسوع: أمّه، وأخت أمّه مريم زوجة كلوبا، ومريم المجدلية. . . والتلميذ الذي كان يحبّه واقفاً) أما تلاميذ المسيح فقد تركوه وهربوا كلهم، كما في متّى: ٢٦/٥٦.

[١] قبر المسيح بزعم النصارى: ببستان. كما في إنجيل يوحنّا: ١٩/٤١ ووصفته رسالة العبرانيين: ١٣/١٢: خارج باب أورشليم. وأول من شيّد القبر وأظهره هيلانة أمّ قسطنطين سنة ٣٢٦ م، وبُني عليه كنائس عرفت بالقيامة نسبة لقيامة المسيح من قبره بزعمهم، أو القمامة لكونها موضع مزبلة عند اليهود. وهي في البلدة القديمة في القدس، جوار مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح ٣/١٤٠: (وإنما يحجّون إلى قمامة الخارجة عن بيت الله الذي كانت الأنبياء تقصده وتصلي فيه، فإن الأنبياء إنما كانوا يصلون في بيت المقدس، ويزورون بيت المقدس نفسه، وأما قمامة فليس لها ذكر في كتب الأنبياء عليهم السلام، بل إنما ظهرت قمامة في زمن قسطنطين الملك، لما أظهرتها أمه هيلانة الحرانية لما جاءت بيت المقدس). ينظر: تأريخ ابن البطريق ص: ١٢٩، الكامل في التأريخ ١/٣٠٠.

[٢] حادثة الصلب مذكورة في أناجيل: متى: ٢٧، مرقس: ١٥، لوقا: ٢٣، يوحنا: ١٩، وفي سياقها تناقضات واختلافات تبطل الحادثة من أصلها، وقد انتقدها علماء المسلمين وبينوا تناقضها وفنّدوا شبهات النصارى في إثباتها، كالقاضي الجعفري في التخجيل ١/٣٣١ مع تعليق شيخنا د. محمود قدح، وابن تيمية في الجواب ٢/١٠٨، والقرافي في الأجوبة الفاخرة ص: ٥٤، ١٠٦. وللمحققين من النصارى كلام في التشكيك فيها، قال د. حنّا الخضري النصراني في تأريخ الفكر المسيحي ١/٣٣٨: (الوثائق التأريخية غير الإنجيلية التي تتكلم عن يسوع وموته قليلة جدّاً! الأمر الذي أدهش المؤرخين كثيراً، بل يعتبر حجر عثرة بالنسبة لهم) وينظر: قصة الحضارة ١١/٢٣٩، المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص: ١٢٧.

فوجدوا: المسيح ليلة الفصح والعهد سهر سهراً طويلاً وتضرّع إلى الله كثيراً، وكان من جملة مسألته: أسألك يا إلهي، أنت تصرف عني هذا الكأس، فإنك القادر لا غيرك، وأنت الربّ لا سواك، والمشيئة مشيئتك لا مشيئتي. ثم أوصى تلاميذه ولوّح لهم بأنه ذاهب عنهم. وقال لبطرس[١]: أنت تنكرني، وتحلف أنك ما تعرفني ولا صحبتني. وقال ليهوذا[٢] الأسخريوطي التلميذ أيضاً[٣]: وأنت تدلّهم عليّ، ويا شقاوتك. وذلك يكون عند السحر، إذا سمعتم صياح الديكة صوتها / الأول. فلما جاء ذلك الوقت وأحاط بهم الفريسيون أنكر بطرسُ المسيحَ، والتزم يهوذا بالدلالة لهم

---

[١] بطرس: اسم يوناني بمعنى: صخرة وتسمى بالآرامية: كيفا، وبه سمّاه المسيح، وعرف بشمعون الصفا، واسمه الأصلي: سمعان بن لوقا، أحد تلاميذ المسيح عليه السلام المقربين إليه ورئيس الحواريين، وشيء من حياته مذكور في الأناجيل، قام بالدعوة بعد المسيح حتى قتل مصلوباً في زمن الملك نيرون سنة ٦٧ م. وينسب إليه رسالتان من رسائل الحواريين في الكتاب المقدس. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: بطرس) الموسوعة العربية الميسرة ص: ٣٧٨، رجال الكتاب المقدس للقس إلياس مقار ٧٣/٣.

[٢] في الأصل: (هيرودس). في جميع المواضع القادمة. وهو غلط، والتصويب في جميع المواضع. وهيرودس اسم للحاكم الروماني على الجليل في زمن المسيح.

[٣] يهوذا الأسخريوطي: يهوذا اسم عبراني بمعنى حمد، وهو ابن سمعان، والأسخريوطي نسبة إلى خريوت اسم قرية ف؟ ؟ ، بمعنى رجل تمييزاً عن يهوذا آخر من التلاميذ، وفي الأناجيل القانونية: وصف له بأنه الخائن لدلالته على المسيح، وبأنه سارق، ومراءٍ، وأن الشيطان دخله، وأن نهايته الانتحار. بينما ورد في إنجيل برنابا: ٢١٦ أن الله عاقبه لخيانته بإلقاء الشبه عليه وصلبه. ويعترف محققو النصارى بغموض مسألة خيانته ونهايته، وهم مختلفون في صدقه: فيرى القس توما الأكويني وغيره صدقه وأن دلالته على المسيح ليرى سلطانه ولاهوته! ويخالفه الأكثرون. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: يهوذا)، رجال الكتاب المقدس ١٩٩/٣.

عليه. ومن ذلك الحين لم يُرَ ليهوذا صورة ولا أثر، ولا علم عالم ما فعل الله به وإلى يوم القيامة [(١)].

فلم يرتَبِ الفاحصون في أنه هو المصلوب المهان المعذَّب المقتول الشقي دون المسيح[(٢)].

ومما يوضح ذلك ويؤيده: مسألة العاقب وكوز الأخوين[(١)] أسقفي نجران اليمن[(٢)] وحاكميها، حين سألا نبيّنا ﷺ عن المسيح وما جرى له في كـــــلام طـــــــويل،

---

(١) تضرّع المسيح عليه السلام وإنكار بطرس ودلالة يهوذا مذكورة في أناجيل: متّى: ٢٦، ومرقس: ١٤، ولوقا: ٢٢، ويوحنّا: ١٨. وينظر في تحليل أحداثها وتناقضها: المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص: ١٣٢.

(٢) اختلف العلماء في مرجع الضمير في قوله تعالى في سورة النساء: آية ١٥٧: (ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ) فقيل: شبّه للذين زعموا أنهم صلبوه، بشبيه للمسيح، وهذا يؤيده سياق الآيات، وهو قول جماهير المفسرين. وقيل: شبّه بمعنى: اشتبه والتبس على اليهود والنصارى الذين نقلت لهم حادثة الصلب. ينظر: الجواب الصحيح ٣٠٤/٢، هداية الحيارى لابن القيم ص: ٥٤٠. وعلى قول الأكثر بإلقاء الشبه، فإنه لم يرد في الكتاب والسنة الصحيحة تحديد مَن ألقي عليه شبه المسيح، ولذا تلمس العلماء من مصادر تأريخية وإنجيليّة إسرائيليّة استئناساً في ذلك، فذكر العلماء أقوالاً: فقيل: ألقي على شاب من الحواريين انتدب نفسه لذلك، قاله قتادة والسدي وابن جريج وغيرهم واختاره ابن كثير ونقله عن ابن عباس رضي الله عنه بسند صحيح. وقيل: ألقي على جميع مَنْ كان مع المسيح من الحواريين في البيت، وقُبض على أول مَنْ خرج إليهم، قاله وهب بن منبه في إحدى روايتيه، ورجحّه ابن جرير. وقيل: ألقي على يهوذا الأسخريوطي لخيانته المسيح، قاله وهب وكعب، وهو ما يطابق رواية إنجيل برنابا: ٢١٦. وهذا القول وإن صح في الردّ على النصارى لروايتهم لحادثة الصلب إلا أنه لا يستقيم مع تزكية وإخلاص الحواريين وثناء الله عليهم من غير استثناء لأحد منهم. فهو يصح في مقام الردّ لا الترجيح. وقيل: ألقي على رقيبه من اليهود. وقيل غير ذلك. ينظر: تفسير الطبري ١٦/٦، تفسير ابن كثير ٥٧٤/١، التفسير الكبير للرازي ١١/ ١٠٠، البحر المحيط ٢٩٠/٣، الكامل ٢٨٤/١، التخجيل ٣٩٢/١.

فأجابهما[٣].

أما معنى المسيح: فهو ممسوح بالدهن، وماسح الأرض سياحة بنفسه وبحوارِيِّه، والمسيح: الصدّيق[٤].

---

(١) وقع في الأصل (كور). والتصويب من دلائل النبوة للبيهقي ٣٨٣/٥ وفي زاد المعاد لابن القيم ٦٣٠/٣: كرز. قال ابن حجر في الإصابة ٢٩٩/٥: (كرز، ويقال: كوز). وهو ابن علقمة أخو الأسقف أبي حارثة بن علقمة من بني بكر بن وائل. وقد قدم على النبي ﷺ في وفد نجران من أشرافهم: الأسقف أبو حارثة بن علقمة، وكان قد شرف في أهل نجران وقرأ كتب النصرانية وكانت ملوك الروم تموّله لاجتهاده في خدمة دينها. والعاقب، وهو أميرهم واسمه عبد المسيح. والسيد، وهو عالمهم وصاحب رحلهم واسمه الأيهم. ينظر في حادثة وفد نجران: السيرة لابن هشام ٥٧٣/١، تفسير الطبري ٦/ ١٥١، زاد المعاد ٦٢٩/٣، دلائل النبوة للبيهقي ٣٨٢/٥.

(٢) نجران اليمن: نسبة إلى نجران من ولد قحطان، من مخاليف اليمن، هي الآن مدينة مشهورة في جنوب شرقي مكة على بعد ٩١٠ أكيال تقريباً، وكان أهلها قبل الإسلام دخلوا في النصرانية، وفيهم وردت قصة أصحاب الأخدود في سورة البروج. ينظر: معجم البلدان ٢٦٦/٥.

(٣) سؤال نصارى نجران للنبي ﷺ عن المسيح ورد في سبب نزول قوله تعالى: (ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ) الآيات ٥٩ – ٦٣ في سورة آل عمران. وينظر: دلائل النبوة للبيهقي ٣٨٣/٥، تفسير الطبري ١٥١/٦، تفسير ابن كثير ٣٦٩/١ وقال: فيه غرابة. الدر المنثور للسيوطي ٦٠١/٣، وفي بعض رواياتها: أن كوزاً سأل أخاه الأسقف عن النبي ﷺ ، فأخبره بأنه هو من ينتظره النصارى فأسلم كوز وهاجر. وينظر: السيرة لابن هشام ٢٠٤/٢.

(٤) اختلف العلماء في اشتقاقه ومعناه، قال القرطبي في التذكرة ص: ٥٦٤: (اختلف في لفظة المسيح على ثلاثة وعشرين قولاً ذكرها الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه مجمع البحرين، وقال: (ولم أر من جمعها قبلي ممن رحل وجال ولقي الرجال) ثم ذكر الأقوال، ومرجعها إلى أنه: اسم علم لعيسى عليه السلام، أو هو فعيل بمعنى مفعول أي: ممسوح إما بالدهن أو بالبركة، أو هو فعيل بمعنى فاعل أي: ماسح إما للأرض بمشيه عليها أو لذي علة للشفاء أو لكونه جميل الخِلقة. وردّ ابن جرير في تفسيره ٤١٨/٩ قول من قال إن أصل الكلمة غير عربي.

ومعنى الحواريين: المخلصون الخالصون[1].

وأما الرسالة لهم: فبعدما رفع وصلب الذي شبّه به فجاءت مريم الصدّيقة والمرأة التي كانت مجنونة وأبرأها المسيح[2]، وقعدتا عند الجذع تبكيان، وقد أصاب أمّه عليه من الحزن ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فأُهبط المسيح إليهما، وقال: علام / تبكيان؟ فقالتا: عليك، فقال: إني لم أقتل ولم أصلب ولكنّ الله رفعني وكرمني وشبّه عليهم في أمري، أبلغا عنّي الحواريين أمري، وأن يلقوني في موضع كذا ليلاً. فجاء الحواريون ذلك الموضع فإذا الجبل قد اشتعل نوراً لنزوله به، ثم أمرهم أن يدعوا الناس إلى دينه وعبادة ربهم، فوجههم إلى الأمم، ثم كُسي كسوة الملائكة فعرج معهم، فصار مَلَكيّاً إنسيّاً، سماويّاً أرضيّاً[3].

١٩/أ

وينظر: البحر المحيط ٤٥٩/٢، وفي لسان العرب ٧٠/١٤: والمسيح الصدّيق، ونقله عن الأزهري ونقل عن أبي بكر قوله: (واللغويون لا يعرفون هذا. . . ولعل هذا كان يستعمل في بعض الأزمان فدرس فيما درس من الكلام).

[1] الحوارين: جمع حواري بفتح الحاء وتخفيف الواو، وأصله من الحور: شدة البياض، وسمّي به أصحاب عيسى لأنهم كانوا يبيّضون الثياب، ثم قيل لكل ناصر حواري كما ذكر ابن فارس في مقاييس اللغة ١١٧/٢. وقيل: من الحور بمعنى الرجوع، لأنهم نقّوا مرة بعد أخرى. وفي لسان العرب ٢٦٧/٤: الحواريين في اللغة الذين أخلصوا ونقّوا من كل عيب.

[2] هي مريم المجدلانية.

[3] ساق المؤلف بقية حادثة الصلب بعد إنكاره صلب المسيح وأنه صلب شبهه، وأن المسيح أهبط بعد رفعه وظهر للتلاميذ؟ وهي عند النصارى قيامته من قبره بعد موته ودفنه وظهوره! وهي مذكورة في الأناجيل كما في متّى: ٢٨، ومرقس: ١٦، ولوقا: ٢٤، ويوحنّا: ٢٠. وهي روايات مختلفة متناقضة، ومن أمثلة التناقض:

الاختلاف في من جاء إلى القبر؟ ففي متى: أنهما اثنتان، وفي مرقس: أنهن ثلاث نسوة، وفي لوقا: أنهن جمع نسوة، وفي يوحنّا: أنها مريم المجدلية بمفردها! والاختلاف في من خاطب النسوة اللاتي زرن القبر؟ ففي متّى: ملاك، وفي مرقس: شاب، وفي لوقا: رجلان، وفي يوحنّا:

فآمن كوز وجماعة من أهل نجران، واتّضح ما كان مشكوكاً ومنكوراً وقوعه في العقل.

فإنّ الله عدل محسن قادر صادق الوعد لا يظلم مثقال ذرة، والمسيح عبده وصفيّه ورسوله المؤيد بروح القدس، والمنعم عليه بتعليمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، والمجعول هو وأمّه آية للعالمين، والمسمّى: كلمة الله وروحاً منه، والمتكلّم في المهد صبيّاً، والمبرئُ الأكمه والأبرص والمحيي الموتى بإذن الله، والخالق من الطين كهيئة الطير والنافخ فيها فتكون طيراً بإذن الله، والمنبئُ الناس بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم وما يعملون من عمل حتى / كأنه شهيد عليهم في خلواتهم، والمعصوم عصمة أولي العزم الرسل الكرام[1]، فحاشاه من الهوان و العذاب والصلب والقتل، حاشا الله وحاشا المسيح، وما الله بغافلٍ ولا ناسٍ ولا مهملٍ ولا فاعلٍ فعلاً عبثاً، ولا يصيب

ب/١٩

ملاكان!. والاختلاف في من ظهر له المسيح أولاً؟ ففي مرقس ويوحنا: يجعلان الظهور الأول لمريم المجدلية. ويضيف متّى: مريم الأخرى. وفي لوقا: أن أول من ظهر له المسيح هما التلميذان المنطلقان لعمواس. وغيرها. ينظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص: ٢٩٣.

وكون المسيح أهبط بعد رفعه وظهر للتلاميذ فليس عليه دليل صحيح، ويخالف ظاهر القرآن بأن المسيح لا يعلم شيئاً بعد وفاته ورفعه كما قال تعالى في سورة المائدة: آية ١١٧: (ۋ ۋ ۇ ۆ ۈ ۉۉ ې ې ى ى ې ﭗ ﭘ) وإنما اعتمد على ما جاء في الأناجيل من أنه ظهر للتلاميذ أكثر من مرّة، وما ورد في الأناجيل متناقض، وينقضه أيضاً: أنهم يزعمون أنه مات على الصليب، وفي الأناجيل كلوقا: ٥/١٣، ويوحنّا: ١/١٦ (من مات لا يرى) فكيف يظهر؟!. قال الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح ٣٢٥/٢: (من ذكر أن المسيح جاءه في اليقظة وخاطبه بأمور، كما يذكر عن بولس، فإنه إذا كان صادقاً كان ذلك الذي رآه في اليقظة وقال: إنه المسيح، شيطاناً من الشياطين، كما جرى مثل ذلك لغير واحد).

[1] ينظر في وصف القرآن للمسيح عليه السلام فيما ذكره المؤلف: في سورة آل عمران: آيات ٤٨ – ٥١، وسورة النساء: آية ١٧١، وسورة المائدة: آية ١١٠، وسورة الأنبياء: آية ٩١.

عبداً بمصيبة إلا بما كسبت يدا ذلك العبد ما أوجبها، فحاشا الله أن يبلى المسيح بذلك عبثاً، أو لأجل درجة لا ينالها إلا بذلك، فيكون القادر على كل شيء سبحانه عاجزاً عن إيصال المسيح إلى تلك الدرجة إلا بهذا الهوان من غير استحقاق ولا سابقة توجبه! والله أكرم وأعزّ وأرحم[١].

ومما يدلّ على أن المصلوب يهوذا اللابس شبه المسيح: أن المسيح عليه السلام كان أعلم أهل زمانه بالتوراة والحكمة، وأحجّهم جدلاً، وأعرفهم بمواقع الكلام، وأعظمهم صولة ومهابة، لما مسكته اليهود وشحطوه للصلب – على ما تقدم ذكره من الهوان – لم يسمع منه كلمة واحدة! ولا مدافعة! وإنما انقاد معهم حقيراً ذليلاً، لا يملك خطاباً ولا يردّ جواباً، مع أشد الهوان هوناً[٢]، وأفحش الهلاك هلكة![٣].

---

(١) هذا الدليل العقلي في تفنيد صلب المسيح يشير إلى عقيدة الفداء عند النصارى، وهي: أن المسيح صلب فداءً للبشرية من خطيئة آدم التي انتقلت لأولاده بالوراثة!. وقد ذكر هذا الدليل غير واحد من العلماء، منهم: أبو عبيدة الخزرجي في مقامع هامات الصلبان ص: ١٧٢، والقرطبي في الإعلام ص: ٤١٧، والقرافي في الأجوبة الفاخرة ص: ٥٧، وزيادة الراسي في البحث الصريح ص: ١١٨، ورشيد رضا في تفسيره المنار ٢٦/٦ وغيرهم، كما أومأ إلى مثله ابن كمونة اليهودي في تنقيح الأبحاث ص: ٥٧، بل الإنجيل في رسالة بولس إلى كورنثوس الأولى: ٦/٢ – ٨ ذكر نحواً من هذا الدليل: حيث بيّن مقتضى حكمة الربّ والتي جهلها عظماء ذلك الزمن! ثم قال: (لو عرفوا لما صلبوا ربّ المجد) فالصلب نقيض الحكمة.

(٢) يمكن أن تقرأ: هواناً.

(٣) صرحت الأناجيل بأن المسيح لما أمسكوه لم يدافع ولم يجب ولا بكلمة واحدة عن اتهاماتهم، كما في متّى: ١٢/٢٧، ١٤. مع كونه معروفاً بالتعليم في الهيكل كل يوم كما في متّى: ٥٥/٢٦: (كل يوم كنت أجلس معكم أعلم في الهيكل)! وقد استدلّ بهذا القاضي الجعفري في التخجيل ٣٤١/١: بأن المصلوب غير المسيح، وأن المسيح إنما جاء لبثّ الحقّ ونشر الصّدق فكيف تجشّم لشيء ثم يكتمه؟! وينظر: الأجوبة الفاخرة ص: ٨٢.

وشهادة العقول: بأن هذا لا يحسن أن / يُنسب فعله إلى الله تعالى، ولا أنّ للمسيح ذنباً استحق به ذلك. ٢٠/أ

ولا يقال: إنه إنما وقع لمصلحة المسيح، ولفائدة يعود إليه نفعها؟[١] فإن الله ليس بعاجز ولا محجور عليه، ولا لأحد معه حكم، ولا خلق ولا أمر إلا له، وهو الحكيم العليم.

فثبت بذلك أنّ المصلوب غير المسيح وهو يهوذا' وأن الله حجب المسيح عن أعين اليهود، وألقى شبهه على يهوذا بغتة، وشعر يهوذا بذلك فاعترفت نفسه بالذنب، وسكت مقهوراً محيّراً[٢]، وبقي أهل الكتاب الفريقان — أعني: اليهود والنصارى — في شكّ وفي خلاف وظنون فاسدة، حتى نزل القرآن المجيد بالخبر الحقّ عن المسيح، وعن اختلاف الفريقين في أمره، وشهد بنزاهته وطهارته، وسلامته من الصلب والقتل، وبإجلاله ورفعه[٣]، وعصمته من أن يكون ملعوناً مبعوداً من الرحمة

---

[١] هذا ما يدعيه النصارى، ويفتخرون بالصلب! كما قال بولس في رسالته إلى غلاطية: ١٤/٦: (فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح) وقد نقل القرافي في الأجوبة ص: ١٣٧ قول النصارى: (إن فخرتنا إنما هو بالصليب الذي ذهب به سلطان الموت وصيرنا إلى الأمل والنجاة! وينبغي لهم أن يمدحوا اليهود ويعظّموهم؛ لأنهم سبب فخرتهم) وينظر: التخجيل ٣٩٦/١ وفيه تفنيد لدعوى النصارى الانتفاع من الصلب.

[٢] علّل القاضي الجعفري في التخجيل ٣٤١/١ سكوت يهوذا — المصلوب — بأمرين: أحدهما: أنه أدركته دهشة منعته الكلام. والثاني: أنه آثر المسيح بنفسه طلباً للشهادة لصديقيته.

[٣] رفع المسيح إلى السماء مما اتفق المسلمون والنصارى عليه، إلا أن النصارى زعموا أنه صعد إلى السماء بعد صلبه وقيامته من القبر! كما زعموا أنه جلس عن يمين الربّ! وأعطاه سلطان السماوات والأرض! وتوج ملكاً! كما في إنجيل مرقس: ١٩/١٦، وأعمال الرسل: ٩/١، أما المسلمون: فإن الله حفظ نبيّه المسيح ونجّاه من مكر اليهود، فلم يقتل ولم يصلب بل رفعه إليه بعد أن توفاه، كما في قوله تعالى في سورة آل عمران: آية ٥٥: (**ٿ ٹ ٹ ٺ ٺ ٺ ٺ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ**) واختلف المفسرون في الوفاة: فقيل: بمعنى قابضك ورافعك، ورجّحه ابن

بشهادة موسى بن عمران عليه السلام حيث يقول: (إن خشبة الصلب ملعونة، والمصلوب عليها ملعون)[١] وذلك هو اللائق الذي ينبغي أن يكون.

ب/٢٠

ولعمري إن طائفة من اليهود أنكرت الصلب جملة واحدة، / وقالوا: لم يقع ذلك ولم يكن. ولكن الفريسيون لما أنكروا ما أنكروا على المسيح وسجنوه وأرادوا صلبه لم يجدوه في السجن، ووجدوا تلاميذه الذين سجنوا معه فأخرجوهم وودّروهم[٢] نفياً وتغييباً، ثم أخرجوا من السجن ثلاثة أنفار أحدهم عليه شبه بالمسيح، فصلبوه وشنقوا الاثنين عن يمينه ويساره، وسكتوا عن اختفاء المسيح وغيبته؛ لئلا يكون ذلك سبباً لافتتان بني إسرائيل به[٣]. ويكاد هذا يقرب من الصحيح، والله أعلم.

جرير. وقيل: بمعنى الموت، وفي الآية تقديم وتأخير رافعك ثم مميتك، واختاره ابن حزم. وقيل: بمعنى وفاة النوم، كما قال الله تعالى في سورة الأنعام: آية ٦٠: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ)، حكاه ابن كثير عن الأكثر واختاره الشنقيطي. وهو الراجح؛ لأنه تفسير للقرآن بالقرآن، وموافق للسياق القرآني. ينظر: تفسير الطبري ٦/٤٥٥، تفسير ابن كثير ٢/٦٥، أضواء البيان ١/١١٦، المحلى لابن حزم ١/٢٣.

[١] ورد نحوه في سفر التثنية: ٢١/٣٢. وقد وصف بولسُ المسيحَ في رسالته إلى غلاطية: ٣/١٣ بقوله: (صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: ملعون كل من علق على خشبة)!.

[٢] كذا في الأصل، بمعنى: أوقعوهم في الهلكة. ينظر: لسان العرب ١٥/١٩٧.

[٣] الذي سعى بقتل المسيح هم طائفة الفريسيين كما في إنجيل متى: ١٢/١٤، وليس مقصدهم إلا دعوة المسيح لا شخصه، وأيضاً هم أعداؤه فكيف يعتمد على قولهم؟! وهم فرقة من اليهود أشاعوا قتله، ولم يذكر عن الفرق الأخرى شيء يدلّ على الصلب! وأما النصارى: ففي الأناجيل الأربعة ذكرت حادثة الصلب وهو مما دخل على كتّابها من الشفويات التي روّجها يهودُ ذلك الزمن وأدخلها بولس - وكان يهوديّاً فريسيّاً — في العقيدة النصرانية، وإلا ففي فرق المسيحية من أنكر الصلب، ولا سيما قبل مجمع نيقية، كالباسيليديين والكورنثيين وغيرهم، وكما جاء عن برنابا الحواري في إنجيله: ٢١٦ أن المصلوب يهوذا، وأيضاً مخطوطات نجع حمادي المكتشفة مؤخراً ليس فيها صلب المسيح بل صلب غيره. ينظر: هل افتدانا المسيح على الصليب د. منقذ السقار ص: ٣١، المسيحية لساجد مير ص: ١٦٢.

نكتة:

ذهبت النصارى أصحاب القوانين إلى أن المسيح إنما صلب وقتل وذاق العذاب والهوان والموت لأجل خلاص آدم وذريته من الجحيم، فقتل وغلب بزعمهم ولم يخلّصهم ولا خلّص واحداً منهم![١] والذي حملهم على القول بذلك:

أن قسطنطين وأهل مملكته وأصحاب القوانين وأهل المجامع السبعة بجملتهم كانوا قريبي[٢] العهد بدِين الصابئة، ومذهبهم كمذهب الثنوية القائلين بإلهين اثنين، إله السماء وإله الأرض، فالخيرات والأنوار والسعادات من إله السماء والشرور والظلمات والشقاوات / من إله الأرض، وزعمهم مشهور[٣]، وقسطنطين قد أظهر دين النصرانية وأدخل الناس فيه طوعاً وكرهاً، وقد بلغهم: ما نُسب إلى المسيح من الصلب والقتل والعذاب والهوان، وما زعمته أصحاب القوانين من الأبوة والبنوة والحلول والاتحاد والوحدة في الأقنومية، وما نقلته رواة الأناجيل الأربعة وشهدت به. فأنكرت العقول والفكر الجمع بين النقائض، وقال العقلاء: كيف يتفق ويليق بهذا المسمى إلهاً وابناً للإله أن يُبلى بمثل هذا البلاء؟ ولأي معنى كان ذلك؟ وفطن أصحاب القوانين وأهل المجامع الرواة لذلك الإنكار من العقلاء، فقرروا: أن ذلك إنما كان لخلاص آدم وذريته من الجحيم! ولخلاصنا[٤] معشر البشر النصارى! واستدلوا بقول المسيح: (أبونا

أ/٢١

---

[١] هذه عقيدة الفداء عند النصارى، وفي إنجيل يوحنّا: ١/٧: (ودم يسوع المسيح ابنه يطهّرنا من كل خطيئة). وينظر في بيانها والرد عليها: مقامع هامات الصلبان للخزرجي ص: ٣٣، ١٧٤، التخجيل ١/٣٧١، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبي ص: ٤١٠، الأجوبة الفاخرة ص: ١٠٦.

[٢] في الأصل: قريبين. وهو غلط.

[٣] أصل مذهب الثنوية من المجوس، وقد انتحله فرق متعددة كالمانوية والمزدكية وغيرهم. ينظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/٦١٨، والفصل لابن حزم ١/٨٦.

[٤] في الأصل: ولا خلاصنا. وهو غلط.

الذي في السماوات)[١] و (افعلوا الخير يفرح بكم أبوكم الذي في السماء)[٢] و (إني صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)[٣] ومثل ذلك. ثم رتّبوا كلاماً كالعقيدة وسمّوه الأمانة الكبيرة، فقالوا في أولها: (نؤمن بإله واحد، أب ضابط الكلّ، خالق السماوات والأرض / صانع ما يُرى وما لا يُرى) ، ثم قالوا: (نؤمن بيسوع المسيح ابن الله الوحيد، وأنه إله حق من إله حق من جوهر أبيه) ، ثم قالوا: (وأنه جاء لخلاصنا معشر البشر، وخلاص آدم وذريته من الجحيم) ، ثم قالوا: (وأنه صلب وأُلمَ وذاق الموت كما هو مكتوب في كتب النبوّات) ، ثم قالوا: (نؤمن بقيامة أبداننا، وأننا نصير إلى الحياة الأبدية) ، ثم قالوا عن المسيح: (ونؤمن أنه قام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وأنه سيأتي مرة ثانية ليفصل بين الأحياء والأموات)[٤].

ب/٢١

---

(١) إنجيل متّى: ٩/٦.

(٢) ورد قريب من معناه في إنجيل متّى: ١٤/٦: (فإن غفرتم للناس زلاتهم، يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم).

(٣) إنجيل يوحنّا: ١٧/٢٠.

(٤) الأمانة عند النصارى هي أصل دينهم الذي تتفق عليه طوائفهم في الجملة، وقد رتّبوا أولها في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م وطوروها في المجامع التالية، واستقرت على اثنتي عشرة فقرة، ويختلف النصارى في بعض ألفاظها. وليس لها صيغة عربية موحدة! ، ينظر نصها في: تأريخ ابن البطريق ص: ١٢٧، مجموعة الشرع الكنسي ص: ٢٥٤. وقد أبطلها العلماء وبيّنوا تناقضها ومن هؤلاء: القاضي الجعفري في التخجيل ٤٩٩/٢ (وهو من أوسعها)، وابن تيمية فيما نقله عن الحسن بن أيوب في الجواب الصحيح ٩٧/٤، والقرافي في الأجوبة الفاخرة ص: ١٣٠، والترجمان في تحفة الأريب ص: ١٧٤، وينظر: أقانيم النصارى د. السقا ص: ٥٩.

ولما قرروا هذه الأمانة سخر من تقريرها العقلاء، وحكى بعضهم لبعض حكاية كالمثل وكالأضحوكة، المحزنة المبكية من وجه والمضحكة المعجبة من وجه، فقال في جملتها:

زعم النصارى أن آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وسائر المرسلين وجميع بني آدم وذريته قهرهم الشيطان الرجيم، وسلّط عليهم جنده، وحبسهم في جحيمه، وأنهم استغاثوا بإله السماء وسألوه خلاصهم من يد الشيطان الحاكم في الأرض، ففكر إله السماء طويلاً، وأوسع / الحيلة حتى اختار امرأة من البشر اسمها مريم، فنفخ فيها من روحه نفخة لا خالقة ولا مخلوقة، فامتزج لاهوته بناسوتها، وتركب من هذا المزاج مولودٌ من طبيعتين ومشيئتين إلهٌ تامٌّ وإنسانٌ تامٌّ يسمى المسيح، ولما بلغ أشده قصد إلى جحيم الشيطان لإخراج آدم والذرية من الجحيم، فعندما فتحه ومدّ يده ليخرجهم فطن الشيطان به فنهض إليه وسلّط عليه اليهود، فمسكوه وصلبوه وقتلوه، وذاق الموت لاهوته وناسوته المتّحد الغير منفصل هذا عن هذا، كما زعمت النصارى[١]. ٢٢/أ

---

[١] القول بأن المسيح نزل إلى الجحيم لتخليص آدم والأنبياء وغيرهم: هو ما نص عليه قانون الإيمان للرسل في روما في القرن الثاني قبل مجمع نيقية عام ٣٢٥ م، ولا يزال يعتقده النصارى، وتصوّره أساطيرهم الشعبية كما في الكوميديا الإلهية لدانتي الإيطالي ١٣٢١م (الجحيم / الأنشودة الرابعة)، وقد نقل الشيخ رحمت الله الهندي في إظهار الحق ٧٤٢/٣ هذا القول عن كتبهم، وناقش القساوسة فيها فأقروها. ومما يستدلون عليه: ما جاء في أعمال الرسل: ٣١/٢: من قول داود: (ولم تُترك نفسه في الهاوية، ولا رأى جسده فساداً) والهاوية في الأصول اليونانية (الجحيم)، ويتأولها بعض النصارى بالموت. لكن يبطله قول بطرس في رسالته الأولى: ١٩/٣: (ذهب فكرز للأرواح التي في السجن، إذ عصت قديماً) وظاهر قول داود: أن المسيح مكرَه على النزول للهاوية (الجحيم)! ومن شؤم هذه العقيدة: جعل مصير الأنبياء كمصير الأشقياء! ثم كيف لمن لم يستطع أن يخلّص نفسه من الصلب والهوان أن يخلص من كان في جهنم؟! ينظر: تحفة الأريب للترجمان ص: ١٤٤، أقانيم النصارى ص: ٦٧.

قال الحاكي: وكان مع المسيح روح القدس وملائكة السماء فهربوا إليها صاعدين، فوجدوا إله السماء قد علم ووصل إليه الألم من لاهوته المتحد بناسوت المسيح، ووجدوا ملائكة العرش والسماوات حزانى باكين، يقولون بالحال: صلب ابن الإله، قتل ابن الإله. وعجز الأب عن خلاص الابن من أيدي اليهود! وبقي آدم وذريته في الجحيم على ما كانوا عليه من العذاب وأشر مما كانوا![١].

ب/٢٢

قال الحاكي لهذه الأضحوكة / المبكية: ثم إن الشيطان – بزعم النصارى – لما علم بأن المسيح قد سرقته ملائكة السماء بعد الموت وأحياه أبوه وأطلعه إليه خفية من اليهود، قال الشيطان في نفسه: لا بد أن أُعرف أهل الأرض كلهم بما فعلت اليهود بهذا الابن. فظهر للنصارى في صورة عالم من علمائهم وزيّن لهم تصوير تمثال المسيح مصلوباً مقتولاً مسلوباً كل شيء، فصوّروه على الحوائط والألواح وفي الكنائس، وانتشر ذلك في الأرض مبالغة في الهوان وفي الاشتهار، ولم يستنكفوا من هذه الشهرة الشنيعة والحالة الفظيعة، واستمرّوا على ذلك، وإلى الآن[٢].

---

(١) ينظر: النصيحة الإيمانية ص: ٩٢، تثبيت دلائل النبوة لعبد الجبار ١/١٦٦.

(٢) اتخاذ النصارى لصور المسيح وأمّه والقدّيسين ونصب التماثيل لهم: كان في أول النصرانية مكروهاً وتعده الكنيسة من بقايا الوثنية، وجاء في التوراة نصوص كثيرة مانعة من التصوير، كما في سفر الخروج: ٢٠/٤: (لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة ما، مما في السماء من فوق، وما في الأرض من أسفل، وما في الماء من تحت الأرض). ولكن بعد نصرة قسطنطين للنصرانية بوثنيته دخلت الصور والتماثيل، ولا سيما الصليب الذي أظهرته والدته هيلانة، ثم ظهرت صور القدّيسين من عصر آباء الكنيسة، لكن جدلاً كبيراً دار حولها في المجامع الكنسيّة، فقد حرّمه المجمع الذي دعا إليه قسطنطين الخامس عام ٧٥٤ م، ثم عورض بمجمع نيقية عام ٧٨٧ م بالدعوة إلى عبادة الصور، ولا يزال الجدل قائماً، ففي الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية يظهر تعظيم الصور والتماثيل، ولا تحتفي الكنيسة البروتستانتية بها. ويقرّ القس أبو قرة الملكي (ت ٨٢٥ م) بأن الصور ليس لها سند في الكتب المعتبرة، ويقول: إن كثيراً من عظيم ما في أيدينا إنما أصبناه ووصل إلينا توارثاً من غير أن نجد له ثبتاً في مصحف من مصاحف

فالتفت ذوو العقول والرحمة للنصارى وقالوا لهم تعريفاً وتعنيفاً:

يا هؤلاء، لو حكى لكم حاكٍ عن قوم آخرين بعض هذه الأضحوكة المبكية، وأخبر أنهم بزاوية من زوايا الأرض منفردين فيها عن الناس، وأن هذا المذهب مذهبهم، وهذه الأمانة أمانتهم، وهذا الظنّ ظنّهم برب العالمين، أفكنتم تعدّونهم من العقلاء؟ أو تسمّونهم أهل دين؟ أو / تقولون: إنهم متمسّكون بدين نبي من الأنبياء؟ أو هم على شيء؟ ٢٣/أ

لا والله، بل كنتم تعجبون من حلم الله وإمهاله لهم، وتجزمون بضلالهم وجهلهم، وتقولون تنزيهاً: سبحان ربّنا وتعالى عما يشركون هؤلاء وعمّا يصفون[١].

وتعلمون من ذلك الخبر: من هو الرسول الذي بشّر به المسيح وأخبرهم عنه بأنه يوبّخ العالم على الخطيئة والحكم والعدل معرفة لا جهالة معها، وتشهدون أنه محمد، وليس هو ما زعم أهل القوانين في روح القدس المتوهمة الغير محسوسة، كما تقدم القول

العتيقة أو الحديثة التي أسلم إلينا التلاميذ، وأول ذلك: الكلامُ الذي نقوله على قرباننا وبه يصير لحم المسيح ودمه، وقدّاس المعمودية والميرون، وتقديس الهياكل، والشرطونية، وضرب الناقوس، وسجود الصليب وما شاكل ذلك، فمن لا يقبل منا السجود لصور القديسين حتى يجد له ثبتاً... فليعطل ما قد ذكرنا من غير هذا أجمع، ولينظر حينئذ أي شيء يبقى في يديه من النصرانية؟!) ينظر كتابه ميمر في إكرام الأيقونات ص: ١١٢، وينظر: قصة الحضارة ١٥٤/١٤، التخجيل ٦٠١/٢، الأجوبة الفاخرة ص: ١٣١، محاضرات في النصرانية ص: ١٣٣.

[١] هذه الحكاية التي سردها المؤلف هي تمثيل لما جاء في كتبهم بياناً لشناعته وفساده، كعادة المؤلف في ضرب الأمثلة. وينظر في استعمال العلماء للحكايات في إبطال الصلب والفداء: مقامع هامات الصلبان ص: ١٧٤، الأجوبة الفاخرة ص: ١٢٢، وقال القاضي عبد الجبار المعتزلي في تثبيت دلائل النبوة ١٠٥/١ بعد سياق مذهب النصارى وفظاعته: (فلولا أن رأينا قوماً عقلاء يقولون هذا. . . لما صدق الناس أن في الدنيا من قال هذا أو نطق به).

فيها[1]، وتتحققون أنه مرسل إلى العرب الجاهلية، وأهل الكتاب الضالين والمغضوب عليهم، وسائر العالمين الجنّ والإنس أجمعين.

نكتة:

لما كان لكل شيء وسط وطرفان[2]، كما المشرق والمغرب ووسط السماء، كان للنصارى جهة المشرق، وفيها: إشارة إلى أنهم قاصدون الحق والخير والطاعة والاستسلام لكل ما يظنّونه حقّاً وأنه من أمر الله، ولكنّهم في حضيض الأفق وأول التوجه إلى / الشرف والعلو، لم يبلغوا الغاية. وكانت اليهود جهة المغرب، وفيها: إشارة إلى إدبارهم وإعراضهم عن الحقّ والخير والطاعة، وإشارة أيضاً إلى اليأس من روح الله ومن الفلاح. وكانت القبلة وسط السماء لنا معشر المسلمين، وهي موضع الوسط والاستعلاء على الطرفين[3]، ولذلك قال الله تعالى في القرآن: (ٹ ٹ ڤ ڤ ٹ

ب/٢٣

---

(١) ينظر: ل أ/١١ ص١٢٦.

(٢) في الأصل: وسطاً وطرفين، وهو غلط.

(٣) قال القرطبي في الجامع ١٤٤/٢: (وكما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطاً، أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم. والوسط: العدل، وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها). وقال ابن عطية في المحرر والوجيز ٤١٨/٣: (وأم القرى مكة سميت بذلك لوجوه أربعة: منها أنها منشأ الدين والشرع، ومنها ما روي أن الأرض منها دحيت، ومنها أنها وسط الأرض وكالنقطة للقرى، ومنه ما لحق عن الشرع من أنها قبلة كل قرية، فهي لهذا كله أم وسائر القرى بنات). وقوله تعالى: (المشرق والمغرب) في آيات تحويل القبلة في سورة البقرة إشارة للنصارى الذين استقبلوا شرق بيت المقدس ولليهود الذين استقبلوا غربيه. ينظر: تفسير البحر المحيط ٤٢١/١، ٤/٢، فتح القدير ١١٣/١، تفسير النسفي ٣٣٤/١، وينظر في تحرير قبلتي اليهود والنصارى: التحرير والتنوير للطاهر ١٠/٢، التخجيل ٥٩٢/٢.

ٺ ٿ ٹ ٺ ٻ ٿ ڤ ڦ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ)[١] وقال تعالى: (**ڤ ڤ ڦ ڦ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ**) [٢] فالوسط الخيار، وقد قيل: خير الأمور أوسطها[٣].

ومما يوضح توسّطنا واستقامتنا على الطريقة المثلى، وانحراف الأمتين عن الحق والتوسط[٤]:

أن اليهود حرّمت على أنفسها طيّبات أحلّت لها، وكلَّ ما ذبح بيد مستبيح السبت، أو ذبحوه ولم يجدوا فيه شرائط لهم كثيرة مما يطول شرحه، كاللحم مع اللبن ولحوم كل ذي ظفر[٥]. فقابلت النصارى هذا التحريم / بأن أكلت لحم الخنزير، ٢٤/أ

---

[١] سورة آل عمران: آية ١١٠.

[٢] سورة البقرة: آية ١٤٣.

[٣] جاء في تفسير معنى الوسط ثلاثة معان: الأول: العدل، وفسّرها النبيّ ﷺ بذلك في حديث أبي سعيد الخدري، رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب: (**ڤ ڤ ڦ ڦ**) (ح ٤٤٨٧). والثاني: الخيار. كقوله تعالى: (**ٺ ٺ ٿ**). والثالث: الاعتدال والتوسط بين الإفراط والتفريط، واختاره ابن جرير، ينظر: تفسير الطبري ١٤٢/٣. وكلها صحيحة متلازمة، وينظر في بيانها: وسطية أهل السنة بين الفرق د. محمد باكريم ص: ١٦٢.

[٤] الاعتدال في شريعة الإسلام دليل على صدق النبوة وسلامة الوحي من التحريف، وانحراف شرائع أهل الكتاب نتيجة لتركهم ما جاءت به الأنبياء واتّباعهم الأهواء كما قال تعالى – بعد أن ذكر اختلاف بني إسرائيل على العلم المنزل على أنبيائهم-: (**گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ**) فسمّى شرائعهم أهواء من غير علم. ينظر في وسطية الإسلام بين الأديان ووسطية أهل السنة بين الفرق: الجواب الصحيح ٦٩/١، ١٣٥/٢، ورسالة وسطية أهل السنة د. باكريم.

[٥] ينظر في التشديد على اليهود في تحريم الطيبات بسبب ظلمهم وبغيهم: تفسير آيتي النساء: ١٦٠، والأنعام: ١٤٦. . ونماذج المحرمات في سفر التثنية: ١٤، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية للمسيري ٣١٥/٥.

ولحوم كل حيوان فيما بين الدودة والفيل، وأكلت المقتول قتلاً، والمذبوح ذبحاً، والمنحور نحراً، والمخنوق خنقاً[١].

وأن اليهود بالغت في التنجيس حتى حبست النساء عزلة في مدّة حيضهن، واختتنوا طلباً للطهارة، ونجّسوا الهواء المحيط بالميت إذا كان في بيت[٢]. فقابلت النصارى ذلك بإباحة وطء الحائض من غير طهر، وتركوا الختان، وتركوا استعمال الماء من الجنابة والوطء، واكتفوا بالتعميد طهراً[٣].

وأن اليهود عطّلت معاشها وأسبابها يوم كلّ سبت، فجعلته النصارى يوم لعبها وانفساحها ودخولها الحمّام وتنعيمها بالملاذ كله يوم السبت[٤].

---

[١] أحلَّ للنصارى ما كان محرماً عليهم في التوراة رهبانُهم ومجامعهم، وكان عيسى عليه السلام والحواريون على شريعة التوراة، ومن أمثلة تحليل ما كان محرماً: لحم الخنزير والمخنوق ونحوه، وأول من قال بحلّه بولس المحرّف لكثير من تعاليم المسيح، ففي رسالته إلى تيطس: ١٥/١: (كل شيء طاهر للطاهرين) وفي رومية: ١٤/١٤: (إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيء نجساً بذاته، إلا من يحسب شيئاً نجساً، فله هو نجس). ينظر: الإعلام للقرطبي ص: ٣٩٨، التخجيل ٦٠٩/٢.

[٢] ينظر في مبالغة اليهود في التنجيس: تفسير آية البقرة: ٢٢٢، وفي اعتزال الحائض والاختتان ونجاسة الميت ينظر: أسفار العدد: ١٩، التكوين: ١٠/١٧، اللاويين: ١٢، ١٥.

[٣] مخالفة النصارى لشريعة التوراة وما عليه المسيح عليه السلام في إتيان النجاسات ظاهر، كإتيان الحائض وترك التطهر من البول والجنابة ونحوها، يقول ابن القيم في هداية الحيارى ص: ٤٨٣: (فإن المسيح صلوات الله وسلامه عليه كان يتدين بالطهارة ويغتسل من الجنابة ويوجب غسل الحائض، وطوائف النصارى عندهم أن ذلك غير واجب..) وأما الاختتان (قطع القلفة عند الذكر) فترك النصارى له من بدع بولس في النصرانية وهي أولى المسائل التي خالف فيها الحواريين، كما في سفر الأعمال: ١٥، واستبدل به التعميد. ينظر: التخجيل ٢٢٨/١، ٥٨٨/٢، الإعلام للقرطبي ص: ٤٢٠ وذكر أربع فوائد للختان.

[٤] تعظيم يوم السبت شريعة توراتية وانتهاك حرمته عقوبته القتل كما في سفر الخروج: ١٥/٣١: (ستة أيام يصنع عمل، وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب. كل من

وأن اليهود بالغت في تكذيب الأنبياء وقتلهم وعصيانهم لله تعالى وكثرة العنت، فبالغت النصارى في الغلو في الأنبياء وإفراط المحبة حتى اتخذوهم أرباباً من دون الله، وتضرّعوا إلى تماثيلهم في الكنائس، وانقادوا لكل مخبر يخبر عن الله، سواء كان الخبر حقّاً أو باطلاً، وغلوا أشد غلوٍّ في المسيح حتى أخرجوه عن البشرية، واتخذوه / إلهاً[١].

ب/٢٤

وقالت اليهود عند استماع كل حق وباطل: لا نسلّم، فقالت النصارى عند استماع كل باطل وكذب: آمنا وصدقنا[٢].

فجاء الله بالأمّة الوسط بين هؤلاء وهؤلاء، وجعلها شاهدة على أفعال هؤلاء وهؤلاء، ومفضّلة عند هؤلاء وهؤلاء، قائمة بالقسط، معروفة في الأمم الأُوَل: بالحمّادين، أهل الختان، أناجيلهم في صدورهم، وقرابينهم دماؤهم[١].

صنع عملاً في يوم السبت يقتل قتلاً)، وقد شدّد الله على اليهود بتحريم السبت، كما قال تعالى في سورة النحل: آية ١٢٤: (ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ) ينظر: التحرير والتنوير ٣٢٢/١٥. ولما جاء المسيح عليه السلام لم يزل محافظاً على السبت إلا أنه خفف بعض تشديدات اليهود فيه، وقد اتهموه بانتهاك حرمة السبت! كما في إنجيل متّى: ١٢، ثم حدث ترك السبت من بولس كما في رسالته إلى كولوسي: ١٦/٢، ثم تحول النصارى تدريجيّاً إلى الأحد حتى تقرر في مجمع نيقية عام ٣٢٥ م. ينظر: التخجيل ٥٥٤/٢، هداية الحيارى ص: ٥٥٧، مجموعة الشرع الكنسي ص: ١١٥.

[١] ينظر: في تفسير قوله تعالى في سورة المائدة: آية ٧٧: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ).

[٢] تلاعب في دين النصرانية رهبانهم سواء عن طريق المجامع الكنسية وتشريعاتها، أو عن طريق سلطة رجال الكنيسة أو البابوية ودعوى عصمتها. نقل الخزرجي عن القسيس الذي ردّ عليه قوله: (وقد جعل الله في أيدي المطارين ما لم يجعله في يد أحد! وذلك أن كل ما يفعلونه في الأرض يفعله في السماء!) ينظر: مقامع الصلبان ص: ١٧٠.

أولئك المحمّديون الإبراهيميون، أهل الله وخاصته، الذين أكمل لهم الدين وأتمم وأتمّ عليهم النّعمة ورضي لهم الإسلام ديناً، وحبّب إليهم الإيمان وزيّنه في قلوبهم، وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، أولئك هم الراشدون.

(٢) < وعلى الجملة، قد لزمكم اتّباع هذا النبيّ العربي بمقتضى قولكم: (إنكم علمتم أنه لم يأتِ إليكم بل إلى جاهلية العرب) فأقررتم بأن الله أرسله إلى العرب، والنبي ثابت الصدق والتصديق، وقد أخبر هذا النبي العربي الثابت الصدق والتصديق

٢٥/أ

---

(١) رويت هذه الأوصاف في حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٨١/١٠، وضعّفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (ح ٣٧٧٠).
ورويت عن وهب بن منبّه وكعب الأحبار وهي من الإسرائيليات، وأخرجها أبو نعيم في الدلائل ٧٢/١ (ح ٣٣) والبيهقي في الدلائل ٣٨٠/١ والسيوطي في الخصائص ٣٠/١. ومعنى الحمّادين: نسبة لنبيّنا أحمد ﷺ ، ولكثرة حمدهم لله تعالى، ولحمد العالمين لهم، وقد جاء هذا الوصف في التوراة كما في سفر حبقوق: ٣/٣. ينظر: الجواب الصحيح ٢٧٠/٥. ومعنى أناجيلهم في صدورهم: يتلون كتاب الله ظاهراً ويجمعون في صدورهم حفظاً خلافاً لأهل الكتاب الذين يقرؤونه من الكتب، ويدلّ عليه قوله تعالى في سورة العنكبوت: آية ٤٩: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ) وحديث عياض المجاشعي رضي الله عنه مرفوعاً، وفيه: (وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله ماء) رواه مسلم (ح ٢٨٦٥). ومعنى قرابينهم دماؤهم: يتقربون إلى الله بإراقة دمائهم في الجهاد. ينظر: النهاية لابن الأثير ٣٢/٤، غريب الحديث للخطابي ٥٥/٢.

(٢) في هامش الأصل تعليق: (من قوله: (وعلى الجملة) إلى (الفصل) زيادة من الناسخ ليس من الأصل). وهذا يشير إلى كونها فرعاً عن الأصل أو أنها معارضة بأصل أعلى منها. وهذه الزيادة مهمة في تكملة الردّ على رسالة النصارى.

الذي علمتم أنه رسول من عند الله إلى العرب أن الله تعالى أرسله إلى النّاس كافة فلزمكم اتّباعه / بمقتضى قولكم[١].

وثبتت عليكم الحجة بما استدللتم به من الآيات الكريمة على تخصيص الرسالة المحمدية على زعمكم الكاذب:

لأنكم توهمتم أن الأعجمين في قوله تعالى: ﴿ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ﴾ الآية[٢] من عدا العرب فيكون الإنزال خاصّاً [٣] بالعرب، وليس كذلك، فإن الأعجمين: جمع أعجم، والأعجم: كل من كان في لسانه عجمة وإن كان من العرب، والعجميّ: منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً[٤].

وأن قوله تعالى: ﴿ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ﴾[٥] خطاب خاص بالعرب، وليس كذلك، بل الميم في "فيكم" ضمير الجمع المخاطبين، وهم الناس كافّة، ومعنى ميم "منكم" أي: إنسان من جنسكم ليس بملَك ولا جني[١].

---

(١) ذكر هذا الردّ كثير من العلماء، منهم: القاضي الجعفري في التخجيل ٢/٥٤٠ في ردّه على اليهود الذين يثبتون نبوة النبي ﷺ خاصةً بالعرب! والقرافي في الأجوبة ص: ٩، وابن تيمية في الجواب الصحيح ١/١٣١، والرازي في التفسير الكبير ٤/٣٠.

(٢) سورة الشعراء: آية ١٩٨.

(٣) في الأصل: خاص.

(٤) التفريق بين الأعجم والعجم اختاره ابن جرير الطبري ورجّح الشنقيطي هذا التفسير للآية. ينظر: تفسير الطبري ١٩/٣٩٩، أضواء البيان ٢/٤٥٥، لسان العرب ١٠/٥٠. والقول الآخر: أن المراد بالأعجمي هو غير العربي ولا فرق بين الأعجم والعجم، فتدلّ على الامتنان على العرب ولو نزّل على غيرهم لامتنعوا أنفة وكبراً. ينظر: الجامع للقرطبي ١٣/١٢٩. ثم كيف تستقيم هذه الشبهة عند النصارى مع شبهتهم: أن محمداً ﷺ تعلّم القرآن من النصارى! فالشبهتان لا تجتمعان، وإنما ترتفعان لبطلانهما، كما قال تعالى في سورة النحل: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ﴾.

(٥) سورة البقرة: آية ١٥١.

وكذلك قوله: (□ □ □ □ □ □) ويعضد ذلك قراءة من قرأ: "من أنفَسهم" بفتح الفاء، أي: من أشرفهم[٢].

وأن قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ)[٣] هم العرب خاصة، وليس كذلك، بل القوم كل حيّ كان في زمن بعثته ﷺ ، بدليل قوله تعالى: (□ □ □ ى)[٤] و[٥] يصدق على كل حيّ في زمنه أنه لم يأته نذير، إذ كان بعثه ﷺ على فترة من الرسل.

وكذلك قوله تعالى: (ڃ ڃ چ چ چ) الآية[٦]، لأنه يصدق على آبائهم الحقيقيين[٧] / أنهم لم ينذرهم نبيّ بلسانه، هذا إذا سلّمنا أن "ما" للنفي، فإن لم نسلّم ذلك كانت للإثبات، فيكون معناها "الذي" وتقدير الكلام: لتنذر قوماً الذي

ب/٢٥

---

(١) قال الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح ١/٤٤٠ (بتصرف): (في عمومه نزاع، فإنه إما أن يكون خطاباً لجميع الناس، ويكون المراد أنا بعثنا إليكم رسولاً من البشر. . . وإما أن يكون الخطاب للعرب، وعلى التقديرين، فالأول لا يمنع أن يكون مرسلاً للجن، فكذلك الثاني لا يمنع أن يكون مرسلاً لغير العرب) وينظر: الأجوبة الفاخرة ص: ١٠.

(٢) القراءة (بفتح الفاء) من الشواذ عند القرّاء، فقرأ بها أبو العالية والضحاك وابن محيصن، ورويت عن ابن عباس وفاطمة وعائشة رضي الله عنهم، وقرأ الباقون بالضم. ينظر: البحر المحيط ٥/١١٩، الجامع للقرطبي ٤/٢٤٩. وعلى القراءة المتواترة معنى أنفسهم: جنسهم. ينظر: التحرير والتنوير ٢/٤٩.

(٣) سورة السجدة: آية ٣.

(٤) سورة يس: آية ٧٠. وتفسير (حيّاً) بمعنى: حيّ القلب. ولم أجد من فسّر الآية على ما ذهب إليه المؤلف، ولكن ليس في تفسير الحياة بحياة القلب ما يمنع أن يعمّ الإنذار غير العرب. ينظر: زاد المسير لابن الجوزي ٧/٣٧.

(٥) في الهامش زيادة: (أيضاً) ويصح المعنى بدونها.

(٦) سورة يس: آية ٦.

(٧) في الأصل (الحقيقية).

أنذره آباؤهم، لتنذر قوماً الذي أتتهم به النذر من قبلك[١]. وتعدى الفعل بنفسه من غير حرف جر، ويصدق على آدم فمن بعده أنهم آباءٌ لهم، فيكون ذلك تصديقاً للرسل وتوكيداً لِمَا جاؤوا به بدليل قوله تعالى: (ٱ ب ٻ ٻ پ پ ٻ ٻ پ پ ٻ ٻ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ) [٢] ونحو ذلك.

سلّمنا أن "القوم" هنا هم العرب، لكن لا يلزم من ذلك أن يكون إنما أرسل إليهم خاصة، لأنه لم يأتِ في ذلك بأداة من أدوات الحصر[٣]، وكيف وقد قال تعالى: > (ﭙ □ □ □ □ □ □ □ □) [٤] (ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ) [٥] (ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ

---

(١) التقدير الأول إشارة إلى آية ٦ من سورة يس، والتقدير الثاني إشارة إلى آية ٣ من سورة السجدة.

(٢) سورة آل عمران: آيات ١ — ٣.

(٣) تفسير (القوم) بالعرب هو قول جمهور المفسرين، لكن اختلفوا في الآية هل هي إثبات أو نفي لإنذارهم برسول سابق؟ قال الشنقيطي في أضواء البيان ٧١٠/٦: (لفظة " ما " في قوله تعالى: (ﭿ ﮀ ﮁ) قيل: نافية، وهو الصحيح. وقيل: موصولة، وعليه فهو المفعول الثاني لتنذر، وقيل: مصدرية). ينظر: تفسير الطبري ٤٩٢/٢٠، زاد المسير ٥/٧. وليس في الآية حجة لأهل الكتاب، قال الفخر الرازي في مفاتيح الغيب ٤٣/٢٦: (يقتضي (أي: ظاهر الآية) أن لا يكون النبي ﷺ مأموراً بإنذار اليهود؛ لأن آباءهم أنذروا، نقول: ليس كذلك، أما على قولنا: " ما " للإثبات لا للنفي فظاهر، وأما على قولنا: هي نافية فكذلك. . . أي ما أنذروا بعدما ضلوا عن طريق الرسول المتقدم، واليهود والنصارى دخلوا فيه؛ لأنهم لم تنذر آباؤهم الأدنون بعدما ضلوا، فهذا دليل على كون النبي ﷺ مبعوثاً بالحق إلى الخلق كافة) وينظر: ١٦٨/٢٥. فالآية لا تدلّ على التخصيص وإنما ذكر العرب لأن المنّة عليهم أكثر، ولابن تيمية جواب آخر: أن النبي لم يبعث لمجرّد الإنذار بل وللبشارة وغيرها من الحِكَم، فكذلك لم يبعث للعرب خاصة. ينظر: الجواب الصحيح ٤٣٢/١، الأجوبة الفاخرة ص: ١٠.

(٤) سورة النساء: آية ١٧٠.

(٥) سورة الأعراف: آية ١٥٨.

ﮩ)[١] <[٢] (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ)[٣] (ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ)[٤] وغير ذلك من الآيات الدّالة على عموم دعوته؟!.

وأما قوله تعالى: (ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ)[٥] وقوله تعالى: (ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ)[٦] وقوله تعالى: (ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ)[٧] فهو إخبار / من الله تعالى عن ما تقدّم، ليس لكم فيه دليل بل هو حجّة عليكم[٨]، لأن مما جاءت به الرسل التبشير بمحمد ﷺ والتحريض على اتّباع دينه إذا ظهر – على ما تقدّم – بدليل قوله تعالى: (ﭬ ﭭ

أ/٢٦

---

(١) سورة سبأ: آية ٢٨.

(٢) الآيات الثلاث زيادة من هامش الأصل.

(٣) سورة المائدة: آية ١٥. وفي الأصل: (وتعفوا) وهو غلط.

(٤) سورة المائدة: آية ١٩.

(٥) سورة إبراهيم: آية ٤. الآية لا تفيد التخصيص، ولابن تيمية والقرافي أجوبة لفهم النصارى للآية، منها: أنه سبحانه وتعالى لم يقل: وما أرسلنا من رسول إلا لقومه. حتى يستفاد منها التخصيص، وأن بعث الرسل بلسان أقوامهم أقرب لفهومهم، وإذا لم يمكن أقوامهم مدافعة ما جاءت به الرسل مع قربهم منهم فغيرهم أولى. ولمزيد من الأجوبة ينظر: الجواب الصحيح ٥٢/٢، الأجوبة الفاخرة ص: ١١.

(٦) سورة النحل: آية ٣٦.

(٧) سورة الروم: آية ٤٧.

(٨) الآيات حجة عليهم، حيث كانت رسالة مَن سبق من الأنبياء خاصة بأقوامهم، كما قال المسيح كما في متّى: ٢٤/١٥: (ما أرسلني الله إلا إلى الخراف الضّالَّة من بني إسرائيل) بخلاف رسالة نبيّنا محمد ﷺ فهي عامة بدليل فعله وقوله الدالين على عموم رسالته، وأيضاً: لم تكن التوراة والإنجيل إلا بالعبريّة واليهود والنصارى ليس كلهم يعرفون اللسان العبري وإنما ترجم لأكثرهم. ينظر: الجواب الصحيح ٥٤/٢، الأجوبة الفاخرة ص: ١٢.

ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ)[١] و"من" للعموم في كل من يعقل بالاتفاق لا لما ادّعيتموه من التخصيص بالاختلاق[٢]>[٣].

---

(١) سورة آل عمران: آية ٨٥.

(٢) أجاب ابن تيمية في الجواب الصحيح ١٢٣/٢ عن استدلالهم بالآية: أن الآية واردة واردة في سياق محاجّة نصارى نجران فهم أولى من دخل في عمومها، وأيضاً: الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً، وهو ما جاء به النبيّ الخاتم ﷺ ، وقد أمر أن يقول لأهل الكتاب وغيرهم: (ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ) سورة آل عمران: آية ٢٠.

(٣) لم يردّ المؤلف على جميع ما ذكروه من آيات. وقد ذكر ابن تيمية والقرافي: أن الكلام في صدق مدّعي الرسالة وكذبه متقدم على الكلام في عموم رسالته وخصوصها. ينظر: الجواب الصحيح ١٢٤/١، والأجوبة الفاخرة ص: ١١.

وأجاب القرافي جواباً عامّاً في كل ما يستدل به النصارى من القرآن فيقول: (وبالجملة، فهذه الألفاظ لغتنا، ونحن أعلم بها، وإذا كان عليه السلام هو المتكلم بها لم يفهم تخصيص الرسالة ولا إرادته، بل أنذر الروم والفرس وسائر الأمم، والعرب لم تفهم ذلك، وأعداؤه من أهل زمانه لم يدّعوا ذلك ولا فهموه، ولو فهموه لأقاموا به الحجة عليه، ونحن أيضاً لم نفهم ذلك، فما فهمه النصراني الذي ساء سمعاً وفهماً فساء إجابة) الأجوبة ص: ١٢.

ومن أجوبة ابن تيمية: أن النصارى وغيرهم في استدلالهم إما أن يدعوا أنه لم يرسل إلا إلى العرب، أو أن رسالته عامة لكن كذّبوه كسائر المشركين، فإن قالوا: صحّت رسالته للعرب. فقد تناقضوا؛ لأن صدق الرسالة يمنع التكذيب، وإن قالوا: كذب في رسالته. فهذا يبطل استدلالهم بشيء مما جاء به، بل ويبطل احتجاجهم بشيء مما جاءت به الرسل عموماً، وهذا يبطل دينهم؛ لأن طريق معرفة نبوّته كطريق معرفة نبوة من سبق بل أكمل، فما يبطلون به نبوة محمد ﷺ تبطل به نبوة غيره، وما تقوم به نبوة غيره تقوم به نبوته ﷺ ، وكذا معرفتنا بنبوة غيره من لازم تصديقنا بنبوته، فثبت أن حجتهم داحضة؛ لأنهم إن صدقوا النبي بطل دينهم لأنه دعاهم إلى الإيمان به، وإن كذبوه بطل دينهم لأن صدق الأنبياء السابقين فرع عن التصديق به ﷺ . الجواب الصحيح ٥/٢.

فصل

ثم قلتم في رسالتكم: **وليعلم أن الله عدل وليس من عدله أن يطالب قوماً أو أمة من الأمم يوم القيامة باتّباع إنسان لم يأتِ إليهم، ولا وقفوا له على كتاب بلسانهم، ولا من جهة داعٍ من قِبَله.**

ثم وجدنا أيضاً في هذا الكتاب من تعظيم[1] السيّد المسيح وأمّه، حيث يقول في سورة الأنبياء: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ﴾ [2] وقال في سورة آل عمران: ﴿ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ﴾ الآية [3].

مع الشهادات للمسيح بالمعجزات، وأنه حبلت به أمّه لا من مباضعة بل ببشارة ملاك الله لأمّه، وأنه تكلّم في المهد، وأَحيا الموتى، وأَبرأَ الأكمه، ونقّى الأبرص، وأنه خلق من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طيراً بإذن الله [4]، / ب/٢٦

وأجاب أيضاً: الآيات التي استدلوا بها إما أن يكون لها معانٍ توافق الآيات الدالة على عموم دعوته للعالمين، أو أن تكون منسوخة، وليست منسوخة اتفاقاً فدل على أنها لا تفيد التخصيص. الجواب الصحيح ٣٧٢/١.

فإن قيل: هذا يدلّ على التناقض في القرآن؟ أجيب: هذا باطل قطعاً؛ لأنه يبطل النبوة، وذلك مبطل للاحتجاج. الجواب الصحيح ٣٨/٢. وينظر في أدلة عموم رسالة النبي ﷺ : الجواب الصحيح ١٦٣/١.

(١) في الأصل: يعظّم، والتصويب من الجواب الصحيح ١٣٣/١، والرسالة.

(٢) سورة الأنبياء: آية ٩١.

(٣) سورة آل عمران: آية ٤٢.

(٤) في الجواب ١٣٣/٢ وفي الرسالة ن ٢: ن ٣: (**أي: بإذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتّحدة في الناسوت، ووجدنا أيضاً في الكتاب أن الله رفعه. . .**).

وأن الله رفعه إليه، لقوله في سورة النساء: ﴿گ گ گ گ گ گ گ گ﴾ الآية[١]**، وقوله في سورة آل عمران: ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ﴾ الآية**[٢]**، وقوله في سورة البقرة: ﴿ے ۓ ۓ ﮬ ﮬ ﴾ الآية**[٣]**، وقوله في سورة الحديد: ﴿ڎ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ﴾ الآية** [٤]**، وقوله في سورة آل عمران: ﴿ے ۓ ۓ ﮬ ﮬ ﮭ ﮭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ﴾ الآية** [٥].

ثم وجدناه يعظّم إنجيلنا، ويقدّم صوامعنا، ويشرّف مساجدنا، ويشهد بأن اسم الله يذكر فيها كثيراً، وذلك قوله في سورة الحج: ﴿ڈ ڤ ڤ ڤ ﴾ الآية [٦]**؛ وهذا وغيره أوجب لنا التمسك بديننا.**

فالجواب: لا شك أن الله عدل، ولا يطالب قوماً ولا أمة باتّباع رسول لم يأتِ إليهم، ولا وقفوا له على كتاب بلسانهم، هذا صحيح في دعوة الأنبياء الخاصة، المبعوثين إلى قوم بعينهم دون غيرهم، وأمّا الرسول المرسل إلى الناس كافة، أبيضهم وأسودهم، عربهم وعجمهم، وكل ذي رأي ونحلة وكتاب وملة، وبشّرت به التوراة

---

(١) سورة النساء: آيتا ١٥٧، ١٥٨. في الأصل: ذكر آية المائدة: ﴿ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﴾ وهو وهم ظاهر، والتصويب من الجواب ١٣٤/٢. وفي الرسالة لم تذكر آية النساء، وفي الرسالة ن ٣ غلط بنسبة آية آل عمران إلى النساء.

(٢) سورة آل عمران: آية ٥٥.

(٣) سورة البقرة: آية ٨٧.

(٤) سورة الحديد: آية ٢٧.

(٥) سورة آل عمران: آية ١١٣.

(٦) سورة الحج: آية ٤٠.

والإنجيل والزبور وكتب النبوات / وأسفار الملوك، كما تقدم من القول، فإن دعوته شملت وعمّت وبلغت زوايا العالم[(١)]. ٢٧/أ

وقد أقررتم بتحصيل كتابه عندكم، وأنكم قرأتموه وتدبّرتموه وشهدتم أنه أخبر عن المسيح وأمّه بالتعظيم، وأنه ذكر صوامعكم ومعابدكم، واستشهدتم ببعضه دون بعض، فدخلتم بذلك مدخل اليهود لما أُرسل إليهم المسيح فقالوا: لا نسمع منه ولا نصدّقه وحسبنا التوراة وشريعة موسى. فذمهم الله في كتابنا بقوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ) الآية < إلى قوله: (ﮛ ﮜ ﮝ) >[(٢)]، وأُعيذكم من ذلك؛ فإنكم أقرب إلينا – معشر المؤمنين – مودة، كما قال الله تعالى عن أصحمة[(٣)] النجاشي ملك الحبشة وأهل مملكته حين آمنوا وبكوا لما سمعوا القرآن، وشهدوا أنه كلام الله تعالى[(٤)].

---

(١) أجاب الإمام ابن تيمية عن قولهم: (ليس من عدله أن يطالب أمة. . .) بأربعة أوجه، أحدها: أن مطالبتهم هي مقتضى العدل، وطلبهم لمن يُفهمهم خطاب الرسالة هو مما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كما يقع بين المخلوقين من المراسلات إذا اختلفت اللغة يُطلب من يترجم المقصود. ينظر: الجواب الصحيح ١٠٢/٢.

(٢) سورة البقرة: آيتا ٨٥، ٨٦. وما بين المعقوفتين زيادة من هامش الأصل.

(٣) في الأصل (أضحوى) وهو غلط. وهو أصحمة بن أبجر، والنجاشي لقب لكل من ملك الحبشة، آمن بالنبي ﷺ ، وصلى عليه النبي ﷺ حين موته في السنة ٩هـ ووصفه بالصلاح والعدل، معدود في الصحابة ولم تكن له رؤية فهو تابعي من هذا الوجه. ينظر: البداية والنهاية ٨٣/٣، سير أعلام النبلاء ٤٢٨/١.

(٤) بكى البطارقة لما سمعوا قراءة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لصدر من سورة مريم، ولم يؤمنوا. والقصة رواها: الإمام أحمد في مسنده ٢٠٢/١، وأبو نعيم في الدلائل ٢٤٦/١ (ح ١٩٤) قال الهيثمي في المجمع ٢٧/٦: رواه الإمام أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع.

فإن كنتم كما قلتم: مصدّقين بهذا الكتاب الكريم وهو عندكم. فاقرؤوا ما في سورة الأعراف من ذكر موسى وهارون، وسؤال موسى لربه بقوله: (□ □ □ □ □ □ □ □) إلى قوله تعالى: (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ)[1]

ب/٢٧

واقرؤوا أيضاً قوله /: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ) الآية <إلى قوله: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ)>[2]، وقوله تعالى لليهود، الذين هم أقدم شريعة منكم وأكثر علماً واحتجاجاً: (ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ) إلى قوله: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ)[3]، وقوله تعالى: (ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ) إلى قوله: (ﮥ ﮦ ﮧ)[4]، وقوله تعالى: (ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ) إلى قوله: (ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ)[5].

ومعنى الإسلام: الانقياد لأمر الله والطاعة له والاستسلام والدخول في السلم من غير مجاذبة ولا ممانعة ولا تردد[6]، كما تردّدت اليهود في ذبح البقرة مرات، وذمّهم الله على ذلك بقوله: (ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ)[1].

---

(١) سورة الأعراف: آيات ١٥٥ – ١٥٨.

(٢) سورة آل عمران: آيتا ٨٥، ٨٦. وما بين المعقوفتين زيادة من هامش الأصل.

(٣) سورة البقرة: آيات ٤٠ – ٤٢.

(٤) سورة البينة: آيات ١ - ٥.

(٥) سورة آل عمران: آيتا ١٨ – ١٩.

(٦) ذكر الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٦٣٧/٧: أن الإسلام يجمع معنيين: أحدهما: الانقياد والاستسلام. والثاني: إخلاص ذلك وإفراده، وعنوانه قول: لا إله إلا الله، وله معنيان:

الأول: الدين المشترك، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، الذي بُعث به جميع الأنبياء؛ كما دلّ على اتحاد دينهم نصوصُ الكتاب والسنة.

والثاني: ما اختُص به محمد ﷺ من الدين والشريعة والمنهاج، وله مرتبتان:

وكم من آية في هذا الكتاب العزيز شاهدة بأن رسول الله مرسل إلى جميع العالم.

وقد قرأتموه وتدبّرتموه واطّلعتم منه[٢] –كما قلتم – على ذكر المسيح وأمّه، ووصفهما بأوصاف الكمال والشرف والاصطفاء والقرب من الله عز وجل، واطّلعتم فيه أيضاً على / قصص الأنبياء وأخبار الأمم السالفة، ولو تعقلتم وتدبّرتم بغير زيغ ولا تحريف لوجدتم فيه: ٢٨/أ

خبر ما كان ونبأ ما يكون، وتعريف الأمّة بما هو كائن لها من ظهور دين الإسلام على الدين كله، ومن هلاك الكفرة والمشركين، الجاهلية الجهلاء، ومن خلو جزيرة العرب من الأصنام، ومن دخول النّاس في دين الله أفواجاً، ومن إرث الأمة الأرض، مشرقها ومغربها، ومن استخلاف الله لهم فيها، ومن أخذ الجزية من أهل الكتاب المخالفين المجاورين، وغير ذلك مما وقع ومما سيقع كما أخبر فيه به.

ولعلمتم أيضاً من صولة ألفاظه وخطابه العليّ فيه – تارة للنبي وتارة للأمة وتارة للناس كافة – عظمة الإلهية، وصولة كبرياء المتكلِّم به وجلَاله، كقوله تعالى: (**ٱ ٻ ٻ ٻ**) إلى آخرها[٣]، وقوله: (**ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ**) الآية[٤]، وقوله: (**ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ**

إحداهما: الظاهر من القول والعمل، وهي المباني الخمس. والثانية: أن يكون ذلك الظاهر مطابقاً للباطن. وقد يراد به معنى ثالث هو كماله وهو قوله ﷺ : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) رواه البخاري (ح ١٠). اهـ باختصار.

وينظر في معنى الإسلام: معارج القبول ٢/٥٩٥، لسان العرب ٧/٢٤٤، والأصل الثاني من الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب وشروحه.

(١) سورة البقرة: آية ٧١.

(٢) في الأصل زيادة (على) مشطوبة.

(٣) سورة الإخلاص.

(٤) سورة المائدة: آية ٦٧.

) الآية[١]، وقوله: (ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ) الآية[٢]، وقوله: (ه ه ه) الآية[٣]، وقوله: (ڃ ڃ ڃ ڃ) الآية[٤]، وهكذا من أوله إلى آخره يخاطب عباده: / ب/٢٨

طوراً يصف جلَاله وعظمته ونعوت الكمال الأكمل والكبرياء الأعظم، وطوراً يسمّي نفسه بأسمائه الحسنى الذاتية التي منها اسمه: الله الإله الحقّ [٥]، وبأسمائه الصفاتية التي منها اسمه: الحيّ القيّوم العليّ العظيم [٦]، وبأسمائه الفعلية التي منها اسمه: الخالق البارئ المصوّر الرزّاق[٧]، وبأسمائه الإضافية التي منها اسمه: الأوّل الآخر الظاهر الباطن[٨]، وبأسمائه النسبيّة المتخلّق بمسمّياتها عبادُه طلباً لكمالهم التي منها: الحنّان[٩]

---

(١) سورة النور: آية ٣٠.

(٢) سورة آل عمران: آية ٦٤.

(٣) سورة الأنعام: آية ١٣٠، وسورة الرحمن: آية ٣٣.

(٤) سورة يس: آية ٦٠.

(٥) الأسماء الذاتية: هي الدالة على نفس الذات. ينظر: بدائع الفوائد ٢٨٠/١.

(٦) الأسماء الصفاتية: هي الدالة على الصفات المتعلقة بالذات، وتسمى المعنوية. ينظر: بدائع الفوائد ٢٨١/١.

(٧) الأسماء الفعلية: هي الدالة على الصفات المتعلقة بمشيئة الربّ سبحانه. ينظر: بدائع الفوائد ٢٨١/١.

(٨) الأسماء الإضافية: هي التي تقترن بما يقابلها، وتجري كالاسم الواحد ولكل منهما معنى مختص به. ينظر: بدائع الفوائد ٣٣١/١.

(٩) اختلف العلماء في إثبات (الحنّان) اسماً لله تعالى: فأثبته الحليمي كما في المنهاج ٢٠٧/١، والبيهقي في الأسماء والصفات ص: ٨٤، وابن الأثير كما في النهاية ٤٥٣/١، ولم يثبته الأكثرون كابن حجر والقرطبي وابن عثيمين وغيرهم، وهو الأقرب إذ جميع ما وري في إثباته لا يصح، ومنها: ما أخرجه الحاكم في مستدركه ١٧/١، والبيهقي في الأسماء والصفات ص: ٨٤، من حديث أبي هريرة في سرد الأسماء الحسنى، وهو لا يصح؛ لأنه من طريق عبد العزيز بن الحصين قال فيه ابن حجر في التلخيص ١٩٠/٤: متفق على تضعيفه. ومنها: ما روي في بعض

المنّان الرؤوف الرحيم الودود الشكور الغفور[١]، وبأسمائه الأفعلية للمبالغة التي منها اسمه: الأعزّ الأكرم الأرحم[٢].

وتارة ينعت لهم تنزيهه وعزّته ووحدانيته وأحديته، ويحذّر[٣] من الشرك به وأنه مما لا يغفره ولا يسامح به.

وتارة يعرّف الأمّة أمر دينهم وكيفية الصوم والصلاة والحج والزكاة.

نسخ مسند الإمام أحمد ١٥٨/٣ من حديث أنس، وفيه: (أنت الحنّان المنان) والحديث بطرقه صحيح، لكنّ لفظة الحنّان غلط من النساخ، فاللفظة لم تأت إلا من طريق واحد مع تعدد طرقه ورواته مما يدل على غلطها، كما بيّنه الألباني في الصحيحة ١٢٠٩/٧ (ح ٣٤١١) وينظر في نسخ المسند ط. الرسالة ٦١/٢٠. وروي بأحاديث أخر أشد ضعفاً. وبالجملة: لم يثبت كونه اسماً لله تعالى على الأرجح، وصفة الحَنان – من غير تشديد – بمعنى الرحمة ثبتت لله تعالى بقوله تعالى في سورة مريم: آية ١٣: (ﭗ ﭘ ﭙ). وينظر: الفتوى رقم (١٨٩٥٥) من فتاوى اللجنة الدائمة في المملكة العربية السعودية، معجم المناهي اللفظية د. بكر أبو زيد ص: ٢٤٠.

(١) الأسماء النسبيّة: هي الدالة على معنى كليّ يتفاوت، ويختص بحسب ما يضاف إليه. ينظر: بدائع الفوائد ٢٩٠/١.

(٢) الأسماء الأفعلية: هي الدالة على الصفات بلفظ التفضيل. وأسماء الله كلها حسنى، وما ذكره المؤلف من تقسيم للأسماء الحسنى، هو نوع من الاجتهاد في النظر في النصوص، ولغيره من العلماء تقسيم آخر للأسماء الحسنى، كالحليمي في المنهاج ١٨٧/١، وابن القيم في بدائع الفوائد ٢٨٠/١، والقرطبي في الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص: ٧٨، ونقل ابن حجر عدداً من التقسيمات في فتح الباري ٥٧١/١٠، ٢٢٣/١١. ويلاحظ في الأقسام التي ذكرها المؤلف: أنها لم تقم على أساس واحد في التقسيم فربما دخل الوهم بأنها متباينة، ولرفع الوهم أشير لقواعد في أسماء الله وصفاته:

١/ أسماء الله أعلام وأوصاف ٢/ دلالة أسماء الله على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام ٣/ صفات الله وأسماؤه مختصة به، واتفاق الأسماء لا يوجب تماثل المسميات ٤/ أسماء الله مترادفة باعتبار دلالتها على الذات ومتباينة باعتبار دلالتها على الصفات. وينظر للاستزادة: بدائع الفوائد ٢٨٤/١، القواعد المثلى لابن عثيمين.

(٣) في الأصل: (وتحذر).

وتارة يأمر بالعدل والإحسان والمعروف، ويحذّر من الظلم والبغي وينهى عن الفحشاء والمنكر، ويندب إلى أدب الدين والدنيا وإلى مكارم الأخلاق، ويدعو إلى دار السعادة، ويذكر ما أعد الله لأهل الطاعة من الكرامة والنعيم الدائم، / مفصّلاً موضّحاً للذي أجمله المسيح بقوله في الإنجيل: (إنكم صائرون إلى حياة أبدية)[١] ولم يذكر كيفيتها، بل أحال التفصيل[٢] والبيان على نبيّنا المسمّى منه " أركون العالم " كما تقدم ذكره[٣]، فإن نبيّنا ﷺ القائل في الدار الآخرة وفي وصف الجنّة والنار ما لم ينقله المسيح فيها؛ لأن المسيح كان عالماً بقصور أذهان أهل زمنه واليهود وتكذيبهم وكثرة جدلهم ومحاجّتهم واختلافهم على أنبيائهم بالاعتراضات كما بيّناه قبل[٤].

٢٩/أ

---

(١) إنجيل متّى: ١٩/٢٠، وينظر ما سبق: ل ب/١٣ ص١٣٠.

(٢) في الأصل: (أحال على تفصيل). ولا يستقيم المعنى.

(٣) ينظر: ل أ/٦ ص١٠٢.

(٤) ذكر أحوال الآخرة والجنة والنار في كتب النصارى جاء مجملاً وفي فقرات محدودة، ففي العهد القديم: لم يذكر شيء من ذلك في الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى! وجاء في أسفار الأنبياء إشارات قليلة مجملة كما في إشعيا، في إصحاحاته الأخيرة التي هي مما أُلحق متأخراً بشهادة علماء النصارى! (قاموس الكتاب المقدس مادة: إشعيا)، قد شهد علماء أهل الكتاب بخلو العهد القديم من ذكر للآخرة، كما ذكر ذلك اليهودي ابن كمونة في تنقيح الأبحاث ص: ٢٦، ٤٠ وأشار إلى أن ذكر ذلك في اليهودية من وضع الأحبار! وينظر: مقامع هامات الصلبان للخزرجي ص: ٢٧٩، وأما العهد الجديد: ففيه ذكر لذلك لكنه قليل، وكثير منه عن قيامة المسيح لمحاسبة الناس! مع إنكارهم للنعيم والعذاب الحسي، وزعمهم أنه روحي كما تزعم الفلاسفة! واليوم الآخر عند النصارى بعرف باسخاتولوجي، ينظر: دائرة المعارف الكتابية (مادة: آخرة). وينظر ردود علماء المسلمين عليهم في: مقامع هامات الصلبان ص: ١٠٦، ٢٧٩، الأعلام للقرطبي ص: ٤٣٢، التخجيل ١/٢١١، تحفة الأريب ص: ٢٤٧، مجموع الفتاوى ١٣/٢٨٠.

وقد علل القرطبي في الإعلام ص: ٤٣٦ سبب قلة ذكر أحوال الآخرة في بني إسرائيل بأوجه أربعة: لتمردهم وكلالة أفهامهم، أو لبعد زمان ذلك عنهم، أو تعجيلاً لجزائهم في الدنيا،

وتارة يبيّن في هذا الكتاب أمر الحلال والحرام والمشتبه، وتبيين أحوال النساء والرضاع والولادة وقسمة المواريث، وكلّ ما هو في زبر الأولين من التشريع، وكل ما يقتضيه العقل السليم من تكملة(١) النفوس البشرية بأمر المعاش والمعاد ومثل ذلك.

أو ادّخر بيانه لنبي آخر الزمان ﷺ ، قال: (وهذا أقرب الوجوه). وزاد القرافي في الأجوبة الفاخرة ص: ٧٧ وجهاً خامساً: أن هذه الأمة أوفر نصيباً في نعيم الآخرة فناسبها التفصيل في أحوال الآخرة. ونقل الخزرجي في مقامع هامات الصلبان ص: ٢٧٩ تعليل النصارى في أن موسى لم يصرح بالبعث: بأن ذلك مخافة أن يكذّبه بنو إسرائيل جملة! ، بينما يذهب ابن كمونة اليهودي في تنقيح الأبحاث ص: ٤٠: إلى أنه لا يجوز السؤال والمعارضة في الأمور الإلهية، فربما كانت لحكمة مجهولة! أو لأن اليهود في زمن موسى لم يكونوا منكرين لذلك فلم يحتج إلى ذكرها! وهي تعاليل باطلة؛ يكذب بعضها بعضاً، إذ مهمة الرسل بيان ما يجب على الناس اعتقاده، فكيف يصح كتمانه مخافة؟! وسؤال المعارضة في الأمور الإلهية لا يصح بعد بيانها لا في حالة كتمان ما يجب بيانه! والصحيح أن قلة ذكر أحوال الآخرة في الكتب السابقة لما اعتراها من تحريف وتبديل وكتمان، وليس لأن الأنبياء لم يذكروها. ففي دعاء إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة: آية ١٢٦: (□ □ □ □ □ □ □) وفي قول يوسف عليه السلام في سورة يوسف: آية ٣٧: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □) وفي مخاطبة الله تعالى لموسى عليه السلام في سورة طه: آية ١٥: (ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ) ما يدل على ذكر الأنبياء السابقين لها. وقد جاء النبيّ ﷺ بتفصيلٍ وبيانٍ لأحوال الآخرة لقربها وكمال رسالته وحفظها، قال ابن القيم في هداية الحيارى ص: ٣٣١: (ولهذا كان في القرآن تفصيل أمر الآخرة، وذكر الجنة والنار، فهو يأتي بأمور كثيرة لا توجد في التوراة والإنجيل).

(١) في الأصل: تكملة.

فصل

في هذا الكتاب العزيز مع ذلك حجج قطعيّة مُسْكتة، وبراهين قطعية مبْهتة، وإلزامات مفْحمة ومبكتة، ودلالات واضحة، يعجز عن الإتيان بمثلها الفيلسوف المبرهن، والجدلي المحتجّ، ولا يوجد في التوراة ولا الإنجيل مثلها، لا في الإيجاز والبلاغة والجمع للمعاني، ولا في الإعجاز والعزة والصولة.

ب/٢٩

فمن ذلك: إخباره للنبي ﷺ عن اليهود المنكرين بنزول الإنجيل / والقرآن من السماء بقوله: (ٱ ب ب ٻ ٻ) أي: عرفوه حق معرفته (پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ) إلى قوله: (ڇ ڇ ڇ ڇ)[١] أي: بالمقاييس الفاسدة والعقول المكادّة المحجوبة بالنظر في الأصوات والحروف والأدوات الجسميّة والكيفيّة والفارغ والمتفرع والتجويز، وكل ما هو من صفات المخلوقين، فإن القياس به باطل، والحكم به لعب، وما هو فوق أطوار العقول فإنه لا يتعقّل[٢].

---

(١) سورة الأنعام: آية ٩١. قال ابن كثير في تفسيره ٣/٣٠١: (قال ابن عباس ومجاهد وعبد الله بن كثير: نزلت في قريش. واختاره ابن جرير، وقيل: نزلت في طائفة من اليهود؛ وقيل: في فنحاص رجل منهم، وقيل: في مالك بن الصيف... والأول هو الأظهر). وينظر: هداية الحيارى ص: ٥٧٩. وفي مختصر الصواعق لابن القيم ٢/٥٣٠: (فجحدوا ذلك الحق وأنكروه، وما قاموا بذلك الحق معرفة ولا إقراراً ولا عبودية).

(٢) الأقيسة نوعان: قياس الشمول وهو عند المناطقة: قول مؤلف من أقوال إذا وضعت لزم عنها لذاتها قول آخر، وقياس التمثيل وهو عند الأصوليين: حمل فرع على أصله لعلة مشتركة بينهما. ينظر: المعجم الفلسفي ٢/٢٠٧. قال الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٢/٣٤٧: (واستعمال كلا القياسين في الأمور الإلهية لا يكون إلا على وجه الأولى والأحرى. وبهذه الطريقة جاء القرآن، وهي طريقة سلف الأمة وأئمتها، فإن الله سبحانه لا يماثله شيء من الموجودات في قياس التمثيل، ولا أن يدخل في قياس شمول تتماثل أفراده، بل ما ثبت لغيره من الكمال الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه فهو أحق به، وما نزّه عنه غيره من النقائص فهو أحق بالتنزيه منه، كما قال تعالى: (ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ) وينظر: شرح العقيدة الطحاوية ١/٨٨.

ومن ذلك: قوله تعالى: (ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ) الآية[(١)].

ومن ذلك: قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ) إلى قوله: (ﭫ)[(٢)].

وقوله تعالى: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ) إلى آخر السورة[(٣)].

وقوله تعالى: (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ) إلى قوله: (□)[(٤)].

وقوله: (ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ) إلى قوله: (ﭼ ﭽ ﭾ)[(٥)].

وقوله: (ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ□ □ □ □ □□ □ □ □ □)[(٦)]، إذ من المستحيل عقلاً وشرعاً أن يكون للعالم إلهان اثنان قديمان واجبا [(٧)] الوجود معاً، أو يكون أحدهما محدثاً فلا يكون إلهاً[(٨)].

ومن ذلك أيضاً: قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام لما كسر الأصنام، وقال له قومه: (ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ) الآية، فرجعوا إلى أنفسهم ونكّسوا رؤوسهم / حياءً واعترافاً، وقالوا: (ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ) الآية[(٩)]، [(١)].

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٨.

(٢) سورة الملك: آيتا ١٣، ١٤.

(٣) سورة يس: آيات ٧٨ – ٨٣.

(٤) سورة الأنبياء: آيات ٢١ – ٢٤.

(٥) سورة المؤمنون: آيتا ٩١، ٩٢.

(٦) سورة التوبة: آية ٣١.

(٧) في الأصل (إلهين اثنين قديمين واجبي).

(٨) هذا دليل التمانع الذي فيه تقرير: امتناع وجود إله مستحق للعبادة غير الله تعالى، كما امتنع وجود رب خالق مدبّر غيره تعالى، ودليل هذا الامتناع صلاح السماوات والأرض وعدم فسادهما. ينظر: منهاج السنة لابن تيمية ٣/٣٠٤، بحث التمانع د. محمد الجهني نشر في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة عدد (٤٥).

(٩) سورة الأنبياء: آيات ٦٢ – ٦٦.

وقوله تعالى: (□ □ □) الآية[٢].

وقوله تعالى: (ﯤ ﯥ ﯦ □ □ □ □ □ □ □ □)[٣].

< وقوله تعالى: (ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ) إلى آخر تلك الوصية التي جمعت ما في سائر الكتب المتقدمة <[٤].

وقوله تعالى: (ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ) إلى قوله: (ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ)[٥].

وقوله تعالى: (ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ) إلى قوله: (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ)[٦]، وكثير مثل هذه الآيات البيّنات في هذا الكتاب المجيد.

ثم فيه للأمّة من التشريع والتعاليم والتعريفات ما وصّى به الله سبحانه وتعالى رسله الكرام: نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى[٧].

---

(١) في الأصل: (أفتعبدون ما تنحتون) وهو غلط ووهم بآية ٩٥ من سورة الصافات.

(٢) سورة ق: آية ١٥.

(٣) سورة المؤمنون: آية ١١٧.

(٤) سورة الإسراء: آيات ٢٣ – ٣٨. وما بين المعقوفتين زيادة من الهامش. وقد تكررت هذه الوصية في سورة الأنعام: آيات ١٥١ – ١٥٣.

(٥) سورة الحج: آيات ٥ – ٧.

(٦) سورة المؤمنون: آيات ١٢ - ١٤.

(٧) إشارة إلى قوله تعالى: (ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ) فسّرها الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٤/١ بقوله: (فتضمن الكلام أشياء: أحدها: أنه شرعَ لنا الدين المشترك وهو الإسلام والإيمان العام، والدين المختص بنا وهو الإسلام والإيمان الخاص. الثاني: أنه أمرنا بإقامة هذا الدين كله المشترك والمختص ونهانا عن التفرق فيه. الثالث: أنه أمر المرسلين بإقامة الدين المشترك، ونهاهم عن التفرق فيه. الرابع: أنه

ونادى منادي إعجازه على رؤوس الأشهاد: قل يا محمد لأهل الكتاب والجحود والعناد، وجمع الكفرة والأضداد: ائتوا بمثل هذا القرآن، أو بعشر سور مثله، أو بسورة واحدة من مثله، (ڈ ڈ ڈ) الآية، فلو (ٹ ٹ ٹ) الآية، فعجزوا وأفحموا وخسئوا وخسروا خسراناً مبيناً[(١)].

فتدبّروه، أيها المدّعون أنهم قد حصّلوه عندهم وطالعوه وفهموه بحسب مبلغهم من العلم به، وأنصفوا لأنفسكم من أنفسكم فيما ذكرته وبيّنته لكم من بعض ما في القرآن المجيد:

هل إذا قرأتم التوراة والإنجيل وتدبّرتم ألفاظهما / بأي لغة شئتم تجدونهما مثل ما وَصفتُ في كتابنا أو قريباً منه؟[(٢)] ب/٣٠

بل تجدون التوراة حكاياتٍ مِن حاكٍ يحكي عن الله تعالى عن موسى في حياته وبعد موته! وعن أشياء منكورة لا ينبغي أن تحكى[(٣)] عن الأنبياء، كفلان وزناه

لما فصل بقوله: (ڍ ڍ ڌ) وبين قوله: (ڃ ڃ ڃ ڃ) وقوله: (ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ) أفاد ذلك).

(١) ورد التحدي بأن يأتوا بمثل هذا القرآن في سورة الإسراء: آية ٨٨، وفي سورة الطور: آية ٣٤، والتحدي بعشر سور في سورة هود: آية ١٣، والتحدي بسورة في سورة البقرة: آية ٢٣ – ٢٤، وفي سورة يونس: آية ٣٨.

(٢) قال الخزرجي في مقامع هامات الصلبان ص: ٩٧[١] بعد ذكر بعض وجوه إعجاز القرآن: (فقد استبان أن العرب لم تدفع قط في إعجاز كتابه، فكيف يلتفت إلى مقال العجم الجهلاء الجاعلين مع الله إلهاً آخر؟) وينظر أيضاً: ردّ رحمت الله الهندي على مَن زعم من النصارى خلو القرآن من الإعجاز والبلاغة والبيان في إظهار الحق ٣/ ٨٢٩.

(٣) في الأصل (يحكى).

بابنته[١]، وفلان وفعله[٢]، ومع ذلك ففيها من كلام الله تعالى متفرق ومحرّف[٣]، وسبب ذلك:

---

(١) في الأصل (وزنايه). وهو يشير إلى القصة الأثيمة في التوراة المنسوبة إلى لوط مع ابنتيه — حاشاهم — في سفر الخروج: ٣٠/١٩ – ٣٧. وينظر مثالاً لتفنيد العلماء لها: إفحام اليهود للسموءل ص: ١٥٠، التخجيل ٥٦٥/٢.

(٢) ما تحكيه التوراة من شناعات عن الأنبياء — نجلّ كتابنا كما فعل المؤلف – عن أن نذكر نماذجه وحسبي أن أشير إلى مرجع في فضح الشناعات، مثل: الحسام الممدود لعبد الحق الإسلامي ص: ١٧٢، والتخجيل ٥٢٣/٢، بل أصبحت ظاهرة لكل دارس للأديان ومثالاً للقصص المحرمة، كما في كتاب: قصص محرمة في التوراة لكريتش ترجمة. جزماتي. وعلماء النصارى لا يستطيعون دفعها، قال رحمت الله الهندي في إظهار الحق ٨٣٧/٣ – بعد ذكره لشيء من الشناعات –: (وهذا القدر مسلّم عند اليهود والنصارى، ومصرّح في كتب العهد العتيق المسلمة عند الفريقين).

(٣) التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام من كلام الله، وقد فقدت باعتراف أهل الكتاب وغيرهم ويكاد يكون إجماعاً؛ لأسباب، منها: أن شيوعها لم يكن ظاهراً في زمن موسى عليه السلام، ومنها: انحراف سيرة بني إسرائيل مع أنبيائهم ودخول الوثنية فيهم، ومنها: الاضطهادات التي أصابت اليهود ولا سيما السبي البابلي، ومنها: الترجمات المتتابعة التي حرفت الأصل. ينظر: الفصل لابن حزم ٢٠١/١، إفحام اليهود ص: ١٣٧، الأجوبة الفاخرة ص: ٢٠٥. وينظر: رسالة في اللاهوت والسياسة ص: ٢٨٢.

أما التوراة التي بأيدي أهل الكتاب فهي محرفة متناقضة، يزعمون أن كاتبها عزرا الكاهن، وبينه وبين موسى عليه السلام ثمانية قرون! ولو صح؛ فأحسن أحواله أن يكون كتب ما توارثته الأجيال، فهو عمل بشري يعتريه الخلل والقصور، ويكون فيه شيء من الوحي المنزل على أنبياء بني إسرائيل، لكنّه مفرّق لا يُميز إلا بوحي صادق. ينظر: إظهار الحق ١١٢/١، شفاء الغليل للجويني ص: ٣١، قال شيخ الإسلام في الجواب ٤٤٩/٢: (والقرآن والسنة المتواترة يدلان على أن التوراة والإنجيل الموجودين في زمن النبي ﷺ فيهما ما أنزله الله عز وجل. . . وإنما يعلم مثل هذا بالوحي).

خيانة اليهود وتحريفهم الكلم عن مواضعه بحسب أغراضهم، ولأن بخت نصّر الذي هو بوخذ ناصر الكلداني البابلي المخرّب[١] أحرق التوراة عند خراب البيت المقدس، وقتل اليهود حتى إنه لم يبق منهم يحفظ التوراة إلا رجل واحد[٢] أملاها من صدره[٣]، وكذلك الملك أنطيوخس[٤] أحرقها أيضاً وأقام صنمه بالقدس[٥]، ولأن موسى عليه السلام ألقى الألواح من يده غضباً على قومه بني إسرائيل حين عبدوا

---

[١] اسم بابلي معناه: حامي الحدود، وهو ابن نبوبلاسر وخليفته، حكم الإمبراطورية البابلية سنة ٦٠٥ ق. م، عاش في زمن أرميا وسبى اليهود وأحرق هيكلهم أربع مرات سنة ٦٠٥، ٥٩٧، ٥٨٧، ٥٨٢ ق. م، وأخباره مذكورة في أسفار الملوك والأخبار وعزرا ونحميا وأرميا ودانيال، توفي عام ٥٦٢ ق. م. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: نبوخذ)، أعلام المورد ص: ٤٥٢.

[٢] في الأصل (رجلاً واحداً). والصواب الرفع.

[٣] ينظر في واقعة الإحراق والتخريب: سفر الملوك الثاني: ٢٥، وسفر الأخبار الثاني: ٣٦. وينظر: تأريخ الطبري ٥٣٨/١، الكامل لابن الأثير ١٧٢/١، والذي أملاها من صدره: هو عزرا الكاهن، كما في سفر عزرا: ٧، وينظر: إفحام اليهود للسموءل ص: ١٣٩، الجواب الصحيح ٣٩٥/٢.

[٤] في الأصل (انطهيوس). والمراد (أنطيوخس الرابع) أبيفانيس: من ملوك السلوقيين حكم بين (١٧٥ – ١٦٤ق.م) غزا بيت المقدس عام ١٦٨ق.م، وأراد أن يمحو الديانة اليهودية ويصبغ فلسطين بوثنية اليونان فاضطهد اليهود وقتل كثيراً منهم ونهب الهيكل، فثار عليه يهوذا المكابي واستردها منه عام ١٦٤ق.م. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: أنطيوكس)، أعلام المورد ص: ٧٠.

[٥] ينظر في واقعة استيلاء أنطيوخس على بيت المقدس واضطهاد اليهود وإحراق نسخ التوراة: سفر المكابيين الأول: ٤١/١، دائرة المعارف الكتابية (مادة: أنطيوكس) الموسوعة الميسرة ص: ٢٤٧، قال رحمت الله الهندي في إظهار الحق ١١٢/١: (ولما كتب عزرا هذه الكتب على زعمهم، ضاعت نسخها وأكثر نقولها في حادثة أنتيوكس).

العجل، فغاص بعضها في أرض البيت المقدس وصار بعضها إلى السماء[١]، ولأن اليهود جاءتهم العشر كلمات الوصايا بدلاً مما ذهب من التوراة[٢]، ولأنه بين توراة السامرة[٣] وتوراة اليهود اختلاف في اللفظ والمعنى[٤]،

---

[١] إلقاء الألواح ورد في سورة الأعراف: آية ١٥٠، ألقاها موسى عليه السلام غضباً على عبادة بني إسرائيل للعجل كما قاله جماهير المفسرين سلفاً وخلفاً، ووصفت بقوله تعالى في سورة الأعراف: آية ١٤٥: (ڎ ڌ ڤ ڦ ٹ ٺ ٿ ڈ ڌ ڤ) ولم يبقَ منها إلا الهدى والرحمة المشار إليهما بقوله تعالى في سورة الأعراف: آية ١٥٤: (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ) وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه وعطاء. ينظر: تفسير الطبري ١٢٧/١٣، تفسير ابن كثير ١٥٢/٣. وفي سنن أبي داود (ح ١٤٥٩) وصححه الألباني، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أوتي رسول الله ﷺ سبعاً من المثاني الطول، وأوتي موسى عليه السلام ستّاً فلما ألقى الألواح رفعت ثنتان وبقي أربع). وظاهر القرآن: أن الألواح هي التوراة (كتاب موسى) لأن الله تعالى وصفهما بوصف واحد، وهو أن فيها تفصيل كل شيء وهدى ورحمة، ففي سورة الأنعام: آية ١٥٤ قوله تعالى: (ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ) وقارنه بما سبق في سورة الأعراف: آية ١٥٤.

وأما التوراة المحرّفة ففيها: أن الألواح لوحان، وفيهما الكلمات العشر فقط، كما في سفر الخروج: ٢٨/٣٤ أو سفر التثنية: ١٣/٤، ويختلفان عن التوراة التي فيها الشريعة، كما في سفر التثنية: ٢٤/٣١ – ٣٠.

[٢] في سفر الخروج: ١٦/٢٥، وسفر التثنية: ٤/١٠: أن الله سبحانه أبدل موسى عليه السلام لوحين مكانهما بعد كسرهما.

[٣] في الأصل (السمرة).

[٤] الاختلاف بين نص التوراة السامرية واليهودية (العبرانية) لا مرية فيه عند علماء الملل الثلاث، ففي قاموس الكتاب المقدس (مادة: السامريون): أن الاختلاف يقرب من ستة آلاف موضع! وأن التوراة السامرية تتفق مع التوراة اليونانية (السبعينية) في ألف وتسعمائة موضع. أي: إنهما تختلفان بأكثر من أربعة آلاف موضع. وقال ابن حزم في الفصل ١٢٧/١: (بأيدي السامرية توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود، ويزعمون أنها المنزلة ويقطعون أن التي بأيدي اليهود محرفة مبدلة، وسائر اليهود يقولون إن التي بأيدي السامرة محرفة مبدلة)، وينظر: شفاء

وهم يزعمون أن التوراة التي بأيديكم مبدّلة مغيّرة[(١)]، ولأن اليهود يزعمون أن عزرا الكاهن[(٢)]

الغليل للجويني ص: ٣٧، وهذا يناقض ما ذكره ابن كمونة في تنقيح الأبحاث ص: ٣١: من أن الاختلاف يسير، وسببه عدم عناية السامرة والنصارى بقراءة التوراة والتعبد بها! وينظر: من الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية في الألفاظ والمعاني د. السقا.

(١) التوراة التي بأيدي النصارى هي اليونانية، وتسمى الترجمة السبعينية لزعمهم أنه ترجمها عن الأصل العبري ٧٢ حبراً من اليهود في عهد بطليموس الثاني في القرن الثالث قبل الميلاد! وفي مدخل الكتاب المقدس ط. دار المشرق، بيروت ص: ٤٩: اعتبار تلك الترجمة السبعينية أسطورة خالية من القيمة التأريخية. وفي دائرة المعارف البريطانية ٢/٨٧٩ ط ١٥، ١٩٨٢ نقلاً عن المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم د. البار ص: ١٤٠: (النص اليوناني المعتمد يختلف عن النص العبري اختلافاً بيّناً، وفيه زيادات كثيرة في مختلف الأسفار، ويرجع النص اليوناني إلى القرن الرابع بعد الميلاد) وهذه التوراة اليونانية هي المعتمدة عند نصارى الكاثوليك والأرثوذكس، وأصولها: مدونة الفاتيكان، ومدونة سينا (كلاهما من القرن ٤م)، وترجمة جيروم في القرن الخامس الميلادي (الفولجات). ينظر: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ص: ١٣٧، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث د. موريس ص: ٢٠ خلافاً لما عند نصارى البروتستانت (طائفة وجدت بعد زمن المؤلف) من اعتبار التوراة العبرانية. واليهود يقولون بتحريف توراة النصارى أيضاً كتوراة السامرة! وقد بيّن الجويني في شفاء الغليل ص: ٣٣ نماذج من الاختلاف بين توراة النصارى واليهود، وقال: (فقد أجمع الفريقان على القول بوقوع التبديل، وكل طائفة تجعله صفداً في عنق الأخرى) ينظر: الفصل لابن حزم ٢/٨، البحث الصريح للراسي ص: ٢٥٢، إظهار الحق ٢/٤٢٩.

(٢) عزرا: اسم عبري بمعنى: عون، وهو اختصار لعزريا، ابن سرايا، يعرف بالكاهن والكاتب، عمل موظفاً في بلاط ملك الفرس (أرتحشسيا) ومستشاراً له ونال منه السماح لليهود بالعودة إلى القدس وإقامة حكم ذاتي عام ٣٩٨ ق. م، أعاد كتابة التوراة بعد فقدها، يعظمه عامة اليهود، وأخباره في سفري عزرا ونحميا. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: عزرا) وتنقيح الأبحاث لابن كمونة اليهودي ص: ٣٢، لكن وصفه السموءل – الذي كان يهودياً فأسلم – في إفحام اليهود ص: ١٤٠: بأنه لفّق التوراة لليهود، ولهذا بالغوا في تعظيمه، وزعموا أن النور ما

استجدّ[١] لهم التوراة وكتبها بأرض بابل[٢]، ويزعم السامرة: أن عزرا المذكور كتبت الملائكة / بيده التوراة بلا اختياره، وأن الذين كانوا حوله ينظرون إلى أصابعه تتحرك

٣١/أ

زال يخرج من قبره! وهو رجل فارغ جاهل بالصفات الإلهية؛ لذا نسب إلى الله ما لا يليق. وقد اختلف العلماء: هل عزير المذكور في القرآن (في سورة التوبة: آية ٣٠) هو عزرا الكاتب أو غيره؟ عند جماهير المفسرين: أنهما لمسمى واحد، وأنه رجل صالح آتاه الله التوراة بعد ضياعها، ينظر: تفسير الطبري ١١١/١٠، والدر المنثور للسيوطي ١٧٢/٤، والمنار لرشيد رضا ٢٨٣/١٠، وغيرها من التفاسير حول آية التوبة، واختاره الجويني في شفاء الغليل ص: ٣٠، ورحمت الله الهندي كما في إظهار الحق ٤٥٠/٢، ود. السقا كما في تحقيقه لشفاء الغليل، ونصره محققو اليهود كابن كمونة في تنقيح الأبحاث ص: ٣٢. والقول الآخر: أنهما شخصان مختلفان، فعزير عابد صالح وعزرا كاهن محرّف، ونصره السموءل بن يحيى في إفحام اليهود ص: ١٥٣ واستدل باختلاف تعريب الاسمين، وأيده المحقق للكتاب د. الشرقاوي، ومال إليه ابن القيم في هداية الحيارى ص: ٤٢٢، والأقرب القول الأول؛ لأمور، منها: أن تعظيم عزير في اليهودية لكونه جدد التوراة، ولا يعرف في التأريخ من جدّد التوراة غير عزرا، وأيضاً: أنه لا يوجد في التوراة اسم عزير والذي تعرفه العرب، وإنما هو عزرا بلسان اليهود، وما استدل به السموءل يخالفه غيره في ذلك، ويرى صحة تعريب عزرا لعزير، كما في الأعلام د. ف عبد الرحيم ص: ١٢٩، ولا يشكل على هذا الترجيح قول السموءل أو غيره في وصفه فإنه مؤسس على أن التوراة الموجودة كاتبها عزرا، وهو لا يصح؛ لأن التوراة المنسوبة إليه حرفت وضاع كثير منها، فلا يصح نسبة ما ورد من المخازي إلى عزير. ينظر: إظهار الحق ١١٢/١.

(١) كذا في الأصل، والمعنى: جدد.

(٢) كتابة عزرا للتوراة مما لا يختلف فيه المؤرخون، وينظر: سفر نحميا: ٢/٨، وفي تأريخ مختصر الدول لابن العبري ص: ٥٢.

بابل: مدينة قديمة في أواسط ما بين النهرين، ينسب إليها السحر والخمر، قرب الحلة، على مسافة ٨٠ كم جنوب شرقي بغداد، سكنها الآموريون (البابليون) وبلغت ذروة مجدها في زمن حمورابي القرن ١٨ ق. م ثم زمن بختنصر في القرن ٦ ق. م. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: بابل) المنجد في الأعلام ص: ١٠٦، معجم البلدان ٣١٠/١.

رقماً للحروف وهم ينقلونها أولاً فأولاً[١]، ولأن في تواريخ اليهود أيضاً: أن التوراة لما عدمت جاءهم بالتوراة ناسٌ من مدينة ماسة - بأقصى المغرب — كانت في مغارة هناك على ما يزعمون[٢].

ومثل هذه الأشياء التي ينبغي السكوت عنها إجلالاً لما في التوراة[٣] يومنا هذا من بقيّة كلام الله تعالى[٤].

---

[١] اختلف في كيفية كتابة عزرا للتوراة: فقيل: إلهام إلهي. ينظر: تأريخ مختصر الدول ص: ٥٢، وقيل: جمعها من محفوظاته ومما يحفظه الكهنة. ينظر: إفحام اليهود ص: ١٣٩، والمشهور أن السامريين اتهموا عزرا بتحريف التوراة. ينظر: التأريخ مما تقدم عن الآباء للسامري أبي الفتح بن أبي الحسن ص: ٧٤ ط. ١٨٦٥ م.

[٢] مدينة ماسة: تتكون من ثلاث مدن صغيرة تطل على البحر الأطلنطي، على وادٍ في أقصى بلاد السوس، وهي الآن ضمن إقليم (سوس ماسة درعة) في وسط دولة المغرب الحديثة. ينظر: وصف أفريقيا للحسن الفاسي ١/١١٣. وهجرات اليهود إلى بلاد المغرب ولا سيما الأقصى منه مشهورة، أوائلها كانت في القرن الثالث قبل الميلاد. ينظر: تأريخ ابن خلدون (العبر) ٦/١٠٧، تأريخ اليهود في المغرب العربي د. عبد الرحمن بشير ص: ٥٣، وما ذكره المؤلف من وجود نسخة للتوراة في المغرب أشار إلى مثله الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح ٢/٣٩٦.

[٣] في الأصل رسمت (التورية) والناسخ يرسمها تارة التورية وتارة التوراة.

[٤] ما ذكره المؤلف من السكوت عن ذكر المخازي الواردة في التوراة؛ لأن في التوراة ما يجب إجلاله من بقايا كلام الله، فيه نظر؛ لأن في ذكر المخازي بياناً لتحريف التوراة وإظهاراً لتلبيس اليهود، لكن ينبغي أن يقدّر بالحاجة؛ صيانة لجناب الإيمان الحقّ بالله تعالى ورسله. ينظر: الشفا للقاضي عياض ٢/٢٤٤. وأما إجلال التوراة لما فيها من كلام الله، فهذا إن عُلم تحريف بعينه فالتحريف لا يستحق شيئاً من الإجلال. وإن لم يُعلم تحريف بعينه أو كان فيها اسم معظّم فتحترم ولا يجوز أن تهان؛ لما قد يكون فيها من الحق، ولذا من أجاز من العلماء الاستنجاء بتوراة وإنجيل شرطه بأن يعلم تبديلهما وخلوهما من اسم معظّم وإلا فيحرم. ينظر: نهاية المحتاج للرملي الشافعي ١/١٤٧، المغني لابن قدامة الحنبلي ١/٢١٦، حاشية ابن عابدين الحنفي ١/٣٦٧.

وكذلك إذا طالعتم الإنجيل المجموع من البشارات الأربع، وليس لكم اليوم إنجيل غيره، تجدونه أربعة[١] تواريخ، أرّخها[٢] متّى ولوقا ومرقس ويوحنّا[٣].

فأمّا متّى، فابتدأ بذكر مولد المسيح ونسبه إلى داود، وذكر بشارة الملَك لمريم عليها السلام به، وساق بعض ما جاء في كتابنا في سورة مريم، ثم ذكر وصايا ووقائع، وبلغ إلى ذكر ليلة الفِصْح وسهر المسيح ووصيته للتلاميذ، ثم ذكر الصلب والقتل والهوان والدفن والقيام بعد الموت، والترائي لبعض التلاميذ في العلِّية وفي مركب الصيد ببحر طبرية أو البحر[٤]، وختم كلامه.

---

(١) في الأصل (البشارات الأربعة. . . تجدونه أربع تواريخ). وهو غلط.

(٢) في الأصل (ورخها).

(٣) قال الخزرجي في مقامع هامات الصلبان ص: ١٥٧: (فأناجيلكم ما هي إلا حكايات وتواريخ، وكلام كهنة وتلاميذ وغيرهم، حتى أني أحلف بالذي لا إله إلا هو أن تأريخ الطبري عندنا أصح نقلاً من الإنجيل، ويعتمد عليه العاقل أكثر. . . وتقولون مع ذلك: إن الإنجيل كلام الله أنزله إلينا، وأمر المسيح باتّباعه! فليت شعري أين هذا الإنجيل المنزّل من عند الله؟ وأين كلماته من بين هذه الكلمات؟ إن الذي تنقلونه عن عيسى عليه السلام لفظاً – وهو قليل – لا يلزم أن يكون منزّلاً من عند الله، لأن المسيح كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة، ومن مقتضى الطباع البشرية، وغير ذلك. فهذا كله ليس من عند الله). وينظر حكاية إجماع النصارى أن الأناجيل تواريخ مؤلفة وليست كلام الله في: الفصل لابن حزم ١٣/٢. وفي تراجم الأربعة ما سبق في: ل أ/١٠ ص١٢٤ في الحاشية.

(٤) العلِّية: حجرة تكون أعلى المنزل، وفيها سهر المسيح ليلة الفصح، ويُظنّ أن المنزل في جنوب أورشليم قرب باب صهيون، ومنها ظهر للتلاميذ. ينظر: أعمال الرسل: ١٣/١، دائرة المعارف الكتابية (مادة: علية). وبحر طبرية: يسمى أيضاً بحر الجليل، ويعرف الآن ببحيرة طبريّة لمجاورتها لمدينة طبرية الواقعة في الجزء الشرقي من الجليل (في فلسطين المحتلّة)، بُنيت عام ٢٦م في زمن الحاكم الروماني طيباريوس فحملت اسمه. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: طبرية). والترائي للتلاميذ في العلّية وردت إشارة له غير صريحة في إنجيل لوقا: ٣٣/٢٤، وأما في بحر طبرية فورد في إنجيل يوحنّا: ٢١. وأما في إنجيل متّى: ٢٨، فإن الترائي كان في جبل الجليل، وليس في

وأمّا لوقا ومرقس، فإنهما تقاربا في حكايتهما عن المسيح ونسبه ووصاياه وما جرى له، وساقاه إلى السهر ليلة الفصح والتضرّع إلى الله تعالى، والعهد إلى التلاميذ وتعريفهم بأنه ذاهب عنهم، ثم أبلغاه إلى الصلب والقتل والقيام، /كما ذهب إليه متّى مع اختلاف ومناقضات في الشهادة والخبر(١).

ب/٣١

وأمّا يوحنّا، فإنه ابتدأ كلامه بما معناه: إنه في البدء كانت الكلمة. وأن الكلمة صفة تابعة للموصوف، والموصوف قديم خالق، فالكلمة كذلك. يريد بقوله: (الكلمة)

بحر طبرية، وربما وهم المؤلف بما ورد في إصحاح: ١٨/٤ من لقاء المسيح ببطرس وأخيه في مركب الصيد في البحر. ويزعم النصارى أن المسيح ظهر أكثر من مرّة للتلاميذ!. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: القيامة) وما سبق: ل أ/١٠ ص١٢٥.

(١) الأناجيل الثلاثة (متّى، مرقس، لوقا) تسمّى: الإزائية، أو المشتركة. وذلك لاشتراك مصادرها وتقارب حكايتها لحياة المسيح ودعوته، ويختلف علماء النصارى في مصادر كتبة الأناجيل، واشتهرت نظريتان:

الأولى: نظرية المصدرين، وأن متّى ولوقا أخذا من مرقس (الأقدم كتابة) ومن وثيقة أخرى مجهولة اشتركا فيها. ينظر: قصة الحضارة ٢٠٩/٣، المدخل إلى العهد الجديد في الكتاب المقدس ط. دار المشرق، بيروت ص: ٢٨.

الثانية: نظرية الوثائق المتعددة، وأن للأناجيل الثلاثة أربعة مصادر، وهي الأشهر عند نقّاد النص الكتابي؛ لأنها تعطي أجوبة أكثر إقناعاً، فهي قائمة على فرضيات متعددة، كما أنها تؤكد أهمية المصدر الشفهي. ينظر: المسيح في الأناجيل والكنيسة والنقد الكتابي الحديث، تعريب. الأب ميشال نجم. القرآن والتوراة والإنجيل والعلم لموريس ص: ١٤٧. وقال ابن حزم في الفصل ١٥/٢: (إن جميع نقل النصارى أوله عن آخره هو راجع إلى ثلاثة فقط، وهم: بولس، ومارقص (مرقس)، ولوقا. وهؤلاء الثلاثة لا ينقلون إلا عن خمسة فقط، وهم: باطرة (بطرس)، ومتّى، ويوحنّا، ويعقوب، ويهوذا) وعليه؛ فاختلاف النصارى في مصادر الأناجيل يبطل دعوى إلهامية الأناجيل، ويكشف سلسلة أخرى من مجهوليتها وتأثرها بمصادر وثنية ويهودية. ينظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية د. عجيبة ص: ٣٢٣.

أنها المسيح [١]. ثم ساق من الخبر قريباً مما ساقوه الثلاثة قبله، بزيادة في القول ونقص ومناقضة فيه، ثم لما بلغ الصلب والموت والدفن والقيام قال – ما معناه –: إن مريم المجدلانية قامت يوم الأحد على مدفن المسيح بعد الصلب فرأت الحجر مرفوعاً [٢] ولم ترَ جسد المسيح فبكت، وقالت: أين ربي؟ من أخذ ربي؟ أين ذهبوا بربي؟ فهي كذلك في بستان الفاخوري إذ سمعت صوت المسيح قائلاً: مريم. فالتفتت فرأته في طرف البستان، فقالت له: رابوني – أي: يا معلم – وقصدت إليه فمنعها، وأوصاها وصية إلى التلاميذ وأن يجتمعوا به قبل أن يصعد إلى السماء [٣].

فيا هؤلاء العقلاء! أين كلام الله العظيم وكلام المسيح من هذه الحكاية المخبّر بها امرأة مجنونة يصرعها سبعة[٤] شياطين وبرئت بزعمكم! وهلّا ذكر هذه القصة متّى ولوقا ومرقس فيما ذكروه، وهو مهم عظيم جدّاً، مع أن يوحنّا أصغرهم وأبعدهم عهداً بالمسيح! [٥].

---

[١] هذه المقدمة من إنجيل يوحنّا تكشف جزءاً من تأثير الفلسفة اليونانية الوثنية في صياغة الإنجيل ودعوى لاهوتية المسيح، وتعرف عند النصارى وفلاسفة اليونان بمصطلح (اللوغوس). ينظر: المدخل للعهد الجديد في طبعة الكتاب المقدس الكاثوليكية، دار المشرق بيروت ص: ٢٨٢، خريف الفكر اليوناني د. بدوي ص: ٩٧.

[٢] في الأصل (مدهوهاً). والتصويب من إنجيل يوحنّا: ١/٢٠.

[٣] ساق المؤلف الخبر مختصراً وقد جاء مطولاً في إنجيل يوحنّا: ٢٠.

[٤] في الأصل (سبع). ومريم المجدلانية ينظر ترجمتها في: ل أ/١٨ ص١٤٦.

[٥] إشارة المؤلف إلى أن قصة ظهور المسيح بعد الصلب والدفن لمريم المجدلانية ومخاطبتها انفرد بها إنجيل يوحنّا يوافق ما عليه محققو النصارى من أن خاتمة إنجيل مرقس: ٩/١٦ – ٢٠ ليست منه، والتي ورد فيها: قصة ظهور المسيح للمجدلانية مجملة. ينظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص: ٢٩٣. وقد انفرد إنجيل يوحنّا عن الأناجيل الثلاثة في أسلوب كتابته وغايته وتفاصيل حياة المسيح. ينظر: اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ص: ١٢١، دراسات. . د. الأعظمي ص: ٢٧٥.

فتدبروا ذلك، واعرفوا الحق في خلال التدبّر، واعلموا أن رسول <الله> [(١)] / ٣٢/أ
ﷺ أرسل إلى العالم كافة لإصلاح ما فسّدوا [(٢)]، وللتوبيخ لهم على ما أحدثوا وأشركوا وظنّوا وغلطوا واختلفوا، وتصديقاً للمسيح في خبره عن أركون العالم المسمّى (بارقليطس) أي: رسول الله، الآتي من عنده، والمنبثق من فيه روح الحق، الذي هو القرآن المجيد كلام رب العالمين.

ولما صدّق الإنجيلُ التوراةَ وصححها وصدّقت التوراةُ الإنجيلَ وصححته وصدّقهما القرآنُ المجيد وصححهما وصدّقاه من قبل وصححاه؛ شهد البعض للبعض على تطاول الْمُدد وامتداد الدهور، فإن بين التوراة والإنجيل ألف سنة، وذلك من خروج موسى من مصر ببني إسرائيل وإلى ولادة المسيح عليهما السلام، وبين ظهور المسيح وظهور نبيّنا محمد نحو من ستمائة سنة وبضع وثلاثين سنة [(٣)].

وقول المؤلف إن يوحنّا أصغرهم وأبعدهم لا يوافق عليه؛ لأن مما لا خلاف فيه أن لوقا ومرقس لم يلتقيا بالمسيح باتفاق علماء النصارى، ورجح غالبية النصارى لقيا متّى ويوحنّا للمسيح، ولعل مراد المؤلف أن إنجيل يوحنّا آخر الأناجيل الأربعة تأليفاً، وهذا مما يقرره علماء النصارى، هذا إن سلّم جدلاً بصحة نسبة الأناجيل إليهم. ينظر: إظهار الحق ١٥٧/١.

(١) في الأصل سقط لفظ الجلالة.

(٢) كذا في الأصل، بمعنى: أفسدوا.

(٣) لم يرد نقل صحيح يبين مقدار المدة بين وفاة موسى ومولد المسيح عليهما السلام، واختار المؤلف أن بينهما ألف سنة وثلاثاً وثلاثين سنة كما سيأتي في: ل أ/ ٥٠ ص٢٤٨. وفي كثير من المصادر الإسلامية: أن المدة بينهما أكثر من ١٧٠٠ سنة، ينظر مثلاً: تأريخ ابن الوردي ص: ١٠، تفسير القرطبي ١٢١/٦. بينما ذكر المؤرخ ابن البطريق النصراني في تأريخه ص: ٨٩: أن بين الخروج من مصر والمسيح ١٦٦٥ سنة، وفي دائرة المعارف الكتابية (مادة: أزمنة العهد القديم) أن بينهما ١٤٤٨ سنة، وذكر المؤرخ د. عبد العزيز صالح في كتابه الشرق الأدنى القديم ص٢٢٥: احتمالات في زمن خروج بني إسرائيل من مصر أقلها سنة ١٢٠٠ق.م وقال: (وما زالت القضية بغير حلّ مرضٍ حتى الآن) والأقرب أن المدة بين موسى وعيسى

وجاء القرآن مبيناً ما كان قبلُ في هذه المدة وفيما قبلها إلى آدم عليه السلام، وذاكراً كيفية بدء الخليقة، وكيفية عودها بالانطواء، وعلْم ما كان وعلم ما يكون، ونبأً ما بين الأمّة، ووصف المسيح وأمّه بما لا يحسنوا[١] الغلاة أن يصفوهما بمثله، من الشرف والفخار والعلو والاصطفاء والنزاهة والتطهير الذي لا يليق غيره بهما، والشهادة للمسيح بأنه أحد أولي العزم من الرسل، أصحاب الرسالة العامة، كما / نبّأ أرميا برؤية الشعوب والربوات بين يديه ويدي نبيّنا ﷺ[٢].

ب/٣٢

ومن البيّن الواضح: أن المسيح لم يرسل رسله إلى الناس تبرعاً منه بل بإذن الله وأمره له[٣]، وكذلك محمد ﷺ لم تنقَدِ الأمم إلى[٤] دعوته والدخول في دينه وشرعته وهابته ملوك الأرض قاطبة تبرعاً منه واستحباباً من غير أن يأمره الله تعالى بذلك، بل بأمره وإرساله له وتأييده إياه.

وفيما استشهدت به لكم بأنه لم يأت بغتة ولا مفاجأة للعالم ولا رسالته إلى العرب خاصة بل إلى الناس كافة كفاية ومَقنَع، ولو بسطنا القول في ذكر محاسن

عليهما السلام لا تقل عن ١٤٠٠ عام، قال ابن حجر في الفتح ٤/٤٤٩: (وقد اتفق أهل النقل على أن مدة اليهود إلى بعثة النبي ﷺ كانت أكثر من ألفي سنة، ومدة النصارى من ذلك ستمائة). أما المدة بين عيسى عليه السلام وبعثة نبيّنا ﷺ فقد روى البخاري في صحيحه (ح ٣٧٣٢) عن سلمان الفارسي قال: (فترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ستمائة سنة).

[١] كذا في الأصل على لغة: أكلوني البراغيث.

[٢] ينظر ما سبق: ل أ/٧ ص١٠٧، ل ب/١٥ ص١٣٦. ونبوءة أرميا غايتها تدلّ على كثرة أتباعه لا عمومها.

[٣] إرسال المسيح لرسله (التلاميذ) كان لليهود، ولم يكن لعموم الناس، وقد وهم المؤلف في دعوى عموم رسالته كما سبق.

[٤] في الأصل (لي).

الشريعة وجوامع الآداب والكمالات في الصلاة والصيام والحجّ والأذكار والتسبيحات لجاء في كتب عديدة، وفيما أوضحناه وبيّناه كفاية.

فصل

ثم قلتم في الرسالة سياقاً: **وهذا وغيره أوجب لنا التمسك بديننا، وأن لا نهمل مذهبنا، ولا نرفض ما معنا، ولا نتبع غير السيد المسيح كلمة الله وحواريّيه**[١] **الذين أرسلهم إلينا، أنذرونا بلغاتنا وسلّموا إلينا ديننا الذي قد عظّمه هذا الكتاب** [٢] **بقوله في سورة الحديد: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ ﴾ الآية**[٣]**، وقال في سورة البقرة: ﴿ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﴾ / الآية**[٤]**، فعنى**[٥] **بقوله أنبياءه المبشرين ورسله المنذرين: الحواريين، الذين داروا في جميع العالم وبشّروا بالكتاب الواحد الذي هو الإنجيل المقدّس؛ لأنه لو كان عنى عن**[٦] **إبراهيم وموسى وداود**[٧] **ومحمد لكان قال: ومعهم الكتب؛ لأن كل واحد منهم جاء بكتاب دون غيره، ولم يقل إلا الكتاب الواحد الذي هو الإنجيل الطاهر**[٨].

٣٣/أ

---

(١) في الأصل والرسالة ن ٢: حواريه. والمثبت من الجواب الصحيح ٢/٢٢١، والرسالة ن١، ن٣.

(٢) في الجواب الصحيح ٢/٢٢٤، والرسالة: (**الذين قد عظّموا في هذا الكتاب**). إشارة للحواريين، وفي الأصل إشارة للدين.

(٣) سورة الحديد: آية ٢٥.

(٤) سورة البقرة: آية ٢١٣.

(٥) في الأصل (فأعنى) بالهمزة في المواضع الخمس اللاحقة.

(٦) كذا في الأصل ونسخ الرسالة والجواب الصحيح، ويصح الكلام بدونها.

(٧) كذا في الأصل، وفي نسخ الرسالة والجواب الصحيح: (داود وموسى).

(٨) في الجواب الصحيح ٢/٢٢٥ والرسالة ن ٢، ن ٣ زيادة: (**لأنه ما أتى جماعة مبشرين** (الصواب: مبشرون) **بكتاب واحد غير الحواريين الذين أتوا بالإنجيل الطاهر**) وزاد في الجواب الصحيح بعده: (**وجاء أيضاً في الكتاب**: (**وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين**) **الآية ٢٠ من سورة يس. يعني: الحواريين، لم يقل: رسول، وإنما قال: المرسلين**). ولا توجد في الأصل ولا الرسالة.

ثم يشهد هذا الكتاب: أنهم أنصار الله، حيث يقول: ﴿□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾ إلى قوله: ﴿□ ﴾[١].

وأما تعظيمه لإنجيلنا وكتابنا الذي بين أيدينا فيقول: ﴿ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﴾ الآية[٢]، وقال: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ﴾ إلى قوله: ﴿ﭬ ﴾[٣]، وقال: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭖ ﭗﭘ ﭙ ﭚ ﴾ إلى قوله: ﴿ﭸ ﴾[٤]، فعنى بالكتاب: الإنجيل، والذين يؤمنون بالغيب: نحن النصارى، ثم أتبع بالقول: ﴿ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﴾ الآية فعنى بهم: المسلمين الذين آمنوا بما أتى به وما أتى من قبله.

وقال في سورة المائدة: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﴾ إلى قوله: ﴿ﭼ ﴾[٥]، وقال في سورة آل عمران: ﴿ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﴾ الآية[٦]، فعنى أيضاً بالكتاب المنير: الإنجيل / المقدّس، وبالرسل: الحواريين.

ب/٣٣

وقال أيضاً: ﴿ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﴾ الآية[٧]، فثبت بهذا ما معنا، ونفى عن إنجيلنا وكتبنا التي في أيدينا التهم والتبديل لها.

فقال لكم القائل – وكليام حاضر –[٨]: إن قال قائل: إن التبديل والتغيير يجوز أن يكون بعد هذا القول. فقلتم: إنا نعجب من هذا القول، ومن هؤلاء

---

(١) سورة الصف: آية ١٤. وغلط الناسخ في بدايتها فكتب (إذ قال).

(٢) سورة المائدة: آية ٤٨.

(٣) سورة آل عمران: آيات ١ – ٤.

(٤) سورة البقرة: آيات ١ – ٥.

(٥) سورة المائدة: آيتا ٤٦، ٤٧.

(٦) سورة آل عمران: آية ١٨٤. وتتمتها: ﴿ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ﴾.

(٧) سورة يونس: آية ٩٤.

(٨) في الرسالة (فقلت لهم) من غير ذكر للقائل.

أ/٣٤

القوم، على علمهم وذكائهم ومعرفتهم كيف يحتجّون علينا بمثل هذا القول؟! فلو قلنا: إن الكتاب الذي في أيديهم يومنا هذا قد غيّروه وبدّلوه وكتبوا فيه ما أرادوا واشتهوا، أفكانوا يجوّزون كلامنا؟ فقال لكم: هذا ما لا يجوز، ولا يمكن أحد أن يقوله أبداً، ولا يمكن أن يتغير منه حرف واحد. فقلتم: فإذا كان الكتاب الذي في أيديهم باللسان العربي الواحد لا يمكن تغييره ولا تبديل حرف واحد منه فكيف يمكن تغيير كتابنا الذي هو مكتوب باثنين وسبعين لساناً[١]؟[٢] ومن يقدر على جمعها من أقطار الأرض وزوايا العالم حتى يغيّرها؟ وإن أمكنه تغيير بعضها فلا يمكنه تغيير كلها، فإن هذا لا يمكن أن يكون، لأن كونها[٣] بالألسن قول واحد ولفظ واحد، فهذا ما لا يجوز لنا أبداً تسليمه، ولا يجوز لقائل / أن يقوله أبداً.

ثم وجدنا ما هو أعظم من هذا برهاناً في قوله في سورة الشورى[٤]: (□ □ □ □ □ □ □) إلى قوله: (□)[٥]، وأما لغير أهل[١] الكتاب يقول: (ٱ ب ب) إلى آخرها[٢].

---

[١] في الأصل: لسان. والتصويب من الرسالة.

[٢] في الجواب الصحيح ٣/٦، والرسالة زيادة: (**وفي كل لسان منها كذا وكذا ألف نسخة، وجاز عليها إلى مجيء محمد أكثر من ستمائة سنة، وصارت في أيدي الناس يقرؤونها باختلاف ألسنتهم على تشاسع بلدانهم، فمن هو الذي تكلّم باثنين وسبعين لساناً؟ أو من هو الذي حكم على الدنيا جميعها ملوكها وقساوستها وغالبها حتى حكم على جميعها في أقطار الأرض وجمعها في أربع زوايا العالم حتى يغيّرها؟**) ويلاحظ اختصار المؤلف لكلامهم.

[٣] في الجواب الصحيح ٣/٦: (كلّها)، وفي الرسالة: (جميعها).

[٤] في الأصل (شورى) كما سقطت الواو من أول الآية.

[٥] سورة الشورى: آية ١٥. وقد كتبت الآية في الرسالة كاملة.

فالجواب لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد:

إن كنتم أنتم المؤمنين[٣] بالغيب وقد صدّقتم بكتابنا فلا تقولوا ثلاثة، انتهوا خيراً لكم عن الشرك، وإلا فلستم بمؤمنين كما زعمتم، ولكنّكم كما سمّاكم الله في الكتاب الذي احتججتم به بقوله: ﴿ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ں ڻ ڼ﴾[٤].

وأما زعمكم بأن الكتاب المنزّل بالحق هو الإنجيل فغير مسلّم لكم، ولكنّه القرآن المجيد، بدليل قوله تعالى: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭖ ﭗﭘ ﭙ ﭚ ﴾[٥] وقوله: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﴾[٦] وقوله: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﴾ إلى قوله: ﴿ﭵ﴾[٧]، حيث أنزلت هذه الحروف المقطّعة في أول سور منه كالعلامة له، وأشار بها إلى أن هذا الكتاب مع إعجازه لجميع العالمين أن يأتوا بسورة من مثله أنزل منظّماً من هذه الحروف العربية على هذا النبيّ الأمّي الذي لا يحسن الكتابة ولا الحساب، ولا تعلّم علماً من غير الله تعالى[٨].

---

(١) في الأصل (هذا) والمثبت من الجواب الصحيح ٥٣/٣ والرسالة.

(٢) سورة الكافرون كاملة ست آيات. وفي الرسالة كتبت السورة كاملة.

(٣) في الأصل (المؤمنون).

(٤) سورة المائدة، في موضعين: آية ١٧، ٧٢.

(٥) سورة البقرة: آيتا ١ – ٢.

(٦) مطلع سورتي الشعراء والقصص.

(٧) سورة فصلت: آيات ١ – ٤.

(٨) اختلف العلماء في الحروف المقطّعة في أوائل السور، هل هي من المحكم الذي ينظر في تفسيره أو من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه؟ والأقرب أنها ليست مما استأثر الله بعلمه، ولذا تعددت أقوال العلماء في المراد منها، والأرجح ما ذكره الشنقيطي في أضواء البيان ٥/٣: (أما القول الذي يدل استقراء القرآن على رجحانه فهو أن الحروف المقطعة ذكرت في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركّب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وحكى هذا القول الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين، وحكاه القرطبي عن الفراء وقطرب، ونصره الزمخشري في الكشاف. قال ابن كثير: وإليه

ب/٣٤

وهو قرآن عربي مبين، وليس الإنجيل منه بشيء ولا التوراة، وإن كان فيهما من كلام الله ما فيهما، إذ التوراة كما تقدم القول عنها بشهادة تواريخ / اليهود، وما زعموه من الحريق لها، ومن استجدادها بعد عدمها مرتين، واختلافهم في المستجدّة التي بأيديهم اليوم وأيدي السامرة وأيديكم[١].

وأما الإنجيل، فإنكم معشر النصارى تعلمون وتشهد تواريخكم وتواريخ اليهود: أنه جمع من حكايات الحاكين للملك قسطنطين في المجمع، ما حكوه من سيرة المسيح ووصيّته وما جرى له، وأنه – أعني: الإنجيل المحكي – كان إحدى عشرة[٢] بشارة، حكاية تاريخاً، بعدد تلاميذ المسيح غير يهـــــــــــوذا[٣] الشبيه المصلوب[٤]، فاستكثرها قسطنطين وعاين ما فيها من الاختلاف، فاختار منها الأربعة التي هي اليوم الإنجيل[١]، وأحرق الباقي إلا واحداً منها، يعرف بإنجيل

ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاه لي عن ابن تيمية، ووجه شهادة استقراء القرآن لهذا القول: أن السورة التي افتتحت بالحروف المقطّعة يذكر فيها دائماً عقب الحروف المقطعة الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وأنه الحق الذي لا شك فيه، وذكر ذلك بعدها دائماً دليل استقرائي على أن الحروف المقطعة قصد بها إظهار إعجاز القرآن وأنه حق) وينظر: تفسير الطبري ١١٨/١، تفسير ابن كثير ٢٨/١.

(١) ينظر ما سبق: ل أ/٣٠ ص١٨٥.

(٢) في الأصل: أحد عشر.

(٣) في الأصل: هيرودس، والصواب: يهوذا. ينظر: الحاشية في ل ب/١٧ص١٤٨.

(٤) اختلف نقّاد النص الكتابي: هل دوّن الحواريون شيئاً عن حياة المسيح أو لم يدونوا؟ يقول شارل في كتابه المسيحية ص: ٢٦: (لم يشعروا ألبتة في الحاجة إلى تدوين ذكرياتهم أو شعورهم عنه (أي: المسيح). . . وكانوا يترقبون بين لحظة وأخرى توقف الحياة البشرية وظهور المسيح المنتصر من السماء!) وعلى التسليم بتدوين شيء من حياة المسيح فإنه من بعضهم لا كلهم. ينظر: مصادر النصرانية د. عبد الرزاق ص: ٣٧١.

الصبوة[٢]: حكايات عن المسيح أنه فعلها كالعجيبات والمعاجز حسب لا غير، وهذا الإنجيل في أيدي اليعاقبة[١] ظاهر، وعند غيرهم من النساطرة والملكية والمارونية[٢] موجود ومكتوم عن العامة.

---

(١) المشهور أن الأناجيل قبل قسطنطين أكثر من أحد عشر إنجيلاً، وقد جاء في إنجيل لوقا: ١/١ (إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا) ينظر: دائرة المعارف الكتابية (مادة: الأبوكريفا)، ونقل المهتدي نصر المتطبب في النصيحة الإيمانية ص: ١٣٥ عن الجاثليق ابن ملكون مفسر الأناجيل: (أن التلاميذ والحواريين وعدتهم اثنان وسبعون رجلاً عمل كل واحد منهم إنجيلاً. . . وأن الذين حضروا مجمع قسطنطين أحضروا معهم من الأناجيل ما عجزوا عن حمله! ، فاختاروا أربعة وأسقطوا ثمانين!) (بتصرف). وأشار الأب لويس شيخو اليسوعي في مقالة الأناجيل القانونية وأناجيل الزور إلى أن ما رفضته الكنيسة مئات الأناجيل! وعرّف بستة عشر إنجيلاً، ينظر: مجلة المشرق الكاثوليكية للسنة ١١ عدد ٣ ص: ١٩٤. وفي كتاب الديانات والعقائد لأحمد عطار ٤٧٠/٣ ذكر (٥١) إنجيلاً. وينظر: إظهار الحق ١١٠/١. وإنما المؤلف استروح لعدد التلاميذ لكونهم الواسطة بين المسيح ومن بعدهم.

(٢) إنجيل الصبوة: أشار إليه الجعفري في التخجيل ١١٤/١ وأنه وقع له وقرأه دفعات، ونسبه إلى بطرس عن مريم البتول، وفيه حديث عن طفولة المسيح مع إغفال لكثير من معجزاته، وفيه ذكر لرحلته إلى مصر. وعنه القرافي في الأجوبة ص: ٩٠. وهذا الإنجيل عند النّصارى أحد أناجيل الطفولة غير القانونية (الأبوكريفا) ويسمى إنجيل بطرس، وقال الأب لويس شيخو في مقالة الأناجيل القانونية وأناجيل الزور ص: ٢٠٤ (مجلة المشرق ٣/١١): (أشار إليه أوريجانوس وأوسابيوس القيصري والقديس أيرونيموس، وأفادنا تلودوريطوس في كتاب البدع أن أنجيل بطرس المذكور كان منتشراً بين أنصار الشيعة الناصريّة، وأنه كان قريباً من إنجيل القديس متّى إلا في بعض الأمور الموافقة لرأي اليهود المتنصرين) وأشار عطار في كتاب الديانات والعقائد ٤٧٣/٣ إلى أنه كان معمولاً به إلى سنة ١٩٠ م، ووجدت قطعة منه سنة ١٨٨٧ م في قبر راهب ببلدة إخميم في مصر.

ويشبهه إنجيل الطفولة، ويعرف بالإنجيل العربي، وقد أظهره هنري سيك سنة ١٦١٦ م في ألمانيا، وكان معتبراً عند النساطرة. ينظر: الأناجيل القانونية وأناجيل الزور ص: ٢٠٠، ودائرة معارف القرن العشرين ٦٥٦/١. الديانات والعقائد لعطار ٤٧٠/٣.

---

(١) اليعاقبة: نسبة إلى يعقوب البرادعي (٥٠٥ — ٥٧٨م)، دعا إلى القول بالطبيعة والمشيئة الواحدة للمسيح، وتبع في ذلك أوطيخا، وأعلن هذا المذهب في مجمع أفسس الثاني سنة ٤٤٩م، ثم حرّم في مجمع خلقدونية عام ٤٥١م. واليعاقبة منتشرون في الشام ومصر والحبشة، وهو مذهب الأرثوذكس في الشرق. ينظر: مقالة في الفرق المتعارفة بين النصارى لبولص الراهب في مجلة المشرق السنة السابعة ص: ٧٠٤، وأيضاً: السنة التاسعة ص: ٨٧١ وفيها ترجمة وافية ليعقوب ومذهبه وكتبه، للخوري بطرس الكلداني. قصة الحضارة ١٠٢/١٢. وينظر: الفصل لابن حزم ١١١/١، التخجيل ٤٧٥/١، النصيحة الإيمانية ص: ٥٨.

(٢) النساطرة: نسبة إلى نسطوريوس (٣٨٠ - ٤٥١ م) عين أسقفاً للقسطنطينية عام ٤٢٨م، ورأى أن مريم العذراء والدة المسيح الإنسان وليست والدة الإله، فعقد مجمع أفسس عام ٤٣١م بسببه، فحرّمه وعزله من منصبه وتوفي منفيّاً في مصر. وغلط الشهرستاني (الملل والنحل ٥٣٥/١) في نسبة النساطرة إلى نسطور الحكيم المعاصر للخليفة المأمون، لكن لعله ممن أحيا مذهب نسطور، فقد قال المؤرخ النصراني ابن البطريق في تأريخه ١٥٨/١: (وكانت مقالة نسطور قد اندثرت، فأحياها من بعده بزمان طويل برصوما مطران نصيبين في عصر يوستينيانوس ملك الروم وقباذ بن فيروز ملك فارس، وثبتها في المشرق وخاصة أهل فارس. فلذلك تكاثرت النسطورية بالمشرق والعراق والموصل والفرات والجزيرة) ثم أشار إلى مخالفة النسطوريين لمقالة نسطور الأولى. وكان لمقالتهم في المشرق تأثير في الفرق الحادثة في الإسلام.

ينظر: مقالة في الفرق المتعارفة بين النصارى لبولص الراهب في مجلة المشرق السنة السابعة ص: ٧٠٤، مجموعة الشرع الكنسي ص: ٣٠٧، تأريخ ابن البطريق ١٥٦/١. وينظر: التخجيل ٤٨٥/١، محاضرات في النصرانية ص: ١٨٨.

الملكية: (الملكانية) نسبة إلى ملوك الروم، لأنهم انحازوا في مجمع خلقدونية عام ٤٥١ م إلى الملك الروماني، ومذهبهم أنّ للمسيح طبيعتين ومشيئتين في أقنوم واحد، وقد بدأ تقرير المذهب من الملك قسطنطين في مجمع نيقية عام ٣٢٥ م، وهم الروم الكاثوليك، وبطريركية الإسكندرية قبل انحيازها لليعاقبة الأرثوذكس.

ينظر: مقالة في الفرق المتعارفة بين النصارى لبولص الراهب في مجلة المشرق السنة السابعة ص: ٧٠٤، تأريخ ابن البطريق ١١٦/١. وينظر: الفصل لابن حزم ١١٠/١، التخجيل ٤٨٢/١، النصيحة الإيمانية ص: ٦٠.

وتعلمون أيضاً: أن أصحاب القوانين في المجامع قنّنوا دين النصرانية لقسطنطين وضمّوا البشارات الأربع[1] بعضها إلى بعض، وسمّوها إنجيلاً، ومعنى الإنجيل في اللغة العربية: الأمر الظاهر بعد الخفاء، يقال: نجل الشيء، إذا ظهر وبان، ومنه: تسمية النجيل نجيلاً، وتسمية الولد نجلاً؛ لظهورهما بعد الخفاء[2].

المارونية: نسبة إلى يوحنا مارون بطريك أنطاكية (٦٨٥ – ٧٠٧ م)، ويزعم بعض المارونيين الانتساب إلى القديس مار مارون، ت عام ٤١٠ م، وقيل في نسبتهم غير ذلك، وظهرت الطائفة المارونية بعد مجمع القسطنطينية عام ٦٨٠ م حين قرّر أن المسيح ذو طبيعتين ومشيئتين، وحكم بالحرمان على يوحنا مارون وغيره القائلين بأن المسيح ذو طبيعتين ومشيئة واحدة في أقنوم واحد. وفي تأريخ المارونية صراع مع الملكية واليعاقبة، وغالبيتهم في جبل لبنان، وفي عام ١٥٩٦م خضعوا للبابوية الكاثوليكية. ينظر: تأريخ ابن البطريق ٢٨/٢، الموارنة في التأريخ لمتّى موسى. وينظر: أضواء على المسيحية، شلبي ص: ١١١، الفرق والمذاهب المسيحية، سعد رستم ص: ٣٠.

(١) في الأصل: الأربعة.

(٢) اختلف العلماء في اسم الإنجيل؟ فقيل: أصله أعجمي، إما عبراني، وإما يوناني وعليه أكثر النصارى، بمعنى: البشارة والخبر الطيب. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: إنجيل).

وقيل: أصله عربي، واختلف في اشتقاقه على أقوال: فقيل: من النجل بمعنى الأصل. وقيل: من نجلت الشيء بمعنى الظهور بعد الخفاء. وقيل: من التناجل بمعنى التنازع. ينظر: معجم مقاييس اللغة ٣٩٧/٥، لسان العرب ٢٠٣/١٤، النهاية لابن الأثير ٢٤/٥.

والصحيح: أنه أعجمي، ورجحه الزمخشري وأبو حيان. ينظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٣٧٢/٢، التفسير الكبير للرازي ١٣٩/٣. والأقرب أنه عبراني؛ لكون العبرانية لغة بني إسرائيل الذين بعث فيهم المسيح، بخلاف اليونانية التي هي لغة ملوك الروم. ينظر: الجواب الصحيح ٩٦/٣.

٣٥/أ

ومما كان في إنجيل الصبوة / ومتّى: أن المسيح لم يكن له آلة النسل، بل كان أمسح[(١)] قارّاً ألوهاً[(٢)]، وعملوا القلندس – الذي معناه: الختان – لئلا ينسب إلى ناسوته نقص خلق [(٣)]، ولأن الإنجيلات شاهدة بأن أمّ المسيح ختنته ثامن يوم ولادته[(٤)].

ثم إن أصحاب القوانين لم يجدوا في هذا الإنجيل المجموع تشريعاً كافياً ولا تعريفاً شافياً، فاستعانوا بما في التوراة من الأحكام والتشريع، وسمّوها العتيقة والقديمة[(٥)] لمعنيين، أحدهما: كون المسيح كان عالماً بها، عاملاً بما فيها. والثاني: لما فيها من التشريع الغير موجود في الإنجيل المجموع المذكور.

---

(١) في إنجيل متّى لم يرد ذكر للختان ولا لحالة المسيح أنه كان أمسحَ، ولم أجد من أشار إلى ذلك.

(٢) هكذا ورد في الأصل، ومعناها غير ظاهر. لعله يقصد بها: متعبداً، من التأله بمعنى التعبد.

(٣) القلندس: عيد للنصارى يوافق أول شهر كانون الثاني (بعد ثمانية أيام من عيد الميلاد) ويسمى عيد الختان، نسبة لختان المسيح عليه السلام. ينظر: أعياد الظهور الإلهي للأب متى المسكين ص: ١٨١، قال المقدسي عنه في أحسن التقاسيم ص: ١٨٢: (من الأعياد التي يعرفها المسلمون عن النصارى، ويقولون: إذا جاء القلندس فتدفأ واحتبس) وقد أشار إليه المؤلف في نخبة الدهر ص: ٢٨١ بأنه أحد الأعياد الصغار عند النصارى. وينظر: مروج الذهب ٤٠٦/٣، الآثار الباقية للبيروني ص: ٢٩٢.

(٤) في إنجيل لوقا: ٢١/٢: (ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع). وورد ذكر ختان المسيح في إنجيل شبيه متّى: ١٥، وإنجيل عربي للطفولة: ٥، وهما من أناجيل الطفولة، من كتاب أبوكريفا العهد الجديد، ترجمة: د. الطرزي. وفي إنجيل برنابا: الفصل الخامس.

(٥) في الأصل (القرمية). والنصارى تسمي التوراة بالعهد القديم.

ثم رتّبوا صلوات في اليوم والليلة[١].

ورتّبوا صياماً تابعوا فيه صيام المسيح[٢]، وقصدوا أن يكون آخره أبداً يوم الأحد؛ ليوافق قيام المسيح في يوم الأحد من القبر بعد الصلب، ويكون لهم عيداً بزعمهم! فاستعانوا بأهل الحساب الفلكيين، فاتفق لهم بالحساب النجومي[٣] أن الشمس

---

(١) الصلوات عند النصارى سبع صلوات تقوم على الترانيم والأدعية والتراتيل، خالية من الركوع والسجود، وتخالف ما كان عليه المسيح عليه السلام وحواريوه، من جهات عدة، منها: أن صلاة المسيح عبودية لله وصلاة النصارى تأليه للمسيح وأمّه وشفاعة القديسين! وأيضاً: خلو صلواتهم من الطهارة مع أمر الأنبياء بها كما في سفر الخروج: ٣٠/٤٠! وأيضاً: جهة القبلة؛ حيث كان المسيح والأنبياء يتوجّهون لبيت لمقدس والنصارى تتوجّه للمشرق! وأيضاً: كيفية أدائها، ينظر في سجود الأنبياء في صلاتهم مثلاً: سفر التكوين: ٣/١٧ وسفر العدد: ٢٠/٦ وسفر نحميا: ٨/٦ وفي متّى: ٣٩/٢٦ سجود المسيح: (وخرّ على وجهه وكان يصلي. .). فكانت صلاة المسيح موافقة لما كان عليه أنبياء بني إسرائيل. ينظر: التخجيل ٦٢٩/٢، إغاثة اللهفان ٣٩٢/٢.

(٢) الصيام عند النصارى: الامتناع عن الطعام وقتاً معيناً من النهار، ثم الاقتصار على أطعمة معينة تقوية للروحانيات وإضعافاً للشهوات! ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: صوم) والصيام أيام متعددة، أشهرها الصوم الكبير الذي يسبق الفصح، ولهم أيام أخرى يصومونها، وذكرت الموسوعة الكاثوليكية ٦٧/١ في مادة (Abstinence) أن سبب تبديل قوانين الصيام تدريجيّاً: اختلاف التقاليد والمناخ، إضافة إلى اختلاف تسعيرة المواد الغذائية. ينظر: مصباح العقل ص: ٨٠، وكل ذلك مبتدع من آباء الكنيسة، ولم يتابعوا فيه صيام المسيح عليه السلام، لا في وقته ولا في طريقته ولا في غايته. ينظر: إغاثة اللهفان ٣٥٢/٢، الأجوبة الفاخرة ص: ٢٨٤، تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ١١٦/٢.

(٣) الحساب النجومي: هو قياس الزمن بطلوع نجم معين في وقت معين. ينظر: أبجد العلوم ٥٥١/٢.

والقمر متى اجتمعا بين السرار والاستهلال[١] في أيام معدودة أولها ثاني يوم من شباط وآخرها رابع يوم من آذار[٢]، صاموا يوم الاثنين الذي يأتي بعد اجتماع الشمس والقمر أو مع اجتماعهما، فصار ذلك قاعدة في الصيام والفطر، يقدم تارة يسيراً ويتأخر تارة يسيراً، ولا ينفك فيما بين شباط وآذار ونيسان، أشهر الربيع وزمن إقبال السنة، ثم نظروا / في عدّة الأيام التي صامها المسيح فوجدوها أربعين يوماً[٣]، ووجدوا آخرها لا يوافق أن يكون يوم الأحد دائماً، فزادوا عليها عشرة أيام أو أكثر أو أقل بيسير، وجعلوا الزيادة صوماً، وقسّموها على الجمع يومين يومين، سبت وأحد سبت وأحد.

ب/٣٥

وجعلوا الصيام إمساكاً عن الأكل دورة من دورات الفلك، وخيّروا الصائم في وقت فطره، وأباحوا له فيه الوطء واللعب والعبث، ومنعوه من أكل لحوم الحيوان البري[٤]، وقصدوا بذلك ثلاثة[٥] معان:

أحدها: موافقة الصابئة في الصيام للكواكب بترك أكل كل

---

[١] السرار، ويقال: سرر الشهر، و هو آخر ليلة يستسر فيها الهلال بنور الشمس وقد يسمى: المحاق أو اجتماع النيرين. ينظر: النهاية لابن الأثير ٣٦٠/٢، والاستهلال: هو ظهور هلال الشهر. ينظر: النهاية ٢٧٢/٥.

[٢] في الأصل (ااذار). وشباط: اسم عربي شرقي للشهر الثاني من الشهور السريانية، ويقابله فبراير في التسمية الغربية، وآذار: اسم عربي للشهر الثالث من الشهور السريانية يقابله مارس في التسمية الغربية. ينظر: نخبة الدهر ص: ٢٧٧.

[٣] صيام المسيح الذي يستدل به النصارى هو صيامه أربعين يوماً حين جرّبه الشيطان! كما في إنجيل متّى: ٣/٤! وهو الصوم الكبير كما يسمّيه النصارى.

[٤] المنع من أكل اللحوم في فترة الصوم يخالف ما عليه المسيح عليه السلام، فقد نقل المؤرخ ابن البطريق في تأريخه ١٤٧/١ عن بطرس الحواري أن المسيح أكل الذبيحة، وقال: (صار كل من لا يأكل الذبيحة عندنا مخالفاً لشريعة النصرانية ومضاهياً لمذهب المنانية).

[٥] في الأصل (ثلاث).

<ذي>[١] روح، فإن عهدهم بمذهبهم كان قريباً، ولذلك اتخذوا التماثيل والدخنات أمامها بحصى اللبان[٢]، وكشف الرؤوس للقسيسين في الصلاة[٣]، وإيقاد الشمع والمصابيح ليلاً ونهاراً بالقرب منها[٤].

والثاني: تسهيل الصوم على الصائم، فإنه إمساك عن اللحوم وما منها، وإباحته شرب الخمر نيابة عن اللحم وأكل النبات وما فيه، وبذلك تقلّ النفقات ويجتمع[٥] المال مدة شهرين في كل سنة، وجمع المال محبوب للنفوس.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) التماثيل: اسم للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله، وأصله من مثلت الشيء بالشيء إذا قدرته على قدره. ينظر: لسان العرب ٢٠/١٤، والدخنات: إظهار الدخان باللبان: ويسمى: حصى اللبان والكندر، وهو نبات عطري يتبخر بقشره ويستعمل في الطب. ينظر: لسان العرب ١٦٧/١٣. قال داود الأنطاكي في تزيين الأسواق ص: ٢٤٢: (يأخذون من الكندر والميعة وورق الزيتون ويعجنون الكل بخوراً للكنائس وغيرها). وقال القاضي عبد الجبار في تثبيت دلائل النبوة ١٦٦/١: (وكان للروم والصابئين دخن وبخورات في الهياكل للكواكب والأصنام، وهي قائمة عند النصارى ما عطلوها، وهي في البِيَع يسمونها دخنة مريم وبخور مريم، وما عرفته مريم ولا المسيح ساعة قط ولا أصحابه، ولا استعملوا ذلك).

(٣) كشف الرأس إشعاراً بالتذلل والخضوع للقس! وهذا مناقض للتوحيد الذي جاءت به الرسل، وقد نهى موسى عليه السلام عن ذلك كما في سفر اللاويين: ٦/١٠: (لا تكشفوا رؤوسكم ولا تشقوا ثيابكم لئلا تموتوا). وإنما دخل التبديل بكشف رأس الرجل من بولس كما في رسالته إلى أهل كورنثوس الأولى: ٤/١١ (كل رجل يصلي أو يتنبأ وله على رأسه شيء يشين رأسه). ويزعم مفسرو النص: أن المسيح رأس كل رجل فكشف رأسه خضوعاً له! وأن القسيس إنما يغطي رأسه لأنه يمثل المسيح!

(٤) ينظر في وصف قربان النصارى: النصيحة الإيمانية للمتطبب ص: ٧٦، الأصول الوثنية للمسيحية ص: ١٣١.

(٥) في الأصل (وتجتمع).

والمعنى الثالث: فصل الربيع تغزر فيه الدماء وتقوى الحيوانية التي هي الشهوة والغضب في الإنسان، والخمر تثير ما يجده، مع أنها أبداً تهدي إلى نفوس الشاربين لها مسرة كاذبة وتهدي إلى عقولهم مضرة صادقة[١]، فبترك أكل اللحوم / في الفصل ومداومة أكل النبات تنكسر تلك الأخلاق الحيوانية قليلاً، وهو المراد[٢].

---

(١) الخمر عند النصارى حلال؛ لأن كل ما يدخل الفم لا ينجس، كما في إنجيل متّى: ١١/١٥، ويزعم النصارى إفكاً أن المسيح شرب الخمر، كما في إنجيل يوحنا: ٢. ويتأولون ما ورد من النهي عنها في الكتاب المقدس بأنه حين تسكر أو تضرّ بصاحبها ونحوه! ينظر: دائرة المعارف الكتابية (مادة: خمر)، لكن ما جاء في الكتاب المقدس بشأن الخمر متناقض يدل على التحريف. ومضار الخمر مجمع عليها عند العقلاء، وإن كان لها منافع كما قال تعالى في سورة البقرة: آية ٢١٩: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □). قال ابن كثير في تفسير الآية: (وأما المنافع فدنيوية، من حيث إن فيها نفع البدن، وتهضيم الطعام، وإخراج الفضلات، وتشحيذ بعض الأذهان، ولذة الشدة المطربة التي فيها. . . وكذا بيعها والانتفاع بثمنها. . . ولكن هذه المصالح لا توازي مضرته ومفسدته الراجحة، لتعلقها بالعقل والدين). وغالب ما ذكر في الخمر من منافع على البدن ينكرها الطب الحديث، ففي تقرير منظمة الصحة العالمية رقم (٦٥٠) لعام ١٩٨٠: (إن شرب الخمور يؤثر على الصحة، ويؤدي إلى مشكلات تفوق المشكلات الناتجة عن الأفيون ومشتقاته). ينظر: الخمر بين الفقه والطب د. محمد البار.

(٢) قال القاضي عبد الجبار في تثبيت الدلائل ١/١٦٤: (كان للروم والصابئين أيام يصومونها تجري مجرى التقرب للكواكب يمسكون فيها عن أكل اللحم، فلما صاروا إلى القول بإلهية المسيح أقاموها ثم زادوا فيها أشياء ونقصوا، وهم اليوم يصومونها خمسين يوماً. . .) ثم ذكر فرق النصارى وقال: (وهم مختلفون في الصيام. . . والمسيح عليه السلام ما صام هو وأصحابه إلا الصوم الذي صامه بنو إسرائيل). وقد ذكر مثل ذلك ابن القيم في إغاثة اللهفان ٢/٣٤٦ وأن أصل التغيير في بعض طقوس الصوم عند النصارى من المانوية. وينظر: كلام المؤرخ ابن البطريق في تأريخه ١/١٤٨ من تأثر النصارى بمذاهب المتنصرين من المنانية (أتباع ماني، والذي أصل مذهبه من المجوس).

ثم إن أصحاب القوانين منعوا من كثرة قراءة الإنجيل ومن حفظه في الصدور، وقسموه فصولاً فصولاً، وجعلوا كل فصل مختصّاً في القراءة بيوم أحد أو يوم عيد أو موسم أو وقت حادثة تحدث من عدو أو من آفة سماوية، وطابقوا بين معنى ذلك الفصل وذلك اليوم أو الحادث، ورتّبوا له لحناً وصوتاً يقرأ به ذلك الفصل، واستعملوا في أعيادهم ومواسمهم الأرغون[١]، وسماع أنغامه أوقات صلواتهم كذلك[٢]، ولأن التلحين يهز النفوس البشرية، ويحرك طباعها بالطرب، ويشوقها إلى معناها، ويثير منها الساكن الملكاني فيحنّ حنيناً لطيفاً ساذجاً إلى معهدها القديم، وتجد وجداناً بحسب إشراق جوهرها وقوة ضياء حسها، ويكون لسماع ذلك الفصل المقروء من الإنجيل موقع عظيم[٣]، وسيما ما فيه من الوصايا والإشارات اللطيفة المسيحية، ولأنه متى تكررت قراءة الإنجيل وسمعت ساذجة بغير تلحين اطلعت العقول الواعية على ما ذكرناه، وحصل الفحص والتفكر، فيكون ذلك سبباً موجباً للانحلال عن تعظيمه والاطلاع على أنه من جمع الجامعين المؤرخين[٤].

---

[١] في الأصل (الأرغوون) والأرغون: (الأرغانون أو الأورغن) آلة موسيقية يونانية مشهورة في بلاد الروم. ينظر: محيط المحيط للبستاني ص: ٨.

[٢] في الأصل (لذلك).

[٣] في الأصل (موقعاً عظيماً).

[٤] المسيح عليه السلام وتلاميذه لم يكونوا يصلون مع الآلات الموسيقية، وأقدم موسيقى كنسيّة في القرن الرابع الميلادي للقس مارأفرام (ت ٣٧٣ م) ألفها مقابلة لألحان بارديصان الوثني، وفي القرن السادس كثرت الطقوس الكنسيّة الموسيقية فنظمها البابا غريغوار بما يعرف بالغناء الغريغوري! يقول أغناطيوس برصوم: قام بعض أئمة الدين بإدخال اللحون (الألحان) إلى بيعة الله على ثلاثة أسباب: أولها: مناهضة ألحان الوثنيين وأصحاب البدع. والثاني: الاستعانة بها على العبادة وتنشيط المصلين. والثالث: تنبيه الحواس على إدراك معاني الصلاة!). نقلاً باختصار عن: العلاقة الجدلية بين التأريخ والطقوس المسيحية لأحمد عمران ص: ٢١٦. وقال الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٨/٦١١: (وكذلك إدخال الألحان في الصلوات لم يأمر بها المسيح ولا

وأين ذلك من كتابنا الشفاء لما في الصدور؟ والميسر للذكر؟ والمحرِّض / نبينا ﷺ على دراسته وتدبّره والتفكر فيه؟ والذي لعلماء الأمة اليوم سبعمائة سنة يتدبّرونه ويستخرجون من معانيه ويستنبطونه ويكتبون شروحه ولم يبلغوا منه الغاية ولا انتهوا في العلم به إلى النهاية! وتفسيره نحو المائتين والستين[١] تفسيراً، مطولة ومبسوطة، فمن المطولة ما هو خمسون مجلداً فما دونها[٢].

ب/٣٦

ثم إن أصحاب القوانين لما لم يجدوا في الإنجيل تفصيل حلال من حرام، ولا تعليم عبادة، ولا قسمة ميراث، ولا تشريع كما بيّنا، واضطرهم التقنين إلى ذلك كله[٣]: جعلوا أمر الميراث إلى الميت يخصّ بميراثه من أراد من الأقارب والأجانب[١]،

الحواريون). وقال ابن القيم في هداية الحيارى ص: ٤٨٤: (والمسيح كان يقرأ في صلاته ما كانت الأنبياء وبنو إسرائيل يقرؤون في صلاتهم من التوراة والزبور، وطوائف النصارى إنما يقرؤون في صلاتهم كلاماً قد لحنه لهم الذين يتقدمون ويصلون بهم، يجري مجري النوح والأغاني، فيقولون: هذا قداس فلان، ينسبونه إلى الذين وضعوه لهم!). وينظر في نظام صلواتهم واختلافها: العبادات في الأديان السماوية لعبد الرزاق الموحي ص: ١٥٢.

(١) في الأصل (وستين).

(٢) جاء في مفتاح السعادة ٢/٨٥: (الكتب المصنفة في التفسير ثلاثة أنواع: وجيز، ووسيط، وبسيط) وذكر أمثلة لها. وما ذكره المؤلف هو ما وقف عليه، وما كتب حول القرآن من مؤلفات لا يقع تحت حصر، والعلوم المتعلقة بالقرآن كثيرة، فقد عدّ السيوطي في كتابه الإتقان ثمانين نوعاً.

(٣) قال القرافي في الأجوبة ص: ٢٩٦: (ليس يشتمل ديوان فقه النصارى على أكثر من خمسمائة مسألة ونيف، لم ينقلوها عن المسيح عليه السلام، فهي أيضاً في نفسها باطلة، ولو أنها صحيحة فالصلوات وحدها تحتاج آلافاً من المسائل، فأين أحكام الله تعالى في بقية العبادات والأنكحة والمعاملات والأقضية والجنايات والودائع والرهون والديون والأتلاف؟ إلى غير ذلك من أحكام الله تعالى في التصرفات!). وذكر الباحث د. أبو عبد الله الأمين بامبا في رسالته فقه المعاملات المالية في الأديان السماوية ص: ٢١: أنه سأل القساوسة عن مراجع معتمدة عندهم في فقه المعاملات المالية فلم يجد جواباً! ويقول د. نظمي لوقا النصراني: (دعوة المسيح خالية

وجعلوا المرأة لرجل واحد، وحرموا الطلاق والجمع بين زوجتين[٢]، وأغفلوا الطهر من الحيض والجنابة والوطء[٣]، وندبوا إلى أن كل امرأة من نسائهم تتخذ لها إشبيناً كالمؤاخي لها[٤]، وتشبّهوا في ذلك بيوسف النجار ومريم البتول عليها السلام![٥] وكل ذلك شرّعوه ورتّبوه وقنّنوه من عند أنفسهم وبما تقتضيه آراؤهم مع رأي قسطنطين!.

من المراسيم والطقوس كما خلت من تشريع المعاملات)! نقلاً عن قضايا إنسانية في الفكر الديني د. المسير ص: ١١١.

(١) الميراث عند النصارى: لم يأت عن المسيح شيء في قسمة الميراث، بل جاء في إنجيل لوقا: ١٤/١٢ رفض المسيح لقسمة الميراث! ، ولهذا يقرّ النصارى بعدم وجود نظام للإرث، وأن الميراث يقسم بالمحبة والعدالة! وإن كان بعض النصارى يأخذ ببعض تعاليم اليهود في العهد القديم وعادات الرومان قديماً ثم بالقوانين الوضعية حديثاً. ينظر: دائرة المعارف الكتابية (مادة: ورث).

(٢) حصر الزواج بامرأة واحدة لا يختلف النصارى فيه، ويستدلون له بما في إنجيل مرقس: ٨/١٠. وتحريم الطلاق إلا في تهمة الزنى أو اختلاف في الدين، على خلاف بين كنائسهم، كما في إنجيل متّى: ٣/١٩، وورد عن بولس في رسالته إلى أهل كورنثوس: ١٠/٧؛ لأن عقد الزواج في اعتقاد الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية سرّ كهنوتي مقدّس لا ينحلّ. وهذا من الغلو الذي لم يلتزموه وكثر بينهم التحايل من أجل الطلاق، وهو من تحريف دين الأنبياء، فقد كان الطلاق مباحاً في بني إسرائيل عند الضرورة، ومثله تعدد الزوجات مع العدل، وقد قال المسيح عليه السلام كما في إنجيل متّى: ١٧/٥: (ما جئت لأنقض بل لأكمل). ينظر: الأجوبة الفاخرة ص: ٢٩٢، محاضرات في النصرانية ص: ١٠٨، حقوق الإسلام وأباطيل خصومه للعقاد ص: ٢٣٧.

(٣) ينظر: ما سبق في ل ب/٢٣ ص١٦٣.

(٤) الإشبين: ويقال: شبين وشبينة، كلمة سريانية، بمعنى: حارس أو وصي. وهو عند النصارى: من يصاحب أحد العروسين، أو كفيل المعمَّد. ينظر: محيط المحيط للبستاني ص: ٤٥٠، المعجم الوسيط ص: ٤٧١.

(٥) يوسف النجار: ابن هالي من نسب ناثان بن داود (كما في إنجيل لوقا: ٢٣/٣) وابن يعقوب من نسب سليمان بن داود (كما في إنجيل متّى: ١٦/١)! من بيت لحم وعمل

وليس لكم أن تنكروا ذلك، وكيف تنكرونه وتواريخ اليهود مع تواريخكم شاهدة[١] به؟[٢].

٣٧/أ

وأمّا زعمكم في قول الله تعالى لنبيّه عليه السلام: (ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ) الآية[٣]، أن ذلك تثبيت للإنجيل وشهادة له بأنه ما بُدّل ولا غيّرت منه كلمة واحدة. فليس كذلك؛ وإنما هذا خطاب العين والمراد به الغير، ولقد أحسنت النساء في قولهن:

نجاراً في الناصرة، عبرانيٌّ محافظٌ على يهوديته، خطيب مريم عليها السلام وكاد يفسخ الخطوبة بعد خبر حملها، ولا يعرف له سيرة بعد بلوغ المسيح عليه السلام اثنتي عشرة سنة! كذا في مصادر النصارى. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: يوسف). وخطبة يوسف لمريم ذكرها متّى (١٨/١) ولوقا (٢٧/١)، بينما في إنجيل يعقوب الطفولي (أبوكريفي) ١٢/٩ أنه لم يخطبها وإنما كفلها لتسكن في بيته! وكثير من النصارى يثبت خطبتها دون زواجها، ويعلل المفسر للإنجيل جيروم: أن خطبتها لكي ينسب المسيح لنسل داود فيكون الموعود به، ولكي لا ترجم كزانية! ، ولكي يخرج بها إلى مصر!.

وكل هذا لا يصح؛ لأن مريم عليها السلام كما في القرآن قد انقطعت للعبادة فلم تكن لتتزوج أو تتهيأ له، ففي سورة الأنبياء: آية ٩١ (ﭑ ﭒ ﭓ)، وقد قالت لجبريل عليه السلام كما في سورة مريم: آية ٢٠: (ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ)، وفي إنجيل لوقا: ٣٤/١: (لست أعرف رجلاً!). كما أن اليهود اتهموها بالزنى فقط، فلو كانت مخطوبة لرجمت! كما في شريعة التوراة أن زنى المخطوبة عقوبته الرجم (سفر التثنية: ٢٢/ ٢٣، ٢٧) وهذا يرد ادّعاء جيروم. فالزعم بأنها مخطوبة قبل ولادة المسيح يخالف ظاهر القرآن الذي يثبت تبتّلها وكفالة زكريا لها، كما أنه أنفى لتهمة الزنى عنها وأثبت لمعجزة ولادة المسيح من غير أب. ينظر: تعليق شيخنا أ. د. قدح في حاشية ١١٤/١ على كتاب التخجيل.

(١) في الأصل (شاهدون).

(٢) ينظر أيضاً: القرافي في الأجوبة ص: ٢٧٩.

(٣) سورة يونس: آية ٩٤. نهاية لوحة ٣٧/أ عند قوله (فإن).

إياك أعني واسمعي يا جارة[١]، فالمقصود من ذلك تعريف العرب الكفار أن اسمه ووصفه وعلاماته في التوراة والإنجيل كما بيّناه قبل [٢].

وكما كانت اليهود يتوعّدون[٣] الكفار <في>[١] الجاهلية به وبمجيئه[٢]، وأنهم سوف يكونون أنصاره والمنتصرين[٣] به على العرب، حتى إذا بعثه الله تعالى كفروا به،

---

[١] في الأصل كتب المثل هكذا: الحديث لك يا جارة واسمعي يا كنة. هذا غلط واضح في سياق المثل العربي. وهو من رجز سهل بن مالك الفزاري خاطب به امرأة ويقصد أخرى فأصبح مثلاً. ينظر: مجمع الأمثال للميداني ٤٩/١.

[٢] اختلف المفسرون في هل المراد من الخطاب في الآية النبي ﷺ أم غيره؟ الأكثرون: أن المراد غيره، وهو ما ذكره المؤلف. وقيل: المراد النبي ﷺ ، ومعناه كقول الرجل لابنه: إن كنت ابني فبرّني. اختاره ابن جرير. وقال عن القول الأول: إنه غير مدفوعة صحته. وكلا الأسلوبين جارٍ في لغة العرب. قال الإمام ابن تيمية في الجواب ٣٥٨/٢: (المقصود بيان أن أهل الكتاب عندهم ما يصدقك فيما كذبك به الكافرون). وقال في مجموع الفتاوى ٣٢٥/١٦: (ليس في الخطاب أنه أمر بالسؤال مطلقاً، بل أمر به إن كان عنده شك، وهذا لا يوجب أن يكون عنده شك، ولا أنه أمر به مطلقاً، بل أمر به إن كان هذا موجوداً، والحكم المعلق بشرط يعدم عند عدمه). وقال الزركشي في البرهان ٤١٠/٣: (كل أمر علّق بما لا يكون فقد نفي كونه على أبعد الوجوه). ينظر في تفسير الآية: تفسير ابن جرير ٢٠٣/١٥، البحر المحيط لأبي حيان ١٩١/٥، أحكام أهل الذمة لابن القيم ١٢/١ وفيه بحث موسع.

قال الإمام ابن تيمية في رد استدلالهم بالآية بأنها تثبت ما في كتبهم: (إن أرادوا به أنه ثبت ما جاءت به الأنبياء قبله عن الله فهذا حق. وإن أرادوا به أنه ثبت ما هم عليه بعد مبعثه من الشرع الذي خالف شرعه، أو ما ابتدعوه مما لم يأت به الأنبياء عليهم السلام قبله فهذا باطل. وإن أرادوا أنه صدق ألفاظ كتبهم – التوراة والإنجيل – فهذا منازع فيه وإن سلّم به بعض المسلمين، لكن تحريف معانيها وتبديل أحكامها مما يشهد به جميع المسلمين واليهود في كتب النصارى والنصارى في كتب اليهود، وإن كانوا يقولون: لم تحرف ألفاظ التوراة. وحينئذٍ فلا ينفعهم بقاء حروف الكتب عندهم مع تحريف معانيها) بتصرف من الجواب الصحيح ٣٨٠/٢.

[٣] في الأصل (يتواعدون).

فلعنة الله على الكافرين المهدَّدين المنذَرين بقوله تعالى: (ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ) الآية إلى قوله: (ﮛ ﮜ)[٤].

وأما التبديل والتغيير فقد تقدم فيه من القول <رمزاً وإشارة>[٥] ما فيه كفاية ومقنع <وسأجاوب عن ذلك آخر الجواب >[٦]، وفي قصة شطبير المزوّر غنية لمن يفهم[٧].

وأين يا قوم ما هو منقول بالتواتر، نقلته الألوف عن الألوف حتى وصل إلينا، من منقول عن آحاد، مجهولين، مختلفين في النقل، غير موثوق بهم؟ كامرأة معتوهة وصيّاد للسمك وأربعة مجتمعين ليلاً في مكان متحيزين[٨] فيه من عدوهم![٩].

ب/٣٧

---

(١) زيادة لا توجد في الأصل ويقتضيها السياق.

(٢) في الأصل (بمحبته).

(٣) في الأصل (المنتصرون).

(٤) سورة البقرة: آيات ٤٠ – ٤٢. ينظر في استنصار اليهود بالنبي ﷺ قبل مبعثه على العرب: تفسير قوله تعالى في سورة البقرة: آية ٨٩: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ) في تفسير الطبري ٣٣٣/٢، الدر المنثور ٢١٦/١، وينظر: دلائل النبوة لأبي نعيم ٩٦/١، ودلائل النبوة للبيهقي ٧٦/٢.

(٥) زيادة من هامش الأصل. والمراد تقدم إثبات التغيير والتبديل في كتبهم.

(٦) زيادة من هامش الأصل.

(٧) قصة شطبير المزور للإنجيل لم أجد من ذكر عنها شيئاً.

(٨) يمكن أن تقرأ (متحيّرين).

(٩) يريد المؤلف الذين شهدوا حادثة الصلب (أهم عقائد النصارى) كما في إنجيل يوحنّا: ٢٥/١٩. والمرأة المعتوهة: مريم المجدلية، والصيّاد: يوحنا بن زبدي، نسبة لعمله في صيد السمك. وينظر ما سبق: ل أ/١٧ ص١٤٧. مع أن حادثة الصلب لم يشهدها غير أعداء المسيح من اليهود، وأما تلاميذه فقد تركوه وهربوا كما يحكي مرقس في إنجيله: ٥٠/١٤.

ومعنى قولي النقل المتواتر /: هو كالخبر المتواتر من أهل البحر أن صقلية[١] جزيرة كبيرة بالبحر مسكونة ببني آدم يشهد الشاهد بوجودها وإن لم يرها، بل بالنقل المتواتر عنها ممن لا يحتمل تواطؤهم على الكذب، ولا ما يُحتمل من أجله التواطؤ[٢].

وأما زعمكم في قوله تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻپ پ) الآيات[٣]: أن المؤمنين بالغيب أنتم، وأن المؤمنين بما أنزل الله إلى نبينا وما أنزل من قبله نحن المسلمون، وأن الكتاب الذي لا ريب فيه الإنجيل لا غيره. فليس كذلك، من حيثكم وحيث الإنجيل؛ إذ من يقول في الله: إنه ثالث ثلاثة، وإنه هو المسيح، وإنه اتخذ المسيح ولداً، فليس بمؤمن بالغيب ولا بالشهادة، بل كافر مشرك ضال، مسمّى في كتاب الله تعالى: كافر من كفرة أهل الكتاب المستحقين أليم العذاب.

وأما زعمكم في الإنجيل: أنه الكتاب المنزّل هدىً للمتقين. فقد تقدم القول بأنه القرآن المجيد لا الإنجيل بالدليل الواضح، ولو سلّمنا أنه الإنجيل لكان حجة عليكم، مثبتاً فسقكم؛ لأنكم ضللتم به[٤] فلم تكونوا متّقين.

---

(١) في الأصل (اصقلية). ينظر: ل ب/٨ ص١١٥.

(٢) قال الإمام القرافي في الأجوبة ص: ١٥٦ -مبيناً جهل النصارى بالمتواتر ونحوه-: (وهم لا يعلمون حقيقة التواتر ولا شروطه، وإنما فهِم ذلك وغيره هذه الأمة المحمدية والملة الإسلامية؛ لشرفها وعلو قدرها، واختصاصها بمعاقل العلوم وأزمتها دون غيرها) ثم وضح شروط التواتر وتخلفها في حادثة الصلب المزعومة. وينظر أيضاً: الفصل لابن حزم ٥٨/١، التخجيل ٣٣٧/١، الإعلام للقرطبي ص: ٤١٦.

والتواتر: لغة التتابع، ينظر: لسان العرب ٢٧٥/٥. وعرّفه القرافي الأصولي: بأنه (خبر أقوام عن أمر محسٍّ، يستحيل تواطؤهم على الكذب عادة). ينظر: شرح تنقيح الفصول ص: ٣٤٩، المسودة لآل تيمية (المحققة) ٤٧١/١.

(٣) سورة البقرة: آيات ١ — ٥.

(٤) في الأصل (ضليتم) وهو غلط، لأن الضلال أصل كلمته: ضلل، وليس: ضلى. ينظر: معجم مقاييس اللغة ٣٥٦/٣.

ولو فطنتم من هذه الآيات الكريمة في أول السورة: أن الله تعالى ذكر المؤمنين وصفاتهم، وذكر المنافقين وصفاتهم، وذكر الكفّار وصفاتهم، وهو من أول قوله /: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭖ ﭗ) وإلى آخر قوله: (□ □ □ □ □ □ □)[١]. فاتّلوا ذلك من الكتاب الذي حصّلتموه وتدبّروه تجدوا ذلك ظاهراً باللفظ والمعنى[٢].

٣٨/أ

وأما زعمكم في قوله تعالى لنبيّه عليه السلام: (□ □ □ □ □ □ □) الآية[٣]: أنه ما أمره بذلك إلا ليقرّكم على دينكم وأعمالكم، وليعرّفكم أنه إنما أرسل إلى العرب خاصة. فليس كذلك، بل رسالته عامة، ودعوته شاملة للإنس والجن كافة بشهادة القرآن العزيز له وإظهار دينه واستعلائه على الدين كله، واقرؤوا ما في أول سورة الكهف من قوله تعالى: (ۇ ۇ ۆ ۈ ۈ ۉ ۉ) إلى قوله: (ﭦ ﭧ ﭨ)[٤] وليس إلا النصارى القائلون ذلك، والمنذرون منه، والموبّخون على لسانه، إذ هو الموبّخ والنذير

---

[١] سورة البقرة: آيات ١ — ١٥.

[٢] قال القرافي في الأجوبة الفاخرة ص: ٩٠ عن تأويل النصارى للكتاب بأنه الإنجيل: (فمن الافتراء العجيب، والتخيل الغريب، بل أجمع المسلمون قاطبة على أن المراد به القرآن الكريم ليس إلّا)، وأجاب عن شبهتهم في الآية، وينظر: تفسير الطبري ١/٢٢٥، وفيه أشار إلى قول يخالف عامة المفسرين وهو تفسير الكتاب بالتوراة والإنجيل، فليس في المسألة إجماع. وجعل الإمام ابن تيمية تأويلهم للآية على غير ما أراده الله دليلاً على أنهم قد فعلوا ذلك في التوراة والإنجيل؛ فإذا كان القرآن قد عرف تفسيره إجماعاً ونقل عن الرسول ﷺ نقلاً متواتراً حرفوه وبدلوا معناه، فماذا يصنعون بالتوراة والإنجيل ولم ينقلا كما نقل القرآن؟ وليس في أهل الكتاب من يذبّ عن لفظهما ومعناهما كما يذبّ المسلمون عن القرآن!. ينظر: الجواب الصحيح ٢/٢٧٣.

[٣] سورة الشورى: آية ١٥.

[٤] سورة الكهف: آيات ١ — ٥. في الأصل كتبت (إن تقولون) وهو غلط.

لهم، ولأن الله أمره بالعدل بينهم كما في الآية، وبتعريفهم أن الإله واحد، والمعْدَلة[(١)] لا تكون إلا من حكم حاكم يحكم به على محكوم عليه أو له، وهم الأمة للرسول المأمور بالعدل فيهم لا ريب، وكذا إذا أقرهم على حكم أو حدّد لهم حكماً أو حكم فيهم بكتابهم الأول فإنه حكم منه، كما كان المسيح يحكم بما في التوراة وكتب النبوات، وأقرّ اليهود على / أشياء وتبع شريعتهم في أشياء، وهو مرسل إليهم، ودعوته شاملة لا شك في ذلك[(٢)].

ب/٣٨

وأما قولكم: إنه لا يمكن تغيير كتابكم لكونه باثنين وسبعين لساناً، وهو مفرق في أربع زوايا من العالم، إلى آخر ذلك.

[(١)] كذا في الأصل، بمعنى: طلب العدل. وقد أمر الله تعالى نبيّه ﷺ بالعدل بين جميع الخلق في آية الشورى، وأمره بالعدل عند الحكم بين أهل الكتاب أو الإعراض عنهم في قوله تعالى في سورة المائدة: آية ٤٢: (ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ) والراجح فيها أنها محكمة غير منسوخة، وهو قول أكثر المفسرين. ينظر: تفسير الطبري ٣٣٤/١٠، تفسير البغوي ٦٠/٣.

[(٢)] آية الشورى: أوجبت الإيمان بالكتب المنزلة لا المبدلة كما ذكر القرافي في الأجوبة ص: ٩٢. كما أوجبت العدل بين جميع الخلق، وتبرأت من عمل المشركين وأهل الكتاب، مثلها قوله تعالى في آخر سورة الكافرون: (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ)، وليس فيها أنه رضي بدينهم ولا أنه نُهي عن جهادهم، وهي محكمة غير منسوخة بآية السيف كما ذهب إليه بعض المفسرين، وتدلّ على البراءة من دينهم، وهذا أمر محكم لا يقبل النسخ. وقوله: ( ) عامة لجميع المخالفين ولا تخص النصارى، فالسورة مكية، والحجة: كل ما يحتجّ به من حق وباطل، والمراد: أن يقول ذلك عن محاجّتهم بالباطل ظلماً وعدواناً، كقوله في سورة العنكبوت: آية ٤٦ (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ) أمر بالجدال ما لم يكن ظالماً. نقلاً بتصرف عن الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح ٥٩/٣، وينظر في تفسير الآية: تفسير الطبري ٥١٧/٢١، التحرير والتنوير ٦٤/٢٦.

فالجواب: قد علمتم من تواريخكم وتواريخ اليهود أنه لم يكن على وجه الأرض يوم ظهور دين النصرانية بقيام قسطنطين في ظهوره إنجيل غير البشارات الأربع المجموعة باتفاق أصحاب القوانين إنجيلاً واحداً، وهو الذي بين أيديكم يومنا هذا لا غيره، سوى إنجيل الصبوة، وقد تقدم القول فيه[١].

فإن كانت دعواكم بأنه لما جمع كتب باثنين وسبعين لساناً أو اثنين وسبعين قلماً فيحتمل أن يكون ذلك، مع أنه أغرب من عنقاء مغرب كما يقال في المثل[٢]، ولو سأل سائل عن هذه الاثنين والسبعين[٣] لساناً وطلب أسماء أهمها كان مَثَل مدّعيها كمثل طبّاخ ادّعى صناعة مائة طعام فاخر ثم أخذ يعدّها فتلجلج لسانه بعد عدد عشرة أو عشرين! فقيل له: هذا التلجلج ينبغي أن يكون في عُشر المائة؟

فإن قلتم: إن قسطنطين حشر الأمم من أقصى صين الصين وإلى أقصى ساحل أوقيانوس المحيط المغربي، شرقاً وغرباً، برّاً وبحراً، وحشرهم كذلك / من وراء خط الاستواء وإلى أول إقليم الظلمة[٤]، وكتبوا بجملتهم هذا الإنجيل بلغاتهم الاثنتين والسبعين[١]! ففي ذلك ما فيه.

٣٩/أ

---

(١) اختار قسطنطين الأناجيل الأربعة من أناجيل كثيرة، وكثرة أناجيل الجيل الأول لا خلاف فيها بين الباحثين كما تدل عليها مقدمة لوقا لإنجيله. ينظر: قاموس الكتاب المقدّس (مادة: كتب). وينظر: إظهار الحق ١/١١٠.

(٢) عنقاء مغرب: مثل ضربته العرب في الميئوس منه، قال الزجاج: العنقاء المغرب طائر لم يره أحد! ينظر: لسان العرب ١٠/٣٠٧، مجمع الأمثال ١/٤٢٩.

(٣) في الأصل (وسبعين).

(٤) هذا تحديد للأرض المسكونة في زمن المؤلف (القرن الثامن الهجري) وينظر وصف الأرض وحدودها في: نخبة الدهر للمؤلف ص: ١٤، معجم البلدان ١/١٨. الصين: بلاد واسعة مشهورة في أقصى المشرق. أوقيانوس: لفظ يوناني بمعنى محيط، ويسمّى البحر الأخضر والظلمات في أقصى المغرب (ويعرف الآن بالأطلسي). ينظر: معجم البلدان ١/٢٨٢،

وإن قلتم: إن الأربعة الإنجيليين ألقوه إلى أهل المجامع باثنين وسبعين لساناً، كان كمن يقول: نصف العشرة ثلاثة!.

وإن قلتم: إن التلاميذ أخذوه عن المسيح بهذه اللغات كلها، كان مكابرة للمحسوس. وإن لم تجدوا جواباً فحسب العاقل علمه بالشيء إن كان حقّاً أو باطلاً[٢].

مع أن تواريخكم تشهد بأن شخصاً يسمّى شطبير زوّر الإنجيل، وأمكنه الزيادة فيه والنقصان منه، وكيف لا يمكنه ويمكن غيره الزيادة والتنقيص وبين كل لغة ولغة ولسان ولسان من هذه اللغات والألسن من التباين والبعد كما بين اللغة العربية والتركية؟! فارجعوا إلى عقولكم لتعلموا ما نحن به عالمون.

وحاشا العقلاء أن يدّعوا أمراً باطلاً ويقولوا: إنهم متمسكون به تمسكاً دينيّاً. والتجازف ممجوج منكور، والألبّاء أجلّ عند نفوسهم من أن يستعينوا في بصيرة دينهم ومذهبهم بباطل، حيث تقولون: إنكم متمسكون بدين المسيح الذي سلّمه إليكم

ب/٣٩

٣/٤٤٠. خط الاستواء: خط وهمي يفصل جنوب الأرض عن شمالها، وفي عصر المؤلف كان ما وراء الخط جنوباً لا يعرف ولم ينفذ إليه. وإقليم الظلمة: السابع من الأقاليم السبعة الواقعة في شمال خط الاستواء، يوازي القطب الشمالي المتجمد، مسكون أوله. ينظر: نخبة الدهر للمؤلف ص: ١٤، ٢١.

(١) في الأصل (الاثنين وسبعين).

(٢) أجاب الإمام ابن تيمية عن زعمهم بأن كتابهم باثنين وسبعين لساناً! بأجوبة عدّة، منها: أن ما كتب باثنين وسبعين لساناً أقرب إلى التغيير مما كتب بلسان واحد. ومنها: وقائع التأريخ التي تشهد بتبديل كتبهم واختلاف نسخها. ومنها: أن تعذر جمعه من زوايا العالم يدل على أنه لا يمكن الجزم بأنها متفقة في اللفظ والمعنى. ومنها: أنه لم يقل أحد من المسلمين إن جميع ألفاظ كتبهم قد غُيّرت (مكان دعواهم) وإن كان في ألفاظها ما قد غُيّر. ومنها: أن دعوى اتفاق جميع نسخ كتبهم بلسان واحد كالعربي ممتنعة، فكيف باتفاق النسخ في جميع الألسن؟ ينظر: الجواب الصحيح ١٤/٣، ٣١، ٤٥.

أصحاب القوانين والتلاميذ كما تسلّموه هم من المسيح، وتعلمون أن بين أيام قسطنطين وتقنين دين النصرانية وبين زمن المسيح نحو المائة سنة / أو أزيد[(١)].

وتعلمون أيضاً بشهادة معقولكم أن اليهود الفريسيين[(٢)] —أعني: علماء اليهودية— لم يكونوا ليصلبوا المسيح ويقتلوه بسبب ما ادّعاه ثم تكونوا بعد هلاكه أتباعَه[(٣)] من إظهار دعوته وإعلان ما أنكرته اليهود عليه وقتلته به! هذه قضية لا يقبلها العقل السليم؛ ألا ترون[(٤)] أن بطرس كيف أنكر المسيح وحلف أنه ما صحبه ولا يعرفه! وكيف هربت التلاميذ إلى كل مخبأٍ! وكيف بقيت النساء خائرات يبكين![(٥)] وكل من كان مؤمناً بالمسيح كتم إيمانه وبقي عليه إلى أن استدعى قسطنطين أهل مدينة الناصرة! وكان ما كان من تقنين دين النصرانية.

---

(١) بل أزيد، والصواب: أن بين قسطنطين والمسيح عليه السلام ثلاثة قرون. ينظر التعليق في: ل أ/١٠ ص١٢٢.

(٢) في الأصل (الفريسيون) وهو غلط.

(٣) في الأصل (تباعه).

(٤) في الأصل (تروا) والموافق للعربية إثبات النون.

(٥) ينظر في إنكار بطرس وهروب التلاميذ: إنجيل متّى: ٢٦. وإنجيل مرقس: ١٤. وإنجيل لوقا: ٢٢. وإنجيل يوحنّا: ١٨.

فصل

ثم قلتم في الرسالة سياقاً – مستشهدين بقوله تعالى: (ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ) الآية[(١)] –:

إنه عنى بقوله: (ﮉ) أي: عنه كنّا ونحن العرب التابعين لما جاء في كتابه[(٢)].

وأما (ﭒ ﭓ) : فما يشكّ أنهم اليهود، الذين سجدوا لرأس العجل فكفروا بالله مراراً كثيرة، وقتلوا أنبياءه، وعبدوا الأصنام، وذبحوا للشياطين[(٣)]، حسبما شهد الله عليهم قائلاً على لسان نبيّه داود النبيّ في كتاب الزبور في مزبور مائة وخمسة يقول: (ذبحوا بنيهم وبناتهم للشيطان /، وأراقوا الدماء لمنحوتات كنعان، وقد نجّست الأرض بالدماء، وتنجست أعمالهم، وزنوا، وسخط الرب عليهم، ورَذلَ ميراثهم[(٤)]) [(٥)]. أ/٤٠

وقال أيضاً على لسان إشعيا النبي ﷺ : (يقول الله في بني إسرائيل: سمعوا كلامي ووصاياي فلم يحفظوها، وغيّروا كل ما أوصيتهم، ونقضوا الميثاق الذي

---

(١) سورة العنكبوت: آية ٤٦.

(٢) (ونحن) إشارة إلى خاتمة الآية (ﮈ ﮉ ﮊ) وفي الجواب الصحيح ٣/٧٤ والرسالة: (**لم يقل: كونوا له مسلمين، ولكن** (ونحن) أي: **عنه وعن العرب التابعين له، ولما أتى به وجاء في كتابه**) والجملة الأخيرة لا توجد في ن ٢، ن ٣ من الرسالة.

(٣) في الجواب الصحيح ٣/٨٤ والرسالة زيادة: (**مراراً كثيرة ليس واحدة. . . ليس حيوانات غير ناطقة فقط، بل بنيهم وبناتهم حسب ما شهد. . .**).

(٤) في الأصل: ميزانهم، والتصويب من الجواب الصحيح ٣/٨٤، وفي الرسالة: (**وسخط الرب بغضبه على شعبه وأرذل ميراثه**). وينظر: سفر المزامير: ١٠٦/٤٠.

(٥) بلفظ مختلف وفيه زيادات في سفر المزامير: ١٠٦/٣٧ – ٤٠. (فانديك): (وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان، وأهرقوا دماً زكيّاً دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان وتدنست الأرض بالدماء، وتنجسوا بأعمالهم وزنوا بأفعالهم، فحمي غضب الرب على شعبه وكره ميراثه). وفي الجواب الصحيح والرسالة النص أقرب إلى ما في سفر المزامير.

كتبت عليهم وجعلته لهم إلى الأبد، فلذلك أجلستهم على الخزي والخراب، وأهلكتهم، وانقطع عمن بقي منهم الفرح والسرور. هكذا قال الله على سكان أورشليم بني إسرائيل: سأبدّدهم بين الأمم، وفي تلك الأيام يرفعون الأمم أصواتهم، ويمجّدون الله ويسبّحونه بأصوات عالية، ويجتمعون من أقطار الأرض، ومن جزائر البحر، ومن البلدان البعيدة، ويقدّسون اسم الله، ويرجعون إلى الله إله إسرائيل، ويكونون[١] شعبه، وأما بنو إسرائيل فيكونون مبدّدين في الأرض)[٢].

وقال أيضاً على لسان إشعياء النبي: (يقول الله: يا بني إسرائيل نجّستم الجبل المقدس فإني سأفنيكم بالحرب وتموتون، وذلك لأني دعوتكم فلم تجيبوني، وكلمتكم فلم تسمعوني، وعملتم الشر بين يدي)[٣].

وقال إشعياء النبي أيضاً: (إن الله قد بغض بني إسرائيل، من بيته قد أخرجهم، ولا يغفر لهم لأنه قد لعنهم، / وقد جعلوا لعنة الناس، فلذلك أهلكهم الله وبدّدهم بين الأمم، ولم يعد يرحمهم ولا ينظر إليهم برحمته إلى أبد الآبدين،

ب/٤٠

---

(١) في الأصل: (ويكونوا. . . فيكونوا). والتصويب من الرسالة.

(٢) لم أجده بهذا النص، ولكن ورد معناه في سفر إشعياء: ٢٤/٤ — ١٦، وبلفظ أقرب في سفر أرميا: ٩/١٣ - ١٦ (فانديك): (فقال الرب: على تركهم شريعتي التي جعلتها أمامهم ولم يسمعوا لصوتي ولم يسلكوا بها، بل سلكوا وراء عناد قلوبهم ووراء البعليم التي علمهم إياها آباؤهم، لذلك هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل: ها أنا ذا أطعم هذا الشعب أفسنتينا وأسقيهم ماء العلقم، وأبددهم في أمم لم يعرفوها هم ولا آباؤهم وأطلق وراءهم السيف حتى أفنيهم).

(٣) جاء في سفر إشعيا: ٦٥/١١، ١٢، مع اختلاف في بعض ألفاظه.

ولا يقربون لله قرباناً ولا ذبيحة في ذلك الزمان، ولا يفرح قلوبهم، لأنهم قد ضلوا من الله)[١].

وقال أرميا النبي: (قال الله: كما أن الحبشي لا يستطيع أن يكون أبيض فكذلك بنو إسرائيل لا يتركون عادتهم الخبيثة، ولذلك إني لا أرحمهم ولا أشفق عليهم ولا أرق على الأمة الخبيثة ولا أرثي لها)[٢].

وقال حزقيل النبي[٣]: (قال الله: إنما رفعت يدي عن بني إسرائيل وبدّدتهم بين الأمم لأنهم لم يعملوا بوصاياي ولم يطيعوني، وخالفوني فيما قلت لهم، ولم يسمعوا إليّ)[٤].

---

(١) لم أجد النص في سفر إشعيا، ولكن جاء ضلال بني إسرائيل في السفر: ٤/١.

(٢) في الرسالة زيادة في خاتمته: (قال الرب الله) وفي الرسالة ن ٢: (الزنجي) بدلاً من الحبشي. ولم أجده في سفر أرميا بهذا النص، إنما بفقرات ليست متوالية في الإصحاح ١٣: ١٤، ٢٣: (الكاثوليكية): (يقول الرب: ولا أشفق ولا أرثي ولا أرحم في إهلاكهم. . . هل يغير الحبشي جلده والنمر رقطه؟ وأنتم، فهل تقتدرون أن تصنعوا الخير وأنتم معتادون الشر؟).

(٣) حزقيل النبي: (حزقيال) اسم عبري بمعنى: الله يقوي، ابن بوزي من عشيرة كهنوتية، أحد الأنبياء الكبار في بني إسرائيل، تنبأ بين (٥٩٣ – ٥٧١ ق. م)، وتأثر بأرميا وتعاليمه، ولا يعرف وقت وفاته ولا مكانه، ينسب إليه أحد أسفار العهد القديم، عدد إصحاحاته (٤٨). ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: حزقيال)، المنجد في الأعلام ص: ٢٣٣.
وسفر حزقيال من أقدم الأسفار التوراتية، ويختلف النقاد في وقت كتابته، ومَن كتبه؟ ، كما أن صياغاته ومصطلحاته تختلف مع بقية الأسفار مما جعله محل تجاهل بعض علماء اليهود. ينظر: المدخل إلى الكتاب المقدس للقس حبيب سعيد ص: ١١٦، رسالة في اللاهوت ص: ٣٢٦، إظهار الحق ١١٤/١، التوراة تأريخها وغايتها ترجمة سهيل ديب ص: ٤٨.

(٤) جاء في سفر حزقيال: ٢٣/٢٠، ٢٤ مع اختلاف في بعض ألفاظه. وينظر أيضاً: الإصحاح السادس من السفر.

ومثل هذا القول في التوراة وكتب الأنبياء وزبور داود شيء كثير يقرؤونه اليهود اليوم في كنائسهم، ويصدّقون به ولا ينكرون[١] منه حرفاً واحداً[٢].

وأما نحن النصارى فلم نعمل شيئاً مما عملته اليهود، فلذلك[٣] كان في هذا الكتاب قوله: (ے ۓ ۓ) الآيات [٤]، فذكر القسيسين والرهبان لئلا يقال: إن هذا[٥] عن غيرنا. ودلّ بهذا على جميع أفعالنا، وحسن نيّاتنا، ونفى عنّا اسم الشرك بقوله: اليهود والذين أشركوا أشد عداوة للذين آمنوا، والنصارى أقربهم مودة[٦]. /

٤١/أ

وقال أيضاً < في سورة البقرة >[٧]: (ٱ ٻ ٻ ٻ) الآية[٨] فساوى بهذا القول بين سائر الناس: المسلمين وغيرهم[٩].

---

(١) في الأصل: يصدقوا. . . ينكروا.

(٢) في الجواب الصحيح ٨٧/٣ والرسالة زيادة: (**ومثل ما هو عندهم، وكذلك عندنا في جميع الألسن**).

(٣) في الرسالة ن ٣ والجواب الصحيح ١٠٧/٣: (وكذلك. . .).

(٤) سورة المائدة: آيات ٨٢ – ٨٥، وفي الرسالة سياق لكامل الآيات.

(٥) في الرسالة: (**أن هذا قيل عن غيرنا**).

(٦) هذا سياق لمعنى الآية! وهي قوله تعالى: (ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ) الآية.

(٧) زيادة من هامش الأصل.

(٨) سورة البقرة: آية ٦٢. وفي الرسالة سياق لتمام الآية.

(٩) في الجواب الصحيح ١٢١/٣: (**اليهود والمسلمين وغيرهم**) وفي الرسالة: ن ١ (**أفيشكوا في هذا القول بين سائر الناس**...) وفي ن ٢، ن ٣ (**وأفصل في هذا القول**...).

ثم مدح قرابيننا، وتواعدنا إن أهملنا ما معنا، وكفرنا بما أنزل إلينا، يعذّبنا عذاباً لا يعذّبه أحداً من العالمين، وذلك في قوله في سورة المائدة: ﴿ۇ ۆ ۈ ۋ ۇ ﴾ إلى قوله: ﴿ﭿ ﭾ ﴾[1].

فالمائدة: هي القربان المقدّس الذي نتقرب به في كل قدّاس[2].

ولما تقدم به القول؛ فإنه غير لائق بذوي الألباب أن تهمل روح القدس وكلمة الله الذي شهد له في هذا الكتاب بالمعظّمات[3]، وقال عنه: ﴿ڤ ڤ ڦ ڦ ہ ۀ ہ ہ ﮩ﴾ الآية[4].

ثم شهد هذا الكتاب لقرابيننا وذبائحنا أنها مقبولة لدى الله، وشهدت بذلك[5] كتب اليهود التي بأيديهم يومنا هذا المنزّلة من عند الله على أفواه الأنبياء:

---

(١) سورة المائدة: الآيات ١١٢ – ١١٥. وفي الرسالة سياق لكامل الآيات.

(٢) القدّاس عند النصارى: هو من الطقوس الدينية التي يقدم فيها القربان المكوّن من خبز وخمر (رمزاً أو تحوّلاً، على خلاف بين الكنائس) لدم المسيح وجسده، إشارة للتكفير عن الخطيئة الأولى بزعمهم. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: قربان) ولم يعرف القدّاس في تأريخ المسيحية إلا بعد العام ١٥٠ م، مشابهاً لوثنيات سائدة في الرمزية للتجسد والخلاص!. ينظر: المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير ص: ١٦٠، والأصول الوثنية للمسيحية لمؤلفين عدة. ترجمة. سميرة الزين، ص: ١٢٤. وهو من فضائح معتقد النصارى المناقض للعقول والفطر السليمة. ينظر: تحفة الأريب للترجمان ص: ١٦١، والتخجيل للقاضي الجعفري ٥٨٥/٢ وتعليق شيخنا أ. د. محمود قدح.

(٣) في الجواب الصحيح ١٢٩/٣ والرسالة: (**لأنه غير لائق. . . أن يهمل. . . شهد لهما. . . بالعظائم**) وفي الجواب: (**فقال عن كلمة الله:. . .**).

(٤) سورة النساء: آية ١٥٩. وفي الرسالة غلط في كتابة الآية.

(٥) في الرسالة والجواب ١٣٧/٣: (**ثم يشهد لقرابيننا. . . من كتب اليهود. . .**).

ومن ذلك قول إشعياء النبيّ: (قال الله: إني أعرف لبني إسرائيل قلوبهم القاسية الخبيثة، فإذا أنا ظهرت < إلى >[١] الأمم فنظروا إلى كرامتي، أقيم منهم أنبياء وأبعث منهم مخلّصين، يخلصون الأمم من البلدان القاصية، للذين لم يسمعوا بسماعي، ولم يعرفوه من قبل كرامتي، ويكون اسمي فيهم، ويجيئون[٢] بقرابين لله / على الدّواب والمراكب إلى جبل قدس أورشليم، فيقرّبون لي القرابين بالسميد كما كانوا بني إسرائيل[٣] من قبل، وكذلك باقي الأمم، وتقرّب القرابين بين يدي، فهم وزرعهم إلى الأبد يحجّون في كل شهر، ومن سنة إلى سنة إلى بيت القدس بيت الله، وكلهم يقرّبون لله ربّهم فيه قرابين زكية نقية، وينظرون إلى الأمة الخبيثة الماردة بني إسرائيل، لا يبلى خزيها[٤]، ولا ينقطع بلاؤها إلى الأبد)[٥].

ب/٤١

وقال دانيال[٦] النبي: (سيأتي على شعبك وقرية قدسك سبعون[٧] سابوعاً، وتنقضي الذنوب وتفنى الخطايا وغفران الإثم، ويؤتى بالحق الذي لم يزل من قبل[٨]، ولتتمّ نبوءات الأنبياء وكتب الرسل، وتشتد[١] قرية القدس وتخرب مع

---

(١) زيادة من هامش الأصل.

(٢) في الأصل (يجييوا).

(٣) كذا في الأصل ونسخ الرسالة، والصواب: (كان بنو اسرائيل).

(٤) يمكن أن تقرأ (حزنها). وكذا وردت في الجواب الصحيح ١٣٧/٣، والرسالة ن٢، ن٣.

(٥) جاء في سفر إشعيا: ١٤/٦٦ – ١٨. مع اختلاف في بعض ألفاظه. وسبق سياق بعضه في: ل ب/٧ ص١٠٩.

(٦) في الأصل: (دانيل).

(٧) في الأصل: (سبعين). والتصويب من الجواب الصحيح ١٣٨/٣.

(٨) في الجواب الصحيح ١٣٨/٣ والرسالة: (الذي لم ينزل من قبل).

مجيء المسيح، ويفنى الميثاق العتيق من الناس، ومن بعد أسبوع ونصف تبطل ذبائح اليهود وقرابينهم، وتصير على كف النجاسة والفساد إلى انقضاء الجرمة[٢])[٣].

وقال ميخا النبيّ[٤]: (قال الله: في آخر الزمان إذا أتى المسيح يدعو الأمم المبدّدة ويصنعهم شعباً واحداً، ويبطل قتال بني إسرائيل وسلاحهم وملكهم وقرابينهم إلى الأبد)[٥].

وقال عاموص النبيّ[٦]: (لا تذبحوا بعد العجول، فإن الرب سيأتي إلى صهيون / ويحدث وصية جديدة طاهرة من الخبز النقي والخمر الزكي، ويعبرون[٧] بنو إسرائيل مطرودين)[١].

٤٢/أ

---

[١] في الجواب الصحيح ١٣٨/٣: (وتبيد) وفي الرسالة: (تفسد).

[٢] في الجواب الصحيح ١٣٨/٣: (انقضاء الدهر) وفي الرسالة: (الجرم).

[٣] جاء في سفر دانيال: ٢٤/٩ — ٢٧. مع اختلاف في بعض ألفاظه.

[٤] ميخا النبيّ: اسم عبري بمعنى (من كيهوه؟) سادس الأنبياء الصغار، ويسمّى بالمورشتي نسبة لقريته مورشة، تنبأ بين (٧٥١ – ٦٩٣ ق. م) كان معاصراً لإشعيا ومشابهاً له في كتابته. له سفر باسمه، عدد إصحاحاته سبعة، وفيه مواعظ لمملكة يهوذا. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: ميخا)، ومقدمة السفر من الكتاب المقدس ط. دار المشرق، بيروت.

[٥] جاء معناه في سفر ميخا: ٢/٤ – ٥، وفي: ١٢/٢، ولم أجده بلفظه.

[٦] عاموص النبيّ: (عاموس) اسم عبري بمعنى (حمل) من قرية تقوع جنوب بيت لحم، ثالث الأنبياء الصغار، عمل راعياً وزارعاً للجميز (شجر يثمر فاكهة تشبه التين) عاش في القرن الثامن ق. م، وتنبأ وبشّر في مملكة الشمال، وينسب إليه سفر باسمه، عدد إصحاحاته تسعة، فيه سجل لأحداث مملكة إسرائيل. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: عاموس)، ومقدمة السفر من الكتاب المقدس ط. دار المشرق، بيروت.

[٧] في الأصل: (ويعبروا) وفي الجواب الصحيح ١٣٩/٣ والرسالة: (ويصيروا).

وهذا أيضاً يقرؤونه اليهود في كنائسهم ولا ينكرون منه حرفاً واحداً[٢].

وأيضاً من قول هذا بما أتى به في كتابه حيث أتبع القول: إنه لم يرسل إلينا، مع تشكّكه فيما أتى به بقوله في سورة سبأ: (ﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂ)[٣]، وأيضاً في سورة الأحقاف: (ﮐﮑﮒﮓﮔﮕ)[٤].

مع الأمر له في سورة الفاتحة أن يسأل الهداية للصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم إلى آخرها[٥]، فعنى بقوله: المنعم عليهم، والمغضوب عليهم، والضالين، هم: الثلاث أمم الذين كانوا في عصره، وهم: النصارى، واليهود، وعباد الأصنام، ولم يكن في زمانه غير هذه الثلاث أمم، فالمنعم عليهم: هم نحن النصارى، والمغضوب عليهم: فلا شك أنهم اليهود، الذين غضب الله عليهم في كتب النبوءات، والضالين: هم عباد الأصنام، الذين ضلوا عن معرفة الله، فهذا أمرٌ واضح بيّن ظاهر عند كل أحد، سيما ذوو[٦] العقول.

---

[١] جاء معناه في سفر عاموس: ٥/٢١ - ٢٧، وفي: ٦/٤ - ٧، ولم أجده بلفظه.

يلاحظ أن النصوص السابقة هي من رسالة النصارى، وهي مما يقرّون به، ولا توجد في كتبهم الحالية على اختلاف طبعاتها إلا مع اختلاف في ألفاظها أو توجد بمعناها! مما يدل على التحريف المتواصل لكتبهم.

[٢] في الجواب الصحيح ٣/١٤٩ والرسالة ن ٢، ن ٣: (**فماذا يكون أعظم من هذا برهاناً، وأقوى شهادة؛ إذ هذه كتب أعدائنا المخالفين لديننا، وهم يقرّون بذلك ويقرؤونه في كنائسهم**).

[٣] سورة سبأ: آية ٢٤.

[٤] سورة الأحقاف: آية ٩.

[٥] في سورة الفاتحة: الآية ٧ وهي قوله تعالى: (**ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ**). وفي الجواب الصحيح ٣/١٦٤ والرسالة ذكر لكامل الآية.

(٦) في الأصل: ذوا. وفي الجواب الصحيح ٣/١٦٤ والرسالة: (ولا سيما عند ذوي العقول وال**معرفة**).

والصراط: هو المذهب[١] **وهذه لفظة رومية، لأن الطريق بالرومية: اسراطا**[٢]**، بقول / الأسقف دميان**[٣]. ب/٤٢

فالجواب: أما اليهود فإنّهم مذمومون في كتابنا، وعلى لسان داود وعيسى ابن مريم، ومضروبة عليهم الذلة والمسكنة، وباؤون بغضب من الله، وأينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً إلا بحبل من الله وحبل من الناس، وذلك لعتوّهم وعنادهم وقتلهم الأنبياء بغير حق، وافترائهم على المسيح وأمّه، ولأنهم آمنوا بموسى ثم كفروا به مرّات، ثم آمنوا بعيسى ثم كفروا به عند مجيئه، ثم آمنوا بمحمد قبل ظهوره ثم كفروا به عند إتيانه، وكانوا أشد الناس عداوة له ولمن آمن به، وهذا هو الظلم الفاحش والكفر المكرّر، إذ

---

(١) في الجواب الصحيح ١٦٤/٣ والرسالة زيادة: (**أي: الطريق**).

(٢) في الرسالة ن ١: (**وهذه لفظة يونانية؛ لأن الطريق باليونانية: اسطراط**).

ذكر أن أصل كلمة (صراط) رومية: ابن الجوزي في فنون الأفنان ص: ٣٥١، والسيوطي في الإتقان ٩٥٦/٣ ط. المجمع. وقد اختلف في وجود المعرّب في القرآن، وأحسنه ما جاء عن أبي عبيد القاسم بن سلام: أن ما كان بغير لسان العرب في الأصل ثم لفظت بها العرب فعربتها، فقد صارت عربية بتعريبها إياها، وإن كانت في الأصل أعجمية. ورجحه الجواليقي وابن الجوزي وابن فارس. واختار ابن جرير الطبري في تفسيره ٩/١: أن ذلك من اتفاق اللغات. ينظر الخلاف في وجود المعرب في القرآن في: البرهان في علوم القرآن ٢٩٠/١، والإتقان للسيوطي ٩٣٤/٣. والإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح ١٧٨/٣ قد ردّ قول النصارى بأن الصراط لفظة رومية، وإنما هي عربية عرباء، وذكر نطق العرب بها وتصاريفها. أ/٤٣

(٣) نسبة القول إلى الأسقف دميان لا توجد في الجواب الصحيح ولا في الرسالة. ودميان: اشتهر بهذا الاسم دميان اليعقوبي أسقف الأقباط بين ٥٦٩ – ٦٠٥ م، وفي وقته كان سلطان كنيسة الإسكندرية خاضعاً لبابا الروم. ينظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسي ص: ٢٧١، ووصف دميان في الجواب الصحيح ١٢٠/١: الأسقف الملك الرومي، وأنه قابل علماء جزيرة قبرص. والظاهر أنه ملكي نسبة لطائفة الملكية لا أنه من ملوك الرومان، وربما يكون أحد من كتبوا هذه الرسالة.

الظلم معناه: الخروج عن الحق ووضع الباطل موضع الحق. ولما كان هذا الغيّ هو الظلم؛ كانوا المخالفون[(١)] لكتابنا، والخارجون عن الحق الذي جاء من ربنا، والقائلون: إن الواحد الأحد ثالث ثلاثة، هم الظالمون الضالون وهم المشركون وكفرة أهل الكتاب كما سمّاهم الله تعالى ورسوله، ولم يكونوا بالمؤمنين الأقربين إلينا مودة والفائضة أعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق، والذين آمنوا بالله ورسوله النبيّ الأميّ وباليوم الآخر، أي: يصدقون بما جاء به نبيّنا / من خبر القيامة والجنّة والنار والحساب والمجازاة، بل أولئك هم النصارى الحبوش: النجاشي وأهل مملكته، الذين آمنوا بالنبيّ وبما جاء به، وآووا من هاجر إليهم من المسلمين، وأرسلوا أولادهم وهداياهم إلى النبي [(٢)]، كما أخبر داود نبيّه به ﷺ[(٣)]، فهؤلاء المؤمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لا الذين هم باقون على تهوّدهم وتنصّرهم وصابئيتهم، فإنّ هؤلاء مردودة عليهم أعمالهم، لن يقبل[(٤)] منهم غير الإسلام ديناً.

ومثلهم في إقامتهم على التهوّد والتنصّر والتمجّس كمثل إنسان مرض بالحمّى المحرقة وغلبة الصفراء، فجاءه طبيب ذلك الزمان ووصف له شراب السكنجبين

---

(١) في الأصل: (كانوا المخالفين) والتصويب على لغة (أكلوني البراغيث) المنسوبة لقبيلة طيّئ. ينظر: أوضح المسالك لابن هشام ١/٣٤٥.

(٢) إشارة إلى سبب نزول الآيات (٨٢ – ٨٥) في سورة المائدة. قال الطبري في تفسيره ١٠/٥٠٢ بعد ذكر الخلاف في سبب نزولها: (والصواب في ذلك من القول عندي: أن الله تعالى وصف صفة قوم قالوا: إنا نصارى. أن نبيّ الله ﷺ يجدهم أقرب الناس وداداً لأهل الإيمان بالله ورسوله، ولم يسمّ لنا أسماءهم. وقد يجوز أن يكون أريد بذلك أصحاب النجاشي. ويجوز أن يكون أريد به قوم كانوا على شريعة عيسى، فأدركهم الإسلام فأسلموا لما سمعوا القرآن وعرفوا أنه الحق، ولم يستكبروا عنه).

(٣) بشارة النبيّ داود عليه السلام سبق سياق المؤلف لها. ينظر في ل ب/٦ ص١٠٥.

(٤) في الأصل: تقبل

والليـنوفر وكل قامع للصفراء مبرّد للحرارة المفرطة[1]، فاستعمله المريض فبرأ، ومضت عليه سنون، ومرض مرضة ثانية بالفالج وغلبة البلغم، فجاءه طبيب ثانٍ عارف بالمرض والعلاج، فوصف له شراب الأسطوخودس والزنجبيل المربّى وكل ما هو محلّل للبلغم مسخّن للبدن[2]، فأبى ذلك المريض أن يستعمل إلا ما وصفه له الطبيب الأول، وغاب عن هذا المريض الصواب في أن مرضه الثاني غير الأول، وأن لكل مرض دواء وعلاجاً، وأنه / لو كان الطبيب الأول معاصراً للثاني لم يخالفه فيما وصف.

ب/٤٣

وكذلك أهل الكتاب لما مرضوا المرض الروحاني طبّهم موسى بما اقتضاه حالهم فبرئوا، ثم مرضوا ثانياً وبلغوا الموت فجاءهم عيسى بطبّ روحاني غير ما جاءهم به موسى، فأنكروه، وقالوا: ما يُسمع غير قول موسى ولا يُترك مذهبنا المأخوذ عنه. فهلكوا إلا من آمن بعيسى وتلقى طبّه بالقبول، ثم مرضوا مرضة ثالثة بالكفر والشرك والابتداع لما ابتدعته النصارى في زمن قسطنطين وفيما بعده، فجاءهم نبيّنا محمد ﷺ بالطبّ الأكبر والمعرفة لمرض هؤلاء وهؤلاء، أعني: اليهود والنصارى، ووصف لهم

---

(١) السكنجبين: معربة من الفارسية: سركا انكبين. بمعنى: خل وعسل، ويراد به كل شراب حامض حلو. ينظر: تذكرة داود الأنطاكي ص: ٢٣٤. والليـنوفر: كلمة فارسية بمعنى: ذي الأجنحة. الأشهر في اسمه تقديم النون (نيلوفر) ويسمّى (النينوفر) وهو نبت مائي له أصل كالجزر، من أجود ما استعمل لقطع الحمى. ينظر: تذكرة داود ص: ٣٤٤، ٣٩٨.
الحمّى: حرارة غريبة تصيب البدن، وهي أنواع، ومنها الصفراء وهي التي تصيبه غبّاً. ينظر: القانون لابن سينا ص: ١٧٦٥.

(٢) الأسطوخودس: يوناني معناه (موقف الأرواح) وهو نبت رقيق يسمّى في المغرب بالشيح الجبلي. ومنه رومي ومغربي، وهو مفتح محلّل. ينظر: تذكرة داود ص: ٥٦. الزنجبيل: نبت له أوراق عراض يفرش على الأرض، يستأصل البلغم واللزوجات والرطوبات الفاسدة. ينظر: تذكرة داود ص: ٢١٩. الفالج: هو شلل يصيب أحد طرفي الجسم. والبلغم: من أخلاط الجسم يصيب المسالك التنفسية. ينظر: المعجم الوسيط ٦٩٩، ٧٠.

أحسن وصف، وعرّفهم أبلغ تعريف، ونصح الجميع أعظم نصح، فمنهم من آمن وصدّق وقبِل الوصف فبرئ وتعافى قلبه وسلمت نفسه وفُصل من الكفر والنفاق، ومنهم من أصرّ على كفره وشركه وجحوده فطال مرضه وأزمن[١] حتى هلك، وقيل له: ادخل النار مع الداخلين.

وأما قولكم: إن المائدة هي قرابينكم. فليس كذلك، لأن القرابين مذكورة في القرآن العزيز[٢]، والمائدة / مذكورة أيضاً وهي غيرها، وتواريخكم تشهد أن المائدة غير القربان، وأنه كان عليها خبز وبقل وسمكات وزيتون، وأكل منها قدّام المسيح خلق كثير يتداولون عليها، قوم يشبعون ويقومون، وقوم يجلسون ويأكلون[٣]، وذلك معنى العيد لأولهم وآخـــــــــرهم، أي: المعـــاودة للأكل علــــــيها[١]، 44/أ

(١) أزمن: من الزمانة، وهي: العاهة تصيب الإنسان فتقعده. ينظر: معجم مقاييس اللغة ٢٣/٣.

(٢) ذكرت قرابين بني إسرائيل في قوله تعالى في سورة آل عمران: آية ١٨٣: (ڇ ڃ ڃ ڃ ڇ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ)، وفي سورة المائدة: آية ٢٧: (ڈ ڎ ڎ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ) على قول الحسن البصري: أنهما رجلان من بني إسرائيل لا من ولد آدم لصلبه. وهو خلاف قول جماهير المفسرين. ومعنى القربان عند المفسرين: هو ما يذبح من النعم أو غيره ويوضع في مكان معين لتأكله النار دليلاً على قبوله. ينظر: تفسير الطبري ٢٠٩/١٠. وقرابين بني إسرائيل التي هي أشبه بالنذور والذبائح ولها طقوس في شريعة التوراة غيرُ قرابين النصارى المبتدعة المسمّاة (بالعشاء الرباني) التي هي رمز لدم المسيح المصلوب وجسده بزعمهم. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: قربان).

(٣) إشارة إلى معجزة الخبز والسمكتين الواردة في إنجيل متّى: ١٣/١٤ – ٢١، وإنجيل مرقس: ٣٢/٦ — ٤٤، وإنجيل لوقا: ١٠/٩ – ١٧، وإنجيل يوحنّا: ١/٦ – ١٥. وما ذكره المؤلف أشار إلى مثله رشيد رضا في تفسير المنار ٢١٧/٧ وأن معجزة إطعام الخلق الكثير هي أصل خبر المائدة لكنه مما تحرّف في كتبهم، كما أشار إلى احتمالية وجود خبر المائدة في الأناجيل غير القانونية. وذكر غير واحد من المفسرين كابن كثير والطاهر بن عاشور أن خبر المائدة لا تعرفه النصارى إلا من المسلمين. ينظر: تفسير ابن كثير ٢٢٥/٣، التحرير والتنوير

وعلامة قرب المسيح من الله تعالى إجابته لدعائه[٢].

١١٢/٧. وهذا هو الأقرب؛ لأمور، منها: أن المائدة في الآية أنزلت من السماء ولم تكن كذلك في المعجزة المذكورة في الأناجيل. ومنها: ما كان مع المائدة من الوعيد الشديد الذي لا يكون مع سائر المعجزات كإطعام الجمع الكثير بالطعام القليل؛ وذلك لظهور حجّتها بما لا يمكن معه الشك، ويشبهها معجزة الناقة لصالح عليه السلام. ومنها: أن ما ضاع من الأناجيل أو تحرّف كثيرٌ، ولم يكتب كل ما جاء عن المسيح عليه السلام ومن ذلك معجزاته، كما جاء في إنجيل يوحنّا: ٢٥/٢١. وصدق الله العظيم في كتابه: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □) سورة النمل: آية ٧٦ .

[١] ما ذكره المؤلف في معنى العيد مروي عن ابن عباس رضي الله عنه، وقيل معناه: يكون حجة علينا وبرهاناً. وقيل: أي نتخذ يوم نزولها عيداً نعظمه نحن ومن بعدنا، واختاره ابن جرير. ينظر: تفسير الطبري ٢٢٥/١١، وتفسير البغوي ١١٩/٣. وقال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط ٥٦/٤: (الأولية والآخرية نسبيتان، فاحتملتا الأكل والزمان والرتبة، والظاهر الزمان). وقال الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ١٠٨/٧: (أي: لأول أمة النصرانية وآخرها، وهم الذين ختمت بهم النصرانية عند البعثة المحمدية)، ثم قال: (وهذا العيد الذي ذكر في هذه الآية غير معروف عند النصارى)، ثم ذكر العشاء الأخير عند النصارى ليلة الفصح واتخاذهم يومه عيداً كما في اليهودية.

[٢] اختلف المفسرون: هل نزلت المائدة أم لا؟ جاء عن مجاهد والحسن: أنها لم تنزل، وأنهم لما سمعوا الوعيد استعفوا من طلب نزولها. وقال جمهور المفسرين: إنها نزلت. واختاره ابن جرير وصوبه القرطبي وأبو حيان وابن كثير وغيرهم. ينظر: تفسير الطبري ٢٣١/١١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٨٥/٦، تفسير ابن كثير ٢٣١/٣. قال الطاهر بن عاشور في تفسيره ١١١/٧ في المراد من القصة: (وهو العبرة بحال إيمان الحواريين وتعلقهم بما يزيدهم يقيناً، وبقربهم إلى ربهم، وتحصيل مرتبة الشهادة على من يأتي بعدهم، وعلى ضراعة المسيح الدالة على عبوديته، وعلى كرامته عند ربه إذ أجاب دعوته، وعلى سعة القدرة. وأما تفصيل ما حوته المائدة وما دار بينهم عند نزولها فلا عبرة فيه. وقد أكثر فيه المفسرون بأخبار واهية الأسانيد، سوى ما أخرجه الترمذي في أبواب التفسير عن الحسن بن قزعة بسنده إلى عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ : (أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً، وأمروا أن لا يخونوا ولا يدّخروا ولا يرفعوا لغد، فخانوا وادّخروا ورفعوا، فمسخوا قردة وخنازير). قال الترمذي: هذا الحديث رواه غير واحد عن

ثم لما كان في علم الله تعالى أن بعض تلاميذ المسيح يكفر بعده ويشرك، ككفر يهوذا أسخريوطي[١] وهلاكه، وكفر الذي افترى على المسيح وزعم أنه قال: عمّدوا العالم باسم الثالوث، وأمر بالشرك بالله [٢]، وككفر من اتخذه إلهاً من دون الله[٣]، قال الله: (ﭬ ﭭ ﭮ) يعني: المائدة، (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ) الآية، فالمائدة كانت من معجزات المسيح لا مما زعم أنه قال عن خبز السميد النقي[٤]: هذا لحمي فكلوه[٥]، وهذا دمي فاشربوه[٦]. يعني: الخمر، المحرّم سكره في جميع الشرائع حتى يكون قرباناً يتقرب به إلى الله تعالى بالأكل له![١].

عمار بن ياسر موقوفاً، ولا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة، ولا نعلم للحديث المرفوع أصلاً). وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٢٩/١١. وهو لا يثبت مرفوعاً كما قال الترمذي، لكنه أحسن ما قيل في قصة المائدة، كما قال أبو حيان في تفسيره ٥٧/٤. ينظر: ضعيف الترمذي للألباني رقم: (٥٨٧). وبالجملة: فلا تصح دعوى النصارى في المائدة أنها قربانهم المقدس. قال الإمام ابن تيمية في الجواب ١٢٧/٣ ردّاً لزعمهم: (هو أولاً: قول لا دليل عليه. وثانياً: هو قول معلوم الفساد بالضرورة من دين المسلمين الذين نقلوا القرآن. . . ولم يقل أحد إنها قرابين النصارى، وليس في لفظ الآية ما يدل على ذلك، بل يدل على خلاف ذلك، فإن الآية تبين أن المائدة منزلة من السماء وقرابينهم هي عندهم في الأرض لم تنزل من السماء!). وينظر: الأجوبة للقرافي ص: ١١٤.

(١) في الأصل: (هيرودس أسخريوطي). وهو غلط. ينظر في ل ب/١٧ ص١٤٧.

(٢) إشارة إلى بولس، وسيأتي حديث عنه في ل ب/٧٨ ص٣٢٣.

(٣) إشارة إلى عموم النصارى المتخذين المسيح إلهاً من دون الله.

(٤) السميد: لباب الدقيق. ينظر: المعجم الوسيط ص: ٤٤٧.

(٥) في الأصل: (فلوكوه) والمثبت هو الموافق لما في الأناجيل.

(٦) جاء هذا الزعم في حادثة العشاء الأخير كما في إنجيل متّى: ٢٦/٢٦، وإنجيل مرقس: ٢٢/١٤، وإنجيل لوقا: ١/٢٢، وكورنثوس الأولى: ٢٤/١١. ولم يرد في إنجيل يوحنّا إلا قبل الحادثة بعام كما في: ٥٣/٦. قال أبو محمد الترجمان في تحفة الأريب ص: ١٦٢: (هذا قول متّى في إنجيله، ويوحنّا الذي كان حاضراً لعيسى حين رفع لم يذكر شيئاً من خبر الخبز والخمر في

ب/٤٤

ولقد كان للمسيح من المعجزات ما هو أعجب من المائدة من إطعام الخلق / الكثير من الخبز اليسير، وأطعم في قرية الطابغة[٢] من ست سلال خبز أو سبع سلال ألوفاً من الناس[٣]، وأخرج الله له من شجرة التين العريانة من الورق والثمر تيناً حلواً نضيجاً أكل منه وأطعم التلاميذ، وذلك ببيت عيانا[٤]، وكما أمر الله تعالى بلسان المَلَك لأمّه مريم عند ولادته أن تهزّ إليها بجذع النخلة فتساقط عليها من الجذع رطباً جنيّاً[٥]، وكما كان من زكريا يدخل عليها فيجد عندها الفاكهة الغريبة والرزق الشهي، فيقول: (□ □ □) ؟ فتقول: (□ □ □ □) الآية[٦]، وكما فُعل بنبيّنا ﷺ مرّات

إنجيله! وهذا من الاختلاف الذي يدل على كذب متّى ونقله للمحال والبهتان). والنصارى مختلفون في معناه: فعند الكاثوليك والأرثوذكس أنه بمعنى التحول الحقيقي، وعند البروتستانت أنه بمعنى الرمز والتذكار. ينظر: إظهار الحق ٧٠٥/٣، ومحاضرات في النصرانية ص: ٢٢٤.

(١) ينظر ما سبق في: ل أ/٣٥ ص٢٠٧.

(٢) قرية الطابغة: تقع في الشاطئ الشمالي لبحيرة طبرية (بحر الجليل، كما في الأناجيل) وهي أرض منخفضة تكثر فيها ينابيع المياه، ولها أهمية عند النصارى، وفيها مزارات وكنائس لهم، منها كنيسة تكثير الأرغفة نسبة للمعجزة، وقد أقام عليها الاحتلال الإسرائيلي مستعمرة باسم عين شبا. ينظر: القرى المدمرة في فلسطين حتى ١٩٥٢ م ليوسف أبو نايلة وآخرين، ص: ٤٦ إصدار الجمعية الجغرافية المصرية.

(٣) ينظر: إنجيل متّى: ٣٢/١٥ – ٣٩، وإنجيل مرقس: ١/٨ – ١٠. وفيهما: أنه أطعم أربعة آلاف من سبع خبزات وقليل من صغار السمك، وفضل منها سبع سلال مملوءة.

(٤) لم أجد هذه المعجزة في الأناجيل، ولعل المؤلف أراد ما جاء في إنجيل متّى: ١٩/٢١ وإنجيل مرقس: ١٣/١١ أن المسيح عليه السلام قال لشجرة التين: (لا يكون منك ثمر بعد إلى الأبد، فيبست التينة في الحال). وينظر في بيت عيانا ما سبق في: ل أ/٦ ص١٠٣.

(٥) كما في سورة مريم: آية ٢٥.

(٦) سورة آل عمران: آية ٣٧.

كثيرة معجزات باهرة ضبطها العلماء وحرّروها فكانت ألفاً وتسعين معجزة[١]، منها: أطعم ألوفاً من المسلمين في غزاة تبوك[٢]، فأشبعهم وملأ أوعيتهم تمراً ودقيقاً من كومة تمر، ما يحجب القاعد إليها عن القاعد إليها، ثم فضل منها بعد كفايتهم فضلة[٣].

وسقاهم أيضاً وروّاهم في تلك الغزوة وهم ألوف من مزادة على جمل لامرأة، ودلّهم عليها وأنها بوادي كذا تسير، فأحضروها إليه، فسمّى الله تعالى وفتح المزادة وسكب الماء منها على يده الشريفة إلى الحوض / الجلد، وأمر أن يرِدُوه عشرة بعد

٤٥/أ

---

(١) قال ابن حجر في الفتح ٥٨٣/٦: (ذكر النووي في مقدمة شرح مسلم: أن معجزات النبي ﷺ تزيد على ألف ومائتين. وقال البيهقي في (المدخل): بلغت ألفاً، وقال الزاهدي من الحنفية: ظهر على يديه ألف معجزة، وقيل: ثلاثة آلاف، وقد اعتنى بجمعها جماعة من الأئمة كأبي نعيم والبيهقي وغيرهما). ينظر: معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ للمنجد ص: ٥٩.

(٢) تبوك: مكان معروف، هو منتصف طريق المدينة إلى دمشق. ينظر: معجم البلدان ١٤/٢. يبعد عن المدينة شمالاً (٧٧٨ كيلاً). ينظر: المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ٢٣٦/١. وإليها تنسب الغزوة التي وقعت في رجب سنة تسع من الهجرة، ولم يلق النبي ﷺ فيها حرباً، ومكث بتبوك عشرين يوماً، ووقع فيها الكثير من الآيات الدالة على نبوته ﷺ . ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٥١٥/٢، زاد المعاد ٥٢٦/٣.

(٣) ذكره المؤلف بمعناه، وقد أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب: من لقي الله بالإيمان غير شاك. . رقم: (٤٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: فدعا ﷺ بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، قال: فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، قال: ويجيء الآخر بكف تمر، قال: ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، قال: فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال: خذوا في أوعيتكم، قال: فأخذوا في أوعيتهم، حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملؤوه، قال: فأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة. .). وينظر: دلائل النبوة للبيهقي ٢٢٩/٥.

عشرة حتى اكتفوا وسقوا دوابهم، ثم سدّ عرازيل المزادة [١] فإذا هي ملآنة كما كانت، فقال للمرأة: خذي مالك واذهبي فقد سقانا الله تعالى وماؤك ماؤك[٢].

ولما وصل إلى تبوك لم يكن بها ماء إلا ما يَرْوي الشفة فأخرج سهماً وغرسه في تلك العين فثجّت وانفجرت نهراً، فقال: من عاش منكم سيرى هنا حدائق وأعناباً. فكان ذلك، وهذه العين إلى يومنا هذا تفج بالماء وتسقي نخيلاً وزروعاً بتبوك[٣].

---

(١) في الأصل: (عزازيل) وهو غلط. وعرازيل المزادة: جمع عرزال، وهو فم المزادة. والمزادة: وعاء يحمل فيه الماء. ينظر: لسان العرب ٩٤/١٠ .

(٢) ذكره المؤلف بمعناه، وقد أخرجه البخاري في مواضع منها: كتاب التيمم باب: الصعيد الطيب رقم: (٣٤٤)، عن عمران بن حصين رضي الله عنه، وفيه: أن المرأة دعت قومها بعد ذلك إلى الإسلام فأسلموا. وجاء عند عبد الرزاق في مصنفه رقم (٢٠٥٣٧): (إنكما ستجدان امرأة في مكان كذا وكذا معها بعير عليه مزادتان، فأتيا بها). لكن لم يرد في الآثار أن ذلك في غزوة تبوك. لذا اختلف العلماء في تحديد السفر، فقيل: حين رجوعه من غزوة خيبر، وقيل: من الحديبية، وقيل: من تبوك، وقيل: غير ذلك. ينظر: فتح الباري ٤٤٨/١. قال ابن عبد البر في التمهيد ٢٢٠/١: (الذي أوتي النبي ﷺ من هذه الآية المعجزة أوضح في آيات الأنبياء وأعلامهم مما أعطي موسى إذ ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً؛ وذلك أن من الحجارة ما يشاهد انفجار الماء منها ولم يشاهد قط أحد من الآدميين يخرج من بين أصابعه الماء غير نبيّنا ﷺ).

(٣) ذكره المؤلف بمعناه، وقد أخرجه مسلم في صحيحه في الفضائل باب: في معجزات النبي ﷺ رقم: (٧٠٦)، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وأخرجه البيهقي في الدلائل ٢٣٧/٥ ثم نقل عن عروة بن الزبير قوله في زيادة ماء عين تبوك: (وهي كذلك إلى الساعة)، وقد وصف الرحالة عين تبوك، وأنها تروي كل من مرّ بها، مرّ بها ابن بطوطة عام ٧٢٦ هـ كما في رحلته ٨٠/١، وقال: (ولم تزل إلى هذا العهد). وفي رحلة ابن رشيد السبتي عام ٦٨٤ هـ، المسماة ملء العيبة الجزء الخامس ص: ١٠ ت. د. محمد الحبيب، قال: (قلت: صدق ﷺ فقد رأينا هذا الموضع قد ملئ جناناً من نخيل وبينها يسير زرع للأعراب). وتبوك الآن غزيرة الماء كثيرة البساتين والثمار.

وهذا ومثله غير منكور من الأنبياء عليهم السلام أن يأتوا بمثله بإذن الله تعالى[١].

وأما قولكم: وإنه كان مأموراً بطلب الهداية إلى الصراط المستقيم، واستشهادكم بفاتحة الكتاب وبآيتي سبأ والأحقاف. فليس كذلك، ولا يدل عليه لا ظاهر الآيات ولا معانيها المعقولة، ولا يقتضيه القياس. ولكنّكم لما لم تفهموا المعنى ولا تدبّرتم القول ولا عرفتم المراد به زعمتم ما زعمتم. وسأبين لكم الحق فيه وأن المراد خلاف ما قلتموه.

ب/٤٥

أما الفاتحة فإنها من أول المنزّل من القرآن، ولذلك سميت فاتحته وأمّه[٢]، حمد الله تعالى / نفسه وأثنى عليها فقال: (ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ) أي: قولوا الحمد لله، وتمام الثناء عليه سبحانه، وقولوا: (ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ) وقولوا: (ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ) يعني: من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين المذكورين للتعريف بهم في قوله تعالى في سورة النساء: (ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ) الآيات إلى قوله: (ﮒ)[٣]. ولقد سئل رسول الله ﷺ عن المغضوب عليهم من هم؟ فقال: هم اليهود. أي: الجاحدون الحق مع علمهم به، والمعاندون للأنبياء حسداً وبغياً، وكذا كل ملحد ومنكر ومحرّف لكلام الله تعالى عن مواضعه. وسئل عن الضالين من هم؟ فقال: هم النصارى[٤]. أي: إنهم ضلوا عن طريق الهدى،

---

[١] قال النووي في شرح مسلم ٢١٥/١٣: (وقد تظاهرت أحاديثُ آحادٍ بمثل هذا، حتى زاد مجموعها على التواتر، وحصل العلمُ القطعي بالمعنى الذي اشتركت فيه هذه الآحاد، وهو انخراق العادة بما أتى به ﷺ من تكثير الطعامِ القليلِ الكثرةَ الظاهرة، ونبعِ الماء وتكثيرِه، وتسبيحِ الطعام، وحنينِ الجذعِ وغيره).

(٢) ينظر في أسماء الفاتحة وفضلها: تفسير ابن كثير ١٠١/١.

(٣) في الأصل غلط في الآية: (ورسوله) والآيات في سورة النساء: آيتا ٦٩، ٧٠.

(٤) جاء مرفوعاً من حديث عدي بن حاتم أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٧٨/٤، و الترمذي في سننه رقم: (٢٩٥٤)، وقال ابن كثير عنه: (وقد روي حديث عدي هذا من طرق، وله ألفاظ يطول

وأشركوا بالله خلقه، وكفروا بما جاءهم من الحق بلسان الرسول الموبّخ للعالم على الخطيئة بقول الثالوث واعتقاد الأقانيم.

وسأبين لكم فصلاً في الشرك يظهر لكم منه ما أنتم عليه، فاسمعوه وعوه:

إنه لما كان المشرك بالله تعالى منقسماً إلى: شرك تعمّده المشرك القاصد له، وإلى شرك خطأ من المشرك الغير قاصد له، بل قصده التوحيد ولكنّه ضال / غير مهتد إليه ولا راجع إلى هديٍ من يهديه إليه، كان العامدون هم المشركين الجاهلية عبدة الأصنام والأوثان والنّصُب والشياطين والجنّ والطاغوت، عمداً من غير انتماء إلى ملة، ولا قيام بشريعة، ولا تمسّك بأثارة من علم منسوبة إلى رسول مطلق الرسالة، مثل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين. وهؤلاء العامدون الشرك هم الكفرة الأنجاس الفجرة، المحرمة ذبائحهم ونكاحهم وإنكاحهم على المسلمين حتى يؤمنوا.

أ/٤٦

وكان الخاطئون خطأ العمد بطلبهم معرفة الله تعالى بما تقتضيه آراؤهم وقصدهم تنزيهه وتوحيده بحسب ما رأته عقولهم وحسنته نفوسهم، فقسّموا الإله الواحد الأحد ثلاثة آلهة أقانيم ثالوثاً، وسمّوها: أباً وابناً وروحاً، واتخذوها إلهاً واحداً، وكان مَثَلُ خطأ

ذكرها)، وصححه أحمد شاكر في تحقيق تفسير الطبري. وأيضاً: جاء مرفوعاً من حديث أبي ذر، حسنه ابن حجر في الفتح ٨/ ١٥٩. وقد أورد ابن جرير الطبري في تفسيره جملة من الآثار التي تفسر المغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارى، كما استدل الطبري في تفسيرها بذلك بالقرآن، فقد وصف الله اليهود بالمغضوب عليهم بقوله: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ) الآية ٦٠ من سورة المائدة. كما وصف النصارى بالضلال في قوله: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ) الآية ٧٧ من سورة المائدة. قال ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٣١ (ط. الباز): (لا أعلم بين المفسرين في هذا الحرف اختلافاً). ينظر: تفسير الطبري ١/١٨٥، ١٩٣، وتفسير ابن كثير ١/ ١٤٢.

ب/٤٦

هؤلاء العمد وشركهم مع قصدهم التوحيد وعدم الاهتداء إليه كمَثَل من أراد رمي صيد بسهم والصيد حوله أناس قيام، فقيل له: لا ترمِ سهمك فربما يصيب أحداً من الناس القيام. فقال: إنما أرمي الصيد. ثم رماه قاصداً له دون من حوله، فأصاب بسهمه إنساناً منهم فقتله بغير قصد لقتله، ولم يصب الصيد الذي كان قاصداً له. وهؤلاء هم المشركون الضالون / كفرة أهل الكتاب، المباحة للمؤمنين ذبائحهم بذكر اسم الله عليها، دون ما يقتلونه قتلاً ودون صيد الحيوان البري، والمباح لنا نكاح المحصنات الكتابيات منهم دون إنكاحهم[١].

فاليهود مغضوب عليهم وهم كتابيون، والنصارى ضالون مشركون، وهؤلاء وهؤلاء منتمون إلى (ﭺ ﭼ ﭼ ﮄ ﮄ ﮈ) الآية، انتماءً غير صادق، فامتازوا عنهم وعن النعمة، وذكر < هم >[٢] الله بسبب امتيازهم، ولم يذكر الجاهلية الكفار لأنهم غير منتمين إلى رسول لله ولا إلى كتاب.

وأمّا تكرار طلب المهتدين للهدي إلى الصراط المستقيم وهم عليه سالكون متبعون، فلمعانٍ تشذ عن غير المؤمنين[٣]:

أحدها: شدة رغبة المؤمنين في الهدى، ولمحبتهم للإيمان والطاعة، وطلبهم الثبات والدوام على ذلك.

---

(١) ينظر: المغني لابن قدامة ٣٧/١١، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ١٠٠/٨، ٢١٦/٣٥، وأحكام أهل الذمة لابن القيم ١/ ٥٠٥.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) طلب المؤمنين للهداية: قال ابن جرير الطبري: (وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك، من قول وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم). واستدرك ابن القيم في بدائع الفوائد ٤٥٠/٢ على من أطلق القول بأن معناه التثبيت ودوام الهداية: بأنه يصح لو كان صاحبه قد استكمل الهداية، وأنى له! وقال: (والمسؤول هو أصل الهداية على الدوام، تعليماً وتوفيقاً وخلقاً للإرادة فيه، وإقداراً له وخلقاً لفاعليته وتثبيتاً له على ذلك...). وينظر: جامع الرسائل لابن تيمية ٩٩/١.

والثاني: لكونهم شهداء على الناس، ومطلعين[١] على ما فتن به الشيطانُ اليهود والنصارى وغيرهم، واستدرجهم إلى الكفر بعد الإيمان، وإلى الشرك بعد التوحيد، وإلى الضلالة بعد الهدى، ومن ذلك ما قرّروه أصحاب القوانين من الصيام التطوع والمفروض[٢] لأسماء رجال ونساء بأعيانهم، ولم يخلصوا لله منها صوم يوم واحد، / بل قالوا: صيام يوحنّا، صيام بطرس وبولص، صيام جرجس، صيام تادرس، صيام مركيس، صيام برنابه، صيام السيدة، صيام الميلاد، صيام المسيح للصوم الكبير[٣].

٤٧/أ

فعزوا كل صوم إلى من أشركوا به وهم لا يشعرون، فكرّر المؤمنون طلب الهداية خشية من مثل ذلك، وسألوا الله الثبات عليها، لأنه مقلب القلوب والأبصار الفعّال لما يريد.

والثالث: أن المؤمنين ندبوا إلى تلاوتها في كل صلاة ليتدبروا ما فيها من معاني القرآن، وجوامعِ أسماء الله الحسنى العشرة[٤]، وذكرِ (ﭙ) المشتق من المعالمة[١]، أعني:

---

(١) في الأصل (مطلعون).

(٢) قال القرافي في الأجوبة ص: ٢٨٥: (ولا نكاد نجد من نسأله عن الصوم الواجب منها كم هو؟ فيعرفه!)، ثم ذكر تناقض قسيس النصارى المقدم فيهم في الجواب. ينظر ما سبق: ل ب/٣٤ ص٢٠٤.

(٣) ينظر: إغاثة اللهفان ٢٨٣/٢. وفي: التخجيل ٥٩٥/٢، والأجوبة الفاخرة ص: ٢٨٤ مثال للجمعة التي يصومونها لهرقل الملك. والصوم عند غالب فرق النصارى ينقسم إلى قسمين: صوم جماعي ومنه الصوم الكبير، وصوم فردي لأغراض معينة، كصوم النبي يونان أو صوم الميلاد، وربما سمّيت الصوم الصغير، ولا حدّ لها، ومنها ما ذكره المؤلف. يقول القمص زكريا بطرس في كتابه الصوم ص: ٤: (وبالتبعية فالمؤمن يمكن أن تكون له أصوام خاصة فردية، بشرط أن تكون تحت إشراف أبِ اعترافه).

(٤) في سورة الفاتحة ذكر الله خمسة من الأسماء الحسنى، وهي: الله، الرب، الرحمن، الرحيم، الملك. قال ابن القيم في مدارج السالكين ٣١/١: (اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتمَّ اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمن. فاشتملت على التعريف بالمعبود تباركَ

أن كل ذرة من ذرات العالم مُعلمة بدلالتها على صانعها رب العالمين، الرب لكل مربوب، وذكرِ أهل السعادة والشقاوة، وتعريفِ العباد سعة رحمة الله ورحمانيّته بتكرار اسمه الرحمن الرحيم، وطلبِ المؤمنين المهتدين الهداية الخاصة الخالصة من شوائب الرقائق السارية في الأمة بالمشابهة بين قلوب السالفين من الأمم وقلوب الخالفين من الأمة في العقائد والآراء: كالرقيقة اليهودية، والنصرانية، التي أهل هذه استسلموا وصدّقوا وانقادوا لكل ما يقال حتى غلوا في المسيح وظنّوه إلهاً مع الله، وتلقّوا كلّ ما / سمعوه عنه من حق وباطل وصدق وكذب بالقبول، فلو قيل لهم ما عسى أن يقال، قالوا: آمنا وصدقنا!. وعلى مثل هذا تأسّست قواعد دين النصرانية، ولم يكن ذلك من العدل. وأهل هذه تابوا وأنكروا وامتنعوا عن قبول كل شيء من حق وباطل وصدق وكذب، فلم ينقادوا ولا استسلموا لأمرٍ إلهي إلا بعد جدل وبحث وسؤالات واقتراحات وإيراداتِ شكوكٍ محتملات وغير محتملات، حتى لو قيل لهم: إن الجزء أصغر من الكل. لقالوا: لا نسلم. وبمثل ذلك قتلوا الأنبياء وكذّبوا الرسل ولعنوا في الدنيا والآخرة.

ب/٤٧

وكالرقائق المجوسية، والصابئية، والفلسفية، والواقفية، وغيرها من الرقائق السارية في الأمم.

وتعالى بثلاثة أسماء، مرجِعُ الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها ومدَارُها عليها، وهي: الله والرب والرحمن. . . وتضمنتْ إثبات المعاد وجزاء العباد بأعمالهم حسنها وسيئها. . وتضمنت إثبات النبوات من جهات عديدة. .). وإشارة المؤلف إلى جوامع الأسماء العشرة جرى فيه على تقسيم بعض الصوفية كالبوني الصوفي في كتابه شمس المعارف ١٢/٣ حيث قسّم أسماء الله إلى عشرة أنماط، وفيه خرافات وطامات. وتقسيم أسماء الله وصفاته عند المؤلفين قائم على معتقدهم فيها.

(١) اشتقاق العالمين من العَلَم والعلامة، قاله القرطبي ونقله عن الزجّاج والخليل في تفسيره الجامع ١٣٩/١. ينظر: معاني القرآن للنحاس ٦١/١، المحرر الوجيز ١٠٥/١.

ومعنى الرقيقة: هو انطباق قلوب المتأخرين على ما كانت عليه المتقدمون من العقائد والديانات، والميل إلى شيء دون شيء، فيأتي الرجل المتأخر على مثل ما كان عليه المتقدم، من طبع وجبلة، وخير وشر، وعلم وعمل، وإدراك لمعان دون غيرها[١]، ولهذه المشابهة القلبيّة مثال حسي يضرب لأولي الألباب: وهو أن المطر يصب على الأرض فتنبت به نباتاً مختلفاً في الطباع والخاصة والصورة والمطر في نفسه طبيعة واحدة! ثم ينزل مرة أخرى / في وقت نزوله فتنبت به تلك الأرض نباتاً كالأول في تنوعه واختلاف طباعه وخواصه، حتى يكاد أن يكون هو هو! وكذلك القلوب والعقول هداها الوحي الإلهي من سماء العزة وهو واحد، فتنبت به ضروباً من العقائد والأمانات باصطلاح النصارى، فإنهم يسمّون العقيدة أمانة، ثم يأتي قرن بعد مضي قرن، فتختلف منهم القلوب بالعقائد، ويكون الاختلاف من الخالف كالاختلاف من السالف، وتكون المشابهة له منه في الآراء والنحل كالمشابهة بين النبات الأول الكائن نباته في الزمن الخالي وبين النبات الثاني الآتي نباته في الزمن المستقبل، فهما سواء في المشابهة وفي المطابقة، وبينهما ما بينهما في الأعصر والدهور.

٤٨/أ

فلما كانت هذه الرقائق سارية في الأمة ولا يكادون يشعرون بها علّمهم الله تعالى قول: (ٹ ڈ ڈ) أي: الطريق الأقصد، (ڤ ڤ ڤ ڤ) أي: بالسلامة من غفلة النصارى وتسليمهم للباطل، ومن عصيان اليهود وجحودهم للحق مع علمهم أنه الحق، ومن كل ما يشوب التوحيد الخالص الإبراهيمي المحمدي من <شوائب>[٢].

٤٨/ب

(١) في التعريفات للجرجاني ص: ١١٧: (الرقيقة: اللطيفة الروحيّة، وقد تطلق على الواسطة اللطيفة الرابطة بين الشيئين... وقد يطلق الرقائق على علوم الطريقة والسلوك وكل ما يتلطف به سرّ العبد وتزول به كثافات النفس).

(٢) كلمة (شوائب). لا توجد في الأصل، إنما يوجد علامة بوجود نقص.

وأما ما أمر الله به نبيه أن يقوله ويقولونه الأمة معه فالآيات التي في سورة / الأنعام، وهي قوله: (ﮫ ﮬ ﮭ) الآية إلى قوله: (□ □ □ □)[(١)]، وقوله: (ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ) الآية[(٢)]، وقوله: (ﭽ ﭾ ﭿ) الآية[(٣)]، فهذا ومثله هو الذي أمر الله أن يقوله، لا ما زعمتم بغير علم ولا تدبّر للقول.

وأما زعمكم أنه كان مشكِّكاً فيما يأتيه من الوحي، غير عالم ولا واثق بما وعده الله به، وبما يكون منه، واستشهادكم ببعض الآيتين، فزعم باطل، ومَثَلكم فيه كمَثَل قوم امتنعوا من الصلاة وقالوا: إن الله قال في القرآن: (ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ) < فقيل لهم: إنما قال: لا تقربوها>[(٤)] (ﮫ ﮬ) الآية[(٥)]، فقالوا: لا يحتاج إلى ذكر سبب المنع بل نمتثل! وكذلك أنتم استشهدتم بقوله: (ﭻ ﭼ ﭽ) الآية، وقوله: (ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ) الآية، ولم تتلوا الكلام من أوله، حيث يقول لنبيّه: (ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ) إلى قوله: (ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ) الآية[(٦)]، والمراد المفهوم: القول للكفار بأن الله رازقكم ورازقنا جميعاً وسواء كنّا على هدى أو في ضلال مبين، وذلك برحمانيّته العامة لجميع العالمين، كما أنه يطلع شمسه وقمره وينزل غيثه ومطره على سائر الخلق برّاً وبحراً، فهو رحمان الدنيا ورحيم الآخرة[(٧)].

---

(١) سورة الأنعام: آيات ١٦٢ - ١٦٤.

(٢) سورة الأنعام: آية ١٤. وفي الأصل: (أفغير الله) وهو غلط.

(٣) سورة يوسف: آية ١٠٨.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من هامش الأصل.

(٥) سورة النساء: آية ٤٣.

(٦) سورة سبأ: آيات ٢٤ — ٢٨.

(٧) لا خلاف بين المفسرين أن هذا القول ليس على سبيل الشك، وإنما على سبيل الإنصاف في الحجة، وهي برهان للتوحيد وبطلان الشرك. ينظر: تفسير الطبري ٢٠/٤٠١. قال الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح ٣/١٥٦: (قطب القرآن وسائر الكتب ومدارها على عبادة الله وحده، فكيف يقال: إن الرسول كان يشكّ

والقول للكفار سياقاً: / (ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ) أيرزقكم أحد منهم؟ أو يرزق نفسه؟ أو تملكون لكم أو لأنفسكم ضرّاً أو نفعاً أو موتاً أو حياةً أو نشوراً؟ (ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ) الآية. ولقد قال نبيّنا في مثل هذا المعنى: (الله أصبر على أذى يسمعه من الناس، يجعلون له أنداداً، ويجعلون له ولداً، وهو مع ذلك يرزقهم ويمدّهم)[1].

٤٩/أ

وكذلك أيضاً لم تتلوا[2] قوله تعالى عن كفار قريش: (ﭪ ﭫ ﭬ) يعني: القرآن (ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ) إلى قوله: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ)[3].

ولم تتدبروا القول فيتبين لكم أنه ﷺ نذير وبشير للناس كافة، ولليهود والنصارى عامة، وللعرب الجاهلية خاصة.

وتجدون معنى قوله: (ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ) مثل معنى قول المسيح ليلة الفصح: (المشيئة مشيئتك لا مشيئتي، فإن شئت أن تصرف عني هذا الكأس وإلا فالمشيئة مشيئتك)[4]، والقصد إنما هو تفويض الأمر إلى الله، والرجوع بالحول والقوة إليه سبحانه وتعالى.

هل المهتدي هم أهل التوحيد أم أهل الشرك؟ وهل يقول هذا إلا من هو في غاية الجهل والعناد، ثم الآية خطاب للمشركين ليست خطاباً للنصارى خصوصاً).

(١) الحديث ذكره المؤلف بمعناه، وقد أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب: الصبر على الأذى رقم: (٥٦٦٣)، ومسلم في كتاب صفة القيامة باب: لا أحد أصبر على أذى من الله، عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه مرفوعاً، ولفظه: (ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله تعالى، إنهم يجعلون له ندّاً ويجعلون له ولداً وهو مع ذلك يرزقهم ويعافيهم ويعطيهم).

(٢) في الأصل: يتلوا. والمثبت أوفق للسياق.

(٣) سورة الأحقاف: آيتا ٨، ٩.

(٤) وردت في الأناجيل الأربعة: متّى: ٣٩/٢٦، ومرقس: ٣٦/١٤، ولوقا: ٤٢/٢٢، ويوحنّا: ٣٨/٦.

وبالجملة، فكل ما في القرآن الكريم من الصفح عن المشركين والإعراض عن الجاهلين <والموادعة لهم وشبهه، كقوله تعالى: (ﭹ ﭺ ﭻ)[(١)]، وقوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ) الآية [(٢)]>[(٣)] وقوله تعالى: (ﯙ ﯚ ﯛ)[(٤)]، وقوله تعالى: (□ □ □ □)[(٥)]، وقوله تعالى: (ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ)[(٦)] وما شابه ذلك، كله منسوخ الحكم بآية السيف، وهي قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘ ﭙﭚ ﭛ ﭜ)[(٧)] وما شابهها، كقوله تعالى: (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ) الآية[(٨)]، وقوله تعالى: (ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ) الآية[(٩)]،[(١٠)].

ب/٤٩

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٩٩.

(٢) سورة العنكبوت: آية ٤٦.

(٣) زيادة من هامش الأصل.

(٤) سورة المائدة: آية ١٣.

(٥) سورة الشورى: آية ١٥.

(٦) سورة الكافرون: آية ٦.

(٧) في موضعين: سورة التوبة: آية ٧٣، وفي سورة التحريم: آية ٩. نهاية لوحة ٤٩/ب عند قوله (عليهم).

(٨) سورة التوبة: آية ٥. وهي آية السيف على الصحيح من أقوال العلماء. ينظر: الإتقان ٦٩/٣.

(٩) سورة التوبة: آية ٢٩.

(١٠) ما أشار إليه المؤلف أن آية السيف ناسخة لآيات العفو والصفح، ذهب إليه بعض المفسرين، كابن سلامة في ناسخه، وذكر أن آية السيف ناسخة لمائة آية وأربع وعشرين آية! وهو رأي مرجوح ضعيف انتقده محققو المفسرين؛ لإمكان الجمع من غير حاجة للنسخ، قال الزركشي في البرهان ٤٢/٢: (وبهذا التحقيق تبين ضعف ما لهج به كثير من المفسرين في الآيات الآمرة بالتخفيف أنها منسوخة بآية السيف، وليست كذلك، بل هي من المنسأ، بمعنى: أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما، لعلة توجب ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر، وليس بنسخ إنما النسخ الإزالة حتى لا يجوز امتثاله أبداً)، وقال الرازي في التفسير الكبير ٢٦٩/٢٨: (وأكثر المفسرين يقولون: إن كل ما في القرآن من قوله: (فَأَعْرِضْ) منسوخ

وأما ما زعمتم في قوله تعالى: (ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ) الآية[1]، أن النبيّين هم التلاميذ، رسل المسيح لا غيرهم، وأن الكتاب المنزل معهم هو الإنجيل لا سواه. فليس كذلك، وإنما النبيّون المذكورون سائر رسل الله وأنبيائه، فأوّلهم آدم وآخرهم محمد ﷺ، وأولو العزم منهم والأئمة العظماء رؤساء العالمين خمسة سمّاهم الله تعالى في القرآن، وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وبين كل رسول ورسول من هؤلاء الخمسة أنبياء ومرسلون مؤيّدون لرسالتهم داعون إليها، فيما بين نوح وإبراهيم، وبين إبراهيم وموسى، وبين موسى وعيسى، وبين عيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين. فمن نوح والطوفان وإلى إبراهيم ونمرود نحو ألف وثلاثمائة سنة[2]، ومن إبراهيم وإلى موسى

بآية القتال. وهو باطل؛ لأن الأمر بالإعراض موافق لآية القتال فكيف ينسخ بها؛ وذلك لأن النبي ﷺ في الأول كان مأموراً بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه بأباطيلهم أُمر بإزالة شبههم والجواب عنها، فقيل له: (وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، ثم لما لم ينفع ذلك فيهم قيل له: أعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان فإنهم لا ينتفعون به وقاتلهم. والإعراض عن المناظرة شرط لجواز المقاتلة فكيف يكون منسوخاً بها). ينظر: تفسير الطبري ٣٢٩/١٣، زاد المسير لابن الجوزي ٣٠٨/٣، النسخ في القرآن د. مصطفى زيد ٥٠٤/٢، وفيه تحقيق بديع فيما ادّعي نسخه بآية السيف.

(١) سورة البقرة: آية ٢١٣.

(٢) الطوفان: حادثة الغرق العام للأرض في زمن نوح عليه السلام عقاباً لعصيانهم، وهي معروفة عند أهل الملل لا ينكرها إلا بعض مجوس الهند، وهي مذكورة في القرآن والتوراة وبعض كتب الأولين. ينظر: الكامل لابن الأثير ٦٧/١، وتفسير المنار ٨٥/١٢. والنمرود هو الملك البابلي النبطي الذي حاجّ إبراهيم عليه السلام. ينظر: الكامل ١٠٣/١. وبيان المدة بين الطوفان وإبراهيم عليه السلام جاء في زيادة في حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً، ولفظها: (كم بين نوح وإبراهيم؟ قال ﷺ : عشرة قرون). وقد أخرجها الحاكم في المستدرك ٢٨٨/٢، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. والطبراني في المعجم الكبير ١١٨/٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٠/٨: (رجاله رجال الصحيح غير أحمد بن خليد، وهو ثقة). فإذا صحّت الزيادة فما ذكره المؤلف فيه نظر. قال الطبري في تأريخه ٢١١/١: (كان بين الطوفان ومولد

نحو ألف ومائة سنة[١]، ومن مخرج موسى ببني إسرائيل من مصر وإلى تجلي المسيح بجبل تابور[٢] ألف سنة وثلاث وثلاثون سنة، ومن مولد المسيح وإلى مولد سيدنا محمد / ﷺ نحو من ستمائة وأربعين سنة[٣] ٥٠/أ

والدليل على أن النبيين المذكورين هم سائر الأنبياء والرسل من آدم وإلى آخر وقت، وليس هم بطرس وبولص وتوما[٤] ومن زعمتم أنهم رسل المسيح الذين أرسلهم

إبراهيم ألف سنة وتسع وسبعون سنة، وكان بعض أهل الكتاب يقول: بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة ومائتا سنة وثلاث وستون سنة). وابن البطريق المسيحي في تأريخه ص: ٢٠: وافق الطبري في المدة. وبين نسخ التوراة (اليونانية والعبرانية والسامرية) اختلاف فاحش في بيان المدة بين الطوفان وولادة إبراهيم يدل على التحريف. ينظر: إظهار الحق ٤٣٣/٢.

(١) لم يرد نقل صحيح في المدة بين إبراهيم وموسى عليهما السلام، وجاء بأثر لا يثبت عن ابن عباس رضي الله عنه أن بينهما سبعمائة سنة، أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٩٤/٣، وفيه علي بن زيد ضعفه الأكثرون. ينظر: السير للذهبي ٢٠٦/٥. وما ذكره المؤلف قريب مما نقل عن القرطبي وغيره أن بينهما ألف سنة. ينظر: فتح القدير للشوكاني ٢٢٤/١. وعند ابن البطريق المسيحي في تأريخه ص: ٣١: أن بينهما خمسمائة وسبع سنين. والذي يظهر أن الذي بين إبراهيم وموسى عليهما السلام لا يزيد على سبعمائة سنة؛ لأن المشهور أن بينهما سبعة من الآباء. ينظر: البداية والنهاية لابن كثير ٣١/٢.

(٢) جبل تابور: يقع في أرض الجليل منفرداً عن غيره، يشرف على مرج ابن عامر، على بعد خمسة أميال ونصف الميل نحو الجنوب الشرقي من الناصرة، عرف بجبل التجلي كما جاء في إنجيل مرقس: ٢/٩ – ١٠. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: تابور).

(٣) ينظر التعليق السابق في: ل أ/٣٢ ص١٩٣.

(٤) توما: اسم آرامي بمعنى: التوءم، أحد الاثني عشر رسولاً الذين اختارهم المسيح، كان صياداً، وكرز في بلاد النهرين وفارس ثم الهند. وباسمه إنجيل (أبوكريفي) اكتشف في العصر الحاضر. ينظر: موسوعة آباء الكنيسة ٧٥/١، قاموس الكتاب المقدس (مادة: توما).

بعد موته وقبل رفعه إلى السماء وانفصاله عن الدنيا[(١)]، قوله تعالى في أول الآية: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ) الآية، وقدم ذكر البشارة على النذارة للافتتاح[(٢)]، ولم يكن[(٣)] الناس أمة واحدة قط إلا في زمن آدم، وعند أول النشوانية والتناسل منه، وكان من هابيل وقابيل ما كان[(٤)]، ومن قينات[(١)]

---

(١) الرسول عند النصارى: لقب لقائد ديني مبعوث، ويطلق خاصة على تلاميذ المسيح الاثني عشر! الذين اختارهم ليشهدوا حوادث قيامته، وأعطاهم سلطانه (معجزاته) ودعاهم للكرازة باقتراب ملكوت السماء! كما جاء في إنجيل متّى: ١٠/٢ – ٨ وغيره، وفي سفر أعمال الرسل حديث عنهم، وعن بولس الذي نال أغلب السفر، ثم بطرس (عميدهم)، وغالبهم لم يذكر إلا اسمه فقط! ، وفيه أن روح القدس نزل عليهم!. ولم يقتصر لقب الرسول على الاثني عشر بل زادوا آخرين كبولس وبرنابا، واشترط للرسول شرطان: الأول: أن يكون قد اتصل بالمسيح وعاشره وتلقى تعاليمه منه. والثاني: أن يكون المسيح دعاهم إلى خدمة معينة. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: رسول)، وموسوعة آباء الكنيسة ٦٣/١. ويلاحظ أن غلو النصارى في جماعة الرسل فرع عن قولهم بألوهية المسيح وأنه منحهم المعجزات! وهو ظاهر البطلان، كما أن سير الرسل سوى بطرس وبولس مجهولة قليلة المصادر، فهل يعقل أن يكون الرسل الذين هم الواسطة إلى المسيح بهذه الجهالة؟! مما يدل على أن غالب الأخبار النصرانية حول تلاميذ المسيح ملفّقة ولا سيما المبالغات في حال بطرس، وهي مما يخالف ما ذكره الله تعالى عن الحواريين. ينظر: الجواب الصحيح ٣٩٧/٢.

(٢) قال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط ١٢٥/٢: (وقدم البشارة لأنها أبهج للنفس، وأقبل لما يلقي النبيّ، وفيها اطمئنان المكلف، والوعد بثواب ما يفعله من الطاعة).

(٣) في الأصل: يكون.

(٤) هابيل وقابيل: ابنا آدم، قتل قابيلُ هابيلَ، وقصتهما مذكورة في: القرآن في سورة المائدة: آيات ٢٧ – ٣١ من غير تصريح باسميهما، وفي التوراة سفر التكوين: ٤ مصرحاً باسميهما. قال ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ١٦٩/٦: (في التوراة هما: قايين. والعرب يسمُّونه: قَابِيل، وأخوه: هَابِيل). وقال الشيخ أحمد شاكر في عمدة التفسير ٦٦٢/١: (وأما تسميتهما بقابيل وهابيل، فإنما هو من نقل العلماء عن أهل الكتاب، لم يرد به القرآن، ولا جاء في سُنَّة ثابتة فيما نعلم، فلا علينا ألا نجزم به ولا نرجّحه، وإنما هو قول قِيل). ينظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢١٦/١.

وعنق ما كان[٢]، لا الحواريون المدعون للرسالة كما تقدم.

ولئن قلتم: إن الناس كانوا في زمن الحواريين أمة واحدة. قيل لكم: إن بني إسرائيل كانوا أمة كبرى، والصابئون كانوا ثلاث أمم كبار، أحدها: الفرس، والثانية: الهنود، والثالثة: الصابئة عبدة الكواكب[٣]. وكانت الجاهلية عبدة الأصنام أمة

---

(١) قينات: لم أتبين مراد المؤلف في هذه الكلمة، ربما أراد رجلاً من أحفاد قابيل، والمثبت في كتب التأريخ (قينان) وأن نسله انهمكوا في اللهو والفجور والفاحشة. ينظر: الكامل لابن الأثير ٥٢/١. وورد ذكره في التوراة في سفر التكوين: ١٢/٥. أو أراد ما ذكره ابن العبري المسيحي وغيره: أن بنات قايين (قابيل) اخترعن آلات الملاهي زامرات بها، وأنهن أغرين الرجال. ينظر: تأريخ مختصر الدول ص: ٧، وقد وردت قصة تبرج نساء من ذرية آدم إغراءً للرجال عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسيره لقوله تعالى في سورة الأحزاب: آية ٣٣: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ)، وقوى إسناده ابن حجر في الفتح ٥٢٠/٨. ينظر: تفسير ابن كثير ٤١٠/٦.

(٢) يشير إلى ما ذكر من الإسرائيليات من قصة عوج بن عنق من أحفاد آدم! وهي من الكذب البين، أنكرها المحققون، قال ابن القيم في المنار المنيف ص: ٧٧: (ليس العجب من جرأة هذا الكذاب على الله، وإنما العجب ممن يدخل هذا الحديث في كتب العلم من التفسير وغيره ولا يبين أمره. . ولا ريب أن هذا (الأثر) وأمثاله من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء والسخرية بالرسل وأتباعهم). وفي سفر العدد: ٣٣/١٣ وسفر التثنية: ٢٧/١ إشارة إليها، وللسيوطي رسالة في إنكار الخبر بعنوان (الأوج في خبر عوج) ضمن رسائله في الحاوي للفتاوي ص: ٤١٠.

(٣) اختلف المؤرخون في فرق الصابئة بناءً على اختلافهم في أصل ديانتهم، وهل هم فرقة واحدة أم فرق متعددة يجمعها المسمّى فقط؟ قال ابن القيم في إغاثة اللهفان ٢٤٩/٢: (وقد اختلف الناس فيهم اختلافاً كثيراً، بحسب ما وصل إليهم من معرفة دينهم، وهم منقسمون إلى مؤمن وكافر). وينظر: الآثار الباقية للبيروني ص: ٣٠٤، وذكر الآمدي في أبكار الأفكار ٢٦٤/٢: أن فرق الصابئة أربع، هي: أصحاب الروحانيات (الأشبه أنهم المندائيون)، وأصحاب الهياكل (الصابئة الحرانية)، وأصحاب الأشخاص (الصابئة الهنود)، والحلولية. وهو قريب مما ذكره الشهرستاني في الملل والنحل ٦٧٠/٢، إلا أنه جعل بدل الحلولية: الحرنانية. كما اشتهر القول بأن الصابئة قسمان: حرّانية تعظم الكواكب وعلمها التنجيم، ومندائية في بابل متأثرة بالمجوس وأهل الكتاب. ينظر: الصابئة د.أحمد العدوي ص٧٤، الصابئة

سادسة، وكانت الفلاسفة اليونان أمة سابعة، كالجنس العالي لما تحته من أنواع، أممهم مثل: الطبيعيين والرياضيين والإلهيين وأصحاب الوقفة[١]. فلم يكن الناس في زمن الحواريين أمة واحدة.

وسأذكر فصلاً معقولاً برهانه لأولي الألباب في سبب بعثة الأنبياء إلى الناس، أولهم وآخرهم، / في زمن بعد زمن، ونبي بعقب نبي، وأنه — أعني: إرسال الرسل — من ضروريات مصالح الناس، وكمال نفوسهم، وسياستهم، وإرشادهم إلى صلاحهم في الدنيا والآخرة، وإن انضمّ إلى ذلك سياسات أخر، فأقول:

ب/٥٠

إن النوع الإنساني لما كان مدنيّاً بالطبع، ولا يمكن أن يربى فريداً، ولا ينشأ وحيداً؛ من شدة احتياجه وضرورته من حين يولد وإلى أن يموت إلى نوعه، ممن يحضنه ويربّيه ويرضعه ويكسوه ويسوسه ويقوم بمصالحه ويذبّ عنه ويميط أذاه ويعالجه في مرضه وعرضه ويعينه على قيامه بمصالحه، قضى العقل أن يكون الإنسان مع الأناسي أبداً، لتربّيه الحواضن في صغره، ويسوسه المعلمون في أول نشوئه، ويعينه الباقون على إصلاح شأنه، فيكون منهم الغارس والزارع والذابّ والدافع والغازل والنسّاج والخيّاط والحنّاط والخبّاز والخرّاز والحدّاد والنجّار والفاخوري والعطّار والحجّام والبيطار والحطّاب والحلّاج والتاجر والحمّال والساعي والسائس والراعي والمعلم والكاتب

أ/٥١

د. علي عبد الوهاب ص: ٥٢، الصابئة للأب أنستاس الكرملي منشور في مجلة المشرق ٤/٤٠٠.

(١) يقسم الفلاسفة علومهم النظرية إلى ثلاثة أقسام: علم طبيعي: وهو الذي لا يتجرد عن المادة لا في الذهن ولا في الخارج كالجسم ولواحقه، وعلم رياضي: وهو الذي يتجرد عن المادة في الذهن لا في الخارج كالمقادير، وعلم إلهي: وهو الذي يتجرد عن المادة في الذهن والخارج كالوجود المطلق. ينظر: أقسام العلوم العقلية لابن سينا: ٨٤ (ضمن تسع رسائل في الحكمة)، ومجموع الفتاوى ٩/١٢٣. وأصحاب الوقفة لهم مذهب فلسفي سوفسطي يقوم على المغالطة، يقولون بالوقف في كل شيء. ينظر: المعجم الفلسفي ٢/٢٥٨.

والمهندس والحاسب والكاحل والمتطبّب والمتعيّش والمتسبّب والفقير المستعطي والمتطوّل المعطي[(١)]، ويكون أيضاً فيهم الأمين والخائن والصدوق والمائن والداهية والأبله / والليب والأعته والغيشوم والمغتال والظلوم والمحتال والقوي والضعيف والمشروف والشريف[(٢)]، ليقوم بعضهم لبعض بالمصالح.

والعقل يقتضي أن فيهم غير الصالح، وأنهم لا يستغنون عن التبايعات والمشاركات والمزارعات والمناكحات، وفي ذلك كله من التنازع والمطالبة والتجاذب والمغالبة وقهر القوي للضعيف وشبه ذلك، وذلك موجب إثارة الشرور واتصال الفتن بين القاهر والمقهور، فيصيرون بذلك شر الدواب، وأشبه بالكلاب والذئاب، وتذهب فضيلة الإنسانية عنهم، ويعود خسيس الحيوان أفضل منهم، فقضى العقل أن لا يترك هذا النوع الشريف المستخلف على ما في الأرض بالتصريف، فلا يوجد فيها مقدار الشبر فما دونه إلا وله خلفاء من هذا النوع يملكونه، مهملاً، بل يكون لهم شرع يرجعون إليه، ويعولون في المنازعة والتجاذب عليه، وأن يكون من بارئهم العليم بمصالحهم، والخالق لصالحهم وطالحهم. وأن لا يأتي بهذا الشرع حيوان ولا ملَك، بل

ب/٥١

(١) أنواع من الحرف والصناعات: الحناط: من يبيع الحنطة أو يحنط الموتى، الخراز: من يخيط الجلد، الفاخوري: صانع الفخار، البيطار: معالج الدواب، الحطاب: من يجمع الخشب ويقطعها، الحلاج: من يعزل وبر القطن عن بذره، الساعي: من ينقل كتاباً من مكان لآخر، السائس: من يخدم الدابة، الكاحل: من يكحل العيون المريضة والمهنة من أقسام الطب، المتعيش: من يتبضع من التجار ويبيع على دابة. ينظر في كل كلمة حسب موضعها في: قاموس الصناعات الشامية، ت. ظافر القاسمي.

(٢) أحوال الناس وأوصافهم: المائن: الكاذب، الداهية: العاقل، وخبرة الأمور، المنكر العظيم، الأبله: الغافل عن الشر ولا يحسنه، الأعته: الناقص العقل، الغيشوم: الذي يخبط الناس ويأخذ كل ما قدر عليه، المغتال: العظيم السمين، أو من الغيلة وهي الخديعة. ينظر: لسان العرب ١٦٢/١٤، ٣٢٣/٥، ١٥٠/٢، ٣٢/١٠، ٥٣/١١، ١١٢/١١.

إنسان يعرفونه ويفهمون عنه، ويألفونه ولا ينفرون منه. وأن يكون معه من المعجز ما يشهدون به صدقه، ويذعنون له، ويثبتون حقه. وأن يأتي مع المعجز بكتاب يتلونه ويدينون / له، ويتشارعون به في التظالم، فينصف مظلومهم من ظالمهم، ويحكم بينهم فيما يختلفون فيه، ويهدي[1] إلى مكارم الأخلاق والحق، ويبين أمر الحلال والحرام، ويعرّف تنزيه ذي الجلال والإكرام، وأنه الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لا يتجزأ أقانيم ولا يتعدد.

وقضى العقل أن لا يأتي هذا الرسول في زمن واحد، بل في أزمنة متعاقبة، وأن لا يكون رسولاً واحداً بل رسل، طاعتهم واجبة. وأن يأتي كل واحد بما أتى به الأول ويزيد عليه، وأن يكون لهم رسولٌ خاتمٌ، ينتهي التعليم على يديه، ويكمّل التشريع والدين، ويتمّ النعمة على الموحدين. وأن يكون هذا الرسول الخاتم للنبيّين جامعاً برسالته كل ما أتى به المتقدم من المرسلين، لأنه يلزم من كمال التشريع وتمامه تمام النبوة، وليس بعد الرسول الخاتم ختام.

وقضى العقل أن لا يكون هذا النبيّ الخاتم منتسباً إلى ملة كاليهودية والنصرانية؛ فيكون عند إظهار دعوته كافراً بملته فتنفر منه النفوس وتأبى تصديقه وما جاء به، فكان ذلك كذلك، وجاء النقل بما قضى به العقل، فلم يكن خاتم النبيين يهوديّاً ولا نصرانيّاً، ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين، ولم يكْفره أهل ملة لو نسب إليها حين أظهر دعوته وخالف / تلك الملة كما نسب للمسيح مع اليهودية، إذ كان عالماً من أكبر علمائهم بالتوراة عالماً بما فيها، ثم لما أرسله الله تعالى بما أرسله واستجدّ ما استجدّه أنكرت اليهود ذلك وكفرت به وكفّرته بزعمها الفاسد.

٥٢/أ

---

(١) في الأصل: (يهتدي). والمثبت أقرب للسياق.

فهذا سبب إرسال الرسل إلى الناس، وانضم إلى ذلك أسباب كثيرة، ليس هذا موضع إيرادها وذكرها[١].

ولقائل أن يقول لكم: إن العقل السليم فطن وأدرك بسبب تخصيصكم للحواريين أنهم هم النبيّون المبعوثون مبشرين ومنذرين، وأن الكتاب المنزّل بالحق هو الإنجيل، وبما أوردتموه ونحوتموه ما سنوضحه لكم ولمطالعي هذه الأجوبة إن شاء الله تعالى: وهو أنكم لما اقتضت آراؤكم القول بالأقانيم، وأن تجعلوا في الأرض إلهاً شبيهاً بالإنسان، يفعل أفعال البشر ليكون[٢] بين أظهرهم ظاهراً، كما زعمتم أن إشعيا نبأ بذلك[٣]، واتخذتم المسيح الإله المجعول، وعبدتموه كما يعبدون اللهَ المؤمنون الموحّدون، ثم فكّرتم في الإله الحق رب العالمين فحُجبت عنكم معرفته، فجعلتم بين الذي جعلتموه إلهاً مختصراً وبين ربّ العالمين علاقة نسبية بزعمكم، وسمّيتموها روح القدس، ثم أقدمتم على الأقانيم التي اصطلحتم على الصفات الثلاث بها فقسّمتموها / ثلاثة أقسام، وسمّيتموها أباً وابناً وروحاً، وقلتم: إن الثلاثة واحد! ولم تفطنوا لتعجب العالمين منكم، وسخرتهم من جهالة من جهل شأن الإلهية، وما يجب لها ويطلق عليها، وما يجوز أو يستحيل إعزاؤه إليها[٤].

ب/٥٢

ثم فطنتم بأن الأب والابن اسمان متغايران متباينان، وأن التوالد قسمان: معقول، ومحسوس. فالمحسوس: كتوالد الحيوان، وتوالد النبات. والمعقول: كلقاح عقل إنسان

---

(١) ينظر في ضرورة الرسل والرسالات: مجموع الفتاوى ١٩/٩٣، رسالة خاتم النبيين د. الغشيان ص: ١٩.

(٢) في الأصل: لتكون. والمثبت أوفق للسياق.

(٣) تنبؤ إشعيا كما تزعم النصارى هو ما جاء في سفره: ٦/٩.

(٤) في الأصل: (إليه). والمثبت أوفق للسياق.

بعقل إنسان، فينتج عن ذلك اللقاح نتاج حكمي، وهو من باب الاستعارة لا الحقيقة، ولا يطلق على غير المخلوقين! فاستنكفتم من التثليث[١].

ثم قلتم لأنفسكم: قد سمّى المسلمون كلمة الله وروحاً منه، وسمّاه بعض أنبيائنا بالكلمة، والكلام هو[٢] صفة المتكلم، والصفة تابعة للموصوف، فالكلمة حلّت بمريم واتحدت بناسوتها، وتجسّمت وصارت بشراً سويّاً ولاهوتاً إلهيّاً، إنساناً تامّاً وإلهاً تامّاً، يفعل فعل أبيه!

ثم لزمكم أن تكملوا إلهية هذا المجعول منكم إلهاً، فكان من كمالها أن يكون له أنبياء مرسلون[٣] يرسلهم إلى العالمين في زمن إلهيته، وإن كان زمناً قصيراً بالنسبة إلى الدهور والأعصر، فزعمتم أنه بعث أنبياء إلى العالم: إمّا ثلاثة أنفار، وهم: توما، وبطرس، وبولص البديل بدل يهوذا[٤]. وإمّا الأحد عشر تلميذاً بعدّتهم. وأن بعثهم لم يكن إلا بعد أن صلب ومات، وبعد أن / قام من القبر حيّاً! كما ذكرت مريم المجدلانية في إنجيل يوحنّا[٥]. ٥٣/أ

وللقائل الأول أن يقول لكم: أتعبتم أنفسكم وكلّفتموها فوق طاقتها حيث صنعتم إلهاً مألوهاً، وجعلتموه خالقاً وهو مخلوق، وأقمتموه على وفق مرادكم وأرسلتم له رسلاً باثنتين[٦] وسبعين لغة وهم أحد عشر نفساً، ويا لله العجب! كيف تعلّموا الرسل المشار إليهم هذه اللغات؟ التي تفضل في التقسيم على سائر الأمم، في ساعة

---

(١) يزعم النصارى أن التوالد بين الآب والابن معنوي ويرمز له بالأبوة الروحية ثم يزعمون أنها حقيقية!.

(٢) في الأصل: (فهو). والمثبت أوفق للسياق.

(٣) في الأصل: (مرسلين). وهو غلط.

(٤) في الأصل: (هيرودس). وهو غلط. والمراد يهوذا الأسخريوطي.

(٥) إنجيل يوحنّا: ١٨/٢٠، وينظر التعليق السابق في: ل ١٨/أ ص١٤٥.

(٦) في الأصل: (باثنين). وهو غلط.

واحدة، من متخف مترقب خائف متستر عن أعدائه، القاتلين له. يا هؤلاء دونكم وعقول العقلاء.

وللقائل أيضاً أن يقول: من كان هذا حذْوَه وذا الرأي رأيه لا يقال له: ما الحكمة في وضع المخارف بالكنائس والمعابد؟! كنزول النار يوم سبت النور[١]، وإمساك الصليب في الهواء بالمغناطيس بقبرس[٢]، وماء ميرون[٣]، وحمل الزرازير للزيتون إلى ديرهم[٤]، وظهور الخنافيس بديرهم[١]، والزيت الفاتر بصيدنايا ظاهر دمشق[٢]،

---

(١) يزعم النصارى أن ناراً على هيئة نور من قِبل الله تنزل في كنيسة القيامة في بيت المقدس؛ لأنه موضع قبر المسيح! ويسمّى سبت النور الذي يسبق عيد القيامة. وهذا من حيل الكنائس على العامة ولا تزال إلى يومنا الحاضر، يفعلها الأرثوذكس وينكرها البروتستانت. أشار إلى هذه الحيلة: أبو عبيدة الخزرجي في مقامع هامات الصلبان ص: ٢٧٢ وأن مثلها أيضاً في كنيسة بالأندلس، والجعفري في التخجيل ٥٩٢/٢، وفي كتاب الديارات للشابشتي ص: ٣١٠ ت كوركيس عواد: أن مثل هذه النار في دير الطور في سينا.

(٢) ذكر هذه الحيلة الخزرجي في مقامع هامات الصلبان ص: ٢٧٠، والجعفري في التخجيل ٥٩٠/٢ وأن ذلك في كنيسة بالمغرب، والقرافي في الأجوبة ص: ٦٠.

(٣) ذكر المؤلف في كتابه نخبة الدهر ص: ١١٨ في ذكر عجائب البلدان المدّعاة: أن ميرون قرية من أعمال صفد فيها مغارة يابسة ليس فيها أي قطرة، يجتمع إليها ناس من اليهود في يوم من السنة هو عيد لهم يدخلون ويخرجون في المغارة وهي يابسة، ثم لا يشعرون إلا والماء يسيح فيها ساعة أو ساعتين ثم ينقطع! فيحملون الماء للبلدان ويقال: هذا ماء ميرون. والميرون عند النصارى: كلمة يونانية بمعنى: زيت، وهو مزيج سائل مركب من زيوت وأطياب، يستخدم في التعميد وتقديس المياه، وتدشين الكنائس، ويسمّى: المسحة المقدسة، وسرّ التثبيت، وسرّ روح القدس! ينظر: قاموس المصطلحات الكنسية للقمص تادرس ص: ٥٣، والموسوعة العربية الميسرة ص: ٣٣١٩. وينظر في حيلة الكنائس في ماء التعميد: ما ذكره الترجمان في كتابه تحفة الأريب ص: ١٣٧.

(٤) الزرازير: جمع زرزور، وهو طائر من رتبة العصفوريات، له منقار طويل ذو قاعدة عريضة، يستوطن أوروبا وشماليّ آسيا وأفريقية، ويشكّل تجمعه خطراً على المزروعات، ويكثر وقت جني الزيتون. ينظر: المعجم الوسيط ص: ٣٩٢.

وفيض عين التماثيل بالدمع[٣]، وأشياء مثل هذه المخارف لا تكاد تعد كثرة، ولكنّه يعـــــــذر من كـــــون نفـــــسه استمـــــــرأت[٤] واستقر عندها هذا[٥].

ولبعد عهدها عن المعقولات وتعقّلها، والمنقولات الحق والتفقّه فيها، ورؤية الحق حقّاً والباطل باطلاً ظنّت / أن العالم لم يزل خالياً من التدبير الإلهي والسياسة الربانية

ب/٥٣

وقصة الزرازير ذكرها ابن رسته في الأعلاق النفيسة في وصف كنيسة رومية العظمى، وقد أشار القزويني في كتابه: آثار البلاد وأخبار العباد ص: ١٧٤، أن بين تونس والقيروان موضعاً يقال له محقّة بها أمر عجيب: وهو أنه إذا كان أوان الزيتون قصدته الزرازير قد حمل كل طائر زيتونتين في مخلبه يلقيهما هناك، ويحصل من ذلك غلة، قالوا: تبلغ سبعين ألف درهم!.

والدير: مجمع للرهبان به كنيسة وصوامع ومرافق وله رئيس يديره، ولا يعرف دير من الديارات قديماً إلا وهو محصّن بسور. ينظر: قاموس المصطلحات الكنسية للقمص تادورس ص: ٢١، ومقدمة كتاب الديارات لكوركيس ص: ٤٩.

(١) تظهر الخنافس في يوم عيد لهم في دير دانيال شرق الموصل في العراق، وعرف الدير باسم الخنافيس. ينظر: الديارات للشابشتي ص: ٣٠٠، والذيل على الكتاب لكوركيس: (٢٥).

(٢) صيدنايا: مدينة في ريف دمشق في شمالها بثلاثين كم، اشتهرت بهوائها النقي وشتائها البارد وكثرة الكروم، وأشهر أديرتها: دير السيدة. ينظر: معجم البلدان ٤٣٨/٣. وهي غير صيدا لبنان.

(٣) ذكر هذه الحيلة: الخزرجي في مقامع هامات الصلبان ص: ٢٦٩، والقرافي في الأجوبة ص: ٥٩.

(٤) في الأصل: (تمريت) والمثبت أقرب للصواب، بمعنى: استعذب.

(٥) قال أبو عبيدة الخزرجي، والذي كان قسّاً، في كتابه مقامع هامات الصلبان ص: ٢٦٧ بعد أن وصف ما يظهر من خوارق في الكنائس بأنه بحث مخجل: (إن حذاقكم وعقلاءكم لما علموا أن دينهم ليست له قاعدة ينبني عليها، ولا أصل يرجع إليها، جمعوا عقول العامة بتخيلات موهمة، وأباطيل مزخرفة، وضعوها في الكنائس والمزارات)، ثم مثل لها، كما أن في كتاب الديارات للشابشتي فصلاً في أعاجيب الكنائس. وهذه الأعاجيب: غالبها حيل وكذب، أو أنها صحيحة ولا عجب فيها ولكن أسبابها أخفيت على العامة لتضليلهم، ولو صحّ شيء من ذلك فإنه من تلبيس الشياطين ليضلّهم ويضلّ بهم.

إلى أن ظهر الإله المصنوع فبعث للعالم رسلاً مبشرين ومنذرين! وداموا ثلاث سنين أو أربعاً أو مائة سنة، ثم خلت الأعصار والدهور من التدبير الإلهي ومن السياسة الربانية كما كانت خالية من قبل!. والله أكبر وأجل وأعظم سبحانه وتعالى رب العالمين.

فصل

ثم قلتم في الرسالة نسقاً بعد ذلك: **إن كليام وجماعة من ذوي الفطنة والمعرفة قالوا لكم عنّا – معشر المسلمين –**[١]**: إننا ننكر على النصارى قولهم: (أب وابن وروح قدس) وقولهم: (إنهم ثلاثة أقانيم) وقولهم: (إن المسيح ربّ وإله وإنه خالق)**[٢].

وإنّكم أجبتم قائلين: لو علموا قولنا هذا؛ إنما نريد به تصحيح القول: (أن الله شيء حيّ ناطق) لما أنكروا ذلك علينا؛ لأنّا – معشر النصارى – لمّا رأينا حدوث الأشياء علمنا أن شيئاً غيرها أحدثها؛ إذ لا يمكن حدوثها من ذاتها لما فيها من التضادّ والتقلّب، فقلنا: إنه شيء لا كالأشياء المخلوقة، إذ هو خالق لكل شيء، وذلك لننفي العدم عنه. ورأينا الأشياء تنقسم قسمين: شيء حيّ، وشيء غير حيّ، فوصفناه بأجل القسمين لنفي الموت عنه، فقلنا: هو شيء حيّ. / ورأينا[٣] **الحيّ ينقسم قسمين: حيّ ناطق، وحيّ غير ناطق، فوصفناه بأفضل القسمين، لننفي الجهل عنه.**

أ/٥٤

والثلاثة أسماء[٤]**: شيء حيّ ناطق، الذات والنطق والحياة، فالذات عندنا الأب**[١]**، والنطق الابن**[٢]**، والحياة روح القدس.**

---

(١) في الجواب الصحيح وفي الرسالة لم يصرح باسم القائل.

(٢) في الجواب الصحيح ٣/١٨٢ زيادة: (**وأيضاً طلبوا منا إيضاح تجسيد تجسم كلمة الله الخالق بإنسان مخلوق**). وفي الرسالة ن ٢، ن ٣: (**وأيضاً طلبوا منا إيضاح تجسّده**).

(٣) كلمة (ورأينا) تكررت في الأصل.

(٤) في الجواب الصحيح ٣/٢٢١ زيادة: (**وهي إله واحد مسمّى واحد ورب واحد وخالق واحد، لم يزل ولا يزال**). وفي الرسالة: (**فهي إله واحد لم يزل ولا يزول**).

وهذه الأسماء لم نسمّه نحن النصارى بها من ذوات أنفسنا، بل الله سمّى لاهوته بها، وذلك أنه قال على لسان موسى النبي في التوراة مخاطباً لبني إسرائيل قائلاً: (أليس هذا الأب الذي صنعك، وبراك، واقتناك؟)[٣]، وعلى لسانه أيضاً قائلاً: (وكان روح الله ترفّ على الماء)[٤]، وقوله على لسان داود النبي: (روحك القدس لا تنزع مني)[٥]، وأيضاً على لسان داود: (بكلمة الله تشدّدت السماوات والأرض، وبروح فيه[٦] جميع قواهن)[٧]، وقوله على لسان أيوب الصديق[٨]: (روح الله خلقني وهو يعلّمني)[٩]، وقوله على لسان إشعيا:

---

(١) في الجواب الصحيح ١٨٣/٣ زيادة: (**الذي هو ابتداء الاثنين**). وفي الرسالة ن ٢، ن ٣: (**أي: ابتداء الشيئين**).

(٢) في الجواب الصحيح ١٨٣/٣ والرسالة ن ٢، ن ٣ زيادة: (**الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل**).

(٣) بلفظ مقارب في سفر التثنية: ٦/٣٢.

(٤) بلفظ مقارب في سفر التكوين: ٢/١.

(٥) سفر المزامير: ١١/٥١.

(٦) في الأصل: فاه، والمثبت من الرسالة ن ٢، ن ٣.

(٧) بلفظ مقارب في سفر المزامير: ٣٣/ ٦. وفي الرسالة ن ١: (**خلقت السماوات والأرض وبروح فاه جميع جنوده**).

(٨) أيوب عليه السلام: من أنبياء بني إسرائيل الذين ورد ذكرهم في التوراة ولا يعرف له نسب، واختلف في عبريته أو عربيته، وله سفر باسمه من أسفار الحكمة، وفيه قصة ابتلائه مع المرض، وقد نقل الشيخ رحمت الله في إظهار الحق ١٣٧/١ عن بعض علماء اليهود ونصارى البروتستانت إنكارهم لشخص أيوب وأنه فرضي وكتابه حكاية باطلة وقصة كاذبة. وجمهور نقاد الكتاب المقدس ينكرون نسبته إلى أيوب وأن مؤلفه مجهول. كما في قاموس الكتاب المقدس (مادة: أيوب)، وينظر في الخلاف فيه: رسالة في اللاهوت والسياسة لسبينوزا ص: ٣٢٧. وقصة ابتلاء الله لنبيّه أيوب عليه السلام ذكرها الله في القرآن في أكثر من موضع.

(٩) جاء في سفر أيوب: ٤/٣٣ بلفظ: (روح الله صنعني ونسمة القدير أحيتني).

(ييبس القتاد ويجفّ العشب وكلمة الله باقية إلى الأبد)[١]، وقول السيد المسيح في الإنجيل المقدّس للتلاميذ الأطهار: (اذهبوا إلى جميع العالم وعمّدوهم باسم الأب والابن وروح القدس، إله واحد، وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به)[٢]. وقد قال في هذا الكتاب: (ے ے ۓ ۓ ﮔ)[٣]، وقال أيضاً: (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ) / الآية[٤]، وقال أيضاً: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ)[٥]، وقال في سورة التحريم: (ﭗ ﭘ □) الآية[٦]. وسائر المسلمين يقولون: إن الكتاب كلام الله، ولا يكون كلام إلا لحيّ ناطق، وهذه صفات جوهرية تجري مجرى أسماء، وكل صفة منها غير الأخرى، والإله واحد لا يتجزّأ ولا يتبعّض.

ب/٥٤

فالجواب: فأما ما ذكرتم من استدلالكم على معرفة الإله الخالق، وأنه شيء لا كالأشياء، فهو حق وعرفان[٧].

---

(١) بلفظ مقارب في سفر إشعيا: ٨/٤٠. وجاء في الرسالة ن ١ بعد هذا النص نصان آخران لم يذكرا هنا ولا في الجواب الصحيح، وهما: (**وقال على لسان داود النبي**: (**أنت الرب إلى الأبد وكلمتك ثابتة في السماء**)، **وقال أيضاً**: (**لكلمة الله أسبح**)).

(٢) إنجيل متّى: ١٩/٢٨، ٢٠.

(٣) سورة الصافات: آية ١٧١.

(٤) سورة المائدة: آية ١١٠، وموضع الشاهد: (**ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ**).

(٥) سورة النساء: آية ١٦٤.

(٦) سورة التحريم: آية ١٢، وموضع الشاهد: (□ □ □ □ □ □ □). وفي الجواب الصحيح ٣/٢٣٧ والرسالة ذكر موضع الشاهد من الآيات.

(٧) مراد المؤلف دليل الحدوث والاستدلال به على وجود الله، وهو دليل عند المتكلمة (المعتزلة والأشاعرة) من المسلمين، وهو ضعيف ويحتوي على مقدمات فاسدة لقضية ضرورية. ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص: ٩٨٤. وهذا الدليل لا يصح استدلال النصارى به؛ لأمور:

وأما قولكم: إنه حيّ بحياة هي روح القدس، ولولاها لم يكن حيّاً، ولولاه يوجدها لم تكن موجودة. فقول باطل ينقض بعضه بعضاً؛ إذ الموجد للحياة لولاه ما وجدت غني عنها، والذي هو حيّ بها لولاها لم يكن حيّاً فقير إليها، فاستحال أن يكون حيّاً بها وهو الموجد لها، واستحال أن تكون حيّة لذاتها وموجودة به.

ولو قلتم: إنه شيء لا كالأشياء، وحيّ لا كالأحياء. لصدقتم، ونزهتموه عن القياس بكل حيّ بحياة عرضية، ولم يضطركم القياس والتشبيه إلى القول بالنطق والتثليث، وأن الناطق المقاس عليه أفضل من غير الناطق الشبيه[١]، فوصفتم الخالق بوصف المخلوق، ولم تفرقوا بين القديم الواجب المطلق الوجود وبين المحدث الممكن المقيد الوجود.

الأول: أن زعم النصارى أن قولهم بالتثليث لدلالة العقل عليه باطل، فإن التثليث موجود بالنص المزعوم قبل دليل العقل، فكيف يكون الدليل متأخراً عن مدلوله؟!. ينظر: الجواب الصحيح ١٩١/٣.

الثاني: أن استدلالهم بهذا الدليل فيه قصور من جهات، منها: أنهم نسبوا الحدوث للأشياء مطلقاً ولم يفرقوا بين الأشياء المحدثات والله الخالق. ومنها: أن حدوث المحدَث بلا محدِث ظاهر البطلان بضرورة العقول، وليس لما فيه من التضادّ والتقلب كما زعموا. ومنها: أن تعليلهم الضعيف هو لمنع إحداثها لنفسها، فأين تعليل منع إحداثها بلا محدث؟! وكلتاهما مقدمة ضرورية فلِمَ استدل لإحداهما دون الأخرى؟!. ينظر: الجواب الصحيح ٢٠١/٣.

الثالث: أن قولهم: إنه شيء لا كالأشياء المخلوقة إذ هو الخالق لكل شيء، وإن كان صحيحاً إلا أنهم ذكروه من غير حجة، وليس دليل الحدوث دليلاً عليه. ينظر: الجواب الصحيح ٢٠٥/٣.

[١] هذا لازم قياسهم الفاسد، والناطق المقيس عليه: الحيّ بحياة عرضية، والناطق الشبيه: الحيّ بحياة ذاتية.

وألزمكم اختصاركم على التثليث[١] أن تسوقوا بواقي الأسماء والصفات القياسية كما / ابتدأتموها بالقياس، وإثبات الأفضل ونفي الأرذل[٢]، فقولوا: ورأينا الشيء الحي الناطق، فمنه: ما هو ناطق بلسان وصوت وحروف ومخارج لها وأدوات يسمع السامع منه نطقه وكلامه، ومنه: ما هو ناطق بضميره لضميره، ولا يسمع متكلماً كالمتكلم بالأدوات التي يسمع بها المخاطبين خبره وأمره ونهيه، ومنه: ما هو ناطق بالحال نطقاً مجازيّاً كما قيل في الموجودات:

٥٥/أ

فكلّ بكل ناطق وهو صامت ... يخاف ويرجو فهو يدعو ويسأل[٣]

هذا إن أردتم بالنطق الكلام[١].

---

[١] التثليث: من العدد ثلاثة يقال: ثلث الاثنين يثلثهما ثلثاً: صار لهما ثالثاً. ينظر: لسان العرب ١٢١/٢.

وأصل الكلمة عند النصارى يوناني (ثرياس) أو لاتيني (ترنيتاس) بمعنى ثالوث. ينظر: أديان العالم لحبيب سعيد ص: ٢٨٠، ومفهومه: أن الله الواحد جوهر في ثلاثة أقانيم (الأب والابن وروح القدس) متميزة أبدية متساوية في القدرة والمجد، ولم ترد الكلمة في الكتاب المقدّس، وأول من استعملها ترتليان في القرن الثاني للميلاد، وهي عقيدة ترتفع فوق الإدراك البشري. كما في قاموس الكتاب المقدس (مادة: الثالوث الأقدس)، وزعمت النصارى أن التثليث هو التوحيد! ينظر مثلاً: رسالة أشرف الحديث في شرفي التوحيد والتثليث للأصبهاني اليعقوبي ص: ٤٩، وحقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص: ٥٣. وقول النصارى: إن التثليث لا يدركه العقل، قول باطل؛ بل العقل يمنعه ويحيله؛ لكونه جمعاً بين المتناقضات، ولم يفرقوا بين ما يعجز العقل عن إدراكه وهو الذي أخبرت الرسل به، وبين ما يمنعه العقل ويعلم بطلانه كالتثليث، وهم مختلفون فيه اختلافاً كبيراً. ينظر: الجواب الصحيح ١٨٥/٣، الإعلام للقرطبي ص: ٩١، تحفة الأريب للترجمان ص: ١٣٩، تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار ٩٥/١، التخجيل للجعفري ٤٩٢/١، البحث الصريح للراسي ص: ٢٩٦.

[٢] معرفة أسماء الله وصفاته بالقياس لا تصح إلا على سبيل قياس الأولى. ينظر: التعليق السابق: ل أ/٢٩ ص١٨٠.

[٣] في الأصل: (ويرجوا. . . يدعوا). ولم أعرف قائله أو مصدره.

وإن كنتم أردتم به العلم والإدراك فتصفوه بأكمل النطقين، وهما: الكلام المسموع أو العلم الذي هو ضد الجهل.

وقولوا أيضاً: ورأينا الناطق ذا وجود في الذهن وفي الخارج، وذا وجود مفروض في الذهن دون الخارج، فوصفناه بأكمل الوصفين، فقلنا: هو شيء حيّ ناطق موجود في الذهن وفي الخارج.

وتقولوا أيضاً لزوماً واضطراراً: ورأينا الشيء الحيّ الناطق في الذهن وفي الخارج منقسماً إلى: حساس مدرك للمحسوسات، وغير حساس، والحساس أكمل، فوصفناه بإدراك المحسوس.

وتقولوا: ورأينا الحساس منقسماً إلى: متحرك باختياره، ومتحرك مجبر على الحركة، ومتحرك بغيره وليس بحيّ، والمتحرك بالاختيار أفضل، فوصفناه / بأنه حساس متحرك بالاختيار لا ساكن عطل عنها.

ب/٥٥

وتقولوا أيضاً: ورأينا الشيء الحي الناطق الموصوف المشار إليه منقسماً إلى: ذي خواص كالتخيّل والتفكّر والتذكّر والحفظ، وإلى غير ذي خواص، وذو الخواص أفضل وأكمل فوصفناه بالأكمل الأفضل.

وتسلسلوا هذه الرواية القياسية إلى أن تدلّكم على الإنسان الجامع لهذه الأوصاف لا غيره من سائر الحيوان والملائكة والجان! والحدّ[٢] له أن يقال: هو شيء حيّ ناطق مائت. أو يقال: هو حيوان ضاحك عريض الأظفار حيّ ناطق مائت.

---

(١) في لغة العرب لا يعرف النطق إلا مسموعاً، ومنه قول العرب: مالُهم ساكت وناطق. يقصدون بالساكت الذهب ونحوه وبالناطق الحيوان؛ لأن له صوتاً. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ١٦/٢٧٩. فما ذكره المؤلف من نطق الضمير محل نظر إلا أن يقال مجازاً كنطق الحال.

(٢) في الأصل: (والجد له)، والمثبت أقرب للسياق.

وسبحان الله رب العالمين عمّا وصفتموه وتصفون، وتعالى عن أن يقال له: من خلقه؟ أبداً، لولا أوامره[١].

وكذلك أيضاً يلزمكم في هذا الفحص والنظر بآرائكم أن تقولوا[٢]: ورأينا الموصوف بما وصفناه من الصفات الأكملية والأفضلية، منه: ذو اختيار وقدرة، ومنه: ما لا اختيار له ولا قدرة، والقادر أفضل، فوصفناه بالقدرة على الفعل وعلى الترك.

وتقولوا في القدرة: إنها صفة تابعة لموصوفها، وهو قديم لم يزل، فقدرته لم تزل، والقادر بقدرة لغير مقدور لا يكون، بل قادر بقدرة / لمقدور لم يزل، فيُلزِمكم القياسُ والتشبيهُ – الذي أسستم عليه التثليث — أن تقولوا في الموصوف: بأنه قادر وأنه قدرة وأنه مقدور. وكذلك يلزمكم أن تقولوا: هو المريد وهو الإرادة وهو المراد، وهو الفاعل وهو الفعل وهو المفعول[٣].

٥٦/أ

---

(١) كذا في الأصل. ولم يتبين لي معناها.

(٢) في الأصل: (يقولوا). والمثبت أوفق للسياق.

(٣) ما ذكره المؤلف لازم للنصارى؛ لأنهم جعلوا المقدور للرب المخلوق بكلمته وهو المسيح (الابن بزعمهم) أزليّاً! فساووا بين الخالق والمخلوق، لكن هذا لا يلزم على قول المسلمين المثبتين لصفات الرب وأفعاله الاختيارية وأن قدرته سبحانه تابعة لمشيئته، وأنه لم يزل قادراً، قال الإمام أحمد في الرد على الجهمية ص: ١٢٦: (كذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى، وذلك أن الجهمية قالوا: عيسى روح الله وكلمته، والكلمة مخلوقة. وقالت النصارى: عيسى روح الله من ذاته، وكلمته من ذاته. . . وقلنا نحن: إن عيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة) وقال أيضاً ص: ١٤٠: (فقالت الجهمية، لما وصفنا الله بهذه الصفات: إن زعمتم أن الله ونوره، والله وقدرته، والله وعظمته، فقد قلتم بقول النصارى، حين زعموا أن الله لم يزل ونوره، ولم يزل وقدرته. قلنا: لا نقول: إن الله لم يزل وقدرته، ولم يزل ونوره، ولكن نقول: لم يزل بقدرته، ونوره، لا متى قدر، ولا كيف. فقالوا: لا تكونون موحدين أبداً، حتى تقولوا: قد كان الله ولا شيء. فقلنا: نحن نقول: قد كان الله ولا شيء، ولكن إذا قلنا: إن الله لم يزل بصفاته كلها؛ أليس إنما نصف إلهاً واحداً بجميع صفاته؟ وضربنا لهم مثلاً في ذلك، فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة، أليس لها: جذع وكَرَب وليف وسعف وخوص وجمار، واسمها اسم شيء واحد وسميت نخلة بجميع صفاتها، فكذلك الله – وله المثل

وأي قول أظهر استحالة من هذا، أن يكون رب العالمين قادراً وقدرة ومقدوراً، تعالى الله سبحانه عن ذلك.

ثم قلتم: إن مرادكم إنما هو تعداد أسماء صفات للذات، ثلاثة أسماء صفات: شيء حيّ ناطق، أسماء مسمّاها واحد: إله واحد، رب واحد، خالق واحد. ثم أتبعتم هذا الشرح بقولكم: الذات والحياة والنطق، الذات عندنا الأب، والنطق الابن، والحياة روح القدس. تعنون أنكم اصطلحتم على هذا الهزء اصطلاحاً لأنفسكم منكراً عقلاً وشرعاً، وكنتم بهذا القول شارحين صدور اليهود، مفرحين قلوبهم، مثبتين لهم ما زعموا في المسيح وزعموا فيما بسببه قتلوه، صادق عليكم تسميتكم كفرة أهل الكتاب بشهادة القرآن وواضح البرهان به، حيث ابتدأتم في النظر وفحصتم عن معرفة الله تعالى بالمعقول، ودلّكم / الدليل الواضح < من الموجودات شيئاً >[١] على أنه سبحانه موجود ثابت الوجود أزلاً وأبداً، وعلى أنه تعالى لولا وجوده الحقّ وإيجاده لِما أوجد لم يكن موجوداً، وعلى أنه سبحانه حيّ عالم مريد قادر سميع بصير متكلم، وسمّيتم كلامه علماً ونطقاً، ثم أعرضتم عن المعقول والمنقول وقلتم في رب العزة الأحد الصمد: إنه ثلاث ذوات، أقانيم جوهرية، ثوابت الوجود، ولم يزالوا ولا يزالون[٢] أبداً مشتركين في إلهيتهم المتّحدة! وقلتم بالمعنى: إن هؤلاء الثلاثة هم: الشيئية والحياة والنطق، متفقون في الإلهية والربوبية والخلق، فهم إله واحد أب وابن وروح، كل مسمّى منهم غير المسمّى الآخر، إذ الأب غير الابن ومباين له لا محالة، والروح غيرهما كذلك، فصرّحتم بالكفر والشرك، كما قلتم في شرح معناها:

الأعلى – بجميع صفاته، إله واحد. ولا نقول: إنه كان في وقت ولا قدرة له، حتى خلق له، والذي ليس له قدرة هو عاجز). وينظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٤٩٧/٢.

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من هامش الأصل.

(٢) في الأصل: (يزالوا). وهو غلط.

إن الأب موجود لذاته، أي: لم يزل، وإنه حيّ بالروح، ناطق بالابن.

وإن الروح حيّة لذاتها، أي: لم تزل، وإنها موجودة بالأب، ناطقة بالابن.

وإن الابن ناطق لذاته، أي: لم يزل، موجود بالأب، حيّ بالروح. فأفصحتم بالشرك، وأعظمتم الفرية على الذي هو شيء لا كالأشياء [١].

ولم يكن لكم حجّة تحتجّون بها ولا أثارة من علم، ولا مخلصَ ولا مخرجَ[٢] مما أتيتم به من الشرك / الصريح، إلا أن تستندوا إلى ما زعمتم أنه في التوراة والإنجيل مكتوب، تعنون: أ/٥٧

قوله لبني إسرائيل: (أباك الذي صنعك وبراك واقتناك) ، وقول المسيح: (أبونا الذي في السماوات) ، وقوله: (يفرح بكم أبوكم الذي في السماوات) ، وقوله لمريم المجدلانية: (إني صاعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم)[٣]، مع علمكم أن لفظة الأب في اللغتين العبرانية والسريانية معناها معنى الرب[٤]، وفي اللغة العربية الرب هو: السيد

---

[١] يصح أن يُخبر عن الله بأنه شيء، ولكن لا يقال: لا كالأشياء، إلا أن يقيد بالأشياء المخلوقة؛ لكي لا يتوهم النفي المطلق، فإن الشيء الذي لا كالأشياء هو لا شيء، كما قال الإمام أحمد وغيره. ينظر: الرد على الجهمية ص: ٩٩، ودرء التعارض لابن تيمية ٢/٤١٥.

[٢] في الأصل: مخلصاً ولا مخرجاً. وهو غلط.

[٣] سبقت هذه النصوص في: ل أ/٢٢ ص١٥٦.

[٤] في ضبط كلمة الأب يقول محب الدين الخطيب في مقالة بمجلة الزهراء في المحرم ١٣٤٣هـ ١٩٢٤م ص: ١٢: (كلمة (أب) التي بمعنى الوالد، فإنها من المواد الأصلية التي توجد في كل اللغات السامية، وذلك مما يدل على وجودها في اللغة الأولى المنقرضة، فورثتها عنها اللهجات التي تفرعت منها. وغاية ما في الباب أن لفظ (أب) يختلف قليلاً في بعض اللهجات عنه في البعض الآخر: فالمتكلمون بالآرامية العراقية كانوا يلفظون هذه الكلمة بألف مفتوحة بعدها باء مشدودة مفتوحة أيضاً وفي آخرها ألف ملساء، وهذا التشديد في حرف الباء عارض لتوالي الفتحتين. أما المتكلمون بالآرامية الشامية فليفظونها بألف ممدودة بعدها باء مخففة مضمومة وفي آخرها ألف ملساء أيضاً). وجاء في قاموس الكتاب المقدس (مادة: أبو): (كلمة سامية وردت بهذا اللفظ

المالك الرابّ المربِّي لكل مربوب،كما بيّناه في غير هذا الموضع[١]، ومنه: قول بعضكم لبعض في المخاطبة بالتعظيم: يا أبانا، يا أبانا[٢].

وكقولكم في أوّل الأمانة الكبيرة: (نؤمن بإله[٣] واحد، أب ضابط للكل، خالق السماوات والأرض، صانع ما يرى وما لا يرى) ، ثم قرنتم إلى اسم الأب اسم الابن جزماً باعتقادكم الوالد والولد، وذلك قولكم في الأمانة بعد القول الأول: (نؤمن بيسوع[٤] المسيح، ابن الله الوحيد، الإله الحق من الإله الحق من جوهر أبيه) ، تصريحاً بالوالدية والولدية وتبعيض الإله، إذ لفظة (من) تقتضي[٥] التبعيض والتجزؤ، كما يقال: الجزء من الكل، وأعطني من هذا، أي: من بعض هذا[٦].

ب/٥٧

في العبرية والفينيقية والآشورية والآرامية والسريانية والسبئية والحبشية كما في العربية. وقد وردت في الكتاب المقدس بمعان كثيرة، منها: (حقيقة) على الوالد والجدّ، ورمزيّاً على الأب الروحي وللدلالة على التقارب للشيء وعلى مصدر الشيء وعلى الخالق وعلى المرشد... ويعتبر الله في الديانة المسيحية أباً... وأبوة الله تسير في اتجاهين: الاتجاه الأول: أبوته للبشر بالخلق. والثاني: أبوته للمؤمنين بالنعمة) باختصار. قال الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح ٣/٢٣٩: (إن هذا حجة عليهم؛ فإذا كان في الكتب المتقدمة تسميته أباً لغير المسيح وليس المراد بذلك إلا معنى الربّ علم أن هذا اللفظ في لغة الكتب يراد به الربّ، فيجب حمله في حق المسيح على هذا المعنى؛ لأن الأصل عدم الاشتراك في الكلام).

(١) ينظر: ل ب/٤٧ ص٢٤١، وفي كلمة (الربّ) ينظر: معجم مقاييس اللغة ٢/٣٨٢.

(٢) في الأصل: (أبونا) في الموضعين.

(٣) في الأصل: (الإله). والمثبت هو الموافق لنص الأمانة. ينظر: ما سبق: ل ب/٢٠ ص١٥٦.

(٤) في الأصل: (يا يسوع). والمثبت هو الموافق لنص الأمانة. ينظر: ل ب/٢٠ ص١٥٦.

(٥) في الأصل: (يقتضي). والمثبت أوفق للسياق.

(٦) حرف (من) ذكر النحاة له قريباً من خمسة عشر معنى، أشهرها: ابتداء الغاية، والتبعيض. ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ت. قباوة وفاضل، ص: ٣١٥.

ثم أكّدتم إفراد الأب عن الابن / والابن عن الأب، وصرحتم بالتجسيم، فقلتم في أمانتكم هذه: (إن المسيح صلب وعذب وذاق الألم والموت وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وسيأتي مرة ثانية لفصل القضاء بين الأموات والأحياء) ، وكأنما أنتم مشاهدون لما تخبرون به وتقتضونه من هذا الهزاء! إذ حَكَم معقولكم عندما وجدتم في التوراة قوله: (أباك الذي صنعك) أنها أبوة حقيقة، وأنها معنوية لا محسوسة، وأن الأب لا بد وأن يكون والداً وإلا فلا يسمّى أباً؛ وقد سمّى نفسه في التوراة أباً فلا بد له من ابن مولود منه وعنه، تكون ذاته من ذاته، وصفاته كصفاته، وليس إلا النطق والحياة الصفتان للشيئية، ولا يليق بالحياة[١] أن تكون ابناً للأب وهو حيّ بها، فالنطق هو الابن؛ لأن النطق كلام متولد عن المتكلم به وقائم في نفسه الناطقة، مولود[٢] منه باللسان والأدوات، قارع للسمع يتلقاه السمع المتقرّع به تلقياً معنويّاً، كتلقي الفرْج نطفة الولد الحسي!

وحَسُنَ القياسُ الفاسد هذا لكم والإسنادُ بالتأويل الغير صحيح إلى قول داود في المزامير: (بكلمة الله خلقت السماوات والأرض) ، وقول إشعيا: (يجف العشب وكلمة الله باقية إلى الأبد) . فقلتم في أنفسكم: هذه الكلمة هي / النطق! ولم تعلموا أن المراد تعريف العباد بأن الله يقوّم السماوات والأرض بأمره، وبكلمته قامتا وخرجتا من العدم إلى الوجود، وكلمته قوله للشيء: كن. فيكون[٣].

٥٨/أ

ولما سمّيتم الكلمة نطقاً وجعلتم النطق ابناً، ولم يكن كتابنا الكريم نزل ولا ديننا الحق ظهر، عاودتم النظر في التوراة وكتب النبوءات لعلكم تجدون شبهة تستندون إليها في زعم الأبوة والبنوة؛ إذ زعمهما من أنكر المنكرات في العقل وإن كانت معنوية لا

---

(١) في الأصل زيادة (إلا) والمثبت أوفق للسياق.

(٢) في الأصل: (مولودة) والمثبت أوفق للسياق.

(٣) ينظر: الجواب الصحيح ٣/٢٤٥.

حسية! فوجدتم في التوراة القول لإسرائيل: (أنت ابني بكري الذي ارتضيت)[١]، فجزمتم بما زعمتم في الكلمة: أنها النطق، وأن النطق ابن.

ووجدتم في التوراة أيضاً القول بما معناه: (وكان روح الله ترفّ على الماء) ، وقول أيوب الصديق: (روح الله خلقني وهو يعلمني) ، وقول داود النبي: (روحك القدس لا تنزع مني) . فجزمتم بأن الحياة التي هي إحدى[٢] الصفات الثلاث روح القدس، وجعلتموها ذاتاً متوسطة بين الأب والابن، رابطة بينهما بقوتها[٣].

وأن المسمّى أباً والمسمّى ابناً والمسمّى روحاً كمثل من يقول: الإنسان وروحه ونطقه، أو: الشمس وشعاعها وضوؤها، فإنه يسمّي ثلاثة أسماء والمسمّى والحقيقة واحد![٤].

ب/٥٨

(١) سفر الخروج: ٢٢/٤ . وإسرائيل: يعقوب النبيّ عليه السلام. ينظر: سفر التكوين: ١١/٣٥.

(٢) في الأصل: (أحد). وهو غلط.

(٣) قال الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح ٢٣٨/٣: (كلام الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يكون إلا حقاً وصدقاً، ولا يكون فيه شيء مما يعلم بطلانه بصريح العقل، وإن كان فيه ما يعجز العقل عن معرفته بدون إخبار الأنبياء. . . وقد أوجب الله علينا أن نؤمن بكل ما أخبروا به. . . وإذا كان كذلك فما ينقلونه عن الأنبياء إنما تتم به الحجة إذا علم إسناده ومتنه، فيعلم أنه منقول عنهم نقلاً صحيحاً، ونعلم أن ترجمته صحيحة، ويعلم بعد ذلك أنهم أرادوا ذلك المعنى. وليس مع النصارى حجة عن الأنبياء تثبت فيها هذه المقدمات الثلاث) باختصار. كما أشار الإمام القرافي في الأجوبة ص: ١٢١ إلى فساد النقل من كتبهم وتناقضه، وأنه لا يوثق به في الدين. وقد فسر الإمام ابن تيمية ما نقلوه عن الأنبياء بما يوافق التوحيد وينقض التثليث ويكون حجة لأهل الإسلام على النصارى. ينظر: الجواب الصحيح ٢٣٩/٣ وما بعدها.

(٤) تمثيل صورة التثليث بالإنسان أو الشمس أو النار ذكرها ابن العسال النصراني في كتابه النصائح ص: ٩٠، وبولس الأنطاكي في رسالته خلاصة معتقد النصارى نشرت في مجلة المشرق السنة الأولى، عدد: ١٨ ص: ٨٤١، والأصبهاني اليعقوبي في رسالته أشرف الحديث في شرفي التوحيد والتثليث، ولهم أمثلة أخرى شبيهة بها، وينظر: مقالة في التثليث والتجسد لبولس البوشي ص: ١٦٣ ت. الأب سمير خليل.

هذا غاية ما دلّكم عليه معقولكم / ومنقولكم.

ومن أعجب ما ادّعيتموه وأغرب ما تحرّيتموه إلى المسيح زعمكم المنكر: أنه قال في الإنجيل لتلاميذه: (اذهبوا إلى جميع العالم وعمّدوهم باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد)[1]. فنسبتموه إلى ما لا ينتسب إليه إلا الضالون من الجهل

وقد بيّن العلماء فساد هذه الأمثلة، قال الباقلاني في التمهيد ص: ١٦٥: (إن النصارى لم تنقل التثليث فيُفسد نقلها، وإنما تأولته واستدلت عليه من عند أنفسها، وضربت للحلول والاتحاد والجوهر والأقانيم الأمثال، وغلطت وأخطأت في اجتهادها وتأويلها). ومما جاء في أدلة الوحدانية ص ٧٣: (فإن كان الثالوث تمهّد لكم من هذه القاعدة (الأمثلة) فكثير يجيد غيركم من الثنوية والطبائعيين والمنجمين من هذه الأمثلة الفاسدة، بل تزيدون أنتم عليهم في الفساد فتجعلون بين القديم والمحدث ممازجة!). وقال القاضي عبد الجبار في المغني ١٠٣/٥ عن التمثيل بالشمس: (وهذا بعيد؛ لأن ضياء الشمس غير الشمس، وصفته تخالف صفته، وبعضه غير بعضه، وذلك لا يصح عندهم في الأقانيم). وقال الإمام ابن تيمية في الجواب ٢٩٦/٣: (وتمثيلهم بشعاع الشمس حجة عليهم لا لهم. فإن الشعاع القائم بالهواء والأرض والجبال والشجر والحيطان ليس هو قائماً بذات الشمس، والقائم بذات الشمس ليس هو قائماً بالهواء والأرض)، وأيضاً: ٤٨٤/٣. وينظر: ردّ ابن حزم في الفصل ١١٧/١، والخزرجي في مقامع هامات الصلبان ص: ١٤٠، ١٤١، والحسن بن أيوب في الجواب الصحيح ١١٦/٤، والقرافي في الأجوبة الفاخرة ص: ١٢٥، ونصر المتطبب في النصيحة الإيمانية ص: ٦٤.

(١) هذا النص (المذكور في إنجيل متّى: ١٩/٢٨) يستدلّ به النصارى على التثليث وهو أصرح ما عندهم، وهو لا يصح لا نقلاً ولا معنى:

فأما النقل: فإن إثبات أن المسيح قاله يحتاج إلى دليل، ولا يكفي ثبوته في إنجيل متى؛ وذلك لضعف موثوقية الأناجيل ولتفرده بين الأناجيل، كما أثبت النقد الحديث بطلان النص وأنه دخيل على الإنجيل، وذلك من وجوه، منها: أن متّى اعتمد في إنجيله على مرقس، ويكاد يجمع الباحثون على أن خاتمته دخيلة، ولا يذكر فيها التعميد باسم الثلاثة. ومنها: أن صيغة التثليث لم تكن معروفة في عصر الرسل المسيحي! ومنها: لو كان ثابتاً وفيه التبشير بين الأمم غير بني إسرائيل لما اختلف التلاميذ في ذلك. ومنها: أن التلاميذ قاموا بالتعميد باسم المسيح وحده

والضلال والشرك الصريح والكفر بما في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وبما قاله هو في الإنجيل وأمر به من القول بالتوحيد والتفريد، واعتقاد أحدية الإله وصمديّته وتنزيهه عن كل ما سواه[(١)].

وصدّقتم اليهود وزكيتم قولهم عنه: إنه كان ضالّاً مضلاً؛ ولذلك قتلناه وصلبناه، وإن المسيح الذي نبأت به الأنبياء لم يأت بعد، وإنّنا في انتظاره، وإذا أتى صدّقناه وتبعناه![(٢)] فنسأل الله العافية، ونحمده على الهداية.

ثم لما جاء الله بالإسلام، وأنزل القرآن المجيد على نبيّنا عليه السلام، واتصل بكم لترتيب الحجة عليكم، كما قلتم: إنكم قرأتموه وفهمتموه، ووجدتم فيه: وصف المسيح بأنه رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأنه عبد الله آتاه الكتاب والحكمة

٥٩/أ

وليس الثلاثة، كما في سفر أعمال الرسل: ٣٨/٢. ينظر: تثبيت دلائل النبوة ١١٤/١، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص: ٦١، الله جل جلاله واحد أم ثلاثة؟ د. السقار ص: ١٦٠.

وأما بطلانه معنى: فإنه لو صحّ نقله عن المسيح لم يصحّ تعيين معناه في التثليث؛ لكونه محتملاً له ولغيره، وحمله على معنى التثليث ترك للمعنى الموافق للمعهود من كلام المسيح في كتبهم، إلى معنى متأخر لم يكن يعرف في زمن المسيح ولا تلاميذه، بإقرار النصارى، وتحريف للمعنى الموافق للعقول إلى المناقض لها، ومعنى النص الموافق لسائر كلام المسيح، أي: مروا الناس أن يؤمنوا بالله وبنبيّه الذي أرسله وبالملَك الذي أنزل عليه الوحي الذي جاء به. ينظر: الجواب الصحيح ١٩٣/٣، ١٦٠/٤، الإعلام ص: ٦٥.

(١) ينظر في جمع بعض أقوال المسيح في الدعوة إلى التوحيد: إظهار الحق ٧٣٦/٣.

(٢) الاعتقاد بصلب المسيح وقتله حجة لليهود على النصارى بنفي رسالته، وأن الرسول المنتظر المذكور في كتبهم ليس هو المسيح؛ لأن علامته العزة والتمكين، قال ابن كمونة اليهودي في كتابه تنقيح الأبحاث ص: ٦١: (وقد جاء في كتب الأنبياء من علامات المسيح وما يكون في زمانه ما لم يظهر في إيشوع ولا في زمانه)، وصلب المسيح وإلحاق الذلة به وتفرق أصحابه دليل على أنه لم يكن هو الموعود المنتظر في الكتب. وهذا القدح من اليهود في المسيح غير مسلم به؛ لأن نبوته ثبتت بطرق متعددة، لكنه لازم للنصارى حين يعتقدون بالصلب وأن الله لم ينجه من كيد أعدائه. ينظر: الإعلام للقرطبي ص: ١٨٠.

وجعله نبيّاً مباركاً أينما كان، وأوصاه بالصلاة والزكاة، / وأيده بروح القدس، وجعله وأمّه آية للعالمين، وأنه لن يستنكف أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقرّبون، أي: الذين هم الملأ الأعلى.

ووجدتم فيه أيضاً: تحريم الشرك والتحذير منه، وأنه ظلم فاحش وضلال بعيد وإثم عظيم وذنب لا يغفر.

وأقررتم بأن نبيّنا ﷺ رسول الله أرسله إلى العرب، واستشهدتم ببعض آيات من القرآن الذي أنزل عليه؛ لزمتكم حجة الله تعالى بما علمتموه من وحيه هذا، وبما بيّنه لكم والعالم من أمر المسيح واختلاف أهل الكتاب فيه. فجذبكم الغلو والتمسك بظاهر قوله تعالى عن المسيح: إنه كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، من غير تدبّر لمفهوم الكلمة ولا تفقّه لمعنى الإلقاء، فجسّمتم المعنى اللطيف، وأنزلتم التسمية للكلمة منزلة الولد المولود من الوالد!

ولم تفطنوا أن التسمية للمسيح بالكلمة تكْرِمة له وتشريف من الله تعالى، وتخصيص خصصه به: كتخصيص آدم أبي البشر بتسميته النفخ فيه من روحه وسجود الملائكة له، والإشارة إليه في التوراة عند ذكر بدء الخليقة بالشبه والمثال[1]، ب/٥٩

---

[1] إشارة إلى ما ورد في قصة الخلق في سفر التكوين: ١/٢٦، ٢٧: (وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. . . فخلق الله الإنسان على صورته، وعلى صورة الله خلقه). وفي صحيح البخاري في كتاب الاستئذان باب: بدء السلام رقم: (٥٨٧٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: (خلق الله آدم على صورته). قال الإمام ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية ٦/٣٧٣: (هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله، فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة، وسياق الأحاديث كلها يدل على ذلك. وهو أيضاً: مذكور فيما عند أهل الكتابين من الكتب، كالتوراة وغيرها). والصورة: هي هيئة الشيء القائم بنفسه وشكله، والصورة لله كغيرها من الصفات التي تختص به سبحانه إذا أضيفت إليه على ما يليق به، من غير تمثيل ولا تعطيل، وإذا أضيفت إلى

وتخصيص إبراهيم / بالخلة، وتخصيص موسى بالتكليم، وتخصيص محمد بالمحبّة والرؤية[(١)].

ولم يكن آدم إلهاً مسجوداً له من دون الله تعالى، ولا كان إبراهيم متخلّلاً بذاته ذاتَ الله، ولا كان موسى سامعاً لكلام الله كسماعه للكلام الإنساني، لأنه لو كان كذلك لم تكن له مزية ولا تخصيص[(٢)]، ولا كان عيسى المسيح كلمة الله وروحاً منه

المخلوق اختصت به. ينظر: بيان تلبيس الجهمية (قسم الدراسة) ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(١) لم يثبت حديث في اختصاص نبيّنا ﷺ بالمحبة مطلقاً، وإنما ثبت له أعلى المحبة وأكملها وهي الخلة، كما ثبتت لإبراهيم عليه السلام، قال الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٠٤/١٠: (وقول بعض الناس: إن محمداً حبيب الله وإبراهيم خليل الله، وظنه أن المحبة فوق الخلة، قول ضعيف، فإن محمداً أيضاً خليل الله، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة المستفيضة). ينظر: شروحات العلماء على قول الطحاوي في عقيدته: (وحبيب رب العالمين).

وأما اختصاصه بالرؤية فثبت في الأحاديث أنه ﷺ رأى ربه بفؤاده وفي منامه، واختلف العلماء: هل رأى ربه بعينه؟ قال الذهبي في السير ١٦٧/٢: (لم يأتنا نص جلي بأن النبي ﷺ رأى ربه بعينه). وجاء إثبات الرؤية مطلقاً عن ابن عباس رضي الله عنهما، ونفي الرؤية عن عائشة رضي الله عنها، قال ابن حجر في الفتح ٦٠٨/٨: (الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة: أن يحمل نفيها على رؤية البصر، وإثباته على رؤية القلب). ينظر: الشفا للقاضي عياض ٢٥٨/١، مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥٠٧/٦.

أخرج بن أبي عاصم في السنة ص: ١٩٢ رقم: (٤٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم عليه السلام، والكلام لموسى عليه السلام، والرؤية لمحمد ﷺ). قال الألباني: إسناده صحيح على شرط البخاري. وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد ٤٧٩/٢، والحاكم في المستدرك ٥٠٩/٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

(٢) ما ذكره فيه نظر، ولو قال: ولم يكن سماع موسى لكلام الله كسماع غيره، لصحت العبارة؛ فإن المزية لموسى عليه السلام أنه سمع كلام الله مباشرة من غير واسطة وهو بجانب الطور، قال ابن القيم في مختصر الصواعق (ت. العلوي) ١٣٧٥/٣: (وكلام الرب تعالى، بل كلام كل

متبعّضة: منفصلة كانفصال الأجسام أو متصلة كاتصال الكلام والأرواح المعلومة للمعقول، ولا كان محمد رائياً ربّه كرؤية البصر للمبصرات، بل شرّف الله سبحانه كل واحد منهم بتشريف خاص مناسب له متميز به، يلوح عليه لأهل الذوق لائحة سنا برق ذلك الاختصاص، ويفهمون منه الإشارة بعبارة تلك التسمية التي اختص بمسمّاها.

كما فهمنا نحن المسلمين[1] الإشارة إلى هذه التخصيصات الستة لهؤلاء الرسل الكرام الستة من عبارة الكلمات الست[2] التي علمنا إياها نبيّنا محمد ﷺ ، وهي قول: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)[3].

متكلم، تدرك حروفه وكلماته بالسمع تارة وبالبصر تارة، فالسمع نوعان: مطلق ومقيد، فالمطلق ما كان بغير واسطة كما سمع موسى بن عمران كلام الرب تعالى من غير واسطة، بل كلمه تكليماً منه إليه، وكما يسمع جبرائيل وغيره من الملائكة كلامه وتكليمه سبحانه، وأما المقيد فالسمع بواسطة المبلغ، كسماع الصحابة وسماعنا لكلام الله حقيقة بواسطة المبلغ عنه. . . وأما النظر فعلى نوعين أيضاً، فإن المكتوب قد يكتبه غير من يتكلم به فيكون الناظر إليه ناظراً إلى الحروف والكلمات بواسطة ذلك الكاتب، وقد يكون المتكلم نفسه كتب كلامه، فنظر الناظر إلى حروفه وكلماته التي كتبها بيده، كما سمع منه كلماته التي تكلم بها، وهذا كما كتب لموسى التوراة بيده بغير واسطة، كما في الحديث الصحيح في قصة احتجاج آدم وموسى، وفي حديث الشفاعة وغير ذلك، فجمع لموسى بين الأمرين: أسمعه كلامه بغير واسطة، وأراه إياه بكتابته). ينظر: مجموع الفتاوى ١٦٢/١٢.

(١) في الأصل: (المسلمون).

(٢) في الأصل: (الستة).

(٣) وردت أحاديث في فضل هذه الكلمات، منها: ما أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢١٠/٢، والترمذي وحسنه في سننه (ح٣٤٦٠)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٥٠٣/١ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : (ما على الأرض رجل يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا

أ/٦٠

والمعنى المفهوم من إشارتها[(١)]: أن موسى بن عمران عليه السلام لم يزل قائلاً بالحال والقال /: سبحان الله، سبحان الله. تعجباً من سماعه الخطاب من النار والشجرة، ومن انقلاب العصا في يده حيّة تسعى وانقلاب الحيّة عصا كما كانت، ومن شهوده لضرباته العشر[(٢)] التي ضربها فاعلاً بذلك فعل الإله، كما رمى نبيّنا التراب والحصى بكفّه في أعين الكفار فهزمهم، وقال الله في ذلك: ﴿ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ﴾[(٣)].

وأن المسيح عليه السلام لم يزل بالحال والمقال قائلاً: الحمد لله، الحمد لله. على تعداد النعمة عليه وعلى أمّه بإلقاء الكلمة إليها، وتأييده بروح القدس، وإحيائه للموتى مثل العازر[(٤)] وغيره ممن أحياهم بإذن الله، وإبرائه للأكمه، وتنقيته للأبرص، ونفخه الطير الطين فيكون طيراً بإذن الله.

وأن نبيّنا ﷺ لم يزل بالقال والحال قائلاً: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله. حتى خلت جزيرة العرب من الأصنام، وعُبد الله وحده في أقطار الأرض، وأَذل المشركين

كُفِّرت عنه ذنوبُه ولو كانت أكثر من زَبَد البحر)، حسّنه الألباني في صحيح الجامع: (ح٥٦٣٦). وقد فسرت الباقيات الصالحات بهذه الكلمات. ينظر: جزء في تفسير الباقيات الصالحات للحافظ العلائي ص: ٣١.

ب/٦٠

(١) لم أجد من فسّر هذه الكلمات بما أشار إليه المؤلف من دلالتها على الأنبياء. وتخصيص كل نبيّ بكلمة منها لا يصح؛ لأن هذا الذكر قائم على التعظيم والتوحيد لله الذي بعث به جميع الأنبياء، فأحوالهم فيه على الكمال، ومثل هذا التخصيص لا يصح إلا بدليل، فكل نبي رآى من المعجزات ما يوجب التسبيح، ومن النعم ما يوجب الحمد، وبعثوا جميعهم بالتوحيد، وواجهوا من أقوامهم من الشدة والعناد ما يطلب التبرأ من الحول والقوة إلا بالله.

(٢) في الأصل: (العشرة).

(٣) سورة الأنفال: آية ١٧. وقد نزلت في غزوة بدر الكبرى. ينظر: تفسير ابن كثير ٣١/٤.

(٤) كذا في الأصل. وفي إنجيل يوحنّا: ٤١/١١: (لعازر). وهو رجل من بيت عنيا. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: لعازر).

كفرة أهل الكتاب في غالب الأرض فأعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، ورفع علم الهدى للعالمين، وأعلى الله به دين الإسلام، وكلمة التوحيد على كل دين، حتى إنه في كل يوم من أيام الدهر ينادي مناديه: لا إله إلا الله. بأعلى مكان بكل بقعة / على شرف[١] بأحسن صوت من أشرف قائل ومخلوق – أعني: الإنسان – وفي كل يوم وليلة خمس مرات.

وأن إبراهيم عليه السلام لم يزل قائلاً بالحال والمقال: الله أكبر، الله أكبر. إعلاناً بالحق وتبكيتاً لنمرود، وتعريفاً للصابئة عبدة الكواكب، حتى دان العالم في زمنه بدين الحنيفية[٢]، شاهدين بأن الله هو المعبود الحق، لا إله إلا هو الكبير المتعال.

وأن آدم أبا البشر لم يزل قائلاً بالحال والمقال: لا حول إلا بالله. وذلك عند رؤية كل بلية ومحنة وفتنة؛ إذ خلق هو وذريته للامتحان والتكليف والابتلاء، وأخرج من الجنّة مع حواء إلى الأرض، وسلّط عليه إبليس وعلى ذريته، وعصى آدم وإبليس بمعصية مشتركة، فآدم نُهي عن الشجرة فخالف، وإبليس أُمر بالسجود لآدم فخالف، ثم تاب الله على آدم وهداه[٣].

---

(١) أي: مكان عالٍ ومرتفع. ينظر: معجم مقاييس اللغة ٣/٢٦٤.

(٢) الحنيفية: في اللغة: الحنف هو الميل واعوجاج في القدم، والحنيف عند العرب الذي يستقبل البيت الحرام ويتبع ملة إبراهيم عليه السلام، ودين الحنيفية هو الميل إلى الإسلام والتوحيد ومجانبة الشرك، كما قال تعالى في سورة آل عمران: آية ٦٧: (ﮋ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﮊ). ينظر: لسان العرب ٤/٢٥٠، النهاية لابن الأثير ١/٤٥١.

(٣) روى أبو نعيم في الحلية ٧/ ٢٧٢ عن ابن عيينة رحمه الله قال: (من كانت معصيته في الشهوة فارجُ له التوبة؛ فإن آدم عليه السلام عصى مشتهياً فغُفر له، وإذا كانت معصيته في كِبْر فاخشَ على صاحبه اللعنة؛ فإن إبليس عصى مستكبراً فلعن). وينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٠/٨٥.

وأن نوحاً عليه السلام لم يزل قائلاً بالحال والقال: لا قوة إلا بالله، لا قوة إلا بالله. تفويضاً إلى الله وتوكلاً عليه واستعانة على كفار قومه بالله، وتكذيبهم لنوح وصبره على أذاهم له ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعمله للسفينة وحشر سائر الحيوان إليها، ليحمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين، وعلى هول الطوفان وجريان السفينة في موجٍ كالجبال، ومثل هذه الأهوال.

فالمسيح كلمة الله بمعنى أنه مخلوق / بكلمة الله، التي هي قوله للشيء الذي يريد كونه: كن. فيكون، وتخصص بالتسمية لذلك، ولأن مَثَله كمَثَل آدم، ولأنها اسم تكرمة له من الله تعالى. ٦١/أ

وأي فرية على الله وعلى المسيح أعظم من القول بتجسّم كلمة الله تعالى التي هي من صفات ذاته وانقلابها وهي خالقة — بزعمكم — انقلاباً بالتدريج والممازجة والحلول والاتحاد بناسوت مريم إلى ناسوت المسيح المخلوق المولود بالكلمة من مريم أمّه، إلهاً تامّاً وإنساناً تامّاً، مولودين معاً؟![1]

(١) عقيدة التجسد عند النصارى من أهم العقائد وأشكلها، وقد اختلفت عباراتهم في التعريف بها، قال الأصفهاني اليعقوبي في رسالة أشرف الحديث ص: ٤٩: (اعلم أن قاعدة الاتحاد قاعدة عظيمة اضطرب فيها الأولون وتبعهم الآخرون، ولذلك اختلفت فيها عبارات القوم، قالوا: اتّحد، وتجسّد، وتدرّع، وتأنس، وظهر، وانطبع، وانتفس، وغير ذلك؛ وذلك كله للجهل بالحال). وينظر: المغني لعبد الجبار ٨٢/٥. واعترف سبينوزا بجهله بها، كما في رسالة في اللاهوت والسياسة ص: ١٣٤: (إنني لن أتحدث مطلقاً عن نظرة بعض الكنائس إلى المسيح، لا لأني أنكر ما تثبته، بل لأني لا أفهمها، وأعترف بذلك عن صدق).

وقد اتفقت فرق النصارى المؤلهة للمسيح على عقيدة التجسد، واختلفت في طبيعته وكيفيته ووقته؟ فقالت النسطورية: إن اللاهوت حلّ بالناسوت المحدث، فكان المسيح ذا طبيعتين ومشيئة واحدة. وقالت الملكانية: إن اللاهوت اتحد بالناسوت الكلي الأزلي، فالمسيح ذو طبيعتين ومشيئتين. وقالت اليعقوبية: إن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت صيره طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، وقولهم أخبث الأقوال؛ لزعمهم أن العوارض البشرية من ولادة وألم وصلب. . .

مع استحالة هذا القول أصلاً وفرعاً وعقلاً وشرعاً.

لحقت الإله. كما اختلفوا: هل الاتحاد باختلاط وممازجة أو بمجاورة؟ فشبهته النسطورية بحلول الماء في الإناء، أو الماء والزيت، أو الصورة في المرآة، وعند اليعقوبية باتحاد الماء باللبن أو الخمر، وعند الملكانية بالفحمة تكون ناراً، وزعمت المارونية: أنه جرى كجريان الماء في الميزاب. قال الأصفهاني في رسالة أشرف الحديث ص: ٤٩، بعد سياق أقوال الفرق الثلاث: (وهؤلاء أصول النصارى ومن سواهم يتطفل عليهم ويرجع إليهم). وعلى مذهب اليعقوبية غالب كنائس الأرثوذكس، وأخذ بمذهب الملكانية الكاثوليك والبروتستانت.

وكل ذلك من الباطل البين الذي تنكره جميع الأديان، إنما هو من دخيل الوثنية على النصرانية.

ينظر في حكاية مذاهبهم وردّها مثلاً: ما كتبه المؤرخ ابن البطريق الملكاني في تأريخه ١٥٩/١ في ردّ مذهب النسطورية واليعقوبية، أو الأصفهاني اليعقوبي في رسالة أشرف الحديث ص: ٥١ في ردّ مذهب الملكانية والنسطورية، أو عفيف بن مؤمل الملكاني في رسالة لاهوتية تاريخية في مذاهب النصارى (نشرها لويس شيخو في كتابه محاورات جدلية ص: ٧٣). أو اليهودي ابن كمونة في ردّه على الفرق الثلاث في تنقيح الأبحاث ص: ٥٤.

وأما ردود علماء المسلمين فكثيرة، من أوسعها ردّ القاضي الجعفري في التخجيل ٤٧٥/١، مما قاله بعد إبطاله لكل فرقه: (ومما يرد على الجميع ويفسد عليهم دعوى الاتّحاد: قول فولس في الرسالة الثالثة (كورنثوس الثانية: ١٣/ ٥، ٦): (أولستم تعلمون وتوقنون بأن يسوع المسيح حال فيكم، ولئن لم يكن حالّاً فيكم إنكم لمرذولون، وأنا أرجو أن تكونوا لستم بمرذولين). فيجب على مقتضى قول فولس أن يكون اتّحاد اللاهوت بناسوت المسيح كاتّحاد المسيح بناسوت أمته ومتّبعيه! ولئن كان من المستحيل أن يتّحد جسم المسيح بأجساد آلاف من النصارى في أقطار الأرض، فاتّحاد القديم جلّ جلاله بجسد المسيح أجدر بالاستحالة!). وفي كتاب النصيحة الإيمانية للمهتدي نصر المتطبب ص: ٦٥ وصف قولهم في الاتحاد بأنه من أشنع المذاهب وأفحشها، ثم أبطله. وينظر: الإعلام ص: ٨٩، والجواب الصحيح لابن تيمية: المجلد الرابع، ومما أشار إليه ٢٥٢/٤: أن كل شيئين اتّحدا فإنهما يكونان شيئاً ثالثاً، وإلا لم يكن اتحاد. وفي ١٠/٤: أن الإنسان إذا لم يستطع أن يرى الله في الدنيا كان أن لا يستطيع الاتصال به ومماسته فضلاً عن الاتحاد به أولى وأحرى.

واستحالة الممازجة والحلول والانقلاب من الربوبية إلى العبودية، ومن القدم والواجبيّة إلى الحدوث والممكنيّة[١]، وامتناع ذلك؛ إذ الربّ ربّ لذاته والعبد عبد لغيره، والربّ لا يكون عبداً.

فاستحال أن يكون المسيح ربّاً خالقاً وهو[٢] مربوب مخلوق، ولدته أمّه وهو طفل[٣]، وأرضعته وربّته بحضانتها محمولاً على الأيدي من قضاء التلهي، يبكي ويضحك وينام ويبول ويتغوط[٤]، وكان له إخوة وأخوات، كما هو مكتوب في الإنجيلات: إن يسوع[٥] وأمّه وإخوته وتلاميذه صعدوا للعيد ومروا إلى العرس[٦]، وكان يسوع أصغر إخوته وأخواته[٧]، وختنته أمّه وهو ابن ثمانية أيام على سنة موسى[٨].

---

(١) القدم: الذي لم يسبق بعدم، ويقابله الحدوث: الذي يسبقه العدم. ينظر: التعريفات للجرجاني ص: ١٧٩. الواجبية: أي واجب الوجود: الذي متى فُرض معدوماً غير موجود لزم منه محال، ويقابله الممكن: الذي لا استحالة في وجوده ولا في عدمه. ينظر: معيار العلم للغزالي ص: ٣٤٤.

(٢) كلمة (وهو) من هامش الأصل.

(٣) في الأصل: (طفلاً) وهو غلط.

(٤) في الأصل: (تبكي وتضحك وتنام وتبول وتتغوط) والمثبت أوفق للسياق.

(٥) في الأصل: (إيسوع).

(٦) ينظر مثلاً: إنجيل يوحنّا: ٢/ ١٢.

(٧) جاء في إنجيل متّى: ٢/ ٧: (فولدت ابنها البكر) فوهم المؤلف بجعل المسيح الأصغر.

(٨) ينظر: إنجيل لوقا: ٢/ ٢١.

وفي الإنجيلات: إن / مريم لما جاءها المخاض وهي في الفندق ببيت لحم[١] وليست عندها قابلة ذهب يوسف النجار وأتاها بامرأة رابية اسمها سليمة[٢]، فقبّلت يسوع وأرضعته وملّحته ولفّته بخِرق، ونومته في مذود حمار في الفندق[٣].

ب/٦١

وفي إنجيلاتكم: إن يسوع رقد في السفينة وهاجت الرياح وكان معه تلاميذه فنبهوه، وقالوا له: قم اطلب فينا إلى الله تعالى[٤].

وفي إنجيلاتكم أيضاً: أنه دخل العرس < و >[٥] أكل وشرب ورقد سكران في منزل سمعان كصفا[١] وهو مريض، فجاءت إليه الزانية امرأة سامرية وقبّلت رجليه ولم يعلم بها[٢].

---

(١) بيت لحم: اسم عبري بمعنى: بيت الخبز. بلدة صغيرة جنوب بيت المقدس بستة أميال، ولها أهمية عند اليهود والنصارى، لكونها مسقط رأس داود وولادة المسيح عليهما السلام، وفيها أقدم كنيسة تعرف باسم كنيسة الميلاد. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: بيت لحم) معجم البلدان ١/٥٢١.

(٢) هي سالومي أو سالومة: زوجة زبدي، اتبعت المسيح وخدمته في الجليل. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: سالومة).

(٣) حالة المخاض في ولادة المسيح في الأناجيل القانونية مبهمة: جاءت في إنجيل متّى: ٢ مختصرة، وفي إنجيل لوقا: ٢/٧ بأوسع منه، وفيه: إثبات ولادته في بيت لحم اليهودية في عهد الملك هيرودس، وأن أمه قمّطته (لف المولود بثوب) وأضجعته في مذود (معلف الدواب)؛ لأنهما لم يكن لهما موضع في الفندق (منزل لإيواء المسافرين). وأغفل الولادة إنجيلا مرقس ويوحنّا. وتوسعت الأناجيل المنحولة (الأبوكريفيا) في الولادة: ففي إنجيل البداية ليعقوب: ١٧ – ٢٠: إثبات ولادته في كهف، وأن يوسف خرج يبحث عن قابلة، فوجد قابلتين: زالومي، سالومي. وأن سالومي قبّلته وحملته. ومثله في إنجيل شبيه متى: ١٣.

(٤) ينظر: إنجيل متّى: ٨/٢٤، ٢٥. وفيه: (وقالوا له: يا سيد نجّنا، فنحن نهلك)، وإنجيل مرقس: ٤/٣٧، وإنجيل لوقا: ٨/٢٢.

(٥) في الأصل سقطت الواو.

وفي أناجيلكم أيضاً: أنه لما بلغ عمر يسوع ثمانية أيام ذهبت به أمّه إلى الكاهن ليقرب قرباناً كما أمر الله لبني إسرائيل، فلمّا رآه سمعان الإمام[٣] بان له، فقال سمعان: أي بلاء يظهر من هذا الصبي على بني إسرائيل[٤].

وأنه لما بلغ هيرودس أو هدورس الملك[٥] خبر يسوع طلبه ليقتله، فهرب به

يوسف النجار إلى مصر ومعه سليمة الرابية[١] وأمّه مريم، وعلّمه بمصر الصباغة[٢]، وعالج أعمالاً وصنائع كثيرة، حتى مات هدورس الملك فعاد به يوسف إلى الشام[٣].

وأنه أوّل عجب عمله يسوع بعد قدومه من مصر أن حوّل الماء خمراً[٤].

٦٢/أ

(١) كذا في الأصل، يريد سمعان الصفا (بطرس) سبقت ترجمته في: ل ب/١٧ ص١٤٧. والمرأة الخاطئة إنما قبّلت رجلي المسيح في منزل سمعان الفريسي. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: سمعان).

(٢) ورد في إنجيل متّى: ١٩/١١ وصف ابن الإنسان (وهو المسيح في تفسير النصارى) بأنه شريب للخمر، ولم يرد أن المسيح شرب خمراً، وإنما صنع من الماء خمراً في عرس قانا الجليل كما في إنجيل يوحنّا: ٢. وورد تقبيل المرأة لرجلي المسيح في إنجيل لوقا: ٣٤/٧، ٣٧ – ٥٠.

(٣) سمعان: اسم عبري بمعنى: مستمع. ويعرف (بالشيخ) وصف في لوقا: ٢٥/٢: (وهذا الرجل كان بارّاً تقيّاً ينتظر تعزية إسرائيل... وكان قد أوحي إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب). ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: سمعان).

(٤) ينظر: إنجيل لوقا: ٣٤/٢، وفيه قول سمعان لأم المسيح: (ها إن هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل، ولعلامة تقاوم).

(٥) هيرودس الكبير: الابن الثاني لأنتيباس الدومي الأصل، حكم فلسطين عام ٣٧ ق. م وتوفي بعد ولادة المسيح، أخبره مجوس المشرق بظهور نجم مُلك اليهود، فما زال يطلب أثره بقتل الأطفال فهربت مريم بالمسيح إلى مصر ولم ترجع إلا بعد موته كما في إنجيل متى: ١٣/٢. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: هيرودس).

وأن في إنجيلاتكم أيضاً / نسبه باختلاف واضطراب[٥]، ففي إنجيل متّى: هو يشوع بن يوسف بن يعقوب بن متان بن ألعازر بن أليهود بن أمون بن صادوق بن

---

(١) لم ترد في الإنجيل صحبة سالومي للمسيح في رحلته إلى مصر، ويسندها النصارى إلى كتب التاريخ. ينظر: تاريخ الكنيسة القبطية للقس منسي يوحنا ص: ٣.

(٢) الصباغة: تلوين الشيء بلون ما. ينظر: معجم مقاييس اللغة ٣/٣٣١. وعند النصارى أن المسيح عمل في صباه بالنجارة تعلمها من يوسف النجار، لأن من عاداتهم أن الابن يتعلم مهنة أبيه! ولا يوجد أي نص كتابي يشير إلى عمل المسيح في صباه سوى ما ينقل في الأناجيل المنحولة من فعله الأعاجيب، كما في إنجيل الطفولة لتوما، أو دخوله في المجمع اليهودي وعمره اثنتا عشرة سنة، كما في إنجيل لوقا: ٢/٢٤.

(٣) ينظر: إنجيل متّى: ٢/١٣. رحلة المسيح إلى مصر لم يصرح بها غير متّى من كتّاب الأناجيل القانونية! والذي كتب إنجيله لليهود وربطه بكتب العهد القديم، فأقحم الرحلة لمصر؛ ليشابه أحوال المسيح بأحوال موسى عليهما السلام حين خافت عليه أمه من سطوة فرعون، ولتوافق نبوءة هوشع: ١١/١: (ومن مصر دعوت ابني)! وهذا مما يشكك في وقوع الرحلة. ينظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص: ١١٢. والاستدلال بوقوع الرحلة بقوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ) مروي عن ابن زيد ووهب بن منبه، ويقرب أنه مأخوذ عن بني إسرائيل، قال ابن كثير عنه في تفسيره ٥/٤٤٧: بعيد جدّاً، واستظهر أن الربوة والقرار موضع في بيت المقدس؛ لأنه المذكور بقوله تعالى: (ﭻ ﭼ)، وقيل: دمشق، وقيل غير ذلك. وينظر: أحكام القرآن لابن العربي ٣/٣٢٠.

(٤) نص على ذلك يوحنّا في إنجيله: ٢/١١، في عرس قانا الجليل.

(٥) سلسلتا النسب في إنجيلي متّى ولوقا من أغلاط الإنجيل الظاهرة، والتي نقدها كثير من العلماء، ومن أهم ما يبين تناقضها: الاختلاف في اسم والد يوسف! وأيضاً: الآباء في نسب متّى بعد داود إلى السبي من الملوك المشهورين، بينما في نسب لوقا ليسوا كذلك! وأيضاً: عند متّى المسيح من سلالة سليمان بن داود، بينما عند لوقا من سلالة ناثان بن داود! وأيضاً: الاختلاف في عدد الأجيال بين داود والمسيح عليهما السلام! وأيضاً هناك اختلافات أخرى بينهما وبين ما هو مذكور في أسفار العهد القديم.

ينظر: الفصل لابن حزم ٢/٢٨، التخجيل ١/٢٨٤، إظهار الحق ١/١٨٧، مقامع هامات الصلبان للخزرجي ص: ١٤٨، دراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاي ص: ١٠٥.

عازور، وساق إلى أربعين أباً[١]. وفي الإنجيل أيضاً: هو يشوع بن يوسف بن هيلي بن مطوت[٢].

وفي إنجيل لوقا ومرقس: أن يشوع بن يوسف من قرية ناصرة الجليل[٣]، وإخوته وأخواته عندهم مزوجات[٤].

وفي الإنجيل أيضاً: أن المسيح لما دخل البلد كان يقف في جماعتهم، يروي ويخبر، فيقول الناس: من أين هذه الأحكام والآيات لهذا! أليس هو ابن يوسف النجار، واسم أمّه مريم، وإخوته: سمعان ويوسف ويعقوب ويهوذا! حقّاً أن قد قال: لا يحقر نبي إلا في مدينته[٥].

فهذه الروايات كلها مع اختلافها وبطلانها وافتراء الزاعمين لها بقولهم: إن المسيح ابن يوسف النجار، وإن له إخوة وأخوات كلهم أكبر منه سنّاً، وهم: إمّا من مريم،

ب/٦٢

(١) في الأصل (أب) وهو غلط، إنجيل متى: ١/١ – ١٦، وفيه: سياق سلسلة النسب بداية من إبراهيم عليه السلام حتى المسيح، وفيه: أليود بن أخيم بدلاً من أليهود بن أمون.

(٢) إنجيل لوقا: ٢٣/٣ – ٣٨، وفيه: ساق سلسلة النسب بداية من المسيح إلى آدم عليه السلام، وفيه: يوسف بن هالي بن متثات. ومطوت: تحوير عن متثات، وعند المهتدي نصر المتطبب في كتابه النصيحة ص: ٨٦: مطث.

(٣) في الأصل (الخليل) في مواضع ثلاثة من المخطوطة، ينظر: ل ب/٧٣ ص٣١٢، والتصويب من الأناجيل.

ناصرة الجليل: أهم مدن الجليل الأدنى في الشمال الفلسطيني (المحتلّ)، وهي مقدسة عند النصارى يحجّون إليها. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: الناصرة)، ومعجم البلدان لياقوت ٢٥١/٥.

(٤) ينظر: إنجيل لوقا: ١٦/٤، وإنجيل مرقس: ٣١/٣، ٣/٦ من غير بيان كونهن مزوجات.

(٥) ينظر: إنجيل متّى: ٥٤/١٣ – ٥٨، وإنجيل لوقا: ٢٢/٤ – ٢٥، وإنجيل مرقس: ٣/٦.

وإمّا من امرأة غيرها مزوجة ليوسف استولدها هؤلاء الأولاد[١]، فإن ذلك بشهادة كتابنا الحق المبين حديث باطل مفترى، وقول زور، ولم يكن لمريم البتول زوجٌ، ولا مسّها بشر، ولا كانت بغيّاً، بل كانت كما أخبر الله تعالى قائلاً: (ٻ ٻ □) الآية[٢]، وقائلاً في / سورة مريم عنها حين أرسل إليها الملك على صورة إنسان فاستعاذت بالله منه، فقال لها: (گ گ ڳ ڳ) إلى آخر قصتها[٣].

والعقل السليم يقضي أن مريم لا تكون غير بكرٍ مطهرةٍ بتول، لنفي سوء الظنّة بها لو كانت مزوجة أو ذات ولد غير المسيح قبله وبعده؛ إذ لا يليق إلا ذلك[٤]، لا كما جاء في الإنجيل: إن مريم لما حبلت بيشوع بعث أغوسطس أو أُغسطس

---

[١] ذكر في الأناجيل تسمية أربعة من إخوة المسيح، وهم: يعقوب وتنسب له إحدى رسائل العهد الجديد، ويوسي، وسمعان، ويهوذا. ولم يؤمنوا به إلا بعد قيامته! وفيها أيضاً إشارة إلى أخوات دون تسمية. ينظر: إنجيل متّى: ١٣/٥٥، ٥٦.

وللنصارى ثلاثة أقوال في علاقتهم بالمسيح: فقيل: إنهم إخوة المسيح من مريم ويوسف النجار بعد ولادته. وقيل: إنهم أولاد يوسف من زوجة سابقة. وقيل: إنهم أولاد أخت مريم العذراء وهي مريم امرأة حلفي، أي: إنهم أولاد خالته. وكلها احتمالات لها ما يعارضها. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: إخوة الرب)، ودائرة المعارف الكتابية (مادة: إخوة المسيح). ولا يصح حمل الأخوة على أنها أخوة الدين كما وصف التلاميذ بأنهم إخوته كما في: إنجيل متى: ١٢/٤٩، ٥٠؛ لصراحة بعض المواضع بأخوة الدم، منها: حين عرّفه اليهود بأنه ابن النجار وأن له أربعة إخوة، كما في متّى: ١٣/٥٥!.

ودعوى أن للمسيح إخوة بالدم من المعضلات عند النصارى التي تضعف موثوقية الأناجيل وتكشف تناقضها، وتنقض دعوى الألوهية للمسيح، وبتولية مريم العذراء؛ وهذا تفريع على باطل وهو: علاقة مريم عليها السلام بيوسف النجار. ينظر: تعليق سابق في: ل أ/٣٦ ص٢١٠.

[٢] من سورة التحريم: آية ١٢. والشاهد قوله تعالى: (□ □ □).

[٣] من سورة مريم: آيات ١٦ – ٣٤.

[٤] ينظر: تعليق سابق حول علاقة يوسف بمريم عليها السلام في ل أ/٣٦ ص٢١٠.

الملك[١] فكتب الناس كلهم، فوجدوا مريم حبلى في فندق في بيت لحم فسألوها: ممن أنت حبلى؟ فقالت: من يوسف النجار. فكتبوا مريم والذي في بطنها من يوسف النجار[٢]. وفي إنجيل متّى: أن جبريل الملاك قال ليوسف: اذهب وخذ امرأتك ولا تخف[٣].

وهذه أقوال ظاهرة التناقض، مردودة عقلاً وشرعاً.

وكالذي زعمتم من تجسيم كلمة الله وصيرورتها مسيحاً متحداً بناسوته المربَّى المولود إلهاً وربّاً خالقاً وفعالاً للعجائب التي لا يفعلها إلا الإله.

وليس كذلك، فإن زعمكم في الكلمة وتجسّمها زعم باطل لا يقوله عاقل ولا يقبله عاقل؛ لأن المعقول لا يمانع المحسوس، والكلام لا ينفصل عن / عن المتكلم المعلوم لنا انفصالاً ذاتيّاً ولا يتجسّم، ومن المحال تجسّمه وهو معنى لطيف يُسمع ولا يُرى، فكيف ما لا يحيط به علم ولا أين له ولا كيف ولا كم [٤]؟! ولأن الكلام صفة

٦٣/أ

(١) أوغسطس: اسم لاتيني بمعنى: المبجل، أول إمبراطور روماني، حكم بين ٣١ق.م– ١٤م. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: أوغسطس).

(٢) ينظر: إنجيل لوقا: ١/٢.

(٣) ينظر: إنجيل متّى: ٢٠/١.

(٤) معتقد أهل السنة والجماعة وعموم المسلمين: إثبات ما أثبته الله لنفسه من الصفات وما أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تمثيل، مع قطع الطمع عن إدراك الكيفية؛ لأنه سبحانه لا يحاط به علماً؛ فما ذكره المؤلف (لا أين له) لا يصح، وهو نفي لصفة العلو لله، بل هو سبحانه في السماء مستوٍ على عرشه وبائن من خلقه، وقد سأل النبي ﷺ الجارية: أين الله؟ فقالت: في السماء، فقال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، فقال: أعتقها فإنها مؤمنة. رواه مسلم في صحيحه (رقم: ١١٩٩). ينظر: الاستذكار لابن عبد البر ١٦٥/٢٣.

وقول السلف: (لا كيف) بمعنى: أن الكيف مجهول عنّا، وليس معناه أنه سبحانه لا كيفية له، فإن ما لا كيفية له هو العدم! ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤١/٥.

ذاتية للموصوف قائمة به، ومن أمحل المحال تجسّمه(١). فهذا والله هو عين الجهل المركب(٢).

يا من يقال لهم كونوا على ثقة. . . من الجهالة بالمعبود يا لكع

وويحكم، هل كلام الله ذو جسد. . . مركب من صفير باللها قطع

صوت يصوّته تجويف قابله. . . مع الهواء بتصريف فيستمع

نطق يموّجه حمل الهواء له. . . ورجعه قارع للسمع منقرع؟

وقول المؤلف: (ولا كم) الكميّة عند المتكلمين: العرض الذي يقتضي الانقسام لذاته، وهو متصل أو منفصل، والله منزه عن الكمية. ينظر: التعريفات للجرجاني ص: ١٩٦. وهذا كلام مجمل: إن أريد بنفي الكمية نفي العلم بالكيفية أو نفي التعدد فصحيح، وأما إن أريد بنفي الكمية نفي أن يكون بائناً من خلقه أو نفي شيء من صفاته الثابتة بالقرآن والسنة بدعوى التركيب والتجزؤ أو التعدد! فهو غير صحيح، فإثبات الصفات لا يستلزم التشبيه؛ لأن ذاته سبحانه ليست كذوات المخلوقين فكذلك صفاته، ودعوى التركيب والتجسيم والتحيز ونحوها من الألفاظ المجملة تردّ إلى ما بينه الله ورسوله من المعاني، فيقبل ما كان حقّاً ويردّ ما كان باطلاً. ينظر: بيان تلبيس الجهمية ١/٣٤٧، درء التعارض ١/٢٩٦.

(١) لفظ الجسم لفظ مجمل للناس في معناه أقوال مختلفة، والصواب التفصيل فيه، قال الإمام ابن تيمية في منهاج السنة ٢/٢١١: (إذا قال القائل: إن الباري تعالى جسم. قيل له: أتريد أنه مركب من الأجزاء كالذي كان متفرقاً فركب؟ أو أنه يقبل التفريق، سواء قيل: اجتمع بنفسه أو جمعه غيره؟ أو أنه من جنس شيء من المخلوقات؟ أو أنه مركب من المادة والصورة؟ أو من الجواهر المنفردة؟ فإن قال هذا. قيل: هذا باطل.

وإن قال: أريد به أنه موجود، أو قائم بنفسه. . . أو أنه موصوف بالصفات، أو أنه يرى في الآخرة، أو أنه يمكن رؤيته، أو أنه مباين للعالم، فوقه، ونحو هذه المعاني الثابتة بالشرع والعقل. قيل له: هذه معان صحيحة، ولكن إطلاق هذا اللفظ على هذا بدعة في الشرع، مخالف للغة...). ثم أشار إلى أن من قال: ليس بجسم. أدخل في معناه ما هو حق ككونه موصوفاً بصفات الكمال فنفاه، ولمز من أثبته بالتجسيم، ولا ينفك من دعوى التجسيم إلا بالتعطيل المحض!.

(٢) الجهل المركب: اعتقاد جازم غير مطابق للواقع، وقسيمه الجهل البسيط: عدم العلم أصلاً. ينظر: التعريفات ص: ٨٤.

حتى تظنوا كلام الله صنعتكم. . . مجسماً، ويل قوم ربهم صنعوا

بئس المقالة قد قلتم وبئسكم. . . وبئس من قنّنوا هذا ومن شرعوا

يا للعقول أربّ العالمين له. . . ابن؟ كلام لهذا مفترى شنع

يا للعقول أربّ العالمين له. . . من ذاته ولد كالخلق مخترع؟(١)

ولله در نسطور(٢) إذ يقول وأنتم تعرفون قوله: كفرت برب يسكن الرحم. وخلى دينكم، واتبع رأي نفسه(٣).

وما < مثل >(٤) قولكم في الكلمة إنها تجسّمت بإنسان مخلوق! واتحادها به الاتحاد الجوهري البريء من التغير والاستحالة! وإنها خرجت مولودة / من مريم إنساناً تامّاً وإلهاً تامّاً! يفعل المعجز بلاهوته ويظهر العجز بناسوته! إلا كقول من يقول حكاية: كان كنونو برغش، وصنونو العسل طريح، والبصل بطيخ، طارت الجِمال، حبلت الرجال! وأمثال هذه الأضحوكات المبكيات(٥).

ب/٦٣

وأعجب العجب استشهادكم بآيات من القرآن وقول من التوراة وبما في كتب النبوات على ما ذهبتم إليه من القول بالأقانيم المشتركة في الإلهية والخلق للعالم والربوبية مشاركة بتواطؤٍ وإغضاءٍ وتساهل! حيث قلتم: إن في القرآن ذكر الكلمة

---

(١) لم أجد لها قائلاً، وهي أشبه أن تكون من نظم المؤلف.

(٢) نسطور: أو نسطوريوس، زعيم النساطرة، بطريك القسطنطينية من عام ٤٢٨م إلى ٤٣١م، امتنع عن إطلاق والدة الإله على مريم فحرّم ولعن في مجمع أفسس عام ٤٣١م، ومات في مصر عام ٤٥١م. ينظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٥٥، محاضرات في النصرانية ص: ١٤٤.

(٣) وذلك حين رفض تسمية أم المسيح والدة الإله، وعقد بسببه مجمع أفسس ٤٣١م. ينظر: تعليق سابق في: ل أ/١٢ ص١٢٨.

(٤) زيادة من هامش الأصل.

(٥) يريد أن كلامهم متناقض غير معقول المعنى في نفسه.

والروح، وهو قوله تعالى: (ﭙ ﭚ ﭛ) الآية[١]، وقوله تعالى: (ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ) الآية[٢]، وهذا لا يدل على أن الروح هي الحياة التي بها حَيَّ الموجد لها من قبل أن يوجدها، وكانت حيّة لذاتها من قبل إيجاده لها! كما زعمتم، ولا يدل على أن روح القدس المؤيد بها المسيح هي الروح الشريكة للابن والناطقة به مع الأب، والحيّ بها الأب الموجد لهما من قبل أن يكون حيّاً ناطقاً بها.

ولا يدل على أن الكلمة المسمّاة الابن الشريكُ الثالث الذي به ينطق الأب والروح وبهما يحيا.

وتوجد هذه الكلمات التي صدّقت بها مريم وسبقت لعباد الله المرسلين ولو كان البحر مداداً / لها وأمدّه سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله[٣]. أ/٦٤

وليس المؤيَّد بروح القدس هو روح القدس بل غيرها، والذي أيَّده بها فإنه غيره وغيرها وهو الله تعالى[٤].

وقلتم أيضاً: إن في التوراة أسماء الأقانيم الثلاثة:

الأب، وهو قوله لإسرائيل: (أباك الذي صنعك) .

والابن، وهو قوله لإسرائيل: (أنت ابني الذي ارتضيت) .

والروح، وهو قوله: (وكان روح الله ترفرف على الماء) .

(١) سورة التحريم: آية ١٢.

(٢) سورة البقرة: آية ٨٧. والشاهد قوله سبحانه: (ﯖ ﯗ ﯘ).

(٣) فالمسيح خلق بكلمة من كلمات الله، وليس هو كلام الله الذي هو صفته سبحانه. ينظر: الجواب الصحيح ٤/٦٣.

(٤) فروح القدس المؤيد للمسيح ولغيره في القرآن والإنجيل وسائر كتب النبوات هو المَلَك جبريل عليه السلام. ينظر: الجواب الصحيح ٢/١٨١.

ولا دليل في ذلك على الشرك والثالوث؛ إذ الأب بمعنى الربّ، وقد تقدم شرحه[(١)]، مع قوله: صنعك وبراك وأتقنك. لا أولدك ولا تولدت منه.

وكذا (ترفرف الروح) لا يدل على الشرك، بل له معنى في كتابنا يفهم منه، وهو قوله تعالى: (وكان عرشه على الماء)[(٢)].

ولله قول بعض أهل التحقيق، شعر:

انظر إلى العرش على مائه ... سفينة تجري بأسمائه.[(٣)]

(١) ينظر: ل ب/٥٧ ص٢٦٧.

(٢) سورة هود: آية ٧. وتفسير المؤلف للروح الواردة في سفر التكوين: ٢/١ (وروح الله يرفّ على وجه المياه) بالعرش فيه نظر؛ لأن سياق النص في التوراة بعد خلق السماوات والأرض، والعرش على الماء قبل خلقهما، والماء المذكور في التوراة غير المذكور في الآية، وأيضاً هذا التفسير لا يعرف في أي لغة. وللنصارى في تفسير روح الله في النص ثلاثة أقوال، قيل: ما تحيا وتقوم به الكائنات، وقيل: الرياح والهواء، وقيل: بمعنى روح القدس (الأقنوم الثاني). ينظر: حاشية النص في الكتاب المقدس ص: ٦٧ ط. دار المشرق بيروت ١٩٩٤م، والتفسير الموافق للغة العبرية ولكلام الأنبياء أن الروح بمعنى الريح. ينظر: الجواب الصحيح ٢٤١/٣.

(٣) مطلع قصيدة لابن عربي الطائي، المتوفى سنة ٦٤٠ هـ، قال عنه الذهبي في السير ٤٨/٣٢: قدوة القائلين بوحدة الوجود. ينظر: ديوان ابن عربي ص: ١٤ شرح أحمد بسج.

وغفر الله للمؤلف حين أورد هذا البيت الذي يشم منه عقيدة وحدة الوجود، التي هي إنكار للعرش وعلو الله على خلقه ومباينته لهم، كحال قائله. وينظر في حال ابن عربي: ما جمعه د.دغش العجمي في كتابه: ابن عربي وموقف علماء المسلمين منه من القرن السادس حتى القرن الثاني عشر.

فصل

ثم قلتم: **وأمّا تجسّم[١] كلمة الله الخالقة بإنسان مخلوق وولودتهما معاً، أي: الكلمة مع الناسوت، فإنه لم يخاطب الباري أحداً إلا وحياً أو من وراء حجاب، حسب ما جاء في هذا الكتاب < إذ >[٢] يقول:** (□ □ □) **الآية[٣]**.

ب/٦٤

وإذا كانت اللطائف لا تظهر إلا في الكثائف[٤]، فكلمة الله التي بها خلقت اللطائف[٥] تظهر في غير كثيف /، كلا؛ ولذلك ظهرت في عيسى ابن مريم، إذ الإنسان أشرف ما خلق الله[٦] تعالى، ولهذا خاطب الخلق[٧]، وشاهدوا منه ما شاهدوا، وقد قال الله على أفواه الأنبياء المرسلين الذين نبؤوا على تجسّده وولادته وجميع أفعاله التي فعلها في الأرض[٨].

---

(١) في الرسالة ن ١: (اتحاد)، ن ٢: (تجسيم).

(٢) زيادة من الرسالة ن ٢، ن ٣.

(٣) سورة الشورى: آية ٥١، وفي الرسالة ن ١ سياق لكامل الآية، وبعدها ما نصه: (**فقد جوز القرآن ظهور الله في حجاب، والمسيح بناسوته حجاب الله الذي كلم الخلق منه. وقوله في سورة النساء: (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) أي: من ذاته. وقوله: (ألقاها إلى مريم) أي: أحلها في الذات البشرية المتبشرة فيها**).

(٤) في الرسالة ن ٢، ن ٣ زيادة: (**مثل الروح وغيرها**)، وفي الجواب الصحيح ٣٠٨/٣: (**روح القدس وغيرها**).

(٥) في الجواب الصحيح ٣٠٨/٣: (**اللطائف والكثائف**).

(٦) في الأصل: تكررت لفظ الجلالة.

(٧) في الرسالة ن ١ زيادة: (منه).

(٨) في الرسالة ن ٢، ن ٣ والجواب الصحيح ٣٥٢/٣ زيادة: (**وصعوده إلى السماء**).

وهذه النبوءات أيضاً عند اليهود مقرّين معترفين بها، يقرؤونها في كنائسهم، وسبيلنا أن ندلّ على بعض الأنباء:

قال عزرا الكاهن حين سباهم بخت نصر إلى أرض بابل: (إلى أربعمائة سنة واثنتين وثمانين سنة يأتي المسيح ويخلص الشعوب والأمم)[١]، وفي كمال هذه المدة أتى السيد المسيح.

وقال أرميا النبيّ عن ولادته: (في ذلك الزمان يقوم لداود ابن، وهو ضوء النور، يملك الملك ويعلّم ويفهم ويقيم الحق والعدل في الأرض، ويخلّص من آمن به من اليهود ومن بني إسرائيل، ويبقى بيت المقدس بغير قتال ولا مقاتل، واسمه الإله)[٢].

وقال إشعيا: (قل لصهيون: هنا[٣] تفرح وتهلل بأن الله يأتي ويخلّص من آمن به وبشعبه، ويخلّص مدينة بيت المقدس، ويظهر الله ذراعه الطاهر فيها

٦٥/أ

[١] لم أجد هذا النص في سفر عزرا ولا غيره مما يظن أنه قد كتبه، وفي سفر دانيال: ٢٦/٩ (الكاثوليكية): (وبعد الأسابيع الاثنين والستين يفصل مسيح ولا يكون له. . . ويأتي رئيس فيدمر المدينة والقدس)، والترجمات العربية مختلفة في صياغة الفقرة، وفي هامش الكاثوليكية ط. دار المشرق بيان أن الفراغ في الفقرة من النص الأصلي، وأن بعض الترجمات تضيف: (خطيئة)، واقترح بعضهم: (سلف)! ! وهذه (نبوءة الأسابيع السبعين)، والتي حدد بدايتها عزرا في خروجهم من الأسر البابلي: ١٣/٧، وبعض النصارى يزعم أنه يشير إلى صلب المسيح وتجسده! وهو أمر ليس متفقاً عليه بين النصارى. ينظر: هامش ١٣ من الكتاب المقدس ص: ١٨٨٠.

[٢] سفر أرميا: ٢٣/٥، ٦ بلفظ فيه اختلاف. وفي الرسالة ن ٢، ن ٣ والجواب الصحيح ٣٥٤/٣ زيادة: (**وأما قوله:** (**ابن داود**) **فلأن مريم كانت من نسل داود؛ لأجل ذلك قال النبي: يقوم لداود ابن**).

[٣] في الرسالة ن ١: (هناك).

لجميع أهل الأرض وجميع المبدّدين، ويجعلهم أمّة واحدة، ويبصرون جميع أهل الأرض خلاص الله، لأنه يمشي معهم وبين يديهم ويجمعهم إله إسرائيل)[(١)]. /

وقال زكريا النبيّ: (افرحي يا بيت[(٢)] صهيون؛ لأني آتيك وأحل فيك وأتراءى، ويؤمن بالله في ذلك اليوم الأمم الكثيرة، ويكونون له شعباً واحداً، ويحل هو وهم فيك، وتعرفين أني أنا الله القوي الساكن فيك، ويأخذ الله في ذلك اليوم الملك من يهوذا، ويملك عليهم إلى الأبد)[(٣)].

وقال عاموص النبيّ: (ستشرق الشمس على الأرض، ويهتدي بها الضالون، ويضل عنها بنو إسرائيل)[(٤)].

وقال في السفر الثالث من أسفار الملوك: (والآن يا ربّ إله إسرائيل، ليحقق كلامك لداود أبي، لأنه حق أن تكون آية، سيسكن الله مع الناس على الأرض، اسمعوا أيها الشعوب كلكم ولتنصت الأرض وكل من فيها، فيكون

---

(١) سفر إشعيا: ٥٢/٩ – ١٢ بلفظ فيه اختلاف.

(٢) في الرسالة: (يا ابنة).

(٣) سفر زكريا: ٢/١٠ – ١٢ بلفظ فيه اختلاف.

(٤) لم أجد هذا النص، ويزعم النصارى أن المسيح هو شمس البر المذكورة في خاتمة سفر ملاخي: (ولكم أيها المتقون اسمي تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها، فتخرجون. . . وتدوسون الأشرار).

في الرسالة ن ٢، ن ٣ والجواب الصحيح ٣/٣٧١ زيادة: (**فالشمس هي: السيد المسيح، والضالون الذين اهتدوا هم: النصارى المختلفة ألسنتهم الذين كانوا من قبل عابدي الأصنام والضالين عن معرفة الله فلما أتوهم التلاميذ وأنذروهم بما أوصاهم السيد المسيح وما عاينوه منهم من العجائب العظيمة تركوا عبادة الأصنام واهتدوا باتباعهم السيد المسيح**).

الرب عليها شاهداً[١]، وينزل ويطأ على مشارق الأرض في شأن بني يعقوب[٢])[٣] هذا كله.

وقال ميخا النبي: (وأنت يا بيت لحم قرية يهوذا، بيت أفراتا[٤] منك يخرج لي ريس يرعى شعبي إسرائيل، وهو من قبل أن تكون الدنيا، لكنه لا يظهر إلا في الأيام التي تلده فيها الوالدة، وسلطانه من أقاصي الأرض إلى أقاصيها)[٥].

وقال حبقوق النبي[٦]: (إن الله في الأرض يتراءى ويختلط مع الناس ويمشي معهم)[٧].

وقال أرميا النبي: (الله بعد هذا في الأرض يظهر ويتقلب مع البشر، فيقول: أنا الله رب / الأرباب)[٨]. ب/٦٥

---

(١) في الرسالة والجواب الصحيح ٣/٣٧٥ زيادة هنا: (**الرب من بيته المقدس ويخرج من موضعه وينزل. . .**).

(٢) في الرسالة والجواب الصحيح ٣/٣٧٥: (**في شأن خطيئة بني يعقوب**).

(٣) النص بلفظه لم أجده، ومعناه في سفر الملوك الأول: ٨/٢٦ - ٣٠، ومثله في سفر أخبار الأيام الثاني: ٦/١٧ — ٢٠. وسفر الملوك الثالث هو سفر الملوك الأول حسب النسخة السبعينية عند اليسوعيين التي تجعل سفري صموئيل الأول والثاني من أسفار الملوك. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: صموئيل).

(٤) في الأصل: (أفراما) والتصويب من الرسالة والجواب الصحيح ٣/٣٧٩، وهي كذا في سفر ميخا. وأفراته هو الاسم القديم لبيت لحم، كما في سفر التكوين: ٣٥/١٩.

(٥) سفر ميخا: ٥/٢ - ٤ بلفظ فيه اختلاف.

(٦) حبقوق: اسم عبري بمعنى: يعانق، وهو نبي في مملكة يهوذا من سبط لاوي، وله سفر هو الثامن من النبوات الصغيرة، وسيرته مجهولة لا تعرف. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: حبقوق)، والمدخل إلى الكتاب المقدس للقس حبيب سعيد ص: ١٣٢. ولم تثبت نبوة حبقوق بنص صحيح غير ما عند أهل الكتاب.

(٧) معناه في سفر حبقوق: ٣/٢ - ٦.

(٨) لم أجده بلفظه، ومعناه في سفر أرميا: ١٤/٩، ٢٣/٦.

وقال أرميا النبي وإشعيا النبي[(١)]: (ها هي العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعى عمانوئل)[(٢)] وهذه الكلمة عبرانية ترجمتها: إلهنا معنا[(٣)].

وقال إشعيا أيضاً: (من أعجب الأعاجيب أن رب الملائكة سيولد من البشر)[(٤)].

فماذا يكون أوضح من هذا وأبين وأعظم من هذا القول، إذ قد أوردناه من قول الله، ولا سيما واليهود الضالون عن الحق والمخالفون لقول النبوءات جميعاً يشهدون لنا بصحة ذلك، ويقرؤون هذه في كنائسهم ولا ينكرون منها شيئاً، وعندهم في التوراة وكتب النبوءات مثل ذلك شيء كثير، وإنما ذكرنا البعض لنورد بذلك تثبيت ديننا وما نعتقده في السيد المسيح[(٥)].

---

(١) في الرسالة والجواب الصحيح ٤٠٢/٣ النسبة لإشعيا فقط.

(٢) سفر إشعيا: ١٤/٧.

(٣) تفسير الكلمة (عمانوئيل) ورد في إنجيل متّى: ٢٣/١.

في الرسالة ن ٢ والجواب الصحيح ٤٠٢/٣ زيادة: (**فقد شهد النبي أن مريم ولدت اللاهوت المتجسد بالناسوت كلاهما**)، وفي ن ٣ اختلفت العبارة إلى: (**ولدت الناسوت المتحد باللاهوت**)!.

في الرسالة والجواب الصحيح ٤٠٦/٣، ٤٠٨ نصان عن إشعيا هنا، سيذكرهما المؤلف في مقدمة الفصل التالي، وموضعهما هنا.

(٤) لم أجده بلفظه، والنصوص السابقة بمعناه.

(٥) في الرسالة ن ٢، ن ٣ والجواب الصحيح ٤١٥/٣ زيادة: (**عند النصارى جميعهم المختلفة ألسنتهم المتفرقين في سبعة أقاليم الدنيا المتمسكين بدين النصرانية قول واحد ونص واحد، على ما تسلّموه من الرسل الحواريين حين أنذروهم وردوهم عن عبادة الأصنام إلى معرفة الله تعالى، سلّموها إليهم كل أمة بلسانها، وهي على هيئتها إلى يومنا هذا. وكذلك هذه الكتب عند اليهود على هذا اللفظ والنص على ما تسلّموه من موسى النبي وباقي الأنبياء، مقرّين بذلك جميعه، ولم ينكروا منه كلمة واحدة**). وهذا كله تهويل!

والجواب:

أما قولكم في تجسّم الكلمة واللطائف والكثائف: فسيأتي الجواب عنه إن شاء الله تعالى[١]، وفيما تقدم كفاية.

وأما بشارة عزرا الكاهن: فلا تعلق لها بما قلتم[٢].

وأما قول أرميا النبي في الابن: فهو سليمان الملك النبي الآتي البيت المقدس والمعلّم لغة الطير ومنطقها والمفهّم الحكومة في الغنم والزرع[٣]، لا المسيح، فإنه لم يملك ولا طالت مدته وجرى ما جرى[٤].

وأما قول إشعيا وقول زكريا وقول ميخا في المسيح وملكه واستيلائه وجمعه المبددين أمة واحدة: فإنما هو إذا جاء المرة الثانية آخر الزمان، كما أخبر الله / تعالى

٦٦/أ

فكيف وقع الاختلاف الكبير بين فرق النصارى؟ ينظر: جواب الإمام ابن تيمية في: ٤١٥/٣، وما سبق في: ل أ/٣٩ ص٢١٧.

(١) ينظر: ل ب/٦٨ ص٣١٠، ل أ/٩٣ ص٣٧٧.

(٢) لأن فيها الإخبار بأن المسيح يأتي ويخلص الشعوب كغيره من الأنبياء، وهو متفق عليه لا ينكره إلا اليهود. ينظر: الجواب الصحيح ٣٥٤/٣، هداية الحيارى ص: ٥٠٦.

(٣) سليمان النبيّ الملك ابن داود عليهما السلام، ونبوتهما وملكهما ثابتان في القرآن، وجاء وصفه في التوراة بالملك والقتل وبناء الهيكل، وأن نهايته كانت عبادة الأوثان! وغيرها مما لا يليق، وينسبون إليه أسفار الأمثال والجامعة ونشيد الإنشاد، وفيها ما لا يصح نسبته لنبي، ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: سليمان). وحاشاه مما افتراه أهل الكتاب عليه، وقد بنى المسجد الأقصى بناءً عظيماً، ودعا إلى التوحيد، وصنع محاريب للعبادة، وسخر الله له الجن والإنس والطير. قال الإمام ابن تيمية في الجواب ٣٨٧/٣: (باختصار): (فإن كثيراً من اليهود والنصارى يطعنون فيه، فمنهم من يقول: ساحر. . . ومنهم من يقول: سقط عن درجة النبوة، فيجعلونه حكيماً لا نبيّاً. . . وطائفة قالت: سليمان نبيّ، وينسبون إليه الشرك وما تحبه الشياطين). وينظر: البداية والنهاية ٣٢٣/٢.

(٤) أجاب الإمام ابن تيمية: بأن موسى سُمي إله فرعون، كما في سفر الخروج ١/٧. ينظر: الجواب الصحيح ٣٥٦/٣.

في كتابه العزيز بقوله: (ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ) الآية[١]، وأخبر نبيّنا ﷺ أن المسيح ينزل من السماء متهادياً بين ملكين من الملائكة إلى الأرض، ويقتل المسيح الدجال، ويقتل اليهود معه، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويجعل الناس أمة واحدة، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً[٢].

وأما قول عاموص النبي: فهو بنبيّنا ﷺ أنسب مما هو بالمسيح؛ فإنه ﷺ كان كالشمس في ظهوره ونور هداه، وآمن به الناس كافة إلا اليهود[٣].

وأما قول حبقوق وأرميا أيضاً: فلا يصح حمله على ظاهره الذي استدللتم به؛ إذ في ذلك ما فيه[٤].

وأما قول أرميا وإشعيا أيضاً فمعناه: أنهما بشّرا بالمسيح، وأن الغلاة فيه يقولون عمانوئل، لا أنه كذلك[٥]، كما أخبر نبيّنا ﷺ لابن عمه علي عليه السلام: أنه

---

(١) سورة النساء: آية ١٥٩ .

(٢) ثبت متواتراً في الأحاديث الصحيحة نزولُ المسيح ابن مريم في آخر الزمان، منها: ما رواه البخاري (برقم: ٢٢٢٢) ومسلم: (٣٨٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد) كما جاء مشاراً إليه على الصحيح من التفسير في القرآن في سورة آل عمران: آية ٤٦، والنساء: آية ١٥٩، والزخرف: آية ٦١. ينظر: تفسير ابن كثير ٤٥٧/٢.

(٣) أشار الإمام ابن تيمية في الجواب ٣٧٣/٣: إلى أن هذا النص شبيه بنص سفر التثنية: ٢/٣٣: (جاء الله من طور سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران). ينظر: ل أ/٥ ص٩٦.

(٤) أشار الإمام ابن تيمية في الجواب ٣٩١/٣: إلى أن في التوراة ما هو من جنس هذين النصين، ولم يدلّا على أن الله حلّ بموسى أو بإبراهيم، باتفاق اليهود والنصارى.

(٥) أشار الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح ٤٠٣/٣: إلى اختلاف النصارى في تفسير لفظة (عمانوئيل)، وأنه يصح حمل تفسير (الله معنا) على النصرة والمعونة للمسيح ولمن تبعه،

يهلك فيه طائفتان من الأمة، محب مفرط ومبغض مفرّط[١]. فكانت الغلاة الزاعمين فيه زعمكم في المسيح هم الهالكون بالغلو، وكانت النكارة الخوارج[٢] هم الهالكون بالبغضاء والخروج عليه.

وأما قولكم: وأن اليهود يتلون هذا ويصدقون به؛ إذ هو مكتوب عندهم ثم لا يؤمنون.

فالجواب منّا ومنهم عن ذلك:

أما اليهود فيقولون: إننا لم نمتنع من الإيمان بالمسيح إلا لمعان، منها:

ب/٦٦

أن المسيح الذي جاءت به الأنبياء له شرائط وعلامات ودلائل، وهي: / أنه يأتي بعد موسى ويجعل الناس أمة واحدة، ويظهر سلطانه على كل سلطان، ويجدد

وأنه ليس خاصّاً بالمسيح، بل من النصارى من تسمّى بهذا الاسم. وذكر الشيخ رحمت الله في إظهار الحق ٣٠٣/٢: غلط متّى في إنجيله بحمل اللفظ على المسيح، وأنه لا يعرف بهذا الاسم، وتفسير العذراء في النص بمريم أم المسيح خلاف ما نقل عن تفاسير اليهود والتراجم القديمة.

(١) روي عن علي رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ : (فيك مثل من عيسى ابن مريم: أبغضته يهود حتى بَهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس به). ثم قال علي: (يهلك فيّ رجلان: محب مفرط يقرظني بما ليس في، ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني). رواه البزار: (ح٧٥٨)، وأبو يعلى: (ح٥٣٤) وغيرهما بسند ضعيف، كما في مجمع الزوائد للهيثمي ١٣٣/٩. وصح موقوفاً على علي رضي الله عنه، أخرجه ابن أبي عاصم في السنة: (ح٩٨٣)، قال الألباني: له حكم المرفوع؛ لأنه من الغيب الذي لا يعرف بالرأي. ينظر: ظلال الجنة في تخريج السنة للألباني ص: ٤٧٧.

(٢) الخوارج: فرقة من فرق المسلمين المبتدعة، حذر منهم النبي ﷺ ، خرجت على علي رضي الله عنه وكفرته ورفضت التحكيم، ولها مسميات أخرى، وتفرقت إلى أكثر من عشرين فرقة، ويجمعهم تكفير من رضي بالحكمين، والخروج على السلطان الجائر، وتكفير مرتكب الكبيرة. ينظر: مقالات الإسلاميين ١٦٧/١، الفرق بين الفرق ص: ٧٨، الملل والنحل ١١٤/١.

ديناً وتشريعاً جديداً، ويخلّص النفوس من أسر الشيطان والشهوات، ويبلغ ملكه أقاصي الأرض كلها، ويبطل السبوت والأعياد، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً وفضلاً، ويبطل قتال اليهود وقرابينهم وملكهم، فانتظروه وتوطنت نفوسهم لاتّباعه، فلما جاءهم المسيح ورأوا منه في مبادئ أمره عجائب ومعاجز قالوا: هو هو، ولم يكن إلا يسيراً حتى ثاروا عليه وجرى ما جرى، ولم يروا في زمنه مما أشارت إليه النبوءات شيئاً، بل كانوا هم الظاهرين عليه، القاهرين له، الرادين دعوته، والمشتتين شمله[١]، كما زعمتم وشهدت به أناجيلكم[٢].

ولم تكونوا – أنتم أيها القائلون إنّا نصارى – موجودين ولا ظاهرين بالنصرانية، إلى أن ظهر قسطنطين وزعم أن المسيح أرسل إليه وإلى أصحاب القوانين روح القدس مؤيدة لهم في ترتيب الدين وتقنينه، وفي جمع الإنجيل وتدوينه.

فهذا الذي أوجب لليهود أن لا يتّبعوه ولا يصدّقوه، مع ما هم عليه من الأوصاف الذميمة في الكتب المنزلة على ألسنة الأنبياء عليهم السلام.

أما نحن المسلمين[٣] فنقول:

إن كل ما استشهدتم / به أيها النصارى من ظواهر هذه الألفاظ المحرّفة عن مواضعها، والمغيّر معانيها، والمبدلة بنقل ناقليها من لغتين وثلاث لغات إلى اللغة العربية، والمصطلحون على ما وجدوه فيها من الأسماء والصفات اصطلاحاً مخالفاً

٦٧/أ

---

(١) في الأصل (القاهرون. . الرادون. . المشتتون. .).

(٢) ينظر في اعتقاد اليهود في المسيح المنتظر: تنقيح الأبحاث لليهودي ابن كمونة ص: ٦١، ومقالة المسيح اليهودي والمسيح النصراني لعالم يهودي في كتاب موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام د. سارة العبادي ص: ١٠٠.

(٣) في الأصل (المسلمون).

لمعانيها، مع اختلاف أفهام النقلة، وعدم تحرّيهم وتحريرهم للألفاظ اللغوية، لا تبقي مع ذلك معنى على ما كان عليه، ولا أسماء ولا صفات كما كانت بلغة الآتي به.

ولا ينبغي الاستشهاد به، وسيّما على الشرك الصريح ومخالفة الكتب والرسل والمعقول والمنقول الحق، فلا التفات إلى زوره وباطله، ولو أسند إلى من أسند وهو شرك وباطل عددناه هباءً منثوراً.

مع علمكم أن حدّ الخبر عند العقلاء: ما احتمل الصدق والكذب[١]، إلا أن يقوم به بيّنة على الصدق، أو يكون منقولاً بالتواتر، وقد تقدم شرح معناه[٢]، وأن خبر الآحاد لا يفيد يقيناً ولا يبنى عليه حكم، ولو كان مطابقاً للمعقول الحق وموافقاً للمنقول الصدق[٣].

فكيف بدعوى أربعة أنفار مختلفين فيما تزعمون من حياة بعد موتٍ، وصعود إنسانٍ سوي إلى السماء، وخرق الأفلاك بالبدن الطيني، ومخالطة أملاك بالجسم

ب/٦٧

(١) ينظر: التعريفات ص: ١٠١.

(٢) تقدّم معنى التواتر في: ل ب/٣٧ ص٢١٤ ، والخبر الذي قامت البينة بصدقه هو المحتفّ بالقرائن. ينظر: شرح النخبة لابن حجر ص: ٦، شرح الكوكب المنير ص: ٢٦٥.

(٣) الخبر ينقسم إلى: الخبر المتواتر، وهو مفيد للعلم القطعي، لا سبيل إليه في أخبار النصارى. ينظر: ما سبق ل ب/٣٧ ص٢١٤. والخبر الآحاد: جمع أحد بمعنى واحد، ما عدا المتواتر. واختلف العلماء في إفادة خبر الواحد الثقة: هل يفيد العلم بنفسه أو بالقرائن أو الظن الراجح؟ والصواب أن أخبار الآحاد تتفاوت. ولا خلاف في وجوب العمل به إلا عند من شذّ، قال الشافعي في الرسالة ٤٥٧: (لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد). ونقل إجماع الصحابة على ذلك القاضي أبو يعلى في العدة ٨٦٥/٣، وابن عبد البر في التمهيد ٢/١، ولم ينقل عنهم التفريق بين الأحكام وأصول الديانات، وهو ما تدل عليه الأدلة الكثيرة، والتفريق بينهما لا دليل عليه ولا ضابط له. ينظر: المسودة: ٢٤٨، مختصر الصواعق المرسلة ١٤٦٥/٤، خبر الواحد وحجيّته د. أحمد الشنقيطي.

فما ذكره المؤلف غفر الله له تبع فيه جمهور المتكلمين من عدم اعتبار أخبار الآحاد في العقائد، وهو مذهب باطل. ولكن لا مدخل للنصارى في ذلك؛ فإن غالب أخبارهم وأناجيلهم لم يصح سندها إلى مؤلفيها، فضلاً عن نسبتها إلى المسيح عليه السلام، قال القرافي في الأجوبة ص: ١٦٠: (ولا يوجد يهودي ولا نصراني على وجه الأرض يروي التوراة والإنجيل عدلاً عن عدل إلى موسى أو عيسى عليهما السلام، وإذا تعذر عليهم رواية العدل عن العدل فأولى أن يتعذر التواتر).

البشري، وجلوسٍ على العرش، واعتقادٍ للشبه والمثال والأبوة والبنوة، / وإرسالٍ لأنبياء مرسلين، أرسلوا من مرسل أرسلهم بعد موته ودفنه؛ ليعمّدوا الناس باسم الثالوث: الأب والابن وروح القدس إله واحد، ويدعوهم[١] إلى الشرك والتجسيم والتشبيه، واستنادٍ من المدّعين ذلك إلى حكايات مدونة في كتب مجهولة، منسوبة إلى حاكين قد مضت عليهم أحقاب ودهور، ومسحت تلك الحكايات النقلة لها والناسخون لها ولمعانيها من لغة إلى لغة، ومن اصطلاح إلى اصطلاح؟!.

وتعلمون أيضاً أن الله خاطب البشر بحسب عقولهم، وأنزل كتبه وجعل لكل آية من آياتها ظهراً وبطناً[٢]، وفهّمهم من ذلك ما في إمكانهم فهمه، وأمرهم أن يردّوا تأويل ما يشكل عليهم فهمه إليه وإلى رسله.

فاختلفتم – معشر <اليهود و>[٣] النصارى أهل الكتاب الأمّتين – في المسيح وأمّه وفي أشياء، وزعمتم أنكم على الصواب دون اليهود، وكذلك زعموا في كل ما اختلفتم فيه، وفاتكم جميعاً المطلوب؛ فإنكم صدقتم ما نسب إلى المسيح من الصلب والموت والتعذيب، واليهود كذبوا بما جاء به المسيح وأنكروه، وانتظروا غيره؛ حملاً على ما أخبرت الأنبياء عنه، وحكماً بمقتضى فقد الشرائط المشروطة في المسيح، ورجعنا نحن المسلمين[٤] إلى كتابنا فوجدنا المسيح يأتي مرتين:

٦٨/أ

---

(١) في الأصل (يدعونهم).

(٢) قال الشاطبي في الموافقات ٤/٢١٠ ت. مشهور: (الظاهر: هو المفهوم العربي. والباطن: هو مراد الله تعالى من كلامه وخطابه. . . وله شرطان: أحدهما: أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب، ويجري على المقاصد العربية. والثاني: أن يكون له شاهد نصّاً أو ظاهراً في محل آخر، يشهد لصحته، من غير معارض). وينظر: رسالة في علم الباطن والظاهر لابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٣/٢٣٢.

(٣) ما بين المعقوفتين لا يوجد في الأصل، والسياق يقتضيه.

(٤) في الأصل (المسلمون).

الواحدة: إتيانه / وغيبته، والثانية: التي يؤمن به فيها أهل الكتاب قبل موته، وتصدق عليه نبوءات الأنبياء في العز والحكم والسلطان والقهر وجمع سائر الناس على التوحيد والإيمان، فيكونون أمة واحدة.

وتبين لنا ما جاء منه وما جاء عنه صلى الله على نبيّنا وعليه:

فأما الذي جاء منه: فدعوته إلى الله، وإلى توحيده، والبراءة من الشرك، ورسالته بالإنجيل، وتلويحه بما لوّح من ذكر الحياة الأبدية، والتشويق إليها، ومن ذكره لأبناء السماء وأبناء الأرض، ومن تعظيمه للحق، واحترامه للخلق، وأمره للحواريين بالذلة والخضوع والتجريد والانقياد والرحمة للعالم، وأقرأهم عنوان السعادة، من فوق ختم كتاب لهم الحسنى وزيادة، وأشهدهم تعلق اللطائف والمعاني بمظاهر الكثائف والمباني، وتخلق الكثائف والمباني بمباطن اللطائف والمعاني، وقال الذائق تنبيهاً:

يا من تأنس لطيفه بكثيفه، فتسمّى لتثنية الأنس إنسان

يا خليفة الرحمن، وزبدة الأكوان، والمخاطب بالتوراة والإنجيل والقرآن

والذي من أجله وأجل استخلافه كان مما كان

اعرف معناك، اذكر مغناك، اطرح أثقالك

واطلب كمالك، لاحظ مآلك، احطط رحالك

ب/٦٨

يا من يخاطبه حقيقة / ذاته، من غيره لكنه لا يعلم

وهو المخاطِب ذاته من غيره، فهو المكلم عنه والمتكلم

في روحك الأرواح والعوالم، ألا ترى ذاك وأنت نائم

والكل فيك حاضر في غيبه، فالكل أنت عَالِم وعَالَم

منادىً بلسان الكون، للتعريف والبون

فلا يدعي دعوى فرعون ونمرود، ولا دعوى النصارى ولا دعوى اليهود

بل نزّه الباري عن كل ما يخطر في النفوس، أو يتخيل أو يتوهم بالحدوس
لا كالذي جسّمته النصارى من المعاني، ولا فرقت بين الأول الأحد والواحد الثاني[(١)]

فهذه الإشارات والتلويحات مصرِّحة بما جاء به المسيح.

وأما ما جاء عنه: فقد تقدم فيما أوردته من الأجوبة من وصاياه وتعبده وتذلله وصلاته لرب العالمين[(٢)].

---

(١) هذا النظم من المؤلف جاء على طريقة نظم الصوفية من الألفاظ المجملة الموهمة، والتي لا تظهر الحق ولا ترد الباطل، وفيها ما يظن أنه من الحلول الباطل، فإن لفظ الحلول فيه إجمال؛ قد يراد به معنى صحيح وهو حلول الإيمان بالله ومعرفته ومحبته ونوره وهداه في قلوب المؤمنين. أو معنى باطل كما يقوله النصارى وغلاة الصوفية الذي هو حلول ذات الخالق في شيء من مخلوقاته!.
ينظر: الجواب الصحيح ٣/٣٤٣.

(٢) ينظر: ما سبق: ل أ/١٢ ص١٢٦.

فصل

ثم قلتم سياقاً: **إن إشعيا قال أيضاً:** ‹**إن غلاماً ولد لنا وابناً أعطيناه، رئاسته على عاتقه ومنكبيه، ويدعى ملكاً عظيم المشيئة بشراً، ملكاً عجيباً، إلهاً قويّاً مسلطاً، رئيس السلامة، أباً، كل الدهور، وسلطانه كامل ليس له فناء**›[١].

وأنه قال أيضاً: ‹**تخرج عصاه من أصل يشي، وينبت نوْر منها، وتحل فيه روح القدس، روح الله، روح الحكمة والفهم، روح الحيل والقوة، / روح العلم وخوف الله. وفي تلك الأيام يكون أصل يشي للأمم، وبه يؤمنون، وعليه يتوكلون، ويكون لهم النياح والكرامة إلى دهر الداهرين**›[٢].

٦٩/أ

واليهود مقرّون بهذه النبوءات، معترفون أنها حق، وأنها عتيدة أن تكمل عند مجيء المسيح.

فقال لكم كليام: إذا كانت اليهود عالمين[٣] **بذلك فأي حجة لهم يحتجون بها عن الإيمان به؟**[٤].

فقلتم: إن الله اختار بني إسرائيل واصطفاهم له شعباً في ذلك الزمان دون كل العالم، وحيث كانوا في أرض مصر في عبودية فرعون أرسل إليهم موسى

---

(١) سفر إشعيا: ٩/٦. بلفظ مقارب.

(٢) سفر إشعيا: ١١/١، ١٠. بلفظ مقارب. وفيه: (يسّى) بدلاً من يشي، وهو أبو داود عليه السلام كما في إنجيل متّى: ١/٦، وأيضاً: في الرسالة ن ٣: (التاج) بدلاً من النياح، ورجحه محقق الجواب الصحيح ٣/٤٠٨.

(٣) في الأصل (عالمون) وهو غلط. وفي الرسالة: (مقرين ومعترفين بها).

(٤) في الرسالة والجواب الصحيح ٣/٤٣٠: الفقرتان كلتاهما من كلام المعترض على النصارى من غير تصريح باسمه (فقلت لهم... فأجابوا قائلين) وأيضاً: في الرسالة ن ٢ و ن ٣ زيادة: (**وأنها عتيدة أن تكمل عند مجيء المسيح، والمسيح قد جاء**).

النبي، دلهم على معرفة الله تعالى، ووعدهم أن الله يخلصهم من عبودية فرعون ويخرجهم من مصر إلى أرض الميعاد، التي هي أرض بيت المقدس، ويريهم آيات، فطلب موسى من الله وعمل العجائب أمامهم، وضرب أهل مصر العشر ضربات وهم يرون ذلك جميعه، وأخرجهم من مصر بيد قوية، وشق لهم البحر وأدخلهم فيه، وصار الماء لهم حائطاً عن يمينهم وحائطاً عن شمالهم، ودخل فرعون وجميع جنوده في البحر[١] وبنو إسرائيل ينظرون ذلك، فلما غاب عنهم موسى إلى الجبل ليناجي ربه وأخذ لهم التوراة من يد الله تركوا عبادة الله، ونسوا جميع أفعاله، وكفروا به، وعبدوا رأس العجل بعد ذلك، ثم عبدوا / الأصنام بعده ليس مرة واحدة بل مراراً كثيرة، وذبحوا لها الذبائح ليست حيوانات بل بنيهم وبناتهم حسب ما ذكر فيما قبل ذلك، وجميع أفعالهم مكتوبة في أخبار بني إسرائيل[٢].

ب/٦٩

فلما رأى الله قساوة قلوبهم وغلظ رقابهم، وكفرهم به، ورأى أفعالهم النجسة الخبيثة غضب عليهم وجعلهم مرذولين مهانين في جميع الأمم، وليس لهم نبي ولا كاهن ولا ملك إلى الأبد، حسب ما نبّأت عنهم الأنبياء على ما ذكرنا قبل، وتشهد به كتبهم التي في أيديهم يومنا هذا.

---

(١) في الرسالة زيادة: (**فلما برزوا بنو** (في نسخ الرسالة: بني) **إسرائيل من البحر أمر الله موسى أن يرد عصاه على المياه فعاد الماء كما كان، وغرق فرعون وجنوده في الماء**). وفي الجواب الصحيح ٣/ ٤٣٠ نحوه.

(٢) في الرسالة ن ٣ و ن ٢ ال نص أوضح: (حسب ما تنبأت عليهم الأنبياء، **وقد ذكرناه قبل ذلك، وأفعالهم جميعها وكفرهم وعبادتهم الأصنام مكتوب جميعه في أخبار بني إسرائيل عندهم وعندنا على قول واحد ونص واحد**).

وكذا قال الله لإشعيا: (اذهب وقل لهذا الشعب: ستسمعون سمعاً لا تفهمونه، وتنظرون ولا تبصرون، لأن قلب هذا الشعب قد غلظ، وقد سمعوا بأفهامهم سمعاً ثقيلاً، وقد غمضوا أعينهم لئلا يبصروا بها، وسمعوا بآذانهم ولم يفهموا بقلوبهم ويرجعوا إلي فأرحمهم)[١].

وقال إشعيا: (هكذا مقتت نفسي سبوتكم ورؤوس شهوركم، وصارت عندي مرذولة)[٢]. وقال: (في ذلك اليوم سأبطل السبوت والأعياد كلها، وأعطيكم سنة جديدة مختارة كالسنة التي أعطيتها لموسى عبدي يوم حوربت، يوم الجمع الكبير، سنة آمر بها وأخرجها من صهيون)[٣].

أ/٧٠

فصهيون: هي أورشليم، والسنة الجديدة / المختارة هي السنة التي تسلمناها نحن معشر النصارى من أيدي الرسل الأطهار[٤]، على ما تسلموها هم من السيد المسيح.

وهذه النبوءات مثل ما هي عند اليهود كذلك هي عندنا معشر النصارى في اثنين وسبعين لساناً، يقرؤها جميع الأمم قولاً واحداً وأنها قول الله.

وقالت اليهود: عتيدة أن تكمل عند مجيء المسيح، لكن المسيح البعد ما جاء، وأن الذي جاء ليس هو المسيح. هذا قولهم[١].

---

(١) سفر إشعيا: ٦/٩، ١٠. بلفظ مقارب.

(٢) سفر إشعيا: ١/١٤. بلفظ مقارب. وفي الرسالة ن ٢ ون ٣، وفي الجواب الصحيح ٤٣٢/٣ في أول النص: (قال الله: هكذا. . .).

(٣) لم أجد هذا النص في سفر إشعيا، وإنما معناه في: ٣/٢. وأيضاً ورد معناه في: سفر ميخا: ٢/٤، وينظر: ما سبق: ل ب/٧ ص١٠٩.

(٤) في الرسالة ن ٢ زيادة: (الذين خرجوا من أورشليم، وداروا في سبعة أقاليم العالم، وأنذروا بهذه السنة الجديدة، فأي بيان يكون أوضح وأصح من هذا البيان؟ إذ قد أوردناه من قول الله، ولا سيما وأعداؤنا اليهود المخالفون لديننا يشهدون لنا بصحة ذلك جميعه). ومثله في: ن ٣، والجواب الصحيح ٤٣٢/٣.

وكفاهم أنهم يكفرون ويفجرون مع الكفر ويقولون: إن المسيح كان ضالاًّ مضلاً، وإنما المسيح عتيد وإنه يأتي ويكمل نبوءات الأنبياء، فإذا ما أتى تبعناه وكنا أنصاره. وهذا رأيهم واعتقادهم في السيد المسيح، فماذا يكون أعظم من هذا الكفر الذي[٢] هم عليه؟

ولأجل ذلك سمّاهم في هذا الكتاب (ﭬ) ولأجل خلافهم لقوله الذي أنطق به أنبياءه.

ولما كنّا نحن معشر النصارى مستمسكين بما أمرونا به الرسل الأطهار سمّانا في هذا الكتاب (المنعم عليهم) .

وأما قولنا في الله: ثلاثة أقانيم إله واحد. فهو أن الله تعالى نطق به وأوضحه لنا في التوراة وفي كتب الأنبياء[٣]. ومن ذلك:

ما جاء في السفر الأول من التوراة يقول حيث شاء الله أن يخلق آدم: (قال الله: لنخلق خلقاً على شبهنا ومثلنا)[٤]، فمن شبهه ومثاله غير كلمته

ب/٧١

(١) في الرسالة والجواب الصحيح ٣/٤٣٢ سياق الفقرة بلفظ أوضح: (**وأما حجة اليهود في هذه النبوات فيقولون ويعتقدون: إنها حق، ولم ينكروا أنها قول الله سبحانه وتعالى، ولكن يقولون: إنها عتيدة أن تكمل وتتم عند مجيء المسيح، وينكرون مجيئه ويقولون: ما جاء إلى الآن! وأن الذي جاء ليس كان المسيح**).

(٢) في الأصل: (الذين).

(٣) في هامش الأصل تعليق بخط الناسخ نفسه: (الجواب عن هذا يأتي في الكراس الثاني إن شاء الله) وينظر: الفصل القادم في بداية جواب المصنف.

(٤) سفر التكوين: ١/٢٦، وقد اختلفت ترجمات النص، ومنها: (على صورتنا كشبهنا)، (على صورتنا كمثالنا)، وأشار الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح ٣/٤٤٤: أن الصواب لفظ (شبهنا) دون لفظ (مثلنا)؛ لأن الله ليس كمثله شيء، وأما الشبه فيقع بوجه دون وجه، بمعنى

وروحه؟ وحين / خالف آدم وعصى ربه قال الله: (ها آدم قد صار كواحد منا)[١]، وهذا قول واضح أن الله قال هذا القول لابنه، أي: كلمته وروح قدسه، وقال هذا القول يهزأ بآدم، أي: أنه طلب أن يكون كواحد منّا صار هكذا عرياناً مفتضحاً.

وقال الله عندما أخسف بسدوم وعامورة[٢] قال في التوراة: (وأمطر الرب من عند الرب من السماء على سدوم وعامورة ناراً وكبريتاً)[٣]، أوضح بهذا ربوبية الأب والابن.

وقال أيضاً في السفر الثاني من التوراة: (وكلّم الله لموسى من العلّيقة قائلاً: أنا إله إبراهيم، أنا إله إسحاق، أنا إله يعقوب)[٤]، ولم يقل: أنا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. بل كرّر اسم الإله ثلاثة دفوع قائلاً: أنا إله وإله وإله؛ لتحقق مسألة الثلاثة أقانيم في لاهوتيته.

الاشتراك الكلي العلمي الذي يقع بين سائر الموجودات وإن اختلفت حقائقها، وما أضيف إلى الخالق اختص به لا يشركه فيه المخلوق. وينظر في تفسير النص تعليق في: ل ب/٥٩ ص٢٧٣.

(١) سفر التكوين: ٢٢/٣.

(٢) سدوم وعامورة (عمورة): قريتان أرسل إليهما لوط عليه السلام فلم يؤمنوا، فأهلكهم الله بالنار والكبريت وقلب المدن، وخطيئتهم إتيان الفاحشة بينهم، حسب رواية التوراة، وقصة قوم لوط مذكورة في القرآن. وهي في منطقة غور الأردن والبحر الميت. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مواد: سدوم، عمورة) وتأريخ الطبري ٢٩٣/١.

(٣) سفر التكوين: ٢٤/١٩.

(٤) سفر الخروج: ٦/٣ و١٥. وفي بعض الترجمات كالترجمة المشتركة وكتاب الحياة لم يكرروا لفظ إله، وإنما بلفظ: (إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب)!.

وقال داود النبي في المزمور الثاني: ﴿الرب قال لي: أنت ابني وأنا اليوم ولدتك﴾[١].

وقال في مزمور مائة وتسعة: ﴿قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك تحت موطئ قدميك﴾[٢].

وكذا يشهد إشعيا بتحقيق الثالوث ووحدانية جوهره، وذلك بقوله: ﴿رب القوات﴾ وبقوله: ﴿رب السماوات والأرض﴾[٣].

ومثل هذا القول في التوراة والمزامير شيء كثير، حتى أن اليهود إلى هذا الوقت يقرؤون هذه النبوءات[٤] ولا يعرفون لها / تأويلاً، وهم معترفون بذلك ولا ينكرون منه كلمة واحدة، وإنما قلوبهم مغلقة عن فهمه؛ لقساوة قلوبهم، على ما ذكرنا من قبل ذلك. ٧١/أ

وأنهم إذا اجتمعوا في كنيستهم كل سبت يقف الحزّان[٥] أمامهم ويقول كلاماً عبرانيّاً هذا تفسيره ولا يجحدونه: ﴿نقدّسك ونعظّمك ونثلّث لك تقديساً مثلثاً كالمكتوب على لسان نبيّك إشعيا﴾ ، فيصرخ الجميع مجاوبين له: ﴿قدوس

---

(١) سفر المزامير: ٧/٢.

(٢) سفر المزامير: ١/١١٠.

(٣) في الرسالة النص أوضح: (**وكذلك يشهد إشعيا النبي بتحقيق الثالوث ووحدانية جوهره بقوله: (إني شهدت الملائكة لا يزالون يسبحون قائلين: قدوس قدوس قدوس رب القوات، جميع السماوات والأرض ممتلئة من مجدك**)). والنص في سفر إشعيا: ٣/٦ بلفظ مقارب.

(٤) في الرسالة زيادة: (**في وسط كنائسهم أكثر من جميع النبوءات**).

(٥) الحزّان: كلمة عبرية بمعنى المرتل للمواعظ الدينية والصلوات اليهودية. ينظر: موسوعة اليهود واليهودية د. المسيري ١٨٤/٥.

قدوس قدوس رب القوات وجميع السماوات والأرض) . فما أوضح إقرارهم في الثالوث وأشد كفرهم به وبمعناه. فنحن[١].

والجواب:

أن حديث إشعيا لا يدل معناه في تعداد الحيل والقوة والعلم والفهم على أنها روح القدس، ولكنها تسمية مجازية واستعارة لطيفة للممدوح[٢].

ويكفيكم تهافتاً: إجماع كلمتكم في الأقانيم – وإن لم تفطنوا له – أن كل واحد منها رب مربوب، إله مألوه، خالق مخلوق، قادر عاجز، غني فقير، فاعل مفعول، واحد ثلاثة، والد مولود.

وما مثلكم في احتجاجكم بقوله تعالى في التوراة: (وكلم الله موسى من العلّيقة) إلى آخره، وقول حزّان اليهود، وغير ذلك مما يحتجون به على تحقيق التثليث وبيان مسألة الأقانيم، إلا كمثل من قال لمدعي معرفة الكتابة والتهجّي: تهجّ لي اسم علي. فقال: علي خمسة أحرف: ط، ح، م. فتبسم السائل، وقال له: مليح تهجّيت / ولكنك أغفلت حرف الصاد!.

ب/٧١

أو كمثل من قال عند استواء الشمس وسط السماء: هذا ثلث الليل، والدليل على ذلك غيبوبة النجوم وشدة حرّ الشمس!.

ويا حسرة عليكم من العقلاء، ويا استحياءهم عنكم من اليهود لو سمعوا هذا الاستشهاد والاحتجاج الذي لا يحوج الخصم معه إلى غيره في بيان الجهالة والضلالة من خصمه.

---

(١) كذا في الأصل، وكلمة (فنحن) تابعة للفصل الآتي، وإدراجها هنا سبق قلم.

(٢) فسّر الإمام ابن تيمية نص إشعياء: بأن المسيح عليه السلام أيّد بروح القدس، وأنه موافق للقرآن. ينظر: الجواب الصحيح ٣/٤٠٩.

ولقد حضر بعضُ أهل الذمة إلى المحاوب لكم، وسمع تلطفه في الأجوبة، فأقسم عليه أن يذكر لكم بعض مناظرة الأسقف الذي أسلم، فأبر المحاوب القسم، وقال حاكياً مناظرته للنصارى قائلاً: أيها النصارى، إني لما رأيتكم على ملل شتى، وكل فرقة منكم تشهد بضلالة الفرقة الأخرى، وكلكم يزعم أن المسيح وحوارييه أهينوا وعذبوا أربعة[١] أيام، فإن كان ذلك عن كثرة منهم وقهر لهم فليس بإلهٍ قادر مَن يُكره ويعذب، وإن كان يرضى منهم فقد نالوا أغراضهم ومناهم.

وقال الحاكي[٢]:

عجباً للمسيح بين النصارى وإلى أي والد نسبوه

نسبوه إلى الإله افتراءً ثم قالوا اليهود قد صلبوه [٣] [٤]

---

(١) في الأصل: (أربع). وهو غلط.

(٢) في الأصل: (الحاك). وهو غلط.

(٣) في الأصل: (للإله افتراء ثم قالوا إن اليهود) ولا يستقيم وزنه، وهو يخالف المشهور (أسلموه إلى اليهود. . .).

(٤) الأبيات لأبي العلاء المعري في ديوانه لزوم ما لا يلزم ٤١٨/٢ من مقطوعة، هي:

أسهب الناس في المقال وما يظفر إلا بزلة مسهبوه

عجباً للمسيح بين أناس وإلى الله والد نسبوه

أسلمته إلى اليهود النصارى وأقروا بأنهم صلبوه

يشفق الحازم اللبيب على الطفل إذا ما لداته ضربوه

وإذا كان ما يقولون في عيسى صحيحاً فأين كان أبوه؟

كيف خلى وليده للأعادي أم يظنون أنهم غلبوه

وإذا ما سألت أصحاب دين غيروا بالقياس ما رتبوه

لا يدينون بالعقول ولكن بأباطيلِ زخرفٍ كذبوه

وفي الغيث المسجم للصفدي ٤٨/١ زيادة بيتين لم يذكرا في اللزوميات بعد البيت الخامس:

وإذا كان راضياً بقضاهم فاشكروهم لأجل ما عذبوه

ويزعمون أن الله هو المسيح، وأن المسيح هو الله، وأن المسيح نزل إلى الأرض واستتر عن عيون الآدميين؛ ليهدي الناس من ضلالاتهم! فهل كان يهديهم لسنّته أو لسنّة غيره؟

فإن قلتم: لسنّة غيره، لم يكن إلهاً. وإن قلتم: لسنّة / نفسه، كذبتم أناجيلكم؛ إذ قول المسيح فيها: (إني لم أجِ لأنقض توراة موسى، بل أثبتها)[١]. ٧٢/أ

وأقول لكم: أخبروني عمن عمل بسنّة المسيح، هل اهتدى أو ضلّ؟

فإن قلتم: اهتدى، فقد ضللتم؛ حيث لم تعملوا بسنّته، إذ كان على سنّة موسى. وإن قلتم: ضلّ، فقد كفرتم بالله وبالمسيح؛ إذ خالفتم قولهما في السبت والختان وغير ذلك.

وهل كان المسيح رسولاً أو راسلاً؟

فإن قلتم: إنه رسول، كذّبتم إنجيلاتكم الشاهدة بأنه إله معبود. وإن قلتم: إنه راسل، كذّبتم المسيح في قوله: (هذه الكلمة ليست منّي بل هي ممن أرسلني)[٢]، وقوله في أول جزء من إنجيل يوحنّا: (قد علموا أنك أنت الذي أرسلتني، وقد بيّنت اسمك لهم)[٣]، وقوله: (لا أدين الناس وحدي، بل أنا والذي أرسلني)[٤]، وقوله

وإذا كان ساخطاً بأذاهم فاعبدوهم لأنهم غلبوه.

ينظر: فائت شعر أبي العلاء للميمني ضمن كتاب بحوث وتحقيقات ٩٣/٢ إعداد. عزير شمس. ٧٢/ب

وقد ذكر الأبيات بعض من ردّ على النصارى مع اختلاف في بعض ألفاظها كالقرطبي في الإعلام ص: ٤١٩، القرافي في الأجوبة ص: ١٧١.

(١) إنجيل متّى: ١٧/٥.

(٢) إنجيل يوحنّا: ٣٠/٥.

(٣) إنجيل يوحنّا: ٨/١٧.

(٤) إنجيل يوحنّا: ١٦/٨.

أيضاً: (إذا هم شهدوا اثنين صادقين أني أشهد على نفسي والله الذي أرسلني)[١]، وقوله في إنجيل يوحنّا: (الأعمال التي عملتها تشهد علي بأن الله الذي أرسلني والله الذي يرسلني إلى خلقه)[٢]، وقوله للذي قال له: أيها المعلم الصالح، أي عمل صالح تأمرني أفعله أنال به الحياة الدائمة؟ فقال للرجل: (لا تدعني صالحاً، فإنما الصالح هو الله وحده)[٣]، وقوله أيضاً طالباً من الله: (إن شئت يا رب أن / تنزع كأس هذا الموت عنّي، فهو بأمرك ليس هو بأمري)[٤]، وقوله أيضاً: (ليس أتكلّم بأمري، ولكن بأمر الذي أرسلني وأعطاني الأمر بما أقول وأتكلم به، واعلموا أن كل من يطيع أوامره ويقبل ما يرسمه ينحله الحياة الدائمة)[٥]، وقوله لهم حين قالوا له: (اذهب واهرب من ها هنا، فإن هدورس[٦] يريد قتلك. فقال لهم: إني أخرج الشيطان من أجسام الناس بآيات كثيرة، فإذا أنا أتممت ما أنا فيه خرجت منطلقاً إلى الله من أجل أن لا يستطيع نبي يتلف خارج دار السلام)[٧]، وقوله: (إني لم أجِ لأنقض توراة موسى ولا كلام الأنبياء، بل جئت أتممها بعمل الحق أمين)[٨]، وقوله حين قام بطرس ليغسل رجليه بالماء: (لم يجِ ابن البشر ليُخدَم، وإنما جاء ليَخدُم)[٩]، وقوله لتلاميذه:

---

(١) إنجيل يوحنّا: ٨/١٧، ١٨.

(٢) إنجيل يوحنّا: ٥/٣٦.

(٣) إنجيل لوقا: ١٨/١٨، ١٩.

(٤) إنجيل متّى: ٢٦/٣٩.

(٥) إنجيل يوحنّا: ١٢/٤٩، ٥٠.

(٦) كذا في الأصل، وفي الأناجيل: (هيرودس).

(٧) إنجيل لوقا: ١٣/٣١ – ٣٣.

(٨) إنجيل متّى: ٥/١٧.

(٩) إنجيل متّى: ٢٠/٢٨.

(اجلسوا ها هنا حتى أصلي، وقام وتنهد، وقال: بلغت نفسي إلى الموت)[١]، وقوله لسمعان ويوحنّا ويعقوب: (أنا يسوع قد بلغت نفسي إلى الموت، انظروني وتيقظوا حتى أتقدم قليلاً وأسجد على الأرض وأصلي لله تعالى حتى ينجيني ويصرف عني السوء) ، ثم إنه خرّ على الأرض سجوداً وطلب من الله أن يصرف عنه كأس الموت، وقال: (يا ربّ اصرف عني هذا الكأس بمسرتك لا بمسرتي ولا بأمري) ، ثم قال لسمعان كصفا: / (أنت راقد وتراني في هذه الشدة والعاقة والضيق وقد أسلمت بيد الخطاة)[٢]، وحين قال الشيطان ليسوع: اسجد سجدة واحدة، وخرّ على وجهك لي حتى أفوض إليك الدنيا وأبيحها لك، فقال يسوع للشيطان: (أليس مكتوباً في التوراة: الله إلهك خف[٣]، وإياه فاعبد، وباسمه المقدس فأقسم، وبطاعته وعبادته التزم)[٤].

٧٣/أ

وفي الإنجيلات أيضاً: أن يسوع قام وصلى ثلاث دفعات، ونبه تلاميذه، وقال لهم: ألا تنتبهون وتصلون معي وتطلبون[٥] لي من الله على هذه الشدة العظيمة والمصيبة الزائدة، التي قد وقعت فيها، في هذا اليوم، فناموا وردّوا كلامه[٦].

ومن إنجيلاتكم المخالفة بالشهادة لهذه الأقوال الشاهدةِ على المسيح بأنه عبدالله

---

(١) إنجيل متّى: ٣٦/٢٦ — ٣٨.

(٢) ينظر: إنجيل مرقس: ١٤/٣٣ ـ ٤٠، وإنجيل متّى: ٣٨/٢٦ — ٤٥.

(٣) في الأصل: (خاف) وهو غلط.

(٤) إنجيل متّى: ٤/٨ – ١٠، وإنجيل لوقا: ٤/٧ – ٨. وفي التوراة: سفر التثنية: ١٣/٦.

(٥) في الأصل: (ألا تنتبهوا وتصلوا معي وتطلبوا) وهو غلط.

(٦) ينظر: إنجيل متّى: ٣٦/٢٦ ــ ٤٦، وإنجيل مرقس: ٣٢/١٤ – ٤٢.

ورسوله: قول لوقا في إنجيله: إن يسوع أقبل من الجليل[١] إلى يوحنّا وطهّره بالأردنّ[٢]، وخرج صوت ينادي: (أنت ولدي وحبيبي وابني)[٣]، وفي الإنجيلات أيضاً: إن يسوع أقبل من الجليل إلى الأردنّ إلى يوحنّا[٤] ليطهره، ولما طهره انفتحت السماء ونزلت روح الله ترفرف عليه، وخرج صوت ينادي: (هذا ابني وحبيبي، الذي / ارتضيت وهويت)[٥]، وفي الإنجيل أيضاً: إن فيلفوس[٦] قال ليسوع: أريد أن تُريني[٧] الأب حتى أموت، فقال له يسوع: (هذا اليوم كله أنا معك وما يكفاك[٨]؟! ومن نظر إلي فقد نظر إلى الأب، وأنا وأبي سواء)[٩].

ب/٧٣

---

(١) في الأصل: (إلى الخليل) وهو غلط. والجليل: منطقة في الشمال الفلسطيني (المحتلّ)، وينقسم إلى أعلى وأدنى. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: الجليل)، الموسوعة العربية الميسرة ص: ١٢١٢.

(٢) الأردنّ: اسم لأهم أنهار فلسطين، ويجري جنوباً وله أربعة ينابيع ويصب في البحر الميت، ويمرّ غرب دولة الأردنّ وبه سمّيت. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: الأردن)، ووصف المؤلف له في كتابه نخبة الدهر ص: ١٠٧، والموسوعة العربية الميسرة ص: ٢٢٥.

(٣) إنجيل لوقا: ٣/٢١، ٢٢. بلفظ فيه اختلاف، ومن نصّه: (أنت ابني الحبيب، عنك رضيت) وفي هامش طبعة دار المشرق اليسوعية: في مخطوطات قديمة: (وأنا ولدتك). وهي أصح؛ لكونها تثبت أن ولادته الحقيقية بالتعميد والتطهير، وأنه قبل ذلك لم يكن ابناً لله مولوداً له. وهذا ينقض عقيدة تأليه المسيح؛ ولهذا حرّفت النصارى المؤلهة لعيسى هذا النص.

(٤) في الأصل: (يحنا) وهو يوحنّا المعمداني، يحيى عليه السلام.

(٥) نفس النص السابق بلفظ مقارب لنص لوقا في إنجيله، وجاء في إنجيل متّى: ٣/١٧، وإنجيل مرقس: ١/٩.

(٦) في الإنجيل: (فيلبس)، وهو اسم يوناني بمعنى: محب للخيل، وهو أحد تلاميذ المسيح، من بيت صيدا، شاهد بعض معجزات المسيح. قاموس الكتاب المقدس (مادة: فيلبس)

(٧) في الأصل: (توريني).

(٨) كذا في الأصل، والأشهر: (يكفيك). ينظر: لسان العرب ١٣/٩٤.

(٩) إنجيل يوحنّا: ١٤/٨ - ١٠ بلفظ مقارب.

أخبروني عن هذا التناقض في شهادات الأناجيل بأن المسيح: نبي مرسل تارة، وولد للإله تارة، وإله بذاته تارة، هل له مستند في المعقول؟! كلا، والله، ولا من المنقول.

وكذلك شهادتكم في أمانتكم: بأن المسيح إله حق من إله حق من جوهر أبيه. وأنكم آمنتم بإله واحد: أب ضابط الكل، خالق السماوات والأرض، صانع ما يرى وما لا يرى. وهذا تناقض في الإيمان؛ فإن المسيح إن كان في السماوات أو في الأرض أو فيهما أو كان يُرى أو لا يرى أو كان من الكل فإنه مخلوق لا خالق ولا إله ولا هو من جوهر أبيه، الذي لا يتجزأ ولا ينقسم، ولا ينسب إليه ما ينسب إلى المخلوقين من الجسمية والجوهرية المتحيزة والكيفية والأينية. فكانت هذه الأمانة منكم خيانة لله ولرسله وللمسيح في زعمكم فيه: أنه إله، وأنه نزل إلى الأرض لخلاصكم معشر البشر.

وكيف يكون إلهاً ربّاً خالقاً وقوله في الأناجيل قوله المتقدم؟!

وكيف يجوز أن يعبد وهو بشر وابن البشر وأفعاله كلها أفعال البشر: في الخَلق، والخُلق، والنشوء، والنمو، والتغذي، والنوم، والسكر بالخمر، والسهر[1]، والجزع والفزع، / والهروب، والجوع والعطش، وتعليم الصنائع الدنيّة كالصباغة للثياب ومثلها؟![2].

٧٤/أ

---

(١) في الأصل: (التهر).

(٢) هذه الأوصاف تنزلاً حسب ما جاء في أناجيلهم، وإلا فالمسيح ابن مريم نبي كريم، بشر مؤيد من عند الله.

وكيف تزعمون أنه الله وأن الله هو وتعلمون أنه قال: (وجدت العصافير وكراً يسكنونه، ووجدت الثعالب موضعاً يختبئون فيه، وابن البشر لم يجد موضعاً يسكن فيه إلا خشبة يركب عليها) ؟![١].

وأين هذا القول والاعتراف بالعبودية والانقهار والتذلل والانكسار من زعمكم فيه؟! وتكذيبكم لأناجيلكم المذكور فيها قوله: إنه رسول لا راسل، وعبد لا ربّ، مُتأله[٢] لا إله؟!

ولئن قلتم: إنه فعل العجائب.

قلت لكم: إن غيره من الأنبياء فعل ما هو أعجب من فعله ولم يتخذوه إلهاً ولا أشركوا به، كما اتخذتم المسيح إلهاً وأشركتم به!

خلق الله آدم أباً للبشر من غير أب ولا أمّ، وهو أعجب من خلقه المسيح من أم بغير أب.

ورفـــــع الله أخنوخـــاً إلى الـــــــسماء[٣]،

---

(١) إنجيل متّى: ٨/٢٠، وإنجيل لوقا: ٩/٥٩. بلفظ مقارب.

(٢) في الأصل: (مألوه) وهو غلط.

(٣) أخنوخاً: اسم عبري بمعنى محنك، وهو ابن يارد من نسل شيث، وجدٌّ لأبي نوح عليه السلام، وفي سفر التكوين: ٥/٢٤: أنه عاش ثلاثمائة وخمساً وستين سنة، وأنه سار مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه. وله سفر باسمه من الأسفار غير القانونية عند غالب الكنائس سوى الكنيسة الأثيوبية، وهو بلغة الحبشة وبعض أجزائه باليونانية، ينتمي بعض أجزائه إلى مخطوطات قمران، ويظن أنه كتب في القرن الثاني قبل الميلاد، ومترجم إلى الانجليزية، يحتوي على مائة وثمانية إصحاحات. كما ينسب له أسرار أخنوخ باللغة السلافية، فيه بعض الشبه بسفره. ينظر: دائرة المعارف الكتابية (مادة: أخنوخ).

وفي المصادر الإسلامية: أخنوخ هو إدريس عليه السلام عند جماهير المفسرين، وقال برفعه إلى السماء وهو حيّ بعض المفسرين عند قوله تعالى في سورة مريم: آية ٥٧ (ﮃ ﮄ ﮅ)، وفُسر المكان العليّ بما جاء في حديث المعراج أن النبي رآه في السماء الرابعة. أخرجه البخاري

ورفع آلياهو النبيّ[(١)] إلى السماء كما قلتم: إنه رفع المسيح إلى السماء.

وسمّى الله إسرائيل في التوراة ابناً، قال: (ابني بكري إسرائيل)[(٢)]، كما سمّى المسيح نفسه ابناً، وسمّى الحواريين أبناء بقوله في الإنجيلات: (أحبّوا أقرباءكم وأحبّوا أعداءكم، وباركوا على من لعنكم، واصنعوا الحسنات إلى من أساء عليكم، وصلوا على من يتكلم عليكم؛ لكيما تكونوا بني أبيكم الذي في السماء)[(٣)]، وقوله أيضاً فيها: (إن أنتم كافأتم السيئة بالسيئة فأي أجر لكم عند أبيكم الذي في / السماء؟ سيغفر لكم

ب/٧٤

(ح٣٤٣٠)، وقيل: رفعه في الجنة، وقيل: رفع المكانة والتشريف. ينظر: تفسير ابن كثير ٢٤١/٥، الإعلام بأصول الأعلام د. ف عبد الرحيم ص: ٢٩. جاء في فتح الباري ٣٧٥/٦: (وكون إدريس رفع وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية). وما ورد في أسفار أهل الكتاب ليس صريحاً في رفعه، وإن كان ليس هناك ما يمنعه، خلافاً للفلاسفة. ينظر: الجواب الصحيح ١٧٨/٦.

ورفع أخنوخ ورد في سفر التكوين: ٢٤/٥، وفي رسالة العبرانيين: ٥/١١.

(١) كذا في الأصل، والمراد: إيليا، وفي العبرية: (أيلياهو)، وفي اليونانية: (أيلياس)، وفي السريانية: (إلياس)، وهو كذا في العربية: من أنبياء بني إسرائيل، سيرته في سفر الملوك الأول: ١٧، وبعث زمن آخاب الملك وقومه وأنكر عليهم عبادة البعل، وحتى رفع إلى السماء وخلفه إليشع النبيّ، كذا في التوراة. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: إيليا)، والإعلام بأصول الأعلام ص: ٤٤. وهو النبيّ إلياس على الأرجح الوارد ذكره في القرآن، وفي سورة الصافات: آية ١٢٣: أنه أرسل إلى قوم يعبدون بعلاً. ينظر: تأريخ الطبري ٤٦١/١.

ورفع إيليا ورد في سفر الملوك الثاني: ١١/٢.

(٢) سفر الخروج: ٢٢/٤.

(٣) إنجيل متّى: ٤٤/٥، وإنجيل لوقا: ٣٥/٦. وفي الأصل: (وأبغضوا أعداءكم) وهو سبق قلم من المؤلف والتصويب من الإنجيل، ولم ترد الجملة الأولى.

سيئاتكم)[١]. فإما أن تعبدوا إسرائيل وتعبدوا أنفسكم حيث جعلكم أبناء الله بالتسمية المجازية، أو ترجعوا عن الشرك بالله وعن قولكم: المسيح ابن الله.

وإن كان الشرك بالمسيح لأجل أنه أشبع ألف رجل من ثمانية أرغفة مع سمكتين، وأحيا الميت، وكشف السقم عن المريض[٢]؛ فإن أليسع النبي وآلياهو النبي أحيا كل واحد منهما الموتى[٣]، وحزقال النبي أحيا ألفاً في بقعات دورا[٤]، وآلياهو دعا في كفّ دقيق وفي قليل زيت فكفى خلقاً كثيراً ثلاث سنين إلى أن نزل المطر، ثم دعا فأنزل المطر، ودعا الله على جبل الكرمل[٥] فنزلت له النار وأحرقت القربان، ولقلقت ستّاً[٦] وثلاثين جرة ماء[٧]، وأليسع جعل بكلمته في يسير من السويق والخبز بَرَكة

---

(١) ورد معناه في إنجيل متّى: ٤٦/٥، وإنجيل لوقا: ٣٢/٦، وهو من تتمة النص السابق في موعظة المسيح عليه السلام المعروفة بالموعظة على الجبل.

(٢) ينظر: ما سبق في: ل ب/٤٤ ص٢٣٥.

(٣) أليسع النبي: (أليشع) بن شافاط، خليفة إيليا في الدعوة والنبوة سيرته في سفر الملوك الثاني. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: أليشع). وهو مذكور في القرآن الكريم في سورة الأنعام وص. ينظر: تأريخ الطبري ٤٦٤/١.

وإحياء الموتى من إيليا وأليسع جاء في سفر الملوك الأول: ١٧/١٧، وسفر الملوك الثاني: ١٩/٤.

(٤) جاء أن حزقيال أحيا جيشاً عظيماً في وسط بقعة يابسة مملوءة عظاماً. ينظر: سفر حزقيال: ١/٣٧ – ١٥. وفي سفر حزقيال لم يرد تسمية البقعة، وورد تسمية بقعة دورا في أرض بابل كما في سفر دانيال: ١/٣. وحزقيال كان مع المسبيين في أرض بابل كما في سفره: ١/١.

(٥) في الأصل: (الكرمد)، وجبل الكرمل: بمعنى المثمر، من جبال فلسطين (المحتلة) يقع في مدينة حيفا ويطل على البحر المتوسط، مثلث الشكل. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: كرمل)، ومعجم البلدان ٤٥٦/٤.

(٦) في الأصل: (ستة) وهو غلط. وفي التوراة: (لحست) بدلاً من لقلقت.

(٧) سفر الملوك الأول: ١٠/١٧، ٣٨/١٨.

عظيمة حتى قام بمائة نبي[١]، وموسى بن عمران بعثه الله إلى فرعون بالضربات المشهورة: قلب مياههم دماً، وسلط عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والظلمة العجيبة، وقتل أبكارهم في الضربة العاشرة، وتحويله العصا تنّيناً والتّنين عصا أعجب من إحياء الموتى، وأخرج بني إسرائيل وشق بين أيديهم البحر، وسيرهم بعمود نار وعمود غمام، وفجر له عيون الماء، وأطعمهم المن والسلوى[٢]، وأمر الأرض ففتحت فاها وابتلعت قارون وأهله بأمر الله[٣]، ويوشع بن نون وقفت له الشمس والقمر يوماً / تامّاً، وضرب ماء الأردن فيبس إلى أن عبر صندوق عهد الله[٤]، وكذا حزقياهو الداودي ردّ

---

(١) سفر الملوك الثاني: ٤/٤٢، وفيه: مائة رجل.

(٢) ينظر في معجزات موسى: سفر الخروج: ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤.

(٣) لم يرد اسم قارون في التوراة، وعقوبة الإهلاك والخسف وردت على قورح ابن عمّ موسى في سفر العدد: ١٦/٣٢. فقيل: إن قورح هو قارون، ورجحه أكثر المفسرين. وقيل: إنه يصهار وهو عمّ موسى، أخذاً من معنى الاسمين (قارون ويصهار) إذ معناهما المنور، والأول أقرب. ينظر: التحرير والتنوير ١١/١٦٨، وتفسير ابن كثير ٦/٢٥٣، والإعلام د. ف عبد الرحيم ص: ١٤٤.

(٤) يوشع بن نون: كذا اسمه في المراجع العربية، وفي سفر العدد: ١٣/١٦ اسمه (هوشع) فغيره موسى عليه السلام إلى (يشوع) فتى موسى وخليفته، ودخل الأرض المقدسة فاتحاً ببني إسرائيل. وله سفر باسمه عدد إصحاحاته ٢٤، وكاتبه مجهول، وفيه حديث عن حياته وفتوحاته. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: يشوع). ومعجزة توقف الشمس ليشوع وردت في سفره ١٠/١٣.

ونبوة يوشع ومعجزته في إيقاف الشمس قد صحت بها السنة النبوية، كما في حديث أبي هريرة مرفوعاً: (إن الشمس لم تُحْبَس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس). رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/٣٢٥، وصححه الحافظ ابن حجر في الفتح ٦/٢٢١، والألباني في الصحيحة ١/٣٤٨، وأصله مطولاً في صحيح البخاري (ح٣١٢٤)، ومسلم (ح١٧٤٩)، من غير تصريح باسم يوشع.

وأما معجزة المشي على ماء نهر الأردن ومعهم التابوت: فوردت في سفر يشوع: ٣.

٧٥/أ

الشمس درجات إلى وراء وعاد الظل إلى عشر درجات[١].

وأنتم فلا تقدرون تكذبون بشيء مما ذكرته من آيات الأنبياء المذكورين وبراهينهم ولم يضع المسيح أعجب منها، فإما تتخذونه نبيّاً رسولاً كما شهد لنفسه بأناجيلكم، وإما تعبدون هؤلاء الأنبياء وتشركون بهم كما أشركتم به.

وقلتم: الأب والابن وروح القدس كانوا جميعاً، ولم يكن منهم واحد قبل الآخر وكان قبله من وجه، وإنهم – يعنون: الثلاثة – بقدرة واحدة وسلطان واحد وأقنومية واحدة!

فإن قلتم: إن الابن نسب إلى أبيه حين ولده وتولّد منه! نقضتم الباطل بالباطل.

وإن قلتم: كان الأب أباً والابن ابناً أبداً وأزلاً. كان من أمحل المحال ذلك.

وكذلك قولكم: إنه بديمار واحد لاهوت وديمار[٢] واحد ناسوت، وإنه صعد إلى السماء بالاثنين فاستوى على العرش مع الأب، فصورة شهادة منكم: من أين لكم هذا؟ وكيف تشهدون الزور وتقولون على الله الكذب؟ ويا لها من فضيحة وأضحوكة!

وقولكم أيضاً: إن أقنوم الابن نزل من السماء إلى مريم العذراء. فهل نزل معه الأب وروح القدس؟ أو الابن وحده نزل؟ فإن قلتم: نزل وحده والتحم، فقد أبطلتم الباطل الأول بباطل غيره. وإن قلتم: نزلوا / جميعاً، كان باطلاً وجنوناً وتلعباً ممن لا يفقه قولاً ولا يهتدي سبيلاً.

٧٥/ب

(١) حزقياهو كذا بالعبرية: يعرف بالملك البار ابن أحاز ملك يهوذا، حكم بين (٧٢٨ – ٦٩٣ ق. م)، والداودي نسبة لداود عليه السلام، سيرته في أسفار: الملوك الثاني، والأخبار الثاني وإشعياء، وفي زمنه النبي إشعياء. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: حزقيا).

ومعجزة ردّ الشمس عشر درجات وردت في سفر إشعياء: ٨/٣٨.

(٢) كذا في الأصل، ولم أجد لها معنى، وسياقها يدل على معنى: وجه أو طبيعة لاهوتية وأخرى ناسوتية.

ويكفيكم ويلاً وبعداً عن الإنسانية زعمكم في المسيح: أنه إله وربّ وخالق. وتشهد أناجيلكم: أنه في الأرض حيث لا منتهى له وفي البحار حيث لا نهاية، وفي الجبال والمغرب كذلك، كما أن الرب في كل مكان، وتشهد أناجيلكم أيضاً: أنه كان جسد المسيح كأجساد الناس؟!.

وتعلمون أن الآية الثانية من العشر كلمات: (لا يكون لك معبود دوني، ولا تتخذوا صنماً مصوراً، لا في السماء العليا ولا في الأرض السفلى ولا في المياه التي تحت الأرض) . ولما انتهى في إسماعهم الآية العاشرة قالت الأئمة لموسى: سمعنا وأطعنا. وقرّوا بجملتهم: أن الله واحد ليس سواه[(١)].

وتعلمون أيضاً أن داود النبي قال لربّه: (أريد أن أبني لك يا ربّ بيتاً. فقال له: يا داود أي بيت يسعني؟ وأي مكان؟ السماوات والأرض لا تحويني)[(٢)].

وأن يسوع لما أصابه الجهد والعرق استغاث وقال: (قد بلغت نفسي إلى الموت)[(٣)]. وأنه قال لبطرس: (اذهب واسرق لي هذا الفلو، ولا تعلم صاحبه) ، فذهب بطرس إلى صاحب الفلو فحلّه[(٤)]، وسرق الفلو وأركبه يسوع وهرب به[(٥)].

---

(١) سفر الخروج: ٢٠/٤، ٢٤/٣.

(٢) معناه في سفر صموئيل الثاني: ٧، وسفر أخبار الأيام الثاني: ٦/١٨. وروي نحوه عن وهب بن منبه نقلاً من بعض الكتب السابقة، أخرجه الإمام أحمد في الزهد ص: ٥١، وأبو نعيم في الحلية ٤/٢٤. ونحوه في تاريخ دمشق ٦١/١٠١.

(٣) إنجيل متّى: ٢٦/٣٨، وإنجيل مرقس: ١٤/٣٤.

(٤) في الأصل: (كحله).

(٥) في إنجيل متّى: ٢١/٢، وإنجيل لوقا: ١٩/٣٠، وإنجيل مرقس: ١١/٢، وفيها: أن المسيح أرسل اثنين ليأتياه بجحش مربوط لم يجلس عليه أحد وأنه محتاج إليه... وفي النص أنهما أخذا الجحش من غير إذن أصحابه، وليس فيه ما يشير إلى السرقة، وفي سياق القصة اختلافات بين الأناجيل.

وتعلمون أيضاً: أن يسوع دعوه إلى العرس ومعه أمّه مريم، فأكل وشرب وسكر ونام، فأيقظته أمه وقالت له: قم يا ولدي فقد فرغ الخمر، فانتبه وقال: (إن الذي / ينبغي أن يدعوا به إلى الله أن يرزقنا خمراً نشربه)[١].

أ/٧٦

فيا خسران من زعم فيمن هذه صفاته أنه رب وإله وخالق، ويا هلاكه.

وتعلمون أيضاً مع هذا أن موسى بن عمران رسول الله سأل أن ينظر إلى الله تعالى، فقال له الله: (يا موسى عبدي، لا يقدر أحد ينظر إلي فيعيش)[٢]. وسئل مرة عن الإله ورؤيته فقال: (لم يره أحد ولا يراه أحد قط، ومن رآه مات)[٣].

فكيف تزعمون أن يسوع إله وربّ وخالق[٤] وتعبدونه، وتعبدون الصليب وتقبّلونه، وتجعلونه قدّامكم في المذابح أوقات صلواتكم المردودة عليكم؟! وكل ذلك من شرككم به. مع أنكم تعلمون وتجزمون وتشهدون أن يسوع أقام أربعين يوماً هارباً في الجبل جزعاً فزعانَ وهو يصلي ويسجد ويطلب الخلاص من الله تعالى، كما قال لوقا في الإنجيل. وأن الشيطان ما زال يطلب يسوع حتى وجده مختبئاً في موضع كادت روحه تذهب من الجوع والعطش والجهد، فقال ليسوع لما وافاه: (إن كنت إلهاً كما قد زعمت فقل لهذه الصخور والكهوف تنفجر عيوناً وتشرب منها الماء) ، فقال يسوع للشيطان: (إنه مكتوب في التوراة: ليس على الخبز وحده يحيا الإنسان، ولكن بكلام الله يعيش ابن آدم) . فجرّ الشيطان يسوع جرّاً عنيفاً حتى أتى به إلى مدينة القدس، فأخذه وأصعده إلى أعلى الهيكل، وقال: / (يا يسوع إن سجدت لي سجدة واحدة

ب/٧٦

---

[١] إنجيل يوحنّا: ٣/٢ من دون مقولة المسيح، ومعناه جاء في نفس الإنجيل: ٣، ٥.

[٢] سفر الخروج: ٢٠/٣٣.

[٣] لم أجده، وما قبله بمعناه، وورد معناه في إنجيل يوحنّا: ١٨/١، وفي رسالة تيموثاوس الأولى: ١٦/٦.

[٤] في الأصل بالنصب: (إلهاً وربّاً وخالقاً) وهو غلط.

ملّكتك هذه الدنيا بكل ما فيها) . فقال يسوع للشيطان: (أليس مكتوباً في توراة موسى: الله إلهك خفْه، وإياه اعبدْ، وباسمه المقدس أقسمْ، وبعبادته وطاعته التزمْ؟)(١).

وتعلمون وتخبرون وتؤرخون في كتبكم ما أنا ذاكره وحالف عليه بالله العظيم الأحد أنني لو لم أره مدوّناً في إنجيلٍ ومكتوباً في كتبكم ما ذكرته ولا حكيته؛ لما فيه من القبح والشناعة والبهتان، وذلك أن قلتم ذاكرين له: ولما كان يوم الجمعة أصبحوا اليهود جاؤوا إلى يسوع إلى الحبس فأخرجوه منه، وجعلوا على رأسه إكليلاً من الشوك والعوسج، وأسقوه الخل وماء الحنظل، وعذّبوه وأهانوه وأنزلوه المنازل القبيحة، وغطّوا رأسه بذيله، وجعلوا يلطمونه بأيديهم، ويقول اللاطم له: يا يسوع إن كنت إلهاً كما تزعم ويزعمون أصحابك أعلمنا من ذا يلطمك؟ وهو يستغيث ويبكي ويقول: ما أعلم الغيب، ولا يعلم الغيب إلا الله وحده. وأقسم بالله العظيم إن هذا الفعل القبيح لو فعل بحمار أو ثور لكان منكراً ومستقبحاً، فضلاً عن أن تصفوا هذا في إنجيلكم عمن زعمتم أنه إله خالق ربٌّ فعال لما يريد! فيا بئس قوماً هذا مذهبهم وهذا اعتقادهم.

٧٧/أ

ثم سقتم / تمام هذه الحكاية القبيحة فقلتم: ثم إن اليهود لم يزالوا يطوفون بيسوع يوم الجمعة إلى نصف النهار وعلى رقبته خشبة الصلب، حتى كاد يموت من ثقلها وتعذيبهم له بها وبالسحب والمناداة عليه واللطم له، فوقعت الخشبة من فوق كتفه إلى

---

(١) وردت هذه القصة في إنجيل متّى: ٤، وفي إنجيل مرقس: ١٣/١، وإنجيل لوقا: ٤. وتعرف بتجربة الشيطان للمسيح!.

الأرض حتى جاء شمنون أو سميون وحملها عن يسوع بزعمكم[١] ومشوا بيسوع إلى أن جاؤوا به إلى موضع يريدون صلبه فيه، وهو موضع خارج البلد، وصلبوه في الشمس، وصار يستغيث ويضج من عظم الألم من فوق الخشبة ويقول: (يا إلهي لم خليتني وسلمتني بيد أعدائي؟ رب أغثني وخلصني)[٢].

واختلفت إنجيلاتكم في أمره:

فقوم يقولون: مات فوق الخشبة.

وقوم يقولون: طعن برمح فمات ولم يزل مصلوباً مدة طويلة.

وقوم يقولون: سعى في خشبته أبوه يوسف النجار، واستغاث إلى فيلاطس الملك حتى وهبت اليهود له جسد يسوع، وأنزلوه من الخشبة ولفّوه في ثوبين ودفنوه في المقبرة، كما زعمتم في إنجيل متّى ويوحنّا[٣].

فهذا قولكم في معبودكم الذي زعمتم أنه إله. وحسبكم ما تراه عقولكم ويكفيكم.

ثم زعمتم مع هذا الجنون واختلاط العقول: أن يسوع بعد صلبه وموته ودفنه قام وأرسل إليكم من جهته / رسلاً يأمرونكم بالشرك بالله، ويعلّمونكم أن الأب والابن والروح القدس إله واحد، ويوصونكم عنه بوصايا مخالفة للتوراة، وبين كل واحد وواحد

ب/٧٧

---

(١) في إنجيل متّى: سمعان القيرواني، وأصل لفظ سيمون ولفظ سمعان واحد. وبعض الطوائف النصرانية الغنوسية تعتقد أنه صلب بدلاً عنه. ينظر: الفارق بين المخلوق والخالق ص: ٢٨١، وهل افتدانا المسيح على الصليب د. السقار ص: ٣٠.

(٢) ينظر: إنجيل متّى: ٢٧/٢٧، وإنجيل مرقس: ١٥، وإنجيل يوحنّا: ١٩.

(٣) ينظر: إنجيل متّى: ٥٧/٢٧، وإنجيل يوحنّا: ٣٣/١٩. ولا يزال سبب موته – حسب معتقد النصارى – غامضاً: هل هو بصلبه كما في إنجيل يوحنّا؟ أو هو بقتله وطعنه وخروج الدم والماء كما في إنجيل متّى ويوحنّا؟.

منهم مائة سنة وأكثر، وكتبوا لكم الأناجيل[١] والشرائع، وفرضوا عليكم فرائض كلها زور وبهتان وأسندوها إلى يسوع، فقبلتها عقولكم وجعلتموها قوانينكم، ومن ذلك:

قوله في الأناجيل الأربعة: (تصدقوا بكل شيء يكون لكم، واجعلوا كنوزكم حيث لا تسرق ولا تسوّس)[٢].

وقوله: (لا تجمعوا في بيوتكم ذهباً ولا فضة ولا نحاساً، فإنكم لا تستطيعون تعبدون[٣] إلهين، ولا تخدموا ربّين، ومن ترك هذه الوصايا فقد عصاني)[٤].

وقوله: (من لطم خدك اليمين فحوّل له اليسار، ومن سخّرك ميلاً فامشِ معه ميلين، ومن ظلمك فاغفر له، ومن ضحك عليك[٥] صلّ عليه، ومن أذنبت إليه لا تبت أو تستغفره، فإن لم تستغفره غضبت عليك) ، وقوله: (من سألك تعطيه فلا تمنعه، ومن أراد أن يأخذ قميصك فلا تمنعه)[٦].

وقوله: (أعطوا أقرباءكم وأحبّوا أعداءكم، وباركوا على من لعنكم، واصنعوا الحسنات إلى من أساء إليكم) ، وقوله: (إن أنتم كافأتم السيئة بسيئة فأي أجر لكم؟)[٧].

---

[١] في الأصل: (التوراة) والمثبت أوفق للسياق.

[٢] معناه في إنجيل متّى: ٢٠/٦، وإنجيل لوقا: ٣٣/١٢.

[٣] في الأصل: (لا تستطيعوا تعبدوا).

[٤] معناه في إنجيل متّى: ٢٤/٦، وإنجيل لوقا: ١٣/١٦. والفقرة الأخيرة في رسالة يعقوب: ١٠/٢، وإنجيل متّى: ١٩/٥.

[٥] في الأصل: (ضحلكك)، ونص هذه الفقرة لا يوجد في الإنجيل.

[٦] إنجيل متّى: ٣٩/٥ – ٤٣.

[٧] سبق النصان قريباً في: ل ب/٧٤ ص٣١٢، وفي الأصل: (أبغضوا أعداءكم) والتصويب من الإنجيل.

وأغفلتم ما جاء في التوراة / وفي المزامير وكتب النبوات من الحكم والوصايا والتشريع والسنن التي سنها موسى بن عمران وتبعها المسيح، فحسبكم علمكم بأنفسكم ومعرفة العالم بأسرهم لكم. ٧٨/أ

ثم كلام الذمي الذي أقسم أني أحكي ما يليق أن يُحكى منه لا كله، فإن فيه ما يصكّ السمع ويذهب بالبصر ويورث إحناً وضغائن. وسواء إن كان وقع أو لم يكن وقع.

ثم لنرجع إلى ما كنّا بسبيله من المحاوبة، فنقول: إن تواريخ اليهود أيضاً وتواريخ العلماء منكم أن بولص[1] لم يعاصر المسيح لا صحبه ولا كان من تلاميذه، وكان

---

(١) بولس: معناه باليونانية الصغير، كان يسمّى قبل المسيحية بشاول، ولد في طرطوس الرومانية، وكان أبوه من اليهود الفريسيين، فكانت ثقافة بولس خليطاً من الفلسفة الوثنية واليهودية، وبعد تظاهره بالمسيحية طاف في البلاد يدعو إليها، ونسبت له أربع عشرة رسالة، واختلف في نسبة بعضها إليه، وتأثيرها في المسيحيين أشد من الأناجيل التأريخية لكونها تعليمية، وتدوينها كان قبل تدوين الأناجيل، ويكاد يتفق المؤرخون من النصارى وغيرهم على أن المسيحية الحالية هي من تعاليم بولس، وقد بثها في رسائله، ومن أشهرها: تأليه المسيح وتجسده، وعقيدة الصلب والفداء، وأن المسيح يحاسب الناس في القيامة، والدعوة في الأمم وعالمية المسيحية، وإلغاء بعض شرائع التوراة كالختان والسبت.

ومصادر سيرة بولس وتعاليمه: في سفر أعمال الرسل ورسائله وبعض كتابات مؤرخي القرن الثاني.

ينظر: دائرة المعارف الكتابية (مادة: بولس)، قصة الحضارة ٢٤٩/١١، المسيحية لشارل ص: ٦٧، مدخل إلى رسائل القديس بولس للأب فاضل اليسوعي ص: ٦، بولس وتحريف الكنيسة لهيم ماكبي ترجمة سميرة الزين. وأيضاً: محاضرات في النصرانية ص: ٩٠، دراسات في الملل والنحل د. الشرقاوي ص: ١٣، تحريف رسالة المسيح لجستنيه ص: ١٣١.

بينه وبين زمن المسيح نحو المائة والخمسين سنة أو دونها أو أكثر منها[(١)]، وأنه كان يهودياً مسلطاً على النصارى، ولم يزل قائماً عليهم بالقتل والمحاربة حتى أجلاهم عن الشام إلى الروم[(٢)]، وأنه بعد ذلك لبس المسوح وأظهر التوبة والرغبة في النصرانية ولحق بأهل الروم النصارى[(٣)]، فقبلوه ودخل معبداً وأقام فيه سنة لا يظهر لأحد، وأنه كان يخدمه أربعة من علماء النصارى، فقال لهم: نوديت من السماء: أن يا بولص اسمع ما أوحيه إليك فأنا المسيح واحفظه وأعلم به فلاناً — يعني أحد الأربعة خدّامه — ولا تعرّف الثلاثة رفاقه معه، ولم / يسمّ المشار إليه، فظنّ كل واحد منهم أنه هو المخاطب بالسر، ثم إن بولص خلا بواحد وأوصاه على الكتمان، وأن يلقي إلى الفرقة

ب/٧٨

(١) لا يختلف المؤرخون أن بولس ولد بعد رفع المسيح ولم يره، فقيل: بعده بثلاث سنين أو أربع، وقيل: بعشر سنين، وقيل غير ذلك. وكانت وفاته قتلاً في زمن اضطهاد نيرون سنة ٦٧ أو ٦٨م. ينظر: تأريخ يوسابيوس القيصري ص: ٩٠، تأريخ ابن البطريق ٩٧/١، قصة الحضارة ٢٤٩/١١، تحفة الأريب للترجمان ص: ٦٩. ووهم المؤلف حين ظن أن بين بولس والمسيح أكثر من مائة سنة في أكثر من موضع من جوابه.

(٢) ينظر: سفر أعمال الرسل: ٨، ٩.

(٣) توبة بولس مذكورة في سفر أعمال الرسل بثلاث روايات مختلفة في تفاصيلها: ٤/٩، ٦/٢٢، ١٢/٢٦. ينظر: إظهار الحق ٢٢٤/١، وقد كان دخول بولس النصرانية للتلبيس على المسيحيين بعد اضطهاده لهم، ومما يدل على ذلك أنه لم يتلق تعاليمه ممن لقي المسيح كعادة كل من يدخل في دين جديد، وإنما زعم أنه يتلقاها من المسيح مباشرة! فقال: (الإنجيل الذي بشرت به إنه ليس بحسب إنسان، لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلّمته، بل بإعلان يسوع). وقال: (لم أستشر لحماً ولا دماً، ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي). كما في الإصحاح الأول من رسالته إلى غلاطية. بل خالفه التلاميذ وتفرقوا عنه كما في رسالته الثانية لتيموثاوس: ١٥/١، ومع ذلك ظهرت تعاليم بولس وكل من خالفه من التلاميذ اختفى، مما يدل على استغلال نفوذه في اليهودية واستمرار صلته بها. وممن أشار إلى مكر بولس: ابن حزم في الفصل ٦١/٢، والقاضي عبد الجبار في تثبيت دلائل النبوة ١٥٦/١، والقرطبي في الإعلام ص: ٢٤١، وابن تيمية في جامع الرسائل ٢٥٩/٢، والقرافي في الأجوبة ص: ٢٧٣ وغيرهم.

القائلة به من النصارى ما يلقيه بولص إليه، وأن يكتموه مع التدين به، ثم قال له: المسيح هو الله، والله هو المسيح، طبيعة واحدة، ومشيئة واحدة، ظهر كخلقه رحمة لهم، واحتجب عن خلقه بخلقه رحمة لهم.

ثم قال للثاني مع الوصية له كالأول: إن المسيح وأمّه إلهان، قوتان ظهرا في الأرض رحمة للناس ولخلاصهم من الجحيم، طبيعتان ومشيئة واحدة، ظاهرهما مخلوق وباطنهما خالق.

وقال للثالث بعد الوصية: إن الله ثلاثة أقانيم، صفات وخواص أب وابن وروح القدس متوسطة، والثلاثة واحد، لاهوت وناسوت طبيعتان ومشيئتان.

وقال للرابع كذلك بعد الوصية: إن الله لابس صورة العالم كله، وإنه هو الإنسان القديم، وإن المسيح نسخته كالمركب المحيط دائرة عظمى ونقطة جامعة، طبيعة واحدة ومشيئتان. وإنهم خرجوا من عنده وكل واحد منهم يظن أنه هو صاحب السر وحده، وتكلم كل واحد منهم مع طائفته بذلك، حتى استقر كلامه في أذهانهم، فاختلفوا وصاروا أربع فرق / لذلك[١].

٧٩/أ

---

[١] لم أجد قصة بولس وإيحائه بالأقوال الأربعة التي هي أصل فرق النصارى فيما كتبه النصارى، وأول من وجدته أشار إليها محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦) فيما نقله عنه بروكلمان في تأريخ الأدب العربي ٩/٤، ونقله عن الكلبي الدميري في حياة الحيوان الكبرى ٢٥٤/٢، وذكرها الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان ٣٣/٥ (ت. ابن عاشور)، وعنه تلميذه الواحدي (ت ٤٦٨) في تفسيره البسيط ٣٦٧/١٠ (ط. الإمام)، ونقلها عنهما جملة من المفسرين كالفخر الرازي في تفسيره ٣٤/١٦ ولم يرتضِها، والبغوي في تفسيره ٣٨/٤، والخازن في تفسيره لباب التأويل ٣٢٣/٢ وغيرهم، وذكر نحوها القرطبي في الإعلام ص: ٢٤١، والقرافي في الأجوبة ص: ٢٧٣، وأشار إلى حكايتين متقاربتين. وأغلب الظن أن القرطبي نقلها من كتب التفسير، ومصدرها في كتب المفسرين الكلبي المفسر، فإن الثعلبي والواحدي كثيراً ما يخرّجان عنه، كما ذكر السيوطي في الإتقان ١٩٨/٢. والكلبي هو أبو النضر محمد بن السائب متهم

وإن بولص احتجب بعد ذلك سنة ثانية وخرج رسولاً ظاهراً يزعم أن المسيح أرسله مع بطرس[١]، وصدّقوه النصارى وجعلوه بدلاً عن يهوذا[٢] الأسخريوطي المشبّه بالمسيح، والمسمى الشقي[٣].

وإن بولص أباح للنصارى أكل المقتول والمخنوق والمنحور[٤]، وجعل القربان من الخبز والخمر جسد الرب[١]، ورقم صورة وجه المسيح وعنقه في منديل ودفعه إلى

بالكذب، وتفسيره من أضعف التفاسير. ينظر: العجاب في بيان الأسباب لابن حجر ٢٠٩/١، والإسرائيليات للذهبي ص: ٧٥.

وهذه القصة لا تثبت تأريخيّاً، فالمشهور عند عامة المؤرخين أن نسطور ويعقوب متأخران زمناً عن بولس، قال البكري في المسالك ٣١٤/١: (وفي زمانه – قسطنطين – افترقت مذاهب النصارى، فتفرّق النصارى النسطورية على مذهب نسطارس، وهم المشارقة من النصارى... واليعاقبة بمصر وأنطاكية والشّام وتكريت، والملكية وهم بقسطنطينية والروم). وأيضاً: لا يعرف انتظام هذه الأقوال في تعاليم بولس، وإن كان تأثرها بتعاليم بولس لا ينكر. ينظر: منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى د. عبد الراضي ص: ٤٢٣.

[١] رئيس الحواريين، ولقاء بولس معه كان خمسة عشر يوماً، كما في سفر أعمال الرسل: ٢٧/٩، وخالفه، كما في رسالة بولس إلى غلاطية: ١١/٢، وينظر ما كتبه بطرس ليعقوب عن بولس في رسالة مكتشفة حديثاً في: كتاب دراسات في الملل والنحل د. الشرقاوي ص: ٧٥.

[٢] في الأصل: (هيرودس) وهو غلط.

[٣] الذي اختاره التلاميذ بالقرعة بدلاً من يهوذا هو متياس، كما في سفر أعمال الرسل: ٢١/١، وتلاميذ المسيح بزعم النصارى اثنا عشر مذكورون في إنجيل متى: ١٠، وإنجيل مرقس: ٢، وإنجيل لوقا: ٦، وفيهم يهوذا الأسخريوطي، دون بولس الذي لم يدرك المسيح، وإن زعم أنه تمثّل له فأدخله النصارى في الرسل مع كونه ليس على شرطهم! بل جعلوه في منزلة تفوقهم! وسفر أعمال الرسل الذي يتحدث عن التلاميذ نال الحديث عن بولس ثلثيه! ورسائل العهد الجديد إحدى وعشرون رسالة منها أربع عشرة لبولس! وفي قاموس الكتاب المقدس (مادة: رسول): (ومع أنه – بولس – لم يكن ضمن الاثني عشر، إلا أنه جاهد وتعب أكثر من جميعهم، وكرز في بلاد أكثر، وكتب رسائل أكثر). وينظر: موسوعة آباء الكنيسة ٨٢/١.

[٤] كما في سفر أعمال الرسل: ٢٩/١٥، ورسالة بولس الأولى إلى كورنثوس: ١٣/٦.

بطرس، فزعم بطرس أن المسيح دفعه إليه في النوم، وكان هذا أول تمثال وضعته النصارى في كنائسها[٢].

وأنه هو الدافن لخشبةٍ جعلها خشبة الصلب، وأن هيلان أم قسطنطين الصغير نبشتها وحملتها وصفّحتها بالذهب، وكان ذلك أول عبادة النصارى للصليب وتعظيمهم له[٣].

---

[١] كما في رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس: ٧/٥، ١٠/١٦، ١١/٢٣. وينظر: المسيحية لشارل ص: ١٣٩، بولس وتحريف المسيحية لهيم ماكبي ص: ٤٩.

[٢] لم أجد هذا بلفظه، وإنما جاء في إنجيل يوحنّا: ٢٠/٧: أن منديلاً كان على رأس المسيح في قبره. وأشار ابن العبري في تاريخ مختصر الدول ١/١١٣: إلى أن المسيح أرسل منديلاً مع تلميذ له إلى ملك الرها فصوّره! كما أشار إلى صورة المسيح في الرها: أبو قرة النصراني الملكي (وهو من الرها) في كتابه ميمر في إكرام الأيقونات ص: ٢٠٨، وقد أشار الأب د. ديك في مقدمة تحقيق الكتاب ص: ٧٩ إلى الشك في صحة صورة المسيح تاريخيّاً، وهل هي من رسم يد بشرية أو صورة للكفن؟! وقال: (وقد حيك حولها العديد من القصص). وينظر في اختلافات علماء النصارى وتخبطهم: ما كتبه الأب لويس شيخو اليسوعي في مقالة (كفن السيد المسيح في مدينة تورين) في مجلة المشرق (السنة الخامسة ص: ٥٥٧). وذكر المسعودي في مروج الذهب ١/٢٨٢: أن في كنيسة الرها منديلاً يعظمه النصارى؛ لأن يسوع الناصري حين أخرج من المعمودية تنشف به! وفي سنة ٣٣٢ هـ أعطي للروم، وحصل لهم فرح عظيم به!. والمشهور أن تقديس الصور ووضع التماثيل متأخر بعد القرن الثالث الميلادي، وما وجد قبل ذلك فهو حالات فردية، وإن كان أصلها من بدع بولس ومن تبعه من آباء الكنيسة، فزعم بولس أن الصور هي الأعيان! كما في رسالته الثانية إلى كورنثوس ٣/٨. ينظر: ريحانة النفوس في أصل الاعتقادات والطقوس للقس شنيدر ص: ٨٦، وينظر: ما سبق في ل أ/٢٢ ص١٥٩.

[٣] هيلانة: من الرها تنصرت وقرأت الكتب على يد أسقف الرها، وكانت جميلة فخطبها قسطس الملك، فأنجبت له قسطنطين، وعاشت ثمانين عاماً، وبنت كنيسة القيامة واستخرجت الصليب. ينظر: تأريخ ابن البطريق ١/١١٧، ١٢٩. ما ذكره المؤلف عن بولس من وضع صورة للمسيح أو دفنه لخشبة الصلب مستبعد؛ للبعد الزمني بين ظهور تعظيم الصور والصليب وبين

وأن النصارى أنكروا رسالة بطرس ونقموا عليه وعذبوه وطافوا به محلوق الذقن مقلداً بمصارين الغنم متوجاً بالكرش، ثم تابوا وصدّقوه بتصديق بولص له، وكان ذلك سبب حلق الفرنج ذقونهم ولبسهم ما هم لابسوه، وكذلك لبسوا القسيسون الأقماع المائلة تشبهاً بالكرش الذي لبسه بطرس تعزيراً[1].

بولس، وإن كان ما أدخله بولس في النصرانية من القول بالتجسد والفداء على الصليب أسس لعبادة الصور وتعظيم الصليب.

[1] جاء في الأعلاق النفيسة لابن رسته (عاش في القرن الثالث الهجري) ص: ١٢٩، نقلاً عن يحيى بن هارون الذي أُسر ونقل إلى القسطنطينية ورومية، قوله في وصفه لمدينة رومية: إن ملكهم (البابا) في فصح النصارى ينزل لقبري شمعون (بطرس) وبولس ومعه موسى، فيحلق رأس شمعون ولحيته ويقلم أظفاره كل سنة! وقال: (وأهل الرومية صغيرهم وكبيرهم يحلقون لحاهم كلها لا يتركون منها شعرة واحدة على أذقانهم، ويحلقون وسط هاماتهم، فسألتهم عن السبب في حلق لحاهم، وقلت لهم: إن زين الرجال في اللحى، فما مرادكم من هذا الذي تفعلونه بأنفسكم؟ فقالوا: إن كل من لم يحلق لحيته لم يكن نصرانيّاً خالصاً؛ وذلك أنه جاءنا شمعون الصفا والحواريون ولم يكن معهم عصي ولا جراب؛ إنما كانوا مساكين ضعفاء، وكنا نحن إذ ذاك ملوكاً علينا الديباج، ونحن على كراسي الذهب يدعوننا إلى النصرانية، فلم نجبهم، فأخذناهم وعذبناهم وحلقنا رؤوسهم ولحاهم، فلما ظهر لنا صدق قولهم صرنا نحلق لحانا؛ كفارة لما ارتكبناه من حلق لحاهم). ومثله عند البكري في المسالك والممالك، نقله عن إبراهيم الطرطوشي اليهودي في رحلته لأوروبا (جغرافية الأندلس وأوروبا ت. الحجي ص: ٢٠٥)، وعند القزويني في آثار البلاد ص: ٤٩٥، والحميري في الروض المعطار ص: ٢٧٥، صبح الأعشى ٤٠٨/٥.

وحلق اللحية مما اختصت به الكنيسة الكاثوليكية، وهي مما أخذ من عادة الرومان الوثنيين من حلق اللحى، ولم يكن ذلك في بني إسرائيل، ولم ينقل شيء عن بولس في هذا، سوى ما عرف عنه من كثرة مخالفته لما أثر في بني إسرائيل، كما في أعمال الرسل: ٢٨/٢١، وفي سفر اللاويين: ٥/٢١: (ولا يحلقوا عوارض لحاهم)، وهو ما عليه الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية والقبطية من اعتبار حلق اللحية مخالفة دينية. ينظر: دائرة المعارف الكتابية (مادتا: شعر، لحية).

وأن بطرس وضع كتاباً كالملحمة وعزاه إلى المسيح، وأنه بجملته كذب وزور، وأن بولص وضع رسائل كذلك معروفة به، معانيها أشبه بلعب الصبيان وحديث النسوان[١]. وأن ذلك كله / كان بعد المسيح بنحو من مائة وخمسين سنة أو حولها. ب/٧٩

وكان في هذا التأريخ أشياء لا يليق ذكرها، أعرضت عنها احتراماً للملة والدعوة، ولأجل ما هو في كتابنا العزيز من ذكر الإنجيل وذكر النصارى، وأن فيهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون، ولأنه ليس بيننا وبينهم إلا الشرك الذي أحدثوه[٢].

قل للذي يزعم من جهله. . . أن النصارى يعلمون الحساب

لو صحّ ذا ما جعلوا واحداً. . . ثلاثة وهو خلاف الصواب [٣]

وتجسيمهم المعاني المبتدعة، واتخاذهم دينهم لهواً ولعباً: كالمرافع قبل صومهم[٤]، والشعانين[٥]، والهجمة[١]، وتسقية عظام الموتى بالزيت[٢]، وتدويرهم على المسيح

---

(١) وصف ابن حزم في الفصل ١٥/٢ رسالتي بطرس بأنهما (في غاية البرد والغثاثة)، ورسائل بولس بأنها (مملوءة حمقاً ورعونة وكفراً). وينظر في حال الرسائل المنسوبة لبطرس وبولس: إظهار الحق ١٥٨/١، دراسات د. الأعظمي ص: ٣٨٥، ومصادر النصرانية د. عبد الرزاق ألارو ص: ٥٨٨.

(٢) ينظر: ما سبق في ل ب/٥٣ ص٢٥٥. ونقل الكفريات لإبطالها وبيان شناعتها إنما يكون بقدر الحاجة. ينظر: الشفا للقاضي عياض ص: ٤٢٥ (ط. ابن حزم).

(٣) لم أجد هذا النظم عند غير المؤلف، وربما كان من نظمه.

قال الإمام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى ٥٩٠/٦ حين أبطل التثليث: (ومن هنا قيل: النصارى غلطوا في أول مسألة من الحساب الذي يعلمه كل أحد، وهو قولهم: الواحد ثلاثة!).

(٤) في المعجم الوسيط ص: ٣٦١: (المرافع عند المسيحيين: أيام معلومة تتقدم الصوم). ولا يزال عند الأرثوذكس يحتفل به، ويعرف بأسبوع المرفع، أي: يرفع مبدئيّاً تناول بعض الأطعمة كاللحم، وهو بدعة عند بعضهم؛ لأنه يسهم بالشبع قبل الصوم.

(٥) في المعجم الوسيط ص: ٤٨٥: (الشعانين: عيد مسيحيٌّ يقع يومَ الأحد السابق لعيد الفِصح، يحتفل فيه بذكرى دخول السيد المسيح بيتَ المقدِس).

في آخر الصوم[٣]، وازدرادهم للقطائف العجين بعدد مخصوص[٤]، وعكوفهم على الخمر ليلاً ونهاراً، وتركهم الفحص عن الحق والعرفان له.

وهذا التأريخ وما ذُكر - من اللائق ذكره — منه، فإنه إن كان حقّاً أو باطلاً فإنما إثمه على المؤرخ، وعهدته على المدوّن منكم - أيها النصارى — ومن اليهود؛ لأننا معشر المسلمين متمسكون بوصية نبيّنا ﷺ ، حين أوصانا أن لا تكذّبوا أهل الكتاب ولا تصدّقوهم فيما يذكرونه عن أنبيائهم وفي كتبهم، من الموافق لا المخالف الذي هو شرك وجحود وكفر وفسوق، فإننا نردّه ونلعن قائله / ومعتقده[٥].

أ/٨٠

---

[١] في معجم الرائد لجبران مسعود ص: ٨٣٤: (هجمة الفصح عند بعض النصارى: طقوس ورموز تتخلل صلاة عيد الفصح، وتجري أمام باب الكنيسة).

[٢] قال المسعودي في مروج الذهب ١/٥٠ عن الناصرة: (ورأيت في هذه القرية كنيسة تعظمها النصارى، وفيها توابيت من حجارة فيها عظام الموتى، يسيل منها زيت ثخين كالرُّبِّ تتبرك به النصارى).

[٣] يزعم النصارى أن الأسبوع الأخير من الصوم والذي يسبق الشعانين تقع فيه الرؤية الروحية للرب (المسيح) بعد معاناة الصوم! ويرمزون له بقولهم: كنت أعمى والآن أبصر!.

[٤] الازدراد بمعنى الابتلاع. ينظر: لسان العرب ٣٤/٦.

[٥] إشارة إلى ما جاء في صحيح البخاري (رقم: ٤٤٨٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعِبرانية و يفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ : (لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم، وقولوا: (آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل) الآية). قال الإمام ابن تيمية في خاتمة كتابه مقدمة في أصول التفسير: (الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام: أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح. والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه. والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني). وينظر: فتح الباري ٢٦١/١٠، وتفسير ابن كثير ٩/١.

وسأبين لكم أيها النصارى العقلاء الرؤساء، فيما أذكره على سبيل الحكاية، أنكم إذا أردتم أن تدعوا الله مخلصين له الدين وتطلبوا منه حوائجكم، تقولون بأصواتكم وألسنتكم:

يا ألله، يا ربّنا، يا أبّ، يا ابن، يا روح القدس، يا مسيح، يا ثلاثة أقانيم، يا ثالوث مقدّس، يا إله واحد، يا إنسان تام، يا إله تام، ارحمنا ونجّنا.

يا من صلب وقتل بالحربة، أنت معبودنا ولك سجودنا.

يا من لم يدفع لاهوتُه عن ناسوته العذابَ والهوانَ والصلبَ، بل كان اللاهوت هو الذائق لذلك؛ فإن الناسوت جسم موات مع الأجسام الغير حسّاسة غير الحساسة!.

يا قادر على كل شيء، يا عاجز عن خلاص نفسه من إهانة اليهود وصلبهم له، يا من صلب ومات قدّام العالم، ثم حيِيَ وقام بشهادة مجنونة وصياد واثنين <أو>[١] ثلاثة[٢] أخبروا أنهم رأوه مختفياً مستتراً خائفاً من اليهود أن لا يمسكوه مرة أخرى، نسألك بعجزك عن سلامة نفسك وخلاصها من الصلب، إلا ما نجيتنا مما نخاف!.

يا غني، يا فقير، يا واحد، يا اثنان، يا ثلاثة، يا من هو النطق وهو الحياة وهو الروح المرفرفة على الماء، سلمنا!.

وكذلك إذا تضرعتم ودعوتم بأم المسيح، أو استشفعتم بها في حوائجكم، تقولون: يا ست، يا حنّونة، يا أم الإله، يا من ولدت الله بلا زرع، يا عروس لا عرس لها، اشفعي لنا / إلى ابنك، الذي جسمه منك، وروحه هي الله، وهي من الله! ، وكذلك تقولون عند تمثالها في ليلة عيد البشارة وليلة الميلاد.

ب/٨٠

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) ينظر: ما سبق في ل أ/١٨ ص١٤٨.

فيا قوم، أين تذهبون؟! وما الذي تقولون يا نيام العقول، ومخالفين المنقول والمعقول! أي دين تدينون؟! وهذا ومثله رأيكم ومذهبكم! وتدّعون أنكم تسلّمتموه من المسيح! وتعالى الله رب العالمين.

فصل

ثم قلتم سياقاً[١]: **فنحن لأجل هذا البيان الواضح الذي قاله الله في التوراة وفي كتب الأنبياء، نجعله ثلاثة أقانيم، جوهراً واحداً، طبيعة واحدة، إلهاً واحداً، خالقاً واحداً، ربّاً واحداً، وهذا الذي بقوله: أب وابن وروح قدس.**

وقد علمنا أنه لا يلزمنا إذا قلنا: ليس هذا عبارةً عن ثلاثة آلهة، بل إله واحد، كما لا يلزمنا إذا قلنا: الإنسان ونطقه وروحه ثلاثة أناسي، ولا إذا قلنا: لهب النار وحرارة النار وضوء النار ثلاث[٢] نيران، ولا إذا قلنا: قرص الشمس وضوء الشمس وشعاع الشمس ثلاث شموس.

وإذا كان هذا رأينا في الله تقدّست أسماؤه فلا لوم علينا ولا ذنب لنا؛ إذ لم نهمل ما تسلّمنا، ولم نرفض ما تقلّدناه ونتبع ما سواه، ولا سيما لنا هذه الشهادات البيّنات، والدلائل الواضحات، من الكتاب الذي في أيدي هؤلاء القوم[٣]، وأعظم حجّتنا ما وجدنا / فيه من الشهادة لنا بأن الله جعلنا فوق الذين الذين كفروا إلى يوم القيامة، باتّباعنا السيد المسيح روح الله وكلمته. ٨١/أ

---

(١) في هامش الأصل كتب بالحمرة: (الجواب عن هذا يأتي في الكراس التالي).

(٢) في الأصل: (ثلاثة).

(٣) في الرسالة ن ٢ ون ٣ ويظهر في جواب الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح ٤٩٧/٣ زيادة: (فقلت لهم: إن كانوا المسلمون يحتجون علينا قائلين: إن كنتم تحتجون علينا ببعض ما في كتبنا فيلزمكم قبوله كله. قالوا: ليس الأمر على هذه الصورة؛ لأنه إذا كان لإنسان على إنسان كتاب بمائة **دينار، وكان مكتوباً في ظهر الكتاب أنه استوفى، فإذا أظهر صاحب الدين الكتاب وطلب من المديون المائة دينار أيجوز للمديون أن يحتج بما في ظهر الكتاب أنه أوفاه المائة دينار أم لا؟ أو يقول له صاحب الدين: كما تقبل هذه المائة دينار الموفية اقبل أيضاً هذه المائة دينار الدين، بل يدفع عنه المائة دينار الذي في الكتاب بما في الكتاب أيضاً من أنه قد أوفاه**

وأما تجسيم[(١)] كلمة الله الخالقة التي بها خلق كل شيء بإنسان مخلوق، يعني الذي أخذ من مريم العذراء المصطفاة على نساء العالمين، واتحدت الكلمة به اتحاداً بريّاً من اختلاط أو تغيّر أو <استحالة>[(٢)]. وخاطب الناس[(٣)] كما خاطب الله موسى النبي من العوسجة[(٤)]، ففعل المعجز بلاهوته وأظهر العجز بناسوته[(٥)]، والفعلان هما في المسيح الواحد.

وقد جاء أيضاً في هذا الكتاب الذي في أيديهم يقول: (ﭢ ﭣ ﭤ) الآية[(٦)]، وقال: (ﯙ ﯚ ﯛ) الآية[(٧)]، فعنى بموته: عن موت الناسوت الذي أخذ من مريم العذراء.

ولم يبق له عليه شيء. وكذلك أي شيء قيل عنّا أو احتج به علينا من هذا الكتاب دفعناه من هذا الكتاب أيضاً، ولهذا قلنا: إن أعظم حجتنا. . .).

وقد أجاب الإمام ابن تيمية عن دعواهم بما حاصله ٤/٤٩٩: أن طعنهم ببعض القرآن طعن بالرسول نفسه، وهو طعن بكل ما جاء به، وتصديقهم ببعضه تصديق برسالته الموجب لقبول كل ما جاء به؛ بخلاف صاحب الوثيقة، فإن الذي له الدين أقر بالاستيفاء المسقط له فلم يبق له حق يدعيه، وليس له أن يحتج بالإقرار بالدين دون الإقرار بالوفاء، بل إما أن يعتبرهما جميعاً أو يبطلهما جميعاً. كما أجاب القرافي في الأجوبة الفاخرة ص: ١٣١ بنحوه، وينظر: الإعلام للقرطبي ص: ١٠٧.

(١) في الرسالة ن ١: (اتحاد).

(٢) هذه الكلمة لا توجد في نسخ الرسالة، ووردت في الأصل وفي الجواب الصحيح ٤/٥.

(٣) في الرسالة ن ١ (في الهامش) ون ٢: (وخاطب الناس منه).

(٤) العوسجة: شجرة شوكية تنبت في المناطق الجافة والحارة، والمراد هنا: العليقة المذكورة في سفر الخروج: ٣/٢.

(٥) في الرسالة ن ١ (في الهامش) زيادة: (كالألم والموت وغير ذلك).

(٦) سورة آل عمران: آية ٥٥.

(٧) سورة المائدة: آية ١١٧، والشاهد في قوله تعالى: (ﯙ ﯚ).

وقال أيضاً: (ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ) الآية[(١)]، فأشار بهذا القول إلى اللاهوت الذي هو كلمة الله الخالقة[(٢)].

وقد سمّاه أيضاً في هذا الكتاب خالقاً حيث قال: (ﭼ ﭽ ﭾ) الآية[(٣)]، فأشار بالخلق إلى كلمة الله المتحدة في الناسوت المأخوذ من مريم، لأنه كذا قال على لسان داود النبي: (بكلمة الله خلقت السماوات والأرض)[(٤)]، لأنه ليس خالق إلا الله وكلمته وروحه.

ب/٨١

وهذا يوافق رأينا واعتقادنا في السيد المسيح / – لذكره السجود – لأنه حيث قال: وخلق من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طيراً بإذن الله[(٥)]. أي: بإذن لاهوت الكلمة المتحدة بالناسوت.

وقال أيضاً: (ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ) الآية[(٦)]، فعنى بقوله: (ﮨ ﮩ) إشارة إلى الناسوت المأخوذ من مريم الطاهرة، وكما أن آدم خلق من غير جماع ولا مباضعة[(٧)]، وكما أن جسد آدم[(٨)] ذاق الموت، فكذلك جسد المسيح ذاق الموت.

---

(١) سورة النساء: آية ١٥٧.

(٢) في الرسالة ن ٢ ون ٣: **(إلى اللاهوت الذي هو كلمة الله الذي لم يدخل عليه ألم ولا عرض).**

(٣) سورة المائدة: آية ١١٠، والشاهد قوله تعالى: (ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ).

(٤) سفر المزامير: ٣٣/٦.

(٥) إشارة للآية السابقة ١١٠ من سورة المائدة.

(٦) سورة آل عمران: آية ٥٩.

(٧) في الرسالة ن ١ زيادة: (وكذلك ناسوت (ن ٢ ون ٣: جسد) المسيح خلق من غير جماع ولا مباضعة).

(٨) في الأصل: (المسيح)، والتصويب من الرسالة.

وعلى هذا القياس نقول[١]: إن المسيح صلب ناسوته ولم يصلب لاهوته، وقد برهن بقوله أيضاً في موضع آخر قائلاً: إن الله ألقى كلمته إلى مريم[٢].

وذلك حسب قولنا – معشر النصارى –: إن كلمة الله الخالقة الأزلية حلّت في مريم وتجسّدت بإنسان كامل.

وعلى هذا المثال نقول: في السيد المسيح طبيعتان[٣]: طبيعة لاهوته التي هي كلمة الله، وطبيعة ناسوته الذي أخذ من مريم العذراء واتحدت الكلمة به[٤].

وأمّا ما تقدم به القول من الله على لسان موسى إذ يقول: (أليس هذا الأب الذي خلقك، وبراك، واقتناك؟) ، وعلى لسان داود أيضاً: (بكلمة الله تشددت السماوات والأرض، وبروح فيه جميع قواهن)[٥]، فليس يدلّ هذا على ثلاثة خالقين، بل خالق واحد: الأب، وكلمته أي: نطقه، وروحه أي: حياته.

---

(١) في الأصل: (وعلى القياس يقول . . . وعلى المثال يقول)، والمثبت من الرسالة، وهو أوفق للسياق.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: (ٿ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ) في سورة النساء: آية ١٧١.

(٣) في الرسالة ن ١: (جوهران: جوهر لاهوتي ... جوهر ناسوتي)، وفي ن ٢: (طبيعة من طبيعتين: لاهوته وناسوته)، وفي ن ٣: (**طبيعتان: طبيعة لاهوته...** وطبيعة ناسوته)، وكذا في الجواب الصحيح ٥٣/٤. وهذا الاختلاف في اللفظ ربما يشير إلى اختلاف نسّاخ الرسالة في طبيعة المسيح؛ لاختلاف مذاهبهم!.

(٤) سياق هذه الفقرات السبع السابقة مختلف في نسخ الرسالة، وبزيادة في بعض الألفاظ، ولكن لا يخرج معناها عن ما ذكره المؤلف؛ لهذا لم أشر إلا إلى ما فيه زيادة معنى.

(٥) ينظر: ما سبق في ل ب/٥٤ ص٢٦٠، وفي الأصل النص الثاني: (وبروح فاه)، والتصويب من الرسالة.

فالجواب:

أما قولكم في الثلاثة أقانيم: إنها كالإنسان أو النار أو الشمس: فسيأتي الجواب عنه إن شاء الله، وقد تقدم من الرمز والإشارة ما فيه كفاية[(١)].

٨٢/أ

وأما / قولكم: إن كلمة الله تجسّدت وولدتها مريم متّحدة بالناسوت، الذي هو الجسم، اتحاداً بريّاً من اختلاط أو تغيير أو استحالة، وخاطب الناس كما خاطب الله موسى من العوسجة أو العليقة، وأنه حلول أو اتحاد: فتعالى الله عن ذلك، وسأبين لكم جليّة الحال من كتابنا الذي حصّلتموه عندكم وتدبّرتموه كما قلتم، فاتلوا قوله تعالى في سورة النمل: ﴿ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڼ ڼ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ﴾[(٢)]. أخبر سبحانه وتعالى أن الذي في النار وحولها مبارك مقدّس، وأنه فعلُ ما لم يسمّ فاعله بقوله: ﴿ڳ ڳ﴾ الآية، ونزه نفسه سبحانه عن الحلول فيها، والاتحاد بها، أو أنه جسم شبيه بالنار أو النار والشجرة مظهر له، بقوله: ﴿ڻ ڻ ڼ ڼ﴾[(٣)]، ونبّه على عظمته العظمى، ونفى عن نفسه كل ما يخطر في نفوس السامعين من توهم الكيفية والحيّز والحصر والحركة والأينيّة؛ بوصفه نفسه بالعزة والحكمة:

---

(١) ينظر: ما سبق في ل ب/٥٨ ص٢٧٠، وما سيأتي في ل أ/٩٤ ص٣٨١.

(٢) سورة النمل: آيات ٧ – ٩.

(٣) في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٢٦/١٩: (وفي حذف متعلق التنزيه إيذان بالعموم المناسب لمصدر التنزيه، وهو عموم الأشياء التي لا يليق إثباتها لله تعالى. . . ومن أول تلك الأشياء تنزيهه عن أن يكون حالّاً في ذلك المكان).

فالعزيز: هو الممتنع عن الدّروك والأوهام والأفهام، فلا يرام ولا ينال بتوهّم ولا تخيّل ولا تعقّل، ولا يحاط بعلم(١).

والحكيم: المحكم الأشياء، المتقنها، المرتّب لها على أكمل نظام، وأفضل إتقان، وأحسن تقويم، سبحانه وتعالى(٢).

وأما(٣) قولكم عما / جاء في التوراة من ذكر الشبه والمثال، وهو قوله في السفر الأول من التوراة: (فأردنا أن نخلق خلقاً على شبهنا ومثالنا)(٤)، وأن المراد بذلك: المسيح لا غيره: فليس كذلك، بل المراد: أن يخلق خليفة في الأرض شبيهاً بالمستخلِف له في التصريف في الأرض والتمكين، وأن يكون موجوداً حيّاً عالماً مريداً قادراً سميعاً بصيراً متكلماً مُشيئاً، فاعلاً أفعالاً شبيهة بأفعال مستخلِفه لا من كل وجه، وأن يستدل الخليفة بما هو فيه من هذه الصفات المحدثة المقيدة على الصفات العلية القديمة المطلقة، ونعلم الفرق بين قدرته وقدرة مستخلِفه، وكذا جميع صفاته(٥).

ب/٨٢

(١) هذا معنى واحد من معاني اسم الله العزيز، وذكرها ابن القيم في مدارج السالكين ٣/٢٦٨ فقال: (العزة يراد بها ثلاثة معان: عزة القوة، وعزة الامتناع، وعزة القهر، والرب تبارك وتعالى له العزة التامة بالاعتبارات الثلاثة).

(٢) هذا معنى من معاني اسم الله الحكيم، وهو راجع إلى الحكمة المتضمنة لكمال العلم والإرادة، والمعنى الثاني: من الحكم، وهو الفصل والأمر المتضمن لكمال الملك والقدرة. ينظر: بدائع الفوائد لابن القيم ١/١١٩.

وقد اقترن اسم العزيز بالحكيم في ستة وأربعين موضعاً من القرآن، ولاقترانهما دلالات أخر، منها: كمال القدرة مع كمال العلم، وهما مصدر الخلق والأمر، ومنها: كمال الملك والحمد لله سبحانه. ينظر: مدارج السالكين ٣/٤٧٩، وطريق الهجرتين لابن القيم ص: ٢٠٧.

(٣) كتب بخط الناسخ في الهامش بالحمرة: (**هذا أول الجواب الذي أحال عليه في الكراس الذي قبل هذا**). وينظر: ل ب/٧٠ ص٣٠٧.

(٤) سفر التكوين: ١/٢٦.

(٥) ينظر في تفسير هذا النص: ما سبق في ل ب/٥٩ ص٢٧٣، ل ب/٧٠ ص٣٠٧.

فإذا ظهر له الفرق والبون لم يكن كنمرود وفرعون، الغالطين في الاستخلاف، والكافرين بالخلاق بغير خلاف، ولم يذهب مذهبكم الباطل، ولا مذهب الثنوية العاطل، الذي جذبكم الشيطان إليه جذباً عنيفاً وأنتم تبصرون، وساقكم إلى التثليث به وأنتم لا تشعرون، فأراكم إلهين اثنين: إلهاً في السماء، وإلهاً في الأرض، ووسوس لكم: أن إله الأرض قويَ على إله السماء فحبس أنبياءه ورسله وحزبه في الجحيم، أي: آدم وذريته، كما زعمتم في سبب نزول المسيح؛ أنه لم ينزل إلى الأرض إلا لخلاص آدم وذريته من الجحيم.

فوسوس لكم: أن إله السماء فكّر طويلاً في كيفية خلاص حزبه من حبس إله الأرض، فلم يجد في الملائكة من يقوم بذلك، ففصل كلمته التي هي / صفة ذاته وخالقة معه كما زعمتم! وأرسلها مع أمين الملائكة إلى الأرض، وأمره أن يختار لها ذاتاً حسّاسة من البشر القريبين إلى إله الأرض بالمشابهة له فيمازجها بها، ويتلطف ما أمكنه، حتى تمتزج الكلمة التي هي في الحقيقة لا أين لها ولا كيفية ولا كمية امتزاجاً تامّاً بتلك الطينة الأرضية العنصرية، ويكون منها إذا اتحدت بها ولدٌ إلهٌ ممزوجٌ[١] من الكلمة والذات الحساسة كما زعمتم! فيخرج من بين الفرث والدم ومجرى الأنجاس والأثقال إلهٌ تامٌّ وإنسانٌ تامٌّ، ابنٌ ممزوجٌ متحدٌ[٢] فيه اللاهوت بالناسوت، ففعله المعجز بجوهر أبيه، وعجزه وبشريته من أمه الذات الحسّاسة كما زعمتم!

٨٣/أ

فلما نزل الملَك بالكلمة المفصولة عن المتكلم بها وبقي المتكلم بزعمكم بلا كلمة! لأن كلمته الخالقة التي بها تشددت السماوات والأرض، وهي ثلث إله السماء أي: النطق الذي هو واحد الأقانيم الثلاثة، انفصلت عن الأب وعن روح القدس

---

(١) في الأصل (ولداً إلهاً ممزوجاً).

(٢) في الأصل (إلهاً تاماً وإنساناً تاماً، ابناً ممزوجاً متحداً).

الأقنومين الباقيين، وانحلّ بذلك تركيبهم الجوهري عند انفصالها واتصالها بالذات الحسّاسة وتجسّدها إنساناً كما زعمتم في أمانتكم، وكما ذكرتم الآن في رسالتكم هذه[١].

ثم إن الشيطان وسوس لكم بعد ذلك: أن إله السماء لما صار له هذا الولد السماوي والأرضي وحضنته أمّه وزينته، لم يفطن به إله الأرض حتى شبّ وعمل العجائب، مثل: أنه قلب الخمر، وصبغ / الثياب ألواناً من صبغ واحد، وظهر للفرس المرسلين إليه في صورة شيخ للشيخ منهم وصورة شاب للشاب منهم وصورة صبي للصبي منهم، ومثل هذه الأشياء التي زعمتم أنها عجيباته[٢]، ثم فطن له بعد ذلك فاختطفه كما زعمتم وجرّه جرّاً عنيفاً، وذهب به ليهلكه بالجوع والعطش، ثم أمره أن يسجد له سجدة واحدة، فأبى الولد أن يسجد له، وقال له: لا أسجد إلا لإله السماء، كما زعمتم في أناجيلكم، ثم إن هذا الولد الممزوج سعى في خلاص آدم وذريته من الجحيم، وأراد فتح بابها فما مكّنه إله الأرض، ولكنه سلط عليه طائفة من اليهود، مسكوه وحبسوه، ثم عزّروه وشهروه، ثم قتلوه وصلبوه، وفرح إله الأرض حيث صلبوا الجسد بالكلمة وقتلوها به؛ إذ لم تزل متحدة به كما قلتم في أمانتكم: (إن المسيح أَلِمَ وصلب وذاق الموت) فذوق الموت ليس للجسد دون الروح، ولا للناسوت

ب/٨٣

---

(١) ينظر: ما سبق في ل ب/٢١ ص١٥٧.

(٢) معجزة قلب الخمر وردت في إنجيل يوحنّا: ١/٢، وصبغ الثياب أوردها الثعالبي نقلاً عن عطاء في كتاب قصص الأنبياء (العرائس) ص: ٢٣١، وأما الفرس المرسلون للمسيح فإنهم حين رأوه مع أمه خروا وسجدوا وقدموا له كنوزهم وهداياهم... كما في إنجيل متّى: ١١/٢، وكما جاء في إنجيل الطفولة لتوما: ٦، ٧ أن المسيح قبل السادسة من عمره خاطب المعلم والشاب والصغار كواحد مثلهم. ينظر: أبوكريفا العهد الجديد جمع د. الطرزي ٧٧/١. وينظر في عجائب المسيح كما يدعيها النصارى: قاموس الكتاب المقدس (مادة: عجيبة).

دون اللاهوت، لأن الجسد موات من حيثه[١] لا حياة له ولا إحساس، وإنما الحياة والإحساس للروح بواسطته، كما قلتم في اللطائف وأنها لا تظهر إلا في الكثائف، وقلتم أيضاً في الكلمة وأنها تجسّمت من مريم، فكانت جسماً مع الجسم، متحدة به بغير انفصال، فلما صلب هذا الولد الممزوج بزعمكم وذاق الموت اتصل ذوقان ذلك إلى الحياة وإلى الأب الأقنومين الباقيين /، ونقض تركيب الإله المثلّث بزعمكم عند فقده للنطق، وعاد أمر آدم وذريته إلى شرٍّ مما كانوا عليه، وعطلت إلهية إله السماء بزعمكم! وعظم إله الأرض عند قتله لابن إله السماء!

أ/٨٤

فتدبروا هذه الأضحوكات المبكيات وابكوا منها! أو اضحكوا على عقول رأت هذا الرأي وذهبت هذا المذهب![٢].

وأما قولكم: إن المسيح لما خرج من مريم فعل المعجز بلاهوته وفعل العجز بناسوته، وإنه في موته كآدم في موته؛ مات ناسوته ولم يمت لاهوته، إذ الناسوت طبيعة واللاهوت طبيعة: فقد قدمنا من البيان ما فيه كفاية: في أن كلمة الله صفة ذاتية لا تتجسّم ولا تتكيف ولا تتحد بالجسم ولا تحلّ في جسم، وأغلظنا القول عليكم وصدعنا بالحق شفقة عليكم ومحبة للنوع الإنساني ورحمة وبياناً لبطلان هذه الدعوى وإنذاراً لكم من الشرك؛ فإنه ظلم عظيم.

وكيف يصح ما قلتم والناسوت باصطلاحكم جسم موات داخل في جنس الأجسام لا يحس ولا يتحرك ولا يحيا إلا بالروح؟! فالحياة والموت واللذة والألم والحركة والسكون والإحساس كل ذلك من صفات الروح لا الجسم، ولا تتصف الروح بالحياة

ب/٨٤

(١) أي: خاصيته الذاتية المجردة.

(٢) ينظر: ما سبق في ل ٢١ ص١٥٤.

المعلومة والصفات المذكورة إلا بعد تركيبها مع الجسد ونفخها فيه واتحادها به بالوصف لا بالذات، فإن ذات الروح بسيطة / روحانية[(١)].

وللمتكلمين على ماهيتها ومعناها آراء[(٢)]:

أحدها: أنها جسم لطيف سارٍ في جميع أجزاء الجسم، محمول على بخار الدم اللطيف، وتسمى: روحاً، وأرواحاً. وهي الموجودة في النبات والحيوان والإنسان وكل حيّ ذي حياة كذلك، وأنها تموت بموت البدن وتدّثر بدثوره، وهي غير نفس الإنسان الناطقة، هذا رأي[(٣)].

---

(١) مصطلح الروح اختلف الناس فيه اختلافاً كثيراً وتباينت فيه أقوالهم وكثرت، قال المازري: (الكلام في الروح والنفس مما يغمض ويدق، ومع هذا فأكثر الناس فيه الكلام، وألفوا فيه التآليف). نقله النووي في شرح صحيح مسلم ١٣٧/١٧، وقد أشار إلى ذلك ابن القيم في كتابه الروح ونقل كثيراً من أقوالهم، وأسعد الناس بالصواب من تمسك بما جاءت به نصوص الوحي، وهي تدل على أن الروح ذات قائمة بنفسها مخلوقة بها حياة البدن معلومة بعض أوصافها وأحوالها مجهولة الكيفية. ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٩٥/٩، ٣٤٠/١٧، الروح لابن القيم ص: ٥٧٣ ت. د. العموش.

(٢) ينظر آراؤهم في: الروح لابن القيم ٥٧٣/٢، مقالات الإسلاميين ٢٦/٢، تأريخ الفكر الفلسفي في الإسلام د. أبو ريان ص: ٣٨٣.

وقد ساق المؤلف بعض الأقوال الفلسفية والتي تأثر بها فلاسفة من النصارى والمسلمين لبيان اختلاف الناس في معنى الروح؛ وذلك لنقض معتقد النصارى في لاهوت المسيح، حيث إن هذه الأقوال سارية عند النصارى لتسويغ التثليث والتجسد، لا سيما وأن التثليث فلسفيّاً قائم على نظرية أفلوطين في الموجد الأول والعقل والنفس الكلية. ينظر: تأريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص: ٣٢٥.

(٣) هذا يشبه المنقول عن أرسطو في جعله الروح صورة جسم، وأنها كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة، وأنها تفنى بفناء الجسم، كما في رسالته النفس ص: ٤٣. والقول بأن الروح تفنى بفناء الجسد مذهب لبعض أهل الكلام، ينظر: مقالات الإسلاميين ٢٩/٢، مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٦٣/٤. ومعنى الجسم عند الفلاسفة والمتكلمين هو المركب المؤلف ينظر:

الثاني: أنها حياة سارية في أجزاء العالم العلوي والسفلي كسريان النار في زبرة[(١)] الحديد الحامية بها، وأنها جوهر لطيف حيّ روحاني، مفاض على كل جزءٍ من أجزاء العالم بحسبه، مستعلن بفيضه في الحيوان والإنسان استعلاناً بالحس والحركة، ومستعلن في النبات بالنمو والتصوير والتغذي، وفي بواقي الأشياء بحسب تلك الأشياء، محمولة على كل موضوع، ولا يقال فيها إنها تموت ولا إنها تحيا، ولا إنها العقل ولا النفس ولا الحرارة المنبعثة ولا الطبيعة الفاعلة، ولا إن لها وجوداً بعد موت البدن كوجودها به[(٢)].

الثالث: أنها جنس روحاني تحته أنواع روحية، كل نوع غير نوع من وجه وكأنه هو من وجه، فمن هذا الجنس:

الجواب الصحيح ٤/٤٢٨، وليس هذا مراد من جعل الروح جسماً من أهل السنة، وإنما معناه ما قاله ابن القيم في الروح ص: ٦٢٣: (ومقصودنا بكونها جسماً إثبات الصفات والأفعال والأحكام التي دلّ عليها الشرع والعقل والحس: من الحركة والانتقال والصعود والنزول ومباشرة النعيم والعذاب واللذة والألم، وكونها تحبس وترسل وتقبض وتدخل وتخرج، فلذلك أطلقنا عليها اسم الجسم؛ تحقيقاً لهذه المعاني، وإن لم يطلق عليها أهل اللغة اسم الجسم).

(١) في الأصل: (زيرة) ولا معنى لها، والزبرة: القطعة من الحديد. ينظر: لسان العرب ٧/١٠.

(٢) هذا القول يشبه المنقول عن أفلاطون، وهو راجع لنظرية عالم المثل ونظرية الفيض. وقد قال به بعض المتكلمين، ينظر: مقالات الإسلاميين ٢/٣٠، الملل والنحل ٢/٤١٠، موسوعة الفلسفة ١/١٧٥. ومرادهم بالجوهر وهو الكلي هو: الموجود لا في موضوع، ولا يمكن حمله على موضوع. ينظر: معيار العلم للغزالي ص: ٣١٤. وقد أشار ابن القيم – في إبطاله للقول بأن الروح جوهر – إلى أن أصل هذا القول تابع لقولهم في واجب الوجود، وأنه وجود مجرد لا ماهية له ولا صفة! وهذا من أبطل الباطل عند جميع الرسل. ينظر: الروح ص: ٦٢٤.

روح كلية حاملة نظام العالم بجزئياته وكلياته، وتسمى الطبيعة الفاعلة المنفعلة في كل شيء[١].

أ/٨٥

ومنها: روح المعدن /، وتسمى الخاصية، وهي - يعنون هذا - الروح في المولدات الثلاثة[٢] وفي الإنسان.

ومنها: روح النبات، وتسمى النفس النامية، وهذه هي في النبات والحيوان والإنسان دون المعدن.

ومنها: روح الحيوان، وتسمى النفس الحيوانية، ولها الحس والحركة، وهي في الحيوان والإنسان دون النبات والمعدن.

ومنها: روح الإنسان، التامة الإحساس والحركات والمتصفة بسائر أوصاف الإنسان الحيوانية التي هي: الحب والبغض والرضا والغضب والخوف والأمن والإقبال والإدبار والشهوة والكراهية وسائر صفاته الحيوانية، المتفرقة في الحيوان بالطبع، والمجموعة في الإنسان بالخاصيّة والقصد، كالكيد والمكر والحسد والتخيّل والغيلة، وإذا تحلل تركيب الإنسان ذهبت عنه وبقي منها الروح الحاملة للنظام، والمسماة الطبيعة الفاعلة المنفعلة فقط.

ومنها: الروح النفسانية، المختصة بالإنسان، وتسمى النفس الإنسانية، المشتركة بين الحيوانية والناطقة، والمتصفة بالفضائل والرذائل، وليست بموجودة في الحيوان ولا في النبات[١].

---

(١) وهي دون العقل الكلي عند الفلاسفة، وقد تسمى الروح الأعظم. ينظر: معيار العلم ص: ٢٩٢، التعريفات ص: ١١٨، المعجم الفلسفي ٦٢٦/١.

(٢) في الأصل: (الثلاث). وهو غلط في اللغة. والمولدات الثلاثة هي: المعدن والنبات والحيوان. وهي المركبات المسمّاة بالمواليد الثلاثة؛ وأصلها من القول بتسلسل أنواع الموجودات، وأن كل نوع متصل ومستعد بالترقي لما فوقه! ينظر: شرح المقاصد في علم الكلام للتفتازاني ٣٧٣/١.

ومنها: النفس الناطقة الحيّة، الدّاركة لذاتها ولغيرها، والعاقلة الشاعرة ببعض المغيّب، والفاعلة بقواها ما لا يفعله الحيوان والنبات، ولها سبع قوى خواص باطنة، وخمس قوى خواص ظاهرة:

ب/٨٥

فالباطنة /: الحس المشترك، والمتخيلة، والمتوهمة، والمفكرة العاقلة، والمتفهمة، والذاكرة، والحافظة.

والظاهرة: السمع، والبصر، والذوق، والشم، واللمس[٢].

ومنها: روح الأرواح المدركة، القابلة للفيض الإلهي والوحي الإلهامي والكلام الرباني، المسموع لها بواسطة: حجاب من الحجب المعنوية الروحانية، أو رسول من الملائكة الأقدسين النورية، أو وحي نوم، أو ينفث في الروع[٣]، أو خطاب باللسان المطلق[٤]. وهذه الروح هي العقل والجوهر المفارق والملَك الكروبي[١]، الذي به ظهور

---

(١) ينظر: مفاتيح العلوم للخوارزمي ص: ٨٢، المعجم الفلسفي ١/١٥٨.

(٢) تقسيم قوى النفس أصله من الفلاسفة القدماء كأفلاطون وأرسطو، وتأثر بهم المتأخرون كالفارابي وابن سينا والغزالي. ينظر: الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص د. العثمان ص: ٢٧٩. ولا تخلو تقاسيم الفلاسفة من خلط الحق بالباطل، وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية غلط بعض الفلاسفة في جعله أحوال النفوس وصفاتها أعياناً قائمة بأنفسها! ينظر: مجموع الفتاوى ٩/٢٩٤.

(٣) في الأصل: (الروح). وأظنه سبق قلم، والتصويب من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: (إن روح القدس نفث في روعي) أي: نفسي. حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح٢٨٦٦).

(٤) هذه إشارة إلى أقسام نزول الوحي على الرسل عليهم الصلاة والسلام، وقول المؤلف: (خطاب من اللسان المطلق) أي: تكليم الله لنبيه عليه الصلاة والسلام من وراء حجاب، كما كان لموسى عليه الصلاة والسلام، وفي ذلك إثبات لصفة الكلام لله حقيقة، خلافاً للمعطلة والمؤولة، وهذا النوع الأول، والثاني: الوحي بغير واسطة، ومنه الرؤيا. والثالث: أن يرسل لنبيّه ملَكاً. وقول المؤلف:

التدبير في المملكة الإنسانية، وبه الأخذ والعطاء، وهو المخلوق في أحسن تقويم، وعند أصحاب هذا الرأي أنه لا يموت بموت البدن، بل يبقى جوهراً مجرداً حيّاً، مرتسماً فيه وله وبه مكتسباته ومستفاداته ومعلوماته أبداً، وأنه من المخلوقين للبقاء، فعّال بقابليته المستعدة للفيض العلي وللاتصاف بالصفات الفعلية الإضافية، كما قال الحكماء: إن النفس معبودة للجسم، فإذا اتصف بصفاتها كان هو هي من غير اتحاد،

(حجاب من الحجب) لعله أراد: ما يقع من إرسال الملَك بصورة غير صورته، وقد فصل ابن القيم هذه الأقسام في زاد المعاد ١/٧٨.

(١) الملَك الكروبي: لم يثبت حديث صحيح في تسمية الملائكة بهذا الاسم، وغاية ما ورد فيه أحاديث ضعيفة جدّاً أو آثار عن بعض السلف والمفسرين كالضحاك ومقاتل وأبي العالية، وفُسر: بأنهم المقربون، وقيل: سادة الملائكة، وقيل: حملة العرش، وقيل غير ذلك. ينظر: زاد المسير لابن الجوزي ٨/١١٠، غريب الحديث للخطابي ١/٤٤٠، روح المعاني للآلوسي ١٣/٧٠.

ويظهر أن هذه التسمية من أهل الكتاب، ففي كتبهم: (كروبيم)، ومعناها في العبرانية: حافظ أو حارس، وهم ملائكة عند عرش الله ويحملون الخالق ولهم أجنحة، وأقامهم عند أبواب جنة عدن عند إخراج آدم وحواء منها، كما في سفر التكوين ٣/٢٤، وكانوا تحت عرش الله حين ظهر لحزقيال! كما في سفره ١١/٢٢، ووصفت فيه ١/٥ أيضاً: بأنها تحت العرش وتشبّه بوجه إنسان وأسد وثور ونسر، ونحو ذلك مما جاء في كتب أهل الكتاب. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: كروب).

ومن أغلاط الفلاسفة أتباع الأديان تسمية الملائكة بالعقول العشرة المشهورة في فلسفة اليونان! قال الإمام ابن تيمية في بغية المرتاد ص: ٤٨: (ولا ريب أن القوم (يعني فلاسفة المسلمين) أخذوا العبارات الإسلامية القرآنية والسنية، فجعلوا يضعون لها معاني توافق معتقدهم ثم يخاطبون بها، ويجعلون مراد الله تعالى ورسوله من جنس ما أرادوا، فحصل بهذا من التلبيس على كثير من الأمة، ومن تحريف الكلم عن مواضعه، ومن الإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته ما الله به عليم، ولهذا يوافقون المسلمين في الظاهر ولكن هم في الباطن زنادقة منافقون). وينظر: الرد على المنطقيين ص: ٤٧٠، الصفدية ١/١٩٣.

لأن الاتحاد محال، وإن العقل معبود للنفس، فإذا اتصفت بصفاته كانت هي هو من غير اتحاد /، وإن الحق معبود للعقل، فإذا اتصف بصفاته كان هو هو من غير اتحاد[١].

٨٦/أ

(١) هذه الأقوال الفلسفية التي ساقها المؤلف في الروح هي من تخرصات الفلاسفة القدماء القائلين على الله بغير علم، وهي قائمة على معتقدات يونانية وثنية وصابئية، ولم تتلقَّ من الوحي الصادق، ومن أبرز أغلاطها ما يلي:

أولاً: قيامها على نظرية الأفلاك التسعة والعقول العشرة الصادرة عن العقل الأول الكلي! المخالفة لما جاءت به الرسل عن بداية الخلق، وأن الله كان ولم يكن شيء قبله، وأنه سبحانه الخالق العالم بكل شيء، وما جاء في أحوال الملائكة.

ثانياً: قيامها على تجرد الذوات من صفاتها، فغاية إثباتهم كليات مجردة لا تثبت إلا في الأذهان، وحقيقته نفي لها في الخارج!.

ثالثاً: ما تتضمنه من إنكار لبقاء الأرواح ومن قال ببقائها فهي جوهر لا أحوال لها ولا صفات! قال الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٧٢/٩: (والفلاسفة المشاؤون يقرّون بأن النفس تبقى إذا فارقت البدن، لكن يصفون النفس بصفات باطلة، فيدعون أنها إذا فارقت البدن كانت عقلاً، والعقل عندهم مجرد عن المادة وعلائق المادة، والمادة عندهم هي الجسم، والعقل عندهم قائم بنفسه، لا يوصف بحركة ولا سكون، ولا يتجدد له أحوال البتة).

رابعاً: ما في حدّهم للروح من أغلاط، قال الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٣٤٨/١٧: (وما يقوله هؤلاء المتفلسفة في النفس الناطقة من أنها لا يشار إليها ولا توصف بحركة ولا سكون، ولا صعود ولا نزول، وليست داخل العالم ولا خارجه، هو أيضاً كلام أبطل من كلام أولئك المتكلمين عند جماهير العقلاء، ولا سيما من يقول منهم كابن سينا وأمثاله: إنها لا تعرف شيئًا من الأمور الجزئية، وإنما تعرف الأمور الكلية؛ فإن هذا مكابرة ظاهرة، فإنها تعرف بدنها، وتعرف كل ما تراه بالبدن وتشمّه وتسمعه وتذوقه وتقصده، وتأمر به وتحبه وتكرهه، إلى غير ذلك مما تتصرف فيه بعلمها وعملها، فكيف يقال: إنها لا تعرف الأمور المعينة، وإنما تعرف أمورًا كلية؟ وكذلك قولهم: إن تعلقها بالبدن ليس إلا مجرد تعلق التدبير والتصريف، كتدبير الملك لمملكته؛ من أفسد الكلام، فإن الملك يدبّر أمر مملكته فيأمر وينهى، ولكن لا يصرفهم هو بمشيئته وقدرته إن لم يتحركوا هم بإرادتهم وقدرتهم، والملك لا يلتذ بلذة أحدهم، ولا يتألم بتألمه،

فقولكم أيها النصارى: إن المسيح مات ناسوته ولم يمت لاهوته، ولا عجز بعجزه، ولا وجد الألم بوجدانه الألم: غير مسلم؛ لأن الجسم من حيث هو فإنه موات لا إحساس له ولا حياة إلا بالروح، وهي الواجدة الذائقة والمدركة بالحواس والخواص منه سائر المدركات المعقولة والمحسوسة دونه، إذ هو موات داخل في حكم الجسمية بالنوعية والشخصية.

ولا يخلو المسيح من أن يكون فيه هذه الأرواح المذكورة والنفس الناطقة مع اللاهوت الذي زعمتم، أو يكون اللاهوت وحده، أو المجموع دونه، واللائق أن يكون اللاهوت متحداً بعقل المسيح ونفسه الناطقة وروحه، اللطائف الثلاث، دون الجسد الكثيف العنصري، وإذا كان ذلك لزم أن يكون اللاهوت هو المدرك للألم والذائق للموت دون الناسوت، فإن الناسوت موات لم يزل ميتاً بالذات، وحياته عرضية فيه طارئة عليه، فانتفى أن يكون الناسوت واجداً للموت والألم والتعذيب، بل اللاهوت الذي سميتموه إلهاً ربّاً خالقاً، والذي شهدتم بشهادة أناجيلكم / شهادة غيب محض وشرك صريح وأضحوكة يعجب منها العقلاء، إذ تستشهدون بجلوس المسيح الابن عن يمين رب العالمين الأب بزعمكم[1]، مع تقدم الشهادة منكم بأنهما واحد لا

ب/٨٦

وليس كذلك الروح والبدن، بل قد جعل الله بينهما من الاتحاد والائتلاف ما لا يعرف له نظير يقاس به، ولكن دخول الروح فيه ليس هو مماثلًا لدخول شيء من الأجسام المشهودة). ينظر أيضاً كلامه رحمه الله في: نقض المنطق ص: ١٠٠، الرد على المنطقيين ص: ٢٧٤، منهاج السنة ١٦٩/١.

(١) كما هو نص أمانة النصارى، ويستدلون له بما جاء في إنجيل متّى: ٦٤/٢٦، إنجيل مرقس: ١٩/٢٠. وهو ليس صريحاً في مرادهم، قال الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح ٣٠١/٣: (وليس هذا من كلام الأنبياء حتى يقال: إن له معنى لا نفهمه، بل هو من كلام أكابرهم الذي وضعوه وجعلوه عقيدة إيمانهم... فلا يعقل أحد من كون اللاهوت المتحد بالناسوت جلس عن

اثنان! ولا شخصية لهما ولا تجزؤ ولا تبعيض ولا أبوّة تناسل كالمعروفة، ولا بنوّة كالمعهودة! فالله أكبر وأجل وأعظم، وسبحانه عمّا يشركون.

فلو فحصتم عن الشيء الحيّ الذي هو لا كالأشياء فحصاً بالحق لثبت بالدليل القطعي أن ذاته لا كالذوات، وصفاته لا كالصفات، ولخررتم بعقولكم له ساجدين واجدين قائلين بالحال والقال (شعر)[١]:

يا من تعالى أن يجوز بذاته. . . وصفاته التلويح والتصريح [٢]

أنت العلي عن الصفات بأسرها. . . لكن تنزّلك اللطيف يبوح

والقول منّا عند كل تعقّل. . . وتخيّل وتوهّم: سبوح [٣]

فصل

ثم قلتم سياقاً: **إن كليام وجماعته[٤] قالوا لكم: إن المسلمين يقولون: إذا كان اعتقادكم في الباري أنه واحد متصف بثلاث صفات فما حملكم على أن**

يمين اللاهوت المجرد عن الاتحاد إلا أن هذا اللاهوت المجرد منفصل مباين للاهوت المتحد، وليس متصلاً به، بل غايته أن يكون مماسّاً له... فهذا حقيقة التبعيض والتجزئة).

٨٧/أ

(١) هذه الأبيات من نظم المصنف، كما نقلها عنه الصفدي في أعيان العصر وأعوان النصر ٤/٤٧٩.

(٢) في الأصل: (أن يحوز)، والمثبت من أعيان العصر وأعوان النصر ٤/٤٧٩.

(٣) تسبيح الله تعالى: تنزيهه عن أن يشابه خلقه، أو يماثلهم، أو أن تكون صفاته كصفاتهم، فالفرق بين الصفة والصفة كالفرق بين الموصوف الخالق والموصوف المخلوق. ينظر: الروح لابن القيم ص: ٧٦٥.

* قارن ما جاء في الجواب الصحيح لابن تيمية في الجزء الرابع من ردّ دعواهم (أن تجسد المسيح واتحاده كان بغير اختلاط)، فقد ذكر تسعة عشر وجهاً في إبطاله، وفي دعواهم (طبيعة المسيح واستدلالهم بالآيات)، فقد أجاب عنها بأكثر من مائة صفحة، ونقل عن المهتدي الحسن بن أيوب والمؤرخ النصراني ابن البطريق في اختلافهم وردود بعضهم على بعض.

(٤) في نسخ الرسالة والجواب الصحيح: لم يصرح باسم القائل.

تقولوا: أب وابن وروح قدس؟ فتوهمون السامعين أنكم تعتقدون في الله أنه ثلاثة أشخاص[١]، أو مجزأ ثلاثة أجزاء، أو أنه ثلاثة آلهة، أو أن يكون له ابن من المباضعة، / <فيظنّ من لا يعلم قولكم ولا يعرف اعتقادكم أنكم تريدون بذلك ابن المباضعة والتناسل، فتطرقون على أنفسكم تهمة أنتم منها بريئون>[٢].

وإنكم أجبتم كليام وجماعته قائلين لهم: فالمسلمون مع اعتقادهم في الباري أنه غير جسم وغير ذي أعضاء وغير محصور في مكان يقولون: إن لله عينين، ويدين، ووجهاً، ونفساً، وساقاً[٣] يكشفه للسجود، وإنه يأتي في ظلل من الغمام ومع الملائكة وينتقل من مكان إلى مكان[٤]، ويوهمون التجسيم، ويظن من لا يعرف اعتقادهم أنهم مجسّمة ومشبّهة، فيتهمهم بما هم منه بريئون[٥].

وإن كليام وجماعته قالوا لكم: إن المسلمين يقولون: إن العلة في قولنا ما عددتموه من الصفات هو أن القرآن نطق به، وأن ذلك على غير ظاهره، وأن

---

(١) في الرسالة والجواب الصحيح ٤٠٣/٤ زيادة كلمة: (**مركبة**).

(٢) ما بين المعقوفتين من الرسالة والجواب الصحيح، في الأصل: (**فيظن من لا يعلم قولهم ولا يعرف اعتقادهم أنهم يظنون ذلك** فيطرقون على أنفسهم **تهمة هم منها بريئون**) والسياق يقتضي ضمير المخاطب.

(٣) في الأصل: بالرفع (عينان، يدان، وجه، نفس، ساق)، والصواب بالنصب.

(٤) في الرسالة والجواب الصحيح ٤٠٣/٤ صياغة الجملة استفهامية: (**لما كان اعتقادهم في الباري. . . فما حملهم على أن يقولوا إن له عينين. . ؟**).

(٥) سياق الاعتراض في الرسالة والجواب الصحيح ٤٠٣/٤ أطول، ونصه: (**فيوهمون السامعين أن الله ذو جسم وذو أعضاء وجوارح، وأنه ينتقل من مكان إلى مكان في ظلل من الغمام، فيظن من لا يعرف اعتقادهم أنهم يجسّمون الباري، حتى أن قوماً منهم اعتقدوا ذلك واتخذوه مذهباً، ومن لم يتحقق اعتقادهم يتهمهم بما هم بريئون منه**).

كل من يحمل ذلك على ظاهر اللفظ أو[١] يعتقد أن الله جسم[٢] ذو جوارح وأعضاء وانتقال وحركة وغير ذلك مما يقتضي التجسيم والتشبيه فنحن نلعنه ونكفره، وإننا إذا كفرنا من يعتقد ذلك فليس لمخالفينا أن يلزمونا به بعد أن لا نعتقده[٣].

وإنكم قلتم لكليام وجماعته مجاوبين: وكذلك نحن أيضاً العلة في قولنا: إن الله ثلاثة أقانيم: أب وابن وروح قدس، أن الإنجيل نطق به، وأن المراد بالأقانيم غير الأشخاص المركبة والأجزاء والأبعاض وكل ما تقتضيه / الشركة والتكثير، فالأب والابن غير أبوة نكاح أو تناسل أو جماع، وكل من يعتقد أن الأقانيم الثلاثة آلهة مختلفة أو متفقة أو ثلاثة أشخاص مركبة أو قوى أو أعراض أو كل ما يقتضيه الاشتراك والتكثير والتجسيم والتبعيض[٤] فنحن نلعنه ونحرّمه ونكفّره ونكفر به، وإذا لعنّا من يعتقد ذلك فليس لمخالفينا أن يلزمونا بما لا نعتقده.

ب/٨٧

فإن ألزمونا الشرك والتشبيه لأجل قولنا: إن الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم: أب وابن وروح قدس، ألزمناهم نحن أيضاً التجسيم والتشبيه لقولهم: إن الله له

---

(١) في الرسالة والجواب الصحيح: (و).

(٢) في الرسالة والجواب الصحيح ٤/٤٠٤: (وأن الله له عينان ويدان ووجه وجنب) بدلاً من كلمة (جسم)!

(٣) في الأصل: (يعتقده)، والتصويب من الرسالة.

(٤) في الرسالة والجواب الصحيح ٤/٤٠٤ زيادة: (**أو بنوة نكاح أو تناسل أو مباضعة أو جماع أو ولادة زوجة أو من بعض الأجسام أو من بعض الملائكة أو من بعض المخلوقين**).

عينان ويدان ووجه وجنب (وإنه استوى إلى السماء)[١] واستوى على العرش بعد أن لم يكن عليه، وغير ذلك مما يقتضي ظاهره التجسيم والتشبيه.

فالجواب:

أما قولكم: إن الباري جل جلاله ثلاثة أقانيم: أب وابن وروح قدس، وبراءتكم مع ذلك من الشرك ومن اعتقاد الجسمية والتشبيه، وإنكم لم تريدوا بقولكم: الأب والابن والروح، إلا تعداد صفات الإله الواحد، وإنكم من علمتم منه ذلك لعنتموه وكفّرتموه وحرّمتموه: فافتحوا أعينكم وأصغوا بأسماعكم واحضروا بقلوبكم واعقلوا ما قلتم؛ فإنكم لن تجدوا على وجه الأرض من لدن قسطنطين وإلى يومنا هذا نصرانيّاً إلا وهو يقول في الإله: إنه ثلاثة آلهة شركاء في الإلهية، إله واحد، وهم: / الأب المغاير للابن، والابن المغاير للأب في اللفظ والمعنى والتسمية والمسمّى، وروح القدس المغايرة لهما، والثلاثة واحد في الكيان مثلّث في الكيفية، فالأب أصل وعلة والابن فرع ومعلول والروح متوسطة بينهما كتوسط النفس بين العقل والجسد، مع ألوف[٢] مؤلفة في كل زمن من الأزمنة عامة.

٨٨/أ

وجاهلية النصارى يعتقدون المباضعة والجماع والتناسل![٣].

وتصوّرون صورة تمثال: كبير الجبهة وتخرجون من فيه خطّاً أحمر ممتدّاً من صورة

(١) هذه الجملة لا توجد في الرسالة ولا في الجواب الصحيح، ويظهر أنها سبق قلم من المؤلف.

(٢) في الأصل: تكررت كلمة (ألوف).

(٣) عموم فرق النصارى تقول بالحبل الروحي، ولتناقضه وعسر فهمه لا يفهم كثير من عوامهم إلا المباضعة، قال الإمام ابن القيم في هداية الحيارى ص: ٥٣٧: (وكل من تلك الفرق الثلاث عوامهم لا يفهم مقالة خواصهم على حقيقتها، بل يقولون إن الله تخطى مريم كما يتخطى الرجل المرأة، وأحبلها فولدت له ابناً، ولا يعرفون تلك الهذيانات التي وضعها خواصهم). ونقل ص: ٤٨٢ عن النظّام قوله بعد أن حكى ذلك عنهم: وهم يُفصحون بهذا عند من يثقون به، ونقل مثله عن ابن الأخشيد. ونقله القاضي عبد الجبار في تثبيت دلائل النبوة ١٤٨/١.

الفم نازلاً إلى جوف تمثال مريم، حكاية للمباضعة الروحية الجسمية![١].

ولا شرك ولا تجسيم ولا فرية على الله أعظم من هذا، فالعنوا هؤلاء من البحر إلى البحر.

وما مثلكم، في جحودكم الشرك وبراءتكم منه مع القول بالثالوث واصطلاحكم على الأقانيم وتفسيركم لما في التوراة من قوله عن آدم، وأنه طلب أن يكون كواحد منا — تعنون: الأب والابن — حيث أصعدتموه من الأرض إلى أبيه، وأجلستموه عن يمين أبيه معه على العرش، إلا كمثل امرأة شكت إلى الحاكم من أخيها لكثرة لعنه لها، فأحضره الحاكم فحلف له أنه ما لعنها قط، ثم التفت إليها فقال لها: يا ملعونة، يا بنت الملاعين، أنا قط لعنتك؟ فقال الحاكم: لوحدها لا، بل لآبائها معها!

أو كمثل جرّار[٢] باع جرة للماء على أنها صحيحة، فوجدها مشتريها مكسورة لا تمسك الماء، فحلف الجرّار أنها ليست / مكسورة، ولكن الماء يسيل من سقوفها وجوانبها!. ب/٨٨

وأما التفاتكم إلينا معشر المسلمين وتشبثكم[٣] بنا معشر المسلمين، حيث قلتم: إننا نلتزم بمثل ما ألزمكم به المعقول والمنقول من اعتقاد الجسمية والتشبيه والشرك

(١) ينظر في نماذج الصور الموضوعة لمريم عليها السلام: كتاب الصور المقدسة والأيقونات ص: ١٥٧ - ٢٧٠ للقس أنطون هبي ط. المكتبة البوليسية، والعقائد الوثنية في الديانة النصرانية للتنير ص: ٧١.

(٢) الجرّار: محترف مهنة الجرارة، صانع الجِرار، جمع جَرّة وهي آنية الخزف. ينظر: لسان العرب ٢/٢٤٤.

(٣) في الأصل: (وتشبيثكم)، والياء مقحمة، ومعنى التشبث: التعلق بالشيء. ينظر: لسان العرب ١٢/٨.

الصريح والجمع بين النقائض وتجويز الممتنعات: كالحلول والاتحاد والوَحْدة: فإنه غير لازم لنا، ولا وجه لإلزامنا بشيء منه، وبيننا وبينكم العقلاء[(١)].

أما زعمكم في الإنجيل أنه أمركم بالشرك على ألسنة بطرس وبولص وتوما وسمعان وغيرهم، وزعمكم أن المسيح قال لكم: قولوا: ثالث ثلاثة، وعمّدوا العالم باسم الأب والابن والروح: فزعم كاذب ودعوى باطلة، وحاشا وكلا أن يأمر المسيح العالم بالشرك بالله.

وقد جمعت في هذه الأجوبة قبل هذا الفصل من كلام المسيح وتوحيده وإقراره بأنه رسول وأنه نبي وأنه ابن البشر وأنه غير الله وأن الله غيره، ما أغنى عن الإعادة والتطويل[(٢)].

وكذلك تضرّعه وبكاؤه ودعاؤه وصلاته وسجوده وسيّما ليلة الفصح وخميس العهد وغسله لرجلي بطرس[(٣)]، وكذلك التوراة والزبور وكتب النبوءات شاهدة بالتوحيد آمرة به ناهية عن الشرك محذرة منه، فاقرؤوها إن كنتم في شك من ذلك.

---

(١) وجد من الطوائف المنتسبة للإسلام من قال بتمثيل الخالق بالمخلوق أو حلوله واتحاده، لكن ليس هذا هو اعتقاد أهل الإسلام وأئمتهم، وهم يخطّئون من قال به وأنه قد شابه أهل الكتاب من النصارى الحلولية أو اليهود الممثلة، فقولهم ليس حجة على أهل الإسلام. ينظر: الجواب الصحيح ٢/١٧٤.

(٢) ينظر: ما سبق ل ب/٧٣ ص٣١٣.

(٣) خميس العهد: اليوم الذي يسبق الفصح، وفيه ذكرى العشاء الأخير، وللنصارى فيه طقوس منها غسل الأرجل! وفي إنجيل يوحنا: ١٣ غسل المسيح لأرجل التلاميذ. وقد أصبح غسل الأرجل في كثير من الكنائس من أعمال القُسُس، تقليداً لفعل المسيح مع تلاميذه! ولو صح إنما كان ذلك تواضعاً منه وخدمة لهم، كما كانت هذه الخدمة معهودة في بني إسرائيل تقدم للضيوف ويقوم بها الخدم. ينظر: قاموس الكتاب المقدس ودائرة المعارف الكتابية (مادة: غسل)، وهذا يناقض ما يزعمه النصارى من ألوهية المسيح.

٨٩/أ

مع علمكم اليقين بزعمكم أن المسيح صلب ومات بمشهد من أهل البيت المقدّس أورشليم، وهم إذ ذاك خلق كثير، فيهم الملك فيلاطس / والسوقة والرعية والشريف والمشروف.

ولم يكن للمسيح إنجيل مكتوب مدوّن[١] مثل التوراة والزبور وكتب نبوءات الأنبياء المنزلة قبل التوراة وبعدها، ولو كان موجوداً أو معروفاً لليهود أو محفوظاً في الصدور لحصلته اليهود ولو من تحت تخوم الأرض وأحرقوه وذروا رماده في الهواء، ولم يتركوا لحرف واحد منه أثراً في العالم، ولكانوا قتلوا من وجدوه معه أو عنده، أو كان تلميذاً أو غير تلميذ كما فعلوا بالتلاميذ ومزقوهم كل ممزق، حتى أنكروا المسيح واسمه وذكره ومعرفته وتبرؤوا منه ومن دعواه وزعمه الذي نسبته إليه اليهود من المخالفة

---

(١) في الأصل: بالنصب (إنجيلاً، مكتوباً، مدوناً) وهو غلط.

ومراد المؤلف أن إنجيل المسيح مفقود، وأن الأناجيل التي بأيدي النصارى لا ينسبونها إلى المسيح، لا أن المسيح لم يُنزل عليه إنجيل، فإن إنجيل المسيح معلوم لعموم المسلمين، كما قال تعالى في سورة المائدة: آية ٤٦: (ﭢ ﭣ)، وقال في سورة مريم: آية ٣٠ نقلاً عن المسيح: (ﮉ ﮊ) أي: الإنجيل. وهذا الإنجيل منزل من عند الله فيه هدى ونور ومصدق لما في التوراة وأحل فيه بعض ما حرم على بني إسرائيل، لا تعرفه النصارى ولا تؤمن به، إنما تؤمن بما دوّن بعده من كتابات مرقس ولوقا وبولس وغيرهم وعرفت بالأناجيل! وهي لا تخلو من بقايا نقلت من إنجيل المسيح المفقود! كالدعوة للتوحيد والبشارة بالنبي محمد ﷺ ، وقد أشار إليه متّى في إنجيله: ١٣/٢٦، ومرقس في إنجيله: ٩/١٤، وبولس في رسالته إلى رومية: ١/١، وقد اضطهد أتباع المسيح وتحرفت المسيحية، وقد أشار رحمت الله الهندي في إظهار الحق ٦٠٩/٢ استناداً إلى تواريخ النصارى إلى وقوع عشر قتلات عظيمة على النصارى في الثلاثمائة الأولى، لم يبق لهم فيها كتاب إلا دخله التحريف. وينظر: ٣٧٩/٢، ٣٨٥، وفيه أقوال عن بعض علماء النصارى وأهل الإسلام بوجود إنجيل لعيسى، خلافاً لما يزعمه النصارى من أن المسيح خلف أقوالاً لا إنجيلاً.
وينظر: الإعلام للقرطبي ص: ٢٠٣، مصادر النصرانية ص: ٥٢٧.

لشريعة موسى وسننه، كتحليل السبت واتّباعه لتحريمه لنفسه والختان كذلك والفصح والعاشور[١].

وبقي الأمر كذلك حتى جاء الملك قسطنطين وظهرت الأناجيل بالأقوال المختلفة والمناقضات الظاهرة، وقد قدمنا من ذكر ذلك ما فيه مقنع[٢]، فلا تحتجوا به في القول بالشرك الصريح، وعظّموا حرمة المسيح واعرفوا حقه ومنزلته عند الله تعالى، ولا يحملكم الحصر والفحم والتبكيت على أن تجعلوا لأنفسكم فينا أسوة لكم، إذ نسبتم إلينا ما لا يصح / أن ينسب إلى مثلنا ولا يظن بنا ولا جاءت معانيه في كتابنا ما أنتم قائلوه ومعتقدوه[٣] ومخالفون به سائر الملل والآراء والنحل.

ب/٨٩

وأين زعمكم أن المسيح أمركم بالشرك وأرسل تلاميذه إلى زوايا العالم ليعمّدوا العالم باسم الأب والابن وروح القدس، من قول الله تعالى لنبيّه محمد ﷺ: (ٱ ٻ ٻ ٻ) إلى آخر السورة؟ وذلك حين سألته اليهود أن يصف لهم الله عز وجل[٤].

---

(١) العاشور: اسم للعيد الموافق لنهاية الصوم الكبير عند اليهود، وهو اليوم العاشر من شهر تشري. ينظر: صبح الأعشى ٢/٤٢٦.

(٢) ينظر: ما سبق في ل أ/١٠ ص١٢٢.

(٣) في الأصل (قائلونه ومعتقدونه).

(٤) ثبت عن قتادة والضحاك ومقاتل مرسلاً: أن سبب نزول سورة الإخلاص سؤال اليهود، وأصح منه ما روي أن سبب نزولها سؤال المشركين، فقد روي عن أبي العالية مرسلاً، ومرفوعاً عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنه، رواه الإمام أحمد في المسند ٥/١٣٣، والترمذي في جامعه في أبواب تفسير القرآن (ح٣٣٦٤)، والحاكم في المستدرك وصححه ٣/٥٤٠، والمرسل أصح كما ذكر الترمذي والبخاري في التاريخ الكبير ١/٢٤٥، وصحح الموصول ابن خزيمة، وحسنه ابن حجر في الفتح ١٣/٣٥٦، والألباني في صحيح الترمذي: (ح٢٦٨٠). وروي نحوه عن جابر رضي الله عنه، كما عند أبي يعلى (ح٢٠٤٤)، والطبراني في الأوسط: (ح٥٦٨٧) بسند ضعيف. ينظر: تفسير الطبري ٣٠/٣٤٢، وتفسير ابن كثير ٨/٥١٨.

مع أن كتابنا أنزل بلسان أفصح العرب البلغاء النبغاء الألباء وعلى لغتهم، معجزاً لهم ولسائر أهل الأرض — الإنس والجنّ – تعجيزاً ببلاغته وإيجازه وبيانه وجوامع كلمه ومعانيه وقصصه وحكمه وأحكامه، وفيه من تحرير الكلم وتحقيق الحكم وإثبات ذات الله وتنزيه صفاته عن المثلية والشبهية والجسمية ما لم يأت في غيره من الكتب المنزلة مثله، وذلك:

قوله تعالى: ﴿ٺ ٿ ٿٹ ٹ ٹ ٹ ﴾[1] وصفٌ وتنزيه ونفي وإثبات، وقوله: ﴿ٹ ٹ ٹ ﴾ الآية[2]، وقوله: ﴿ۇ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ﴾ إلى قوله: ﴿ى ﴾[3]، وقوله: ﴿ۋ ۋ □ □ ﴾[4]، وقوله: ﴿ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ﴾ الآية[5]، ولم يقل: الحيّ بحياة وروح فيؤذن قوله بتشبيهه ومثليته وافتقاره إلى صفة زائدة / على ذاته بما هو حيّ، كما زعمتم في الحياة بروح القدس، تعالى الغني على الإطلاق وجل جلاله[6].

٩٠/أ

---

(١) سورة الشورى: آية ١١.

(٢) سورة الأنعام: آية ١٠٣.

(٣) آية الكرسي ٢٥٥ في سورة البقرة.

(٤) سورة طه: آية ١١٠.

(٥) سورة غافر: آية ٦٥.

(٦) ذات الله تعالى متضمنة لصفاتها الكاملة اللازمة، وقد اختلف الناس في علاقة الصفات بالذات: هل هي زائدة عليها أو ليست بزائدة؟ وقال كل قوم بحسب ما يتصوره لا بحسب ما الأمر عليه في نفسه، والصواب أن القول بأن الصفات زائدة على الذات أو غير زائدة بإطلاق غلط؛ لما فيه من إجمال، فإن الذات إن أريد بها الذات المجردة التي يقر بها الفلاسفة ومن تبعهم من نفاة الصفات! فالصفات زائدة عليها وهي غير الذات، وهذه الذات لا تكون إلا في الذهن لا في الخارج، وإن أريد بالذات الذات الموجودة في الخارج فهي لا توجد إلا بصفاتها اللازمة وليست الصفات زائدة عليها، وهذا التفصيل هو الموافق للنصوص المثبتة للصفات، وأشار الإمام ابن تيمية إلى أنه إن صح أن يقال إن الصفات غير الذات فلا يصح أن يقال الصفات غير الله؛ لأن اسم الله متضمن لصفات كماله. والفرق بين القول بأن الصفات زائدة على الذات وقول

وفي كتابنا النور المبين أيضاً من الأمثال الصادقة المطابقة والاستعارات الرائقة والكنايات والتضمينات والمقدرات المحذوفة والألفاظ المجازيات المستعملة في اللسان العربي[١] ما يفهمه المخاطبون به ويعلمون مراد الله منه من ظاهر اللفظ، واستعمالها للتفهيم وللتأنيس وللتعريف إليهم بالإشارة إلى ما يعرفون ويعهدون ويعلمون مراد الله منهم من غير حمل للمعاني على ظواهر الألفاظ[٢].

النصارى: أنهم زعموا أن الصفة منفصلة عن الذات، وجعلوها خالقة، بل وحلت في المخلوق (المسيح)، ومن صوب القول بأن الصفة غير الموصوف بمعنى أن لها معنى غير معناه وأنه يعلم من الصفة غير ما يعلم من الذات، وليس معناه أن الصفة تفارق الموصوف! فإن هذا باطل؛ لأن الموصوف لا تنفك عنه صفاته، وهذا يبطل قول من نفى الصفات كالجهمية بحجة تعدد القدماء لأن الصفة غير الموصوف! ينظر: الجواب الصحيح ١٦/٥، درء التعارض ٢٣٠/٢. ينظر: ما سبق في ل أ/٥٦ ص٢٦٥.

[١] لا يختلف أهل الإسلام أن القرآن نزل بلسان عربي مبين في أعلى درجات البيان، وأنه جارٍ على أسمى أساليب العرب في كلامها، وهذا أصل متفق عليه، ولا ينقضه ما وقع من اختلاف بين علماء العربية في بعض المصطلحات البلاغية وتحقيق أمثلتها القرآنية، بل كان هذا الاختلاف طلباً لتأكيد الأصل المتفق عليه في بلاغة القرآن وإعجازه. ينظر: الموافقات للشاطبي ٦٥/٢.

[٢] غلط المؤلف غفر الله لنا وله في تقرير الواجب في نصوص الوحي، تبعاً للمتكلمين بزعمهم أن نصوص الصفات من المتشابه الذي يجب صرفه عن ظاهره بالتأويل أو التفويض، وقد اختار المؤلف طريقة التأويل، وذلك لتوهمهم أنها تدل على التشبيه، ففروا منه بتعطيل اللفظ عن معناه! كما ضل آخرون بتمثيل الله بخلقه! وكلاهما مخالف لما كان عليه الصحابة والتابعون وعموم سلف الأمة من وجوب إجراء النصوص على ظاهرها من غير تمثيل ولا تحريف، وأن ظاهر النصوص هو ما يتبادر إلى الذهن من المعاني بحسب السياق، مما تحتمله اللغة وحال المتكلم به والمخاطب. ونصوص الوحي الدالة على صفات الله تعالى من أظهر النصوص وأصرحها ومتضمنة لرفع ما يوهمه الكلام من خلاف ظاهره. ينظر: الصواعق المرسلة لابن القيم ٣٨٩/١، القواعد المثلى لابن عثيمين ص: ٤٥. قال الإمام ابن تيمية مناظراً من زعم أن ظاهر النص غير مراد: (إذا وصف الله نفسه بصفة، أو وصفه بها رسوله، أو وصفه بها المؤمنون –

الذين اتفق المسلمون على هدايتهم ودرايتهم – فصرفها عن ظاهرها اللائق بجلال الله سبحانه وحقيقتها المفهومة منها إلى باطن يخالف الظاهر، ومجاز ينافي الحقيقة، **لا بد فيه من أربعة أشياء:**

أحدها: أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازي؛ لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاء باللسان العربي، ولا يجوز أن يراد بشيء منه خلاف لسان العرب، أو خلاف الألسنة كلها، فلا بد أن يكون ذلك المعنى المجازي ما يراد به اللفظ، وإلا فيمكن كل مبطل أن يفسر أي لفظ بأي معنى سنح له، وإن لم يكن له أصل في اللغة.

الثاني: أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه، وإلا فإذا كان يستعمل في معنى بطريق الحقيقة، وفي معنى بطريق المجاز، لم يجز حمله على المجازيّ بغير دليل يوجب الصرف بإجماع العقلاء، ثم إن ادعى وجوب صرفه عن الحقيقة، فلا بد له من دليل قاطع عقلي أو سمعي يوجب الصرف، وإن ادعى ظهور صرفه عن الحقيقة فلا بد من دليل مرجح للحمل على المجاز.

الثالث: أنه لا بد من أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض، وإلا فإذا قام دليل قرآني أو إيماني يبين أن الحقيقة مرادة امتنع تركها، ثم إن كان هذا الدليل نصًّا قاطعًا لم يلتفت إلى نقيضه، وإن كان ظاهرًا فلا بد من الترجيح.

الرابع: أن الرسول ﷺ إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وضد حقيقته، فلا بد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته، وأنه أراد مجازه، سواء عينه أو لم يعينه، لا سيما في الخطاب العلمي الذي أريد منهم فيه الاعتقاد والعلم، دون عمل الجوارح، فإنه سبحانه وتعالى جعل القرآن نورًا وهدى، وبيانًا للناس، وشفاء لما في الصدور، وأرسل الرسل ليبين للناس ما نزل إليهم، وليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

ثم هذا الرسول الأمي العربي بعث بأفصح اللغات وأبين الألسنة والعبارات، ثم الأمة الذين أخذوا عنه كانوا أعمق الناس علمًا، وأنصحهم للأمة، وأبينهم للسنة، فلا يجوز أن يتكلم هو وهؤلاء بكلام يريدون به خلاف ظاهره إلا وقد نصب دليلاً يمنع من حمله على ظاهره، إما أن يكون عقليًّا ظاهرًا، مثل قوله: (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ) النمل: ٢٣ ، فإن كل أحد يعلم بعقله أن المراد : أوتيت من جنس ما يؤتاه مثلها، وكذلك: (ﭡ ﭢ ﭣ) الأنعام: ١٠٢، يعلم المستمع: أن الخالق لا يدخل في هذا العموم، أو سمعيًّا ظاهرًا، مثل الدلالات في الكتاب والسنة التي تصرف بعض الظواهر.

كقوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □)[١] أي: يأتيهم أمره، وقوله: (□ □)[٢] أي: جاء أمر ربك[٣].

ولا يجوز أن يحيلهم على دليل خفي، لا يستنبطه إلا أفراد الناس، سواء كان سمعيًّا أو عقليًّا؛ لأنه إذا تكلم بالكلام الذي يفهم منه معنى وأعاده مرات كثيرة، وخاطب به الخلق كلهم وفيهم الذكي والبليد، والفقيه وغير الفقيه، وقد أوجب عليهم أن يتدبروا ذلك الخطاب ويعقلوه، ويتفكروا فيه ويعتقدوا موجبه، ثم أوجب ألا يعتقدوا بهذا الخطاب شيئًا من ظاهره؛ لأن هناك دليلاً خفيًّا يستنبطه أفراد الناس يدل على أنه لم يرد ظاهره، كان هذا تدليسًا وتلبيسًا، وكان نقيض البيان وضد الهدى، وهو بالألغاز والأحاجي أشبه منه بالهدى والبيان. فكيف إذا كانت دلالة ذلك الخطاب على ظاهره، أقوى بدرجات كثيرة من دلالة ذلك الدليل الخفي على أن الظاهر غير مراد؟ ! أم كيف إذا كان ذلك الخفي شبهة ليس لها حقيقة! ؟). الرسالة المدنية في مجموع الفتاوى ٦/٣٩٠.

وقد نقلت كلامه بطوله: لأنه قاعدة عامة في إبطال ما ادّعاه المتكلمون في نصوص القرآن، وما ادّعاه النصارى في كلام الرسل، وأولوه على غير تأويله، كلفظ الأب والابن وروح القدس. قال الإمام ابن تيمية عن النصارى: (وتبين أنهم حملوا كلام الأنبياء في لفظ الابن وروح القدس وغيره على ما لم يوجد استعمال هذا اللفظ فيه، وتركوا حمله على المعنى الموجود في كلامهم، وهذا من أبلغ ما يكون من تحريف كلامه عن مواضعه، وتبديل معاني كلام الله). الجواب الصحيح ٣/٢٦١، وينظر أيضاً: ٣/١٩٨، ٢٤٠، ٤٧٣، وأضواء البيان للشنقيطي ٧/٤٧٠.

[١] سورة البقرة: آية ٢١٠.

[٢] سورة الفجر: آية ٢٢.

[٣] تأويل الإتيان والمجيء بإتيان أمره مستند على قاعدة من قواعد التعطيل، وهي: إنكار أفعال الرب تعالى، وأنه لا يقوم به فعل ألبتة، بل هو فاعل بلا فعل، وأن الفعل هو عين المفعول! وهذا مخالف للمعقول والمنقول عن الرسل من أن الرب فاعل حقيقة، وأنه يستحيل أن يكون الفعل عين المفعول، بل هي حقائق معتبرة: فاعل وفعل ومفعول. ولهذا؛ فالصواب أن الآيتين على ظاهرهما من كونه سبحانه يأتي حقيقة من غير تمثيل ولا تكييف، فإن الأصل حمل الكلام على حقيقته، كما أن في السياق ما يبطل التأويل: حيث عطف مجيء الملك على مجيئه

وقوله: ﴿ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ﴾[١] أي: المشرق والمغرب لله وسائر الجهات لله، فحيث ما توجهتم بالعبادة والسجود له فأنتم على الحق والله مطلع عليكم[٢]. وذكر الوجه فهو من باب الاستعارة، كما يقال لغة: وجه الصبح ووجه القوم ووجه الصواب ووجه

سبحانه، فدل على التغاير، وأنه سبحانه يأتي حقيقة كما أن الملك يأتي حقيقة، بل مجيئه أولى من مجيء الملك. ينظر: مختصر الصواعق لابن القيم ٨٤٨/٣، ٨٥٦، ١١١٩، وشرح حديث النزول لابن تيمية ص: ١٥٦ ت. د. الخميس، ومجموع الفتاوى ٢١٧/٦.

[١] سورة البقرة: آية ١١٥.

[٢] اتفق السلف على إثبات الوجه لله سبحانه على ما يليق به من غير تمثيل ولا تكييف، كما وردت به النصوص من الكتاب والسنة وتفاسير الصحابة والتابعين. ينظر: الرد على الجهمية للدارمي ص: ٩٩، الشريعة للآجري ١٣/٢، التوحيد لابن خزيمة ٢٦/١، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٤٥٨/٣، أما قوله تعالى: ﴿ﮙ ﮚ ﮛ﴾ فقد اختلف العلماء في هذه الآية: هل هي من آيات الصفات فيفسر الوجه بالصفة، أو ليست منها فيفسر بالجهة والقبلة؟ قولان مأثوران عن السلف، قال الإمام ابن تيمية مبيناً أن الآية لا تجري على قواعد التأويل، وإنما تفسير السلف لها على مقتضى الظاهر: (فهذه الآية إما أن يكون ظاهرها أن وجه الله الذي هو الصفة (ثم)، أو أن يكون ظاهرها أن الذي (ثم) هو القبلة المخلوقة، أو يكون ظاهرها أن كليهما (ثم)، أو تكون مجملة تحتمل الأمرين. فإن كان ظاهرها هو الأول أقرت على ظاهرها، ولا محذور في ذلك؛ ومن يقول هذا لا يقول: إن وجه الله هو نفسه في نفس الأجسام المستقبلة، فإن هذا لا يقوله أحد من أهل السنة، بل يقول: (فثم) إشارة إلى البعيد. . . والعبد إذا قام إلى الصلاة فإنه يستقبل ربه والله يقبل عليه بوجهه ما لم يصرف وجهه عنه، كما تواترت بذلك الأحاديث الصحاح. . . وإن كان ظاهرها أن الذي (ثم) هو القبلة المخلوقة فقط لم تكن مصروفة عن ظاهرها إذا فسرت بذلك. . . وإن قيل: إن ظاهرها يتناول الأمرين، أي: فثم جهته التي يصلي إليها العبد، وثم وجهه الذي يستقبله المصلي، وكل ذلك موجود في توجه العبد). بيان تلبيس الجهمية ٧٤/٦. وينظر أيضاً: مختصر الصواعق لابن القيم ١٠١٠/٣، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ٢٨٩/١.

السماء ووجه الماء[(١)]. وقوله: ﴿ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ﴾[(٢)] أي: إلا هو، فإنه هو الباقي بلا زوال[(٣)].

---

(١) الوجه في اللغة: مستقبل كل شيء؛ لأنه أول ما يواجه منه. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ٣٥١/٦، معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٨٨/٦، كتاب التوحيد لابن خزيمة ٥١/١. قال ابن القيم في مختصر الصواعق ٩٩٧/٣: (وهو في كل بحسب ما يضاف إليه: فإن أضيف إلى زمن كان الوجه زماناً، وإن أضيف إلى حيوان كان بحسبه، وإن أضيف إلى ثوب أو حائط كان بحسبه، وإذا أضيف إلى من (ليس كمثله شيء) كان وجهه تعالى كذلك). وقال أبو بكر ابن فورك في مشكل الحديث وبيانه ص: ٢٠٧: (فأما ما ذهب إليه المعتزلة من تشبيه ذلك بوجه الثوب، ووجه الحائط، فغلط من التمثيل، من قبل أن وجه الثوب والحائط ليس هو نفس الثوب والحائط، بل هو ما واجه به وأقبل به، وكذلك وجه الأمر: ما ظهر منه في الرأي الصحيح، دون ما لم يظهر، وإذا لم يجز في اللغة استعمال معنى الوجه على معنى الذات على الحقيقة في موضع، وقد ورد إطلاق الكتاب والسنة بذلك، لم يكن لما ذهبت إليه المعتزلة وجه، ووجب أن يحمل الأمر فيه على ما قلنا أنه وجه صفة، ولا يقال هو الذات ولا غيرها).

(٢) سورة القصص: آية ٨٨.

(٣) في هذه الآية دليل على إثبات صفة الوجه، ودلت على بقاء الذات ببقاء الصفة، ولو لم يكن لله عز وجل وجه على الحقيقة لما جاز استعمال هذا اللفظ في معنى الذات، فإن اللفظ الموضوع لمعنى لا يمكن أن يستعمل في معنى آخر إلا إذا كان المعنى الأصل ثابتاً للموصوف؛ ولهذا فسّر بعض السلف الآية بالذات مع إثبات الوجه. ينظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان ٢٧٣/١، شرح العقيدة الواسطية لهراس ص: ٦٥. وقد أنكرت الجهمية ومن تبعهم صفة الوجه، وتأولوا الآية بالذات فقط. ينظر: مقالات الإسلاميين ٢٦٥/١، أساس التقديس للرازي ص: ١٥٥، الكشاف للزمخشري ٤٦/٤، دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص: ١٢. وهذا التأويل مخالف لما عليه الصحابة والتابعون من دلالة الآية على صفة الوجه لله تعالى من غير تمثيل، فإن تفسير الوجه بالذات لا يعرف في لغة العرب، كما قال ابن خزيمة وابن فورك وغيرهما، وإنما يطلق الوجه على جزء من الذات لا أنه هو الذات. ينظر: كتاب التوحيد ٥٧/١، مشكل الحديث ص: ٢٥٩. وفي تفسير الآية معنى آخر ذكره بعض السلف، وهو: أن كل شيء

وقوله لموسى وهارون: (ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ)[١] أي: أعلم ما يكون منكما ومن فرعون وأنصركما / عليه.

ب/٩٠

وقوله: (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ) الآية[٢] أي: علماً وإحاطة ثم ينبئهم بما عملوا[٣].

وقوله عن قول عيسى: (ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ) الآية[٤] أي: تعلم غيبي ولا أعلم غيبك[٥].

وقوله: (ﭙ ﭚ ﭛ)[٦] أن بيعتهم[٧] وثيقة وبها لهم رضوان الله[٨].

هالك إلا ما أريد به وجه الله، بمعنى التوجه والقصد والإخلاص. ينظر: شرح كتاب التوحيد للغنيمان ١/٢٧٥، وتفسير ابن كثير ٦/٢٦٢.

(١) سورة طه: آية ٤٦.

(٢) سورة المجادلة: آية ٧.

(٣) معية الله لخلقه نوعان: عامة بمعنى العلم، وخاصة بمعنى النصرة كما في الآية، وهذا هو ظاهر الآية من غير تأويل كما في لغة العرب: أن (مع) لمطلق المصاحبة والمقارنة، وهي تختلف باختلاف متعلقاتها ومصحوباتها، ولا تستلزم مخالطة أو حلولاً أو مماسة. ينظر: الكتاب لسيبويه ٤/٢٢٨، بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٦/١٦، مختصر الصواعق ٣/١٢٤٠.

(٤) سورة المائدة: آية ١١٦.

(٥) ينظر في تفسيرها: تفسير الطبري ١١/٢٣٨، وفيها إثبات نفس لله هي ذاته الموصوفة سبحانه من غير تمثيل، خلافاً للمتكلمين. ينظر: بيان تلبيس الجهمية ٧/٤٢٧. وفيها إثبات بشرية عيسى عليه السلام ورسالته، خلافاً للنصارى.

(٦) سورة الفتح: آية ١٠.

(٧) في الأصل: (يبعثهم).

(٨) تفسير الآية على ظاهرها من غير تأويل بمعنى: أن مبايعتهم للنبي ﷺ مبايعة لله؛ إذ هو الواسطة، ولما كان سبحانه فوق خلقه كانت يده فوقهم، ففيها إثبات لليد من غير تمثيل. ينظر: مختصر الصواعق ٣/٩٩٠، القواعد المثلى لابن عثيمين ص: ٧٧. وفسرها بعض السلف

وقوله: (□ □ □) أي: إنه كريم جواد منعم بإرادة واختيار لا بالطبع والقبض كما زعمت اليهود أن عطاءه لا بالقصد، ولذلك قالوا: (ې ۋ ۋ□ □ □) الآية[١].

وذكر اليدين من باب الاستعارة والمجاز وتعريف العباد أنه فاعل مختار يرزق من يشاء بغير حساب[٢].

وقوله: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ) الآيات[٣] أي: أنعم على العباد بذلك، لا أن له أيدياً متعددة، تعالى الله وسبحانه[١].

بالقوة، وهذا ليس تأويلاً بل أخذاً بما يدل عليه السياق، وهو لا يخالف التفسير الأول، ولا يمنع إثبات اليد من نصوص أخرى. ينظر: تفسير الطبري ٢١٠/٢٢.

(١) سورة المائدة: آية ٦٤. وقول اليهود: إن يد الله مغلولة، يقصدون أنه بخيل غير جواد، تعالى الله عن إفكهم، فأبطل سبحانه قولهم: (مغلولة) وأثبت اليد له على ما يليق به من غير تمثيل، وأنه واسع العطاء كيف يشاء، فقال سبحانه: (□ □ □ □ □ □).
وقيل: مغلولة عن عذاب اليهود! كقولهم: (ۋ ۋ پ پ). ونقل عن السدي: مغلولة فلا يبسطها حتى ترد علينا ملكنا. والأول هو الذي يدل عليه السياق، وعليه جمهور المفسرين. ينظر: تفسير الطبري ٤٥٥/١٠. وتفسير (مغلولة) أي: أن عطاء الله بلا اختيار، ليس هو تفسير جمهور العلماء، فإن هذا يقوله الفلاسفة وغيرهم ممن يسلبون الإرادة عن الله وأن فعله مقارن لمفعولاته فلا يقع عن اختيار! وقاله من فلاسفة اليهود موسى بن ميمون الأندلسي، تبعاً لأرسطو في نظرية الفيض. ينظر: دلالة الحائرين ص: ٥٣١. وينظر في إبطاله: تهافت الفلاسفة ص: ٢٨٨، مجموع الفتاوى لابن تيمية ٨٦/٨.

(٢) إثبات اليدين لله تعالى حقيقة من غير تمثيل هو ما دلت عليه النصوص المتضافرة من أكثر من وجه، وتأويلها بالنعمة أو القدرة إن صح في سياق فلا يصح في كل سياق، قال ابن القيم في مختصر الصواعق ٩٨٧/٣: (ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع، وروداً متنوعاً متصرفاً فيه، مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقة من: الإمساك والطي والقبض والبسط. . .). وينظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة ١٩٥/١.

(٣) سورة يس: آية ٧١.

وقوله لإبليس: (ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې) الآية[٢] أي: اعتنيت بآدم وجعلته خليفة في الأرض على ما فيها[٣].

وقوله: (□ □ □ □ □ □ □ □ □)[٤] أي: إن السماوات أشرف من الأرض، وكلاهما ملكه وفي قبضته وتصريفه[٥].

---

[١] تدل على أن الله خلق الأنعام كسائر خلقه، وأضاف العمل لليد والمراد صاحبها، ولم يقل أحد من السلف إن ظاهر الآية يدل على أن لله أيادي كثيرة، بل لله يدان حقيقيتان يدل عليهما إضافة لفظ اليد لله؛ والتعبير عن المثنى بصيغة الجمع: لمناسبة التعظيم الذي أضافه لنفسه سبحانه، كقوله في سورة التحريم: آية ٤: (گ گ گ)، والعرب لا تضيف لفظ اليد للحي على أي معنى كان إلا إذا كان من شأنه أن يكون له يد حقيقية. ينظر: مختصر الصواعق ٩٥٨/٣، القواعد المثلى لابن عثيمين ص: ٧٦.

[٢] سورة ص: آية ٧٥.

[٣] لا يصح ما ذكره المؤلف، بل هذه الآية من أصرح الآيات في إثبات اليدين لله تعالى من غير تأويل أو تمثيل؛ فقد جاءت بلفظ التثنية الذي يبطل تأويلها بالنعمة أو القدرة، كما أسند الفعل إلى الفاعل وعداه إلى اليد وأدخل حرف الجر (الباء) ليكون أصرح بالمباشرة، وهذه مزية أبينا آدم عليه السلام على غيره من البشر. ينظر: مجموع الفتاوى ٣٦٦/٦.

[٤] سورة الزمر: آية ٦٧.

[٥] التصريح بلفظ اليمين دليل على إثبات اليد حقيقة لله سبحانه، قال ابن كثير في تفسير الآية ١١٣/٧: (وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة، والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف، وهو: إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف، قال البخاري: قوله: (ﭙ ﭙ □ □ □ □)... عن عبد الله بن مسعود قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد: إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع. فيقول: أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه؛ تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ : (ﭙ ﭙ □ □ □ □ □ □ □ □ □) الآية). أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير (ح٤٨١١)، ومسلم في صحيحه (ح ٢٧٨٦).

وقوله عن السفينة: ﴿ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﴾[١] أي: مع كونها ألواح ودسر فهي محمولة محفوظة محروسة من الغرق والكسر، محاطة بالعناية الإلهية[٢].

وقوله لموسى /: ﴿ﭲ ﭳ ﭴ ﴾[٣] أي: أسخر لك فرعون وزوجته، وأحببك إلى كل من يراك[٤]، وأردّك إلى أمك مستوراً عليك حالك[٥].

٩١/أ

وقوله: ﴿ﮮ ﮯ ﮰ ﴾[٦] يعني: التوراة. والكتابة بمعنى: القضاء وهو الحكم[٧].

وقوله: ﴿ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ﴾[١] أي: ختمها وحكم بها[٢].

---

(١) سورة القمر: آيتا ١٣، ١٤.

(٢) هذا هو التفسير المطابق لظاهر الآية من غير تأويل، وفيه إثبات العينين لله، فإن العين إنما جمعت مشاكلة لإضافتها لضمير الجمع، وقد استدل بالآية على إثبات العينين لله أبو الحسن الأشعري كما في الإبانة ص: ٢٢ ت. فوقية، وينظر: مختصر الصواعق ٦٨/١، ومن فسرها من السلف: بمرأى منا، فهو تفسير بلازم المعنى الذي تدل عليه. ينظر: القواعد المثلى لابن عثيمين ص: ٧٠.

(٣) سورة طه: آية ٣٩.

(٤) في الأصل: (تراك).

(٥) قال الإمام الدارمي في كتابه النقض على المريسي ٨٣١/٢: (لا يجوز في كلام العرب أن يوصف أحد بالكلاءة إلا وذلك من ذوي الأعين. . . وإنما أصل الكلاءة من أجل النظر، وقد يكون الرجل كالئاً من غير نظر ولكنه لا يخلو أن يكون من ذوي الأعين). وقد جاء لفظ العين مضافاً إلى الله في القرآن مفرداً ومجموعاً، وورد في السنة بلفظ التثنية، وفيه جمع بين النصوص، ولهذا بوب البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد بآية: (ولتصنع على عيني)، وآية: (تجري بأعيننا)، ثم أورد حديث ابن عمر رضي الله عنه في وصف الدجال، وفيه: (وإن ربكم ليس بأعور) إثباتاً لصفة العينين لله تعالى. ينظر: نقض الدارمي على المريسي ٣٢٧/١، مختصر الصواعق ٦٥/١، شرح كتاب التوحيد للغنيمان ٢٨١/١.

(٦) سورة المائدة: آية ٤٥.

(٧) وهذا من الحكم الشرعي والكتابة الشرعية المأمور بها شرعاً. ينظر: تفسير الطبري ٢٦٠/١٠.

وقوله: (□ □ □ □ □) الآية[٣]، فهو من باب الاستعارة والمجاز، كما يقال: قامت الحرب على ساق. والمعنى: كشف الغطاء وشهود ما تواعدتهم الرسل به، ثم يدعون إلى السجود تهزؤاً[٤] بهم وقد منعوا منه فلا يستطيعون[٥].

---

(١) سورة الأنعام: آية ٥٤.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره ٢٦٣/٣: (أوجبها على نفسه الكريمة، تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً). وهي من الكتابة الكونية، والمكتوبة في اللوح المحفوظ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي). رواه البخاري (ح ٣١٩٤)، ومسلم (ح ٧١٤٧). ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٦٥٨/٢.

(٣) سورة القلم: آية ٤٢.

(٤) في الأصل: (تهزياً).

(٥) قال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية: (الصحابة قد تنازعوا في تفسير الآية: (□ □ □ □) هل المراد به الكشف عن الشِّدَّة، أو المراد به أنه يكشف الرب عن ساقه؟ ولم تتنازع الصحابة والتابعون فيما يذكر من آياتِ الصفات إلا في هذه الآية؛ بخلاف قوله: (ۋ ۋ ې)، (ۃ ۃ ۃ) ونحو ذلك؛ فإنه لم يتنازع فيها الصحابة والتابعون، وذلك أنه ليس في ظاهر القرآن أنَّ ذلك صفة لله تعالى؛ لأنه قال: (□ □ □ □) ولم يقل: عن ساق الله، ولا قال: يكشف الرب عن ساقه، وإنما ذكر ساقاً نكرة غير معرفة ولا مضافة، وهذا اللفظ بمجرده لا يدل على أنها ساق الله، والذين جعلوا ذلك من صفات الله تعالى أثبتوه بالحديث الصحيح المفسّر للقرآن، وهو حديث أبي سعيد الخدري المخرج في الصحيحين الذي قال فيه: (فيكشف الرب عن ساقه). وقد يقال: إنَّ ظاهر القرآن يدل على ذلك من جهة أنه أخبر أنه يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود، والسجود لا يصلح إلا لله، فعلم أنه هو الكاشف عن ساقه). وينظر: الصواعق المرسلة ٢٥٢/١. فالاختلاف لم يكن في إثبات صفة الساق لله على ما يليق به من غير تمثيل، وإنما في دلالة ظاهر الآية، فلا حاجة إلى التأويل ودعوى المجاز على القول بأن المراد: الكشف عن الشدة؛ لأن هذا هو ظاهر الآية حسب ما يقتضيه السياق وتحتمله اللغة، وإن كان الأصح أن الآية دليل على صفة الساق، وذلك لمطابقتها لحديث أبي سعيد، والأخذ بالقول الموافق للحديث أولى من غيره. ينظر: شرح كتاب التوحيد للغنيمان ١٢١/٢.

وقوله: (ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ)(١) هو كقوله: (ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ)(٢) أي: أبدعهما وأوجدهما بعد أن لم يكونا، وكذلك العرش(٣).

لا أن الله جسم متمكن بالقعود على العرش، ولا أن له ساقاً فيكشفه للسجود، ولا أن له نفساً منفوسة كنفوس المخلوقين، ولا أن له عيناً حبب بها موسى إلى فرعون، وعيوناً جرت بها سفينة نوح، ويداً يقبض بها جملة الأرض، ويميناً عظيمة يطوي بها السماوات، ويدين على قدر آدم خلقه بهما، ويدين مبسوطتين(٤) أبداً بهما ينفق ويرزق، وأيدياً(٥) كبيرة خلق بها الأنعام، ولا أنه جسم متجزئ أجزاء مع كل

ب/٩١

(١) ورد في ستة مواضع بهذا اللفظ: سورة الأعراف: آية ٥٤، ويونس: آية ٣، والرعد: آية٢، والفرقان: آية٥٩، والسجدة: آية٤، والحديد: آية٤. وفي سورة طه: آية٥ بلفظ: (ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ).

(٢) سورة العنكبوت: آية ٤٤. ومما يشار إليه أن آيات الاستواء ذكرت معطوفة على خلق السماوات والأرض بأداة (ثم) المفيدة للترتيب، وبإجماع الناس أن العرش كان قبل خلق السماوات والأرض، وهذا يبطل تفسير الاستواء بالخلق، ويدل على أن الاستواء صفة فعلية لله تعالى، وهو علو خاص ثبت بالنقل، مؤيد للعلو المطلق الذي لا ينفك عن الرب سبحانه المعلوم بالنقل والعقل.

(٣) تفسير السلف للاستواء لا يخرج عن أربعة ألفاظ، هي: استقر وارتفع وعلا وصعد، وهو استواء يليق بجلاله من غير تمثيل ولا تكييف، وما ذكره المؤلف من أن معناه خلق باطل لا تعرفه اللغة، ولا يؤيده السياق، ويبطله اطراد اللفظ في جميع المواضع من غير تغيير، ومثله من زعم أن معناه استولى. وقد أبطله ابن القيم في الصواعق ٨٨٨/٣ من أكثر من أربعين وجهاً، منها: أن استواء الرب المعدّى بعلى المعلق بالعرش المعرف باللام المعطوف بثم على خلق السماوات والأرض المطرد في موارده على أسلوب واحد ونمط واحد لا يحتمل إلا معنى واحداً، وهو ما تعرفه العرب من كلامها الذي يدل على الاستقرار والعلو. وينظر: التمهيد لابن عبد البر ١٣١/٧، مجموع الفتاوى ١٤٤/٥.

(٤) في الأصل: (يدان مبسوطتان).

(٥) في الأصل: (أيد).

فرد[١] من البشر، / ولا أن له وجهاً وقفاً وجسماً كالأجسام، ولا أنه يأتي تارة مع الملائكة وتارة في ظلل من الغمام، بل كل ذلك مثله في التفهيم والإشارة والعبارة كمثل ما[٢] يقول أحدنا لصاحبه: أنا وأنت بعين الله وبين يديه، والذي ذهب منا ففي جنب الله. فيفهم عنه مراده وهو تعريفه بأن الله مطلع عليهما وأنه يخلف عليهما ما ذهب منهما من نفقة أو غيرها[٣].

---

(١) في الأصل: تكررت كلمة (فرد).

(٢) في الأصل: تكررت كلمة (ما).

(٣) لم يذكر أحد من السلف ممن أثبت الصفات كما جاءت بها النصوص ما ذكره المؤلف مما هو من التشبيه أو التكييف كقوله: كنفوس المخلوقين!. . . على قدر آدم!. . . وقفاً وجسماً كالأجسام! ! وأيضاً: لم ينسب السلف لله تعالى ما لم يرد بالنصوص كالجسم ونحوه إلا على سبيل التفصيل، فما وافق معناه معنى النصوص أثبتوا المعنى وتوقفوا باللفظ، والمؤلف جرى على طريقة المؤولة من التشنيع على المثبتة للصفات، وهم لم يفهموا مقالة أهل السنة، لذا لم يعرفوا الفرق بينها وبين مقالة النصارى واليهود، وقد بيّن الإمام أحمد، في ردّه على الزنادقة والجهمية ص: ٢٨٠ ت. دغش، الفرق بين مقالة السنة في إثبات الصفات ومقالة النصارى، فقال رحمه الله: (لا نقول: إن الله لم يزل وقدرته، ولم يزل ونوره، ولكن نقول: لم يزل بقدرته وبنوره، لا متى قدر ولا كيف قدر). وقال الإمام الدارمي في نقضه على المريسي ٨٢٨/٢: (فكم تكرر قولك: جسم مركب! وأعضاء وجوارح وأجزاء! كأنك تهول بهذا التشنيع علينا أن نكف عن وصف الله بما وصفه في كتابه وما وصفه الرسول، ونحن وإن لم نصف الله بجسم كأجسام المخلوقين، ولا بعضو ولا بجارحة، ولكنا نصفه بما يغيظك من هذه الصفات التي أنت ودعاتك لها منكرون). وقال الإمام ابن تيمية في الجواب ١٥/٥: (والذين قالوا من نفاة الصفات المعتزلة والجهمية: إن من أثبت الصفات فقد قال بقول النصارى، هو متجه على من جعل الصفات جواهر). فقول عامة نفاة الصفات كقول النصارى بجعل الصفات قائمة بأنفسها! لكنهم نفوها عن الله بحجة التشبيه والتجسيم! فما رده المؤلف على النصارى بتأويل الصفات ليس بشيء، فإن دعوى التشبيه والتجسيم لازمة لكل من يثبت وجوداً موصوفاً، فالوصف بالوجود وكمال الوجود مع نفي التشبيه وقطع الطمع عن إدراك الكيف طريقة الأنبياء وأتباعهم، ووصفه بعدم

ومن كلام علمائنا رحمهم الله تعالى عند تلاوة الآيات التي زعمتم أن ظواهر ألفاظها مؤذنة بما يوهم التجسيم والتشبيه أنهم يقولون: آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسل الله وبما جاء عن رسل الله على مراد رسل الله[(١)].

ومن أقوالهم كذلك: التوحيد إثبات ذات غير مشبهة بالذوات ولا معطلة من الصفات، وجلت الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة، كما استحال أن يكون للذات الحديثة صفة قديمة، فليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كصفته صفة، ولاكفعله فعل[(٢)]. ولقد قال أمير المؤمنين عثمان لأعرابي وحشي جافٍ: أين ربك؟ فقال له: بالمرصاد يا عثمان، فكاد عثمان أن يموت فرقاً من خشية الله تعالى[(٣)].

كمال الوجود أو بالعدم بالكلية طريقة أعداء الرسل كفرعون، وهو تشبيه للحي القادر بالميت والجماد والمعدوم، وهذا أشنع. ينظر: مجموع الفتاوى ٢١٤/١٦، مختصر الصواعق ٥٣/١.

(١) هذا القول مأثور عن الإمام الشافعي رحمه الله. نقله ابن قدامة في لمعة الاعتقاد وذم التأويل ص: ٢٥، وليس من معناه: أن مراد الله ورسوله لا معنى له، أو أنه لا يعلم معناه، بل معناه: أن لله مراداً في كلامه نعلم معناه دون مآله وكيفيته فنؤمن به ونسلم، وكذا كل ما لم يطلعنا الله على تفصيله، أو قصر علمنا في فهمه، فنؤمن به ونسلم، فالجملة تدل على تمام التسليم، لا التكلف بالتأويل، أو ترك التدبر والإيمان بدعوى التفويض الذي حقيقته التجهيل؛ فإن الإمام الشافعي من أهل العربية الذين لا يخفى عليهم معاني الألفاظ، ومن المحال أن يخاطبنا الله ورسوله بما لا معنى له، أو لم يعلمنا معناه؛ فإن الوحي جاء هدى وشفاء للناس. ينظر: ذم التأويل لابن قدامة ص: ٤٤، مجموع الفتاوى ٤١/٥، ٣٥٥/٦.

(٢) نقل هذه الجملة القاضي عياض في الشفا ٣٣٨/١، والقرطبي في تفسيره ١١/١٦، فإذا كانت ذاته غير معطلة عن الصفات ولا كصفته صفة – وهذا ما يثبته السلف – فلماذا التأويل وصرف النصوص عن ظاهرها؟!.

(٣) ذكرها ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣٧٠/٢، والجاحظ في البيان والتبيين ١٤٢/٣، وفيها أن الأعرابي عامر بن عبد قيس العنبري، وأبو سعد الأبي في نثر الدر ٣٧/٤، وابن عبد ربه في العقد الفريد ٢٨/٤، وغيرهم. وليس في المصادر الجملة الأخيرة (فكاد عثمان. . .).

وما مثلكم، / أيها النصارى في قولكم: إن أنكروا علينا الشرك أنكرنا عليهم التجسيم، إلا كمثل امرأة صوّتت وإلى جانبها طبل فضربت عليه لتستر بصوته تصويتها، فقيل لها: أين الرنة من الرنة والريح من الريح؟!. وكذلك أنتم يقال لكم: أين قول رب العالمين بنون العظمة: ﴿ۋ ۋ ۅ ۅ ﴾ الآية[1]، ﴿ڳ ڳ ڳ ڱ ﴾ [2]، ﴿□ □ □ □ □ ﴾ [3] من قولكم الإفك القبيح: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد؟![4].

أ/٩٢

وله مثال: قول المنادي: معشر الناس، الخاص والعام، الجيد والرديء، والجهاوات وغيرها، من تأخر لا يسأل ما يجري عليه![5].

---

(١) سورة الزخرف آية : ٣٢.

(٢) سورة الحجر آية : ٩.

(٣) سورة القمر آية : ٤٩.

(٤) وينظر لأجوبة الإمام ابن تيمية، عن مقابلة النصارى تثليثهم وشركهم بما عند أهل الإسلام من إثبات الصفات، في: الجواب الصحيح ٤/٤٠٥، في أكثر من مائة صفحة من خمسة عشر وجهاً، ومما ذكر ردّاً على النصارى: أن النصارى ليس معهم في إثبات التثليث من كلام الأنبياء شيء، وإنما ينقلونه من أمانتهم! وأيضاً: أن إثبات الصفات هو ما جاءت به الرسل، وإن سُمي تجسيماً فمثله مذكور في التوراة وسائر كتب الأنبياء، وليس مما ابتدعه المسلمون، فهو لازم لأهل الكتاب، بخلاف التثليث فهو مختص بالنصارى. وأيضاً: أطال في إبطال تسمية الله بألفاظ مبتدعة، أو حمل ألفاظ الرسل على معانٍ مبتدعة، نقضاً لبدع النصارى، وأنهم من أعظم الناس تجسيماً حين زعموا أن جسداً إله تام! فلا يمتنع أن يقال مثل ذلك في نظائره.

(٥) الجهاوات: من أجهى الرجل إذا ظهر وبرز، كما في اللسان ٣/٢٣٠.

أراد المؤلف أن قول النصارى حقيقته التغاير بين الأقانيم الثلاثة كما يتغاير الناس، بخلاف الله تعالى فهو واحد لا شريك له، والخطاب في القرآن فيما أضيف إلى الله جاء بصيغتين:

إحداهما: صيغة المفرد، كقوله في طه: آية ١٤: ﴿ٻ ٻ ٻ پ پ ٻ ٻ ٺ ﴾ ونحوها، وهذه الصيغة في مقام تأكيد التوحيد والعبودية ونفي الشرك.

فالله الله في أنفسكم أيها النصارى قبل الموت.

والثانية: صيغة الجمع، وهي في مقامات التعظيم والامتنان على الخلق وتسخير الملائكة والمخلوقات لله تعالى. وكلتاهما جارية على أساليب العرب في كلامها، الذين نزل القرآن بلغتهم. وقد جمع الله بين الصيغتين في مواضع؛ لكون الصيغة الثانية دالة ومؤكدة على ما تدل عليه الأولى من التوحيد والعبودية، كما في قوله: (ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ). فجمع في الأولى لبيان الامتنان، وأفرد في الثانية حيث مقام العبودية والصلاة. ينظر: مجموع الفتاوى ١٢٩/٥.

فصل

ثم قلتم عقب ذلك: إن كليام قال لكم: إنهم ينكرون علينا في قولنا: إن الله تعالى جوهر. وإنكم أجبتموه قائلين: إننا نسمع عن هؤلاء القوم أنهم أهل فضل وعلم وأدب ومعرفة، ومن هذه صفته وقد قرأ شيئاً من كتب الفلسفة والمنطق والحكمة، فما حقهم ينكرون هذا علينا؟

وذلك إذ ليس في الوجود شيء إلا وهو: إما جوهر وإما عرض؛ لأن أي أمر نظرنا فيه وجدناه: إما قائماً بنفسه غير مفتقر في وجوده إلى غيره وهو الجوهر، وإما مفتقراً في وجوده إلى غيره / ولا قيام له بنفسه وهو العرض، ولا يمكن أن يكون للقسمين قسم ثالث، فأشرف هذين القسمين: القائم بذاته، الغير مفتقر في وجوده إلى غيره وهو الجوهر.

ب/٩٢

ولما كان الباري تقدّست أسماؤه أشرف الموجودات، أو هو سبب سائرها؛ أوجب أن يكون أشرف الأمور والأعلى منها الجوهر، ولهذا قلنا: إنه جوهر لا كالجواهر المخلوقة، كما نقول: إنه شيء لا كالأشياء المخلوقة، وإلا لزم أن يكون قوامه بغيره ومفتقراً في وجوده إلى غيره، وهذا فمن أقبح الأقاويل أن يقال على الباري سبحانه وتعالى.

< ثم قلتم: إن كليام قال لكم عنّا: إنّنا إنما ننكر[١] من أن نسميه جوهراً، لأن الجواهر ما قبلت أعراضاً وما شغلت حيّزات، فلهذا لم نطلق القول بأنه جوهر. فقلتم له: إن الذي يقبل العرض ويشغل الحيّز إنما هو الجوهر الكثيف، فأما الجوهر اللطيف فلا يقبل عرضاً ولا يشغل حيّزاً، مثل: جوهر العقل، وجوهر النفس، وجوهر الضوء، وما يجري هذا المجرى من الجواهر اللطيفة

---

[١] في الرسالة والجواب الصحيح ٥/٧: (**نمتنع**).

المخلوقة. وإذا كانت الجواهر اللطيفة المخلوقة لا تقبل عرضاً ولا تشغل حيّزاً فيكون خالق الجواهر اللطائف والكثائف ومركّب اللطائف في الكثائف يقبل عرضاً ويشغل حيّزاً؟ كلّا[١] > [٢].

فالجواب: أمّا قولكم: إن الله جوهر، بمعنى: أنه موجود واجب الوجود: فلا بأس به، مع القول بالاستحالة للتناهي على وجوده، ونفي الحيزية عنه، وتنزيهه عن مشابهة ما سواه من الجواهر المحيّزية والقائمة بها الأعراض، وإن كان بعض علمائنا ينكرون هذه التسمية تنزيهاً للرب تعالى، كما بيّناه[٣].

---

(١) في الرسالة ن ١ زيادة: (**كلا من ذلك**)، وفي الرسالة والجواب الصحيح ٥/٥ الحوار بصيغة: (فقلت لهم. . . فقالوا).

(٢) ما بين المعقوفتين كتب في هامش الأصل، وهو في الرسالة.

(٣) تقسيم الموجودات إلى: جوهر وعرض، هو المشهور عند الفلاسفة القدماء. وعند المتكلمين: أن الجوهر والعرض من أقسام المحدثات، وهذا أصل دليل الحدوث، وأن الوجود ينقسم إلى حادث وقديم، ولهم تقاسيم غيرها. ينظر: بيان تلبيس الجهمية ٣٥٧/٢، الرد على المنطقيين ص: ٣٠٤. ويلاحظ أن التقاسيم قائمة على ما يفرضه الذهن لا ما يوجد في الخارج، وهو في الوجود الكلي المشترك، فالتقاسيم أصولها من علوم الفلاسفة القائمة على النظر في الكليات، وفيها غفلة عن ما أبدعه الله من آياته الشاهدة على وجوده ووحدانيته، واستعاضة عن ذلك بمقدمات عويصة لا تسلم من الباطل! ينظر: درء التعارض ٢٠٢/٥. قال الجويني في لمع الأدلة ٨٦/١: (العالَم عند سلف الأمة: عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى، وعند خلف الأمة: عبارة عن الجواهر والأعراض)، ولهذا كثر اختلاف الفلاسفة والمتكلمين في حدّ كل منهما. ينظر: الرد على المنطقيين ص: ١٣٢، ٤٨٧، والفصل لابن حزم ٥٨/٥. وحدّ الجوهر بين الفلاسفة والمتكلمين لا يقع على وصف واحد؛ ولهذا اختلفوا فيه وفي صحة إطلاقه على الله عز وجل: فالفلاسفة والنصارى تبع لهم في ذلك يطلقون الجوهر على الله أو ما يسميّه الفلاسفة (المبدأ الأول)، ويخالف في هذا جمهور المتكلمين؛ فيمتنعون من إطلاق هذا الوصف على الله. قال الغزالي في معيار العلم ص: ٣٠١ مبيناً الخلاف: (ويقال: (جوهر) لكل ذات وجودُها ليس في موضوع، وعليه اصطلاح الفلاسفة القدماء. . . والمتكلمون يخصون اسم (الجوهر)

بالجوهر الفرد المتحيّز الذي لا ينقسم، ويسمون المنقسم جسماً لا جوهراً، وبحكم ذلك يمتنعون عن إطلاق اسم الجوهر على المبدأ الأول عز وجل، والمشاحّة في الأسماء بعد إيضاح المعاني دأب ذوي القصور). وقال مثله الآمدي في المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين ت. الأعسم ص: ٣٧٠، بل وقال الرازي: (إن كان المراد بالجوهر المتحيز الذي لا ينقسم فهو قول لا يصح إطلاقه على الله تعالى. أما إن كان المراد بالجوهر كونه غنيّاً عن المحل، فهذا المعنى حق، والنزاع ليس إلا في اللفظ). كما في معالم أصول الدين ص: ٤٥. وينظر في تعريف الجوهر والعرض: لمع الأدلة للجويني ص: ٨٧، الإنصاف للباقلاني ص: ١٦، المعجم الفلسفي لصليبا ٤٢٤/١.

والمنع من إطلاق لفظ الجوهر على الله قائم على ثلاث حجج:

الحجة الأولى: عقلية، وهي مستند عامة المتكلمين، المستدلين على حدوث العالم بالجواهر والأعراض، وعامة حجتهم قائمة على منازعة الفلاسفة والنصارى في معنى الجوهر والعرض، ينظر: الأجوبة الفاخرة ص: ١٣٥، وأدلة الوحدانية ص: ٩٣، والمغني للقاضي عبد الجبار ٩٨/٥.

وهذه الحجة قائمة على إثبات الجواهر والأعراض، وإثبات حدّهما، وكل ذلك طال جدال الناس حوله، مما يضعف هذه الحجة، لا سيما ودليل الجواهر والأعراض انتقده بعض المتكلمين كالنّظام والشهرستاني والرازي وغيرهم، ومادته من الفلسفة، فخلافهم راجع إلى خلاف الفلاسفة، وقد سمّاه جوهراً أرسطو وخالفه غيره. ينظر: الجواب الصحيح ١٠/٥، والجمع بين رأيي الحكيمين للفارابي. ولهذا عاد الآمدي إلى حجة الشرع والتوقيف في (أبكار الأفكار ٧/٢)؛ لكثرة الإيرادات على الحجة العقلية. وينظر: الآمدي وآراؤه الكلامية د. الشافعي ص: ٤٠٩، وفي درء تعارض العقل والنقل ١٣٩/٤ مناقشة لحجج المتكلمين في معنى الجوهر.

الحجة الثانية: لغوية، وهي عدم صحة التسمية بلسان العرب، وقد أشار إليها الآمدي في أبكار الأفكار ١٠/٢، قال الإمام ابن تيمية في الجواب ١٠/٥: (وأما اللغة: فإن لفظ الجوهر ليس من العربية العرباء، ولهذا لا يعرف في كلام العرب المحض، وإنما هو معرب، كما ذكر ذلك الجوهري وغيره. . . وهذا اللفظ ليس موجوداً في القرآن، ومع هذا فلما عرب كان معناه في اللغة: هو الجوهر المعروف، وتسمية القائم بنفسه أو الشاغل للحيز جوهراً فهو أمر اصطلاحي، ليس هو من الأسماء اللغوية، ولا العرفية العامة، ولا الأسماء الشرعية. وقد قيل: إنه مأخوذ من كلام الأوائل كاليونان وغيرهم). وحصر المكلاتي في لباب العقول ص: ٣٠ معنى الجوهر عند

وأما قولكم: إن الجوهر اللطيف لا يشغل حيّزاً ولا يقبل عرضاً، مثل: جوهر النفس، وجوهر الضوء، وكل جوهر لطيف مثل ذلك: فإنه قول مدخول مزلزل[١]؛ وذلك أن كل واحد من النفس والعقل والروح فإن العلماء مختلفون في ماهيتها[٢]:

العرب في شيئين: الحجارة التي هي في غاية النفاسة، ماهية الشيء وما به ماهيته، ومنه قولهم: زيد جيد الجوهر. وينظر: لسان العرب ٢٢٧/٣.

الحجة الثالثة: شرعية، وهي: عدم ورود ذلك في كلام الأنبياء، قال القرطبي في الإعلام ص: ٧٨: (ثم نقول لهم: لأي شيء تحكمتم بتسمية خالقكم جوهراً؟ وفي أي موضع من كتب الأنبياء وجدتم الأمر بذلك؟ أو على لسان من بلغكم الأمر به؟ ولا تجدون لإثبات الأمر بذلك سبيلاً غير التحكم! ولو كنتم ممن يستحيي من الله لما تحكمتم عليه بأن سميتموه بما لم يسم به نفسه). وهذه الحجة قائمة لا مناص عنها لكل أحد، وبها يتبين سلامة منهج السلف من الإعراض عن الألفاظ المحدثة، ورد معانيها إلى المعاني الشرعية، إذ إن أسماء الله توقيفية، وله سبحانه الأسماء الحسنى، فلا يسمّى الله تعالى جوهراً، ولكن الإخبار عن الله يصح عند الحاجة بكل لفظ محمود معناه موافق لما دلّت عليه الأدلة الشرعية. ولفظ الجوهر والعرض: إن أريد به ما هو حق، ككونه سبحانه قائماً بنفسه، أو متصفاً بالصفات ونحو ذلك؛ فهذا حق، ولكن اللفظ يتوقف فيه. ينظر: الجواب الصحيح ١١/٥، بيان تلبيس الجهمية ط. المجمع ٢١٩/١.

فلفظ الجوهر مما دخل على النصارى من ألفاظ الفلاسفة، وليس من ألفاظ الأنبياء. كما أشار الإمام ابن تيمية إلى أن تسمية الباري جوهراً من أهون ما ينكر على النصارى، وأنه دخل عليهم من تعظيمهم ووثوقهم بالفلاسفة، على خلاف ما كان عليه المسيح وحواريّوه. ينظر: الجواب الصحيح ١١/٥، ٣٦.

[١] أشار الإمام ابن تيمية في الجواب ٤٣/٥: إلى أن النصارى مثلوا بالأمثلة ولم يقيموا على ثبوتها دليلاً سوى كلام المتفلسفة! فلا حجة لهم في تفسيرها على من خالفهم فيها، إنما الحجة في كلام الأنبياء، أو ما دلت عليه العقول الصحيحة. كما منع عامة النّظار أن تكون النفس والعقل لا تقبل عرضاً، وأن الضوء عرض يقوم بغيره. ينظر: الأجوبة الفاخرة ص: ١٣٥، الجواب الصحيح ٤٣/٥.

[٢] في الأصل (ماهيتهم).

بمبحث: هل الروح جسم، أو قوة من القوى، أو خاصية من الخواص، أو معنى من المعاني الغيبية التي لا تدرك ولا يدرك وجودها / الحيّ إلا بالحس والحركة؟

٩٣/أ

وبمبحث: هل النفس والعقل الدارك المدبر المستفاد كل واحد منهما جوهر لطيف روحاني متصف بالصفات، أو هما صفتان من صفات الإنسان المشار إليه بقول: أنا؟

والقول في البحث عن النفس أن يقال فيها: إنها إما أن تكون جملة مزاج البدن، أو يكون المزاج آلة لها وأخلاقها تابعة له[(١)].

والقول في البحث عن العقل، فهو أن يقال: إما أن يكون جملة مزاج الدماغ، أو مزاج الدماغ ببطونه الثلاثة آلة له، أو أنه صفة للعاقل الموصوف به يعقل به المعقولات ويدرك به المدركات[(٢)].

ثم من البيّن أن هذه النفوس والعقول على كل تقدير مختلفات بالماهيات، ولو لم تكن مختلفات لكان مثلاً: عقل نمرود عقل إبراهيم، وعقل فرعون عقل موسى، ونفس هيرودس نفس المسيح، والذي يراه زيد بعقله يراه عمرو بعينه، ولم يكن الأمر كذلك،

---

(١) سبق سياق الخلاف في الروح والنفس في ل أ/٨٥ ص٣٤٤.

(٢) العقل في اللغة: المنع، وفي الاصطلاح: اختلف فيه اختلافاً كثيراً، في معناه وآلته.
فمعناه يرجع إلى أربعة إطلاقات: الغريزة التي يفرق بها عن الحيوان وهي مناط التكليف، والعلوم الضرورية التي لا تنفك عن الإنسان وهي العقل الفطري، والعلوم التي اكتسبها بالنظر وهي العقل النظري، والعمل بما يوجبه العلم. ينظر: درء التعارض لابن تيمية ٣٠٢/١٠، معيار العلم ص: ٢٨٦، المعجم الفلسفي ٨٣/٢. وأما محله وآلته: فقيل: القلب، وقيل: الدماغ، وقيل: مبدؤه بالنظر والفكر الدماغ ومنتهاه بالإرادة القلب، وهذا ما عليه أهل التحقيق. ينظر: مجموع الفتاوى ٣٠٣/٩.

فثبت الاختلاف بين ماهيات العقول والنفوس، ولزم من ذلك تباين ذواتها[(١)]، ولزم من تباينها أن تكون كل نفس محيّزة بحيز، محاطة بمحيط نسبي روحاني متناهية في ذاتها إلى ذاتها، وأن يكون كل عقل من العقول وكل جوهر روحاني كذلك، وأن يكون العقل الأول مغايراً بذاته لذات المبدع له مبايناً له، محدوداً بحصره محصوراً بحدّه، محاطاً مع إحاطته، محتوشاً[(٢)] بين طرفي الأولية والآخرية والوجود والعدم والابتداء والانتهاء، / متناهياً في ذاته إلى ذاته، قابلاً للعدم والوجود معاً، ممكناً تقابله الحدوث[(٣)].

ب/٩٣

وإن الله سبحانه شيء لا كالأشياء، وموجود مطلق الوجود، وجوهر لا في حيّز وذوات مجردة، وصمد لا في موضوع[(٤)]، وواجب الوجود أزلاً وأبداً، حيّ قيوم ليس

---

(١) خلافاً للقول بتماثل الأجسام أو الجواهر كما يقوله جمهور الفلاسفة والمتكلمين، ويخالف فيه بعضهم. ينظر: المحصل للرازي ص: ٩٣. قال الإمام ابن تيمية: (ودعوى تماثلها مخالف للحس والعلم الضروري؛ فإنا نعلم أن حقيقة الماء مخالفة لحقيقة النار، وأن حقيقة الذهب مخالفة لحقيقة الخبز، وأن حقيقة الدم مخالفة لحقيقة التراب، وأمثال ذلك، وأن اشتراكهما في كونهما جوهرين هو اشتراكهما في كونهما قائمين بأنفسهما أو متحيزين أو قابلين للصفات، وهذا اشتراك في بعض صفاتهما، لا في الحقيقة الموصوفة بتلك الصفات). ينظر: درء التعارض ١٦٩/٤.

(٢) أي: مجموعاً. ينظر: لسان العرب ٢٧١/٤.

(٣) (الحصر والتناهي) أحد أدلة الفلاسفة المسلمين كالكندي، وبعض المتكلمين كالآمدي، على إثبات واجب الوجود. ينظر: أبكار الأفكار للآمدي ٢٣٢/١، وتعليق الإمام ابن تيمية عليه في: درء التعارض ٣٧٠/٢، ٤٩/٣، وغاية دليلهم إثبات وجود واجب من غير تعيينه!. .

(٤) هذا من الكلام المجمل الذي سار فيه المصنف على طريقة المتفلسفة، فإن الذي هو لا كالأشياء، أو مطلق الوجود، أو لا في موضوع، على سبيل الإطلاق؛ إنما هو العدم، والله موجود صمد موصوف بالكمال المطلق. ويصح مراد المصنف إذا قيد بالأشياء المخلوقة والوجود المخلوق والموضوع المخلوق، فإن الله سبحانه لا يحل في مخلوقاته، وليس شيءٌ منها حالّاً فيه، وهو مباين عنها. ينظر: التعليق السابق في ل أ/٥٧ ص٢٦٧.

بذي حياة مستفادة له من روح القدس التي أوجدها بعد أن لم تكن موجودة وحييَ بها بعد أن أوجدها كما زعمتم، وليس بذي نطق استفاده من الابن الموجود به من جوهره كما زعمتم، والذي لولاه بعد إيجاده له لم يكن ناطقاً به قبل إيجاده منه، كما زعمتم وقلتم: الأب موجود لذاته والابن ناطق لذاته والروح حيّة لذاتها، وكل واحد من الثلاثة غني قديم من وجه وفقير حادث من وجه، والثلاثة واحد! بزعمكم الفاسد، فيا خسران من هذا رأيه ومذهبه وظنه بربه! والحمد لله على الهداية.

فثبت أنه لا بد لكل جوهر لطيف من حيّز لطيف روحاني يمتاز به عن باقي الجواهر اللطيفة المختلفة بالماهيات.

وأما تسميتكم للضوء جوهراً لا حيّز له: فغير مسلم، وإنما الضياء عرض قائم بعرض، وهو الشعاع أو النور المحمول على موضوع الشمس، أعني: ضوءها الباهر، وهو الجوهر لا النور القائم به ولا الضياء القائم بالنور، فإنهما عرضان لازمان له معلولان عنه، وهو جسم الشمس الشاغل حيّزه المكاني، فليس الضوء ولا النور بجوهر لا حيّز له كما / زعمتم، بل عرضان كما تبين. ٩٤/أ

وأما قولكم في الله تعالى: إنه سبب لسائر الأشياء: فقول خطأ، وافقتم به قول الفيلسوف ذلك في موضعه[1]، وكان الصواب أن تقولوا: إنه سبحانه مسبب سائر الأسباب، كما أنه تعالى طابع الطبيعة ومعلل العلل ومكوكب الكواكب، وخالق كل شيء لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عمّا يشركون.

---

[1] أي: الفيلسوف أرسطو والذي سمّى المحرك الأول بالعلة الأولى والسبب الأول! وأنه علة غائية تصدر عنه الأفلاك من غير اختيار، كحركة المعشوق لعاشقه!. ينظر: درء التعارض لابن تيمية ٢٧٢/٩.

فصل

ثم قلتم سياقاً: **وإنا لنعجب من هؤلاء القوم، يعنوننا معشر المسلمين، الذين مع أدبهم وفضلهم كيف لم يعلموا أن الشرائع شريعتان: شريعة عدل، وشريعة فضل؟! لأنه لما كان الباري تعالى عدلاً وجواداً وجب أن يظهر عدله على خلقه، فأرسل موسى إلى بني إسرائيل، فوضع شريعة العدل وأمر بفعلها إلى أن استقرت في نفوسهم، ولمّا كان الكمال الذي هو الفضل لا يمكن أن يأتي به ويضعه إلا أكمل الكمال وجب أن يكون هو تقدست أسماؤه الذي يضعه، لأن ليس شيء أكمل منه، ولأنه جواد وجب أن يجود بأجل الموجودات، وليس في الموجودات أجل من كلمته، فلذلك وجب أن يجود بكلمته، فعلى هذا أوجب أن يتخذ ذاتاً محسوسة يظهر منها قدرة جوده**[(١)].

ولمّا لم يكن في المخلوقات أشرف من الإنسان اتّخذ الطينة البشرية[(٢)] **من السيدة مار مريم**[(٣)] **المصطفاة على نساء العالمين**[(٤)]**، وبعد هذا الكمال لم**

---

(١) في الرسالة ن ١ زيادة: (**ولما لم يكن في المخلوقات في عالم الكون أشرف من طبيعة الإنسان وجب أن يتصل بها أشرف المخلوقات من الباقيات الغير فاسدات وهي النفس الناطقة والعقل**).

(٢) في الرسالة: (**اتخذ الطبيعة البشرية**)، وفي الجواب الصحيح ٥/٥٧: (**اتحد بالطبيعة البشرية**).

(٣) في الرسالة ن ٢: (السيدة الطاهرة مرت مريم). (مار ومرت) كلمة سريانية بمعنى: السيد، مذكر ومؤنث. ينظر: قاموس المصطلحات الكنسية ص: ٤٧ للقمص تادرس.

(٤) في الرسالة ن ١ زيادة مطولة، وهي: (**الرفيعة الشريفة النسبين، التي من أبيها من سبط الملك، أعني: داود الملك والنبي من جانب الله وخليفته في الأرض، كما شهد الإنجيل والقرآن، ومن أمها من سبط وبيت الإمامة التي تسمى الكهنوت، أعني بيت**

هارون أخي موسى، استحق أن يحل فيه أشرف الموجودات الذي لا شرف بعده، وهو روح الله وكلمته؛ ولهذا ورث المسيح الملك والإمامة وسلّمها إلى أهل نحلته.

ومما يدل على شرفه من هذا الكتاب ما ورد في سورة آل عمران: (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين). ومعلوم أن مريم اصطفاها الله على نساء العالمين لأجل المسيح؛ ومَن تحصل أمّه أفضل نساء العالمين لأجله فهو أفضل الناس جميعهم.

ولما أرسل الله تعالى جبريل رئيس الأجناد السماوية إلى مريم العذراء ليبشرها به قال لها: (السلام عليك أيتها المباركة من النساء سيدنا معك) ولم يقل: سيدي؛ لكنه جمع جميع أجناد الملائكة العليين فجعله سيدهم، وبالحري إذا كان سيد العليين الروحانيين فالأولى أن يكون والبشريين السفليين. وقال لها: روح القدس تأتيك، وأيد العلي يحل عليك، من أجل هذا الذي يولد منك قدوساً وعظيماً.

وقد شهد القرآن أنه تكلم في المهد وسلم على نفسه وقال: السلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيّاً، فتأملوا أمر طفل (في المخطوط: طفلاً) يعظم إلى أن يسلم على نفسه خاصة، فلو أن غيره أمثل منه سلم على غيره، فهيهات! ما أعمق هذا الخطاب حتى يفتخر على الخلق ويصلي على نفسه ويسلم! فلو كان بشرٌ قبله أو بعده أجل منه كان يسلم عليه ثم يعطف بالسلام على نفسه.

وأيضاً: القرآن ينطق بأن الله جعل مريم وابنها آية للعالمين، وهذا يؤيد ما تقدم شرحه.

وإذا كان الإنسان الكامل المولود من مريم بلغت منزلته من العلو على منازل الناس جميعهم حتى الأنبياء والأصفياء والملائكة إلى هذا الحد الذي وصفته من اتحاده بكلمة الله الخالقة وروحه؛ وجب أن يكون هو الكمال). وهذه الزيادة سبق نظيرها في ثنايا الرسالة وجواب المؤلف عليها، وجواب قوله: (فلو كان غيره أمثل منه سلم على غيره. . إلخ) فيقال: أن عيسى اختص بالسلام على نفسه دون غيره لكونه منّ الله عليه بالنبوة والبركة والوصية فكثر حسادّه ولا سيما من اليهود، ولأن ولادته المعجزة من غير أب تجعله وأمه عرضة للأذى، فناسب أن يسلّم على نفسه. وأيضاً: أن السلام يدل على فضله على سائر أهل زمانه دون غيرهم ممن قبله أو بعده؛ لأن السياق في ذكر أحداث زمانه. وأيضاً: أن غلط النصارى في زعمهم ربوبية

يبق / شيء يوضع، لأن جميع ما تقدمه يقتضيه، وما يأتي بعده غير محتاج إليه[(١)]، وفي هذا القول مقنع والسلام. ب/٩٤

فالجواب:

أما قولكم لكليام: إنكم عجبتم منّا كيف لم نعلم شريعة العدل وشريعة الفضل الآتي بها موسى وبهذه عيسى! وإنهما أغنيا العالم بتشريعهما عن كل ما جاءت به الأنبياء أو يأتي به قبلهما أو بعدهما. فإننا بحمد الله تعالى نعلم أن لله تعالى شريعتين كلّيتين عامتين شاملتين:

إحداهما: شريعته الإرادية، وهي شريعة الفضل الشاملة لأحكام إيجادنا وإيجاد العالم، وإمدادنا بالمواد وإمداد العالم، وتشريعها من حضرة الربوبية للمربوبين، أهل السماوات وأهل الأرض وسائر الخلق أجمعين.

وهي سنة الله التي فطر الناس عليها، وأراد لهم ومنهم وبهم وعنهم وفيهم ما هم فاعلوه وقائلوه وواجدوه من خير وشر، ونفع وضر، وإيمان وكفر، وطاعة وعصيان، وسعادة وشقاوة، وغنى وفقر، وقوة وضعف، وصحة وسقم، وخَلْق وخُلُق، وعلم وعمل، ومذهب وملة، ورأي ونحلة، وموت وحياة، لا تبديل لخلق الله.

وهي كلمة الله التي بها خلقت السماوات والأرض وتشدّدت، كما في مزامير داود[(١)]، وليست بالمسيح كما زعمتم، ولا هي دين النصرانية الذي ادعيتم / <و>[(٢)] ابتدعتم، وقد دللنا في ابتداء النصرانية وبيّنّا فساد باطلها فيما تقدم. أ/٩٥

المسيح وبنوته لله، فلو صح زعمهم ما احتاج إلى السلام. وأيضاً: يحي عليه السلام نال السلام من الله من غير عطف غيره معه؛ فالفضل ليس مما اختص به المسيح دون غيره من الأنبياء. ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٠١/١٧.

(١) في الرسالة ن ٢، ن ٣، والجواب الصحيح ٥٨/٥ زيادة: (**لأن أي شيء بعد الكمال فيكون فاضلاً بل يكون دونه أو أخذ منه؛ والآخذ منه فهو لا يحتاج إليه**).

وأما الشريعة الثانية: فشريعته الأمرية الواردة من حضرة الإلهية، وهي التي جاءت بها الأنبياء والمرسلون عليهم السلام، وهي شريعة العدل المشروعة لأولي الألباب المكلفين، والتي لم يأت فيها من التشريع إلا ما يثبته العقل أو يجوّزه، وأحكامها الأصولية: تعريف العباد أحدية الخلاق، وتعليمهم مكارم الأخلاق، وتكميل النفوس بحسن الاستعداد، واتخاذ المعارف والعبادة كالزاد، وقراءة عنوان السعادة، من فهرسة شريعة الإرادة، إذ الإنسان مريد مراد له، محملٌ ودليلٌ وزادٌ وتهيؤ للمصير إلى الحياة الأبدية، والنعيم المفضل للأمة المحمدية أهل الإسلام بدار السلام.

فهاتان الشريعتان مشروعتان من عند الله تعالى عدلاً وفضلاً من مبدأ الخلق وإلى إعادته، لا ما حصرتموه من القسمة فيما جاء به موسى وجاء به عيسى، وأضمرتم ما أضمرتم من قول: لا حاجة إلى إرسال أحد بعدهما. يعنون: الجحود لما جاء به نبيّنا محمد ﷺ، وابتعثه الله إلى العالمين بالهدى ودين الحق، بل وما جاءت به الأنبياء والرسل من قبل، وليس لهذا جواب إذ أنتم عارفون / به[٣].

ب/٩٥

---

(١) ينظر: سفر المزامير: ٦/٣٣.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) للقرافي في الأجوبة ص: ١٣٦ جواب آخر: أن شريعة موسى عليه السلام عدل وفضل، وفيها من الإحسان في الأحكام ما هو ظاهر، وقلَّ أن يقع في الدنيا عدل محض، ولو قيل إنها عدل ويتبعها شريعة الكمال والفضل لم تكن تلك شريعة عيسى عليه السلام؛ لأنها جاءت بالمواعظ دون الأحكام، وتابعة ومقررة لشريعة موسى، ولم تكن مستقلة، ومقتضاه: أن شريعة الفضل هي شريعتنا المحمدية؛ لأنها مستقلة غير تابعة، واللائق بالكمال أن يكون متبوعاً لا تابعاً. ثم فصل في فضل الشريعة المحمدية على صاحبها أتم الصلاة والسلام.

ومن جواب الإمام ابن تيمية في الجواب ٥٨/٥: أن الشرائع ثلاث: شريعة أصلها العدل، وهي شريعة موسى؛ لقيام غالبها على الأحكام. وشريعة أصلها الفضل، وهي شريعة عيسى؛ لقيام غالبها على الترغيب والأخلاق. وشريعة جمعت بين العدل والفضل، وهي شريعة نبيّنا محمد ﷺ، فهي أفضل وأكمل، وبها ختمت الشرائع. وأجاب أيضاً ٧٦/٥: أنه يصح قولهم: إن شريعة

فصل

ثم قلتم ختاماً: **وهذا الذي عرفنا من رأي النصارى الذين رأيناهم وفاوضناهم، والذي يحتجون به عن أنفسهم، فإن يكن ما ذكروه صحيحاً فلله <الحمد>[١] والمنة إذ وفقهم لذلك[٢]، وإن كان بخلاف ذلك فينعم مولانا الشيخ المعظم فلان[٣] بما يوضحه لنبيّنه للقوم ولنوقفهم عليه، فقد سألونا ذلك وجعلوا كليام فيه سفيراً، والحمد لله حمداً كثيراً[٤].**

الكتابين كانت كافية، لو كانت محفوظة ولم تتبدل وتندرس أكثر معالمها، وقد بعث نبيّنا ﷺ على فترة من الرسل.

(١) كلمة (الحمد) ساقطة من الأصل، وهي في نسخ الرسالة.

(٢) في الرسالة: (**إذ قد وفق الآراء وأزال التهم بين عباده النصارى والمسلمين حرسهم الله جميعاً**).

(٣) لم يصرح باسم الشيخ، وكذلك في نسخ الرسالة، وفيها زيادة: (**أدام الله حراسته، وفسح في مدته**).

(٤) في ختام نسخ الرسالة: (**فقد سألوني ذلك وجعلوني سفيراً**، (وفي ن٢، ن٣ زيادة: ومواسطاً فيه) **والحمد لله رب العالمين**). وفي ن٢ زيادة: (**تمت الرسالة التي حضرت من قبرص وجزائر البحر المحيط بمعونة الله تعالى**). وفي آخر مخطوطة الرسالة ن١: (**لخص هذه الرسالة وصححها أضعف عباد الله، وأحوجهم إلى رحمته: صليبا بن يوحنا القس الموصلي بمحروسته مدينة الماغوصة من أعمال جزيرة قبرس حماها الله تعالى، ووافق الفراغ في العشر الأوسط من شهر آب سنة ألف وستمائة وسبعة وأربعين لتأريخ الإسكندر اليوناني، الموافق لسنة ألف وثلاثمائة سنة وثلاثين مسيحية، المجانس للمحرم سنة سبعمائة وسبع** (كتبت: وسبعة) **وثلاثين هلالية، رحم الله من نظر فيه ودعا له بالمغفرة، وأصلح ما وجد من الزلل والخلل**). والماغوصة مرفأ في شرق جزيرة قبرص، وفيها قلعة حصينة وكنائس، وتعرف اليوم بفاماجوستا تابعة لقبرص التركية. ينظر: الموسوعة العربية الميسرة ص: ٢٣٥٩. والناسخ هو صليبا بن يوحنا الموصلي النسطوري، ولد في سلخ القرن الثالث عشر

فالجواب: هداكم الله للصواب فقد أنصفتم في القول، وأتيتم بما عندكم، وقد سمعتم عن كل فصل جواباً فيه مقنع وكفاية، وإني والله لكم من الناصحين، فانظروا ما أوردته عليكم وتدبروه، وأحسنوا النظر فيه ترشدوا إلى الحق وإلى طريق الرشاد، ولا تكونوا كالذين دعوا إلى الهدى فأبوا وقالوا: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون.

ولقد فكرت في قولكم: أن لا حاجة إلى من يأتي بعد المسيح! وإنه جحود للرسالة المحمدية ولكل نبي ورسول ممن تقدم على موسى عليهم السلام، ثم فطنت إلى أنكم أخذتم هذا النكر من السامرة المنكرين سائر النبوات إلا نبوة موسى ورسالته، ومن قولهم الهزاء في ذلك: إن كان الذي جاء به موسى مثل الذي جاء به من تقدمه فلا فائدة في مجيء موسى ومجيئه ثابت، وإن كان دونه فمحال، فبطل أن يكون قبله غيره / شريعة مشروعة، وإن كان الذي يأتي بعده يأتي بمثل ما أتى به فلا حاجة إليه، إذ هو من تحسين تحصيل الحاصل، وإن كان أنقص منه فكذلك، وإن كان أزيد فمحال؛ إذ ليس بعد الكمال كمال، وإن كان نسخاً أو عن بداء فمحال على الله أن يبدو له ما لم يكن، فبطل أن يأتي بعد موسى نبي آخر[1].

٩٦/أ

الميلادي، له كتاب في أخبار بطاركة المشرق، مطبوع باسم أسفار الأسرار، وله مشاركة في كتاب المجدل (موسوعة البطاركة). ينظر: معجم المؤلفين ٥/٢١، ومقدمة د. صليبا لتحقيق الأسفار.

[1] النسخ: لغة: النقل والإزالة. واصطلاحاً: رفع حكم شرعي بدليل شرعي متراخٍ.

والبداء: الظهور، ويراد به: ظهور ما كان خفيّاً، أو استحسان شيء عُلم بعد أن لم يكن يُعلم. والفرق بينهما: أن النسخ متعلق بالأحكام والأمر والنهي، والبداء متعلق بالعلم، ولهذا يصح النسخ في حق الله؛ لتعلق الأحكام بالمصالح المتعاقبة، دون البداء؛ لأنه يستلزم الجهل. ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس ١/٦٢، الأحكام للآمدي ٣/١١٠.

وقد أجمعت اليهود على منع نسخ شريعة موسى، واختلفوا في جواز النسخ ووقوعه، على ثلاث فرق: إحداها: منع إمكان النسخ عقلاً، ومنهم طائفة العنانية. والثانية: جوازه عقلاً ولكنه

والسامرة أخذوا هذا الكفران والجحود من منكري النبوات براهمة الهنود[(١)].

ويلزمكم أيها النصارى الرد على السامرة في جحودهم رسالة المسيح، أو الاعتراف منكم بتسليم ما ادعوه.

وأما نحن فقد أجبنا عن هذا الهذيان الملفق في أول كلامنا عند ذكركم لرسل المسيح واقتصاركم عليهم[(٢)].

وأما قولكم: بأن أفاضلكم سألوا إيضاح ما نعلمه مما ذكروه وادّعوه لتوقِفوهم عليه: فقد تقدم من القول ما هو كفاية.

وأقول وأقسم بالله العظيم: إنه لولا مراعاة المجاوب جناب النبوة الشريفة، وانتمائكم إليها بالمحبة والتعظيم، وملاحظته لمقتضى الشريعة الإرادية وجريان

ب/٩٦

لم يقع، ومنهم طائفة الأشعنية. والثالثة: جوازه ووقوعه، وهم طائفة العيسوية، لكنهم قالوا: إن نبوة الأنبياء بعد موسى خاصة بأقوامهم، فلم يؤمروا بالنسخ. ينظر آراء فرق اليهود في النسخ وإبطالها عقلاً وشرعاً في: الفصل ١٧٩/١، الداعي إلى الإسلام ص: ٣١٨، التخجيل للجعفري ٥٣١/٢، النسخ في القرآن لمصطفى زيد ص: ٢٧.

(١) البراهمة: هي أصل الهندوسية وأعلاها. نسبة إلى الإله (براهما) أحد عناصر الثالوث الهندي، ووهم من نسبهم إلى إبراهيم عليه السلام!. ومن مقالتهم المشهورة: إنكار النبوات والاستغناء عنها بالمعقولات!. في التبصير للإسفرائيني ص: ١٥٠: (البراهمة ينكرون جميع الأنبياء، ولكنهم يقولون بحدث العالم وتوحيد الصانع). وموطنهم الهند، وهم فرق وطبقات. ينظر: الفصل لابن حزم ١٣٧/١، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند للأعظمي ص: ٥١٩، البرهان للسكسكي ص: ٨٧.

وقد نقل الشهرستاني في الملل والنحل ١٢٧١/٢ حجة البراهمة في إنكار النبوات، وهي شبيهة بحجة السامرة واليهود في إنكار نبوة نبيّنا محمد ﷺ، وخلاصتها: إن كان ما أتى به النبي معقولاً فيكتفى بالعقل عنه! وإن لم يكن معقولاً فلا يكون مقبولاً؛ لأنه خروج عن حدّ الإنسانية.

(٢) ينظر: ما سبق في ل ب/٥٠ ص٢٤٨.

أحكامها، وعلمه بصحة رسالة المسيح السيد وما جاء به من عند الله تعالى، واطلاعه على الأغلوطات ومحزاتها الواقعة من أتباعه أهل دين النصرانية، ومعرفته للمبتدعين ما ابتدعوه مما لم يكتبه الله عليه، وشهوده لقصور أفهامكم وجمودها / على تجسيم المعاني، وتقليد الخالف للسالف تقليداً بغير تدبّر ولا تعقّل، ولا معرفة بما يجب ويجوز ويستحيل عقلاً وشرعاً وعادة، لكشفت الغطا، وبيّنت الصواب والخطا.

وسأذكر نبذة حسنة تزكي العارف الفطن، وتوقظ الغافل الوسن(١)، فأقول:

إن السيد المسيح عليه السلام لما أرسله الله تعالى إلى الأمم الأربع الذين كانوا في زمنه، أعني: اليهود، والمجوس، والصابئة، والفلاسفة، أولي الآراء والنحل(٢)، وأظهر لهم ما أظهره من العجائب والمعجزات، وألاح لعقولهم ما ألاحه من بهر نور العرفان القدسي الخاطف للبصائر، كخطف البرق اللامع للبصر، أغشى أعين بصائر بني إسرائيل بما غشاها من بهر ذلك النور اللائح لهم، وهم في ظلم أكوانهم وعَمَه حيلاتهم، وحجب عوائدهم الحاجبة عقولهم عن النفوذ في العرفان إلى ما هو من وراء طورها وفوق شهودها، وجذبهم بقوة بهر ذلك النور عن الصابئة عبدة الكواكب وروحانياتها وأصنامها الموضوعة لها كالمظاهر بزعم عبدتها، وعن تجسيم اليهودية المستقرّ اعتقاده في نفوسهم بما فهموه الفهم المعكوس من ظواهر ألفاظ التوراة وكتب أنبيائهم، كالإخبار بالشبه والمثال وذكر الاستراحة والاستلقاء والوضع لرجل على

٩٧/أ

---

(١) في الأصل كتبت: (الأيسن)، والمثبت أوفق للسياق. ومعنى الوسن: أول النوم. ينظر: لسان العرب ١٥/٢١٦.

(٢) غلط المؤلف في دعوى عموم رسالة المسيح إلى أمم زمانه، وإنما رسالته خاصة في بني إسرائيل. ينظر: تعليق سابق في ل ب/١٥ ص١٣٥.

أخرى[١]، وكالإشارة إلى أن آدم يريد أن يكون كواحد منّا، والقول بأنه جاء / من سيناء، وأمثال هذه[٢].

ونَزَعهم – أعني: المسيح – عن مهلكة غلط الثنوية القائلين بإلهين اثنين، وحذّر من قولهم واعتقادهم، وأوضح دهش الفلاسفة وحيرتهم، ونهى عن الإصغاء إليهم، فثبّت بصائر المؤمنين به والتابعين له لرؤية ذلك البهر العرفاني، وفهموا بالحال والذوق معنى قول الله تعالى في كتابنا المبين: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □) الآيتان[٣]، ولما فهموا ذلك وتحقّقوا معناه سكروا بعد الصحو، وغرقوا في لجة بحر المحو، ثم أفاقوا قائلين: (□ □ □ ى ى)[٤].

ورأى ذلك الضوء الباهر طائفة منهم فظنوه ناراً أو نوراً معهوداً فاقتحموا الفحص عنه بآرائهم، وكان مثلهم عند رؤيته واقتحام العرفان به كمثل الفراش عند رؤية المصباح في الظلمة: يقتحم النور والإشراق، ولا يخشى اللهب والإحراق، فيهلك حرقاً وغرقاً، ثم أخبر بعض هذه الطائفة لتابعيهم عن رؤية ذلك الضوء الباهر وما اقتضته آراؤهم في معناه، فجسّم التابعون السامعون لذلك الخبر معانيه، وألحدوا في آيات الله تعالى وفيه، وغلوا غلوّاً كبيراً، وأعماهم الحب وأصمّهم، فأطروا وتماروا،

ب/٩٧

---

(١) هذا مما وصفت به اليهود رب العالمين، تعالى عن قولهم . كما في سفر التكوين: ٢/٣. قال الشهرستاني في الملل ٥١٩/١: (وقد اجتمعت اليهود عن آخرهم على أن الله تعالى لما فرغ من خلق السماوات والأرض استوى على عرشه، مستلقياً على قفاه، واضعاً إحدى رجليه على الأخرى). وما يروى من أن الله استلقى ووضع رجلاً على رجل، حديث منكر. ينظر: السلسلة الضعيفة للألباني (ح ٧٥٥).

(٢) سبق سياق المؤلف لمثل هذا في مواضع متفرقة، منها: ل أ/٥ ص٩٥، ل ب/٥٩ ص٢٧٢، والتعليق عليه في موضعه.

(٣) آخر سورة فصلت: الآيتان ٥٣، ٥٤.

(٤) سورة آل عمران: آية ٥٢.

وظنّوا المعاني مباطن المباني، وسمّوا المباني مظاهر المعاني، واختلطت أفهامهم فشبّهوا الأول بالثاني، واستنجدوا بالثاني[١]، / فكانوا من الأخسرين أعمالاً، وجل الله وسبحانه وتعالى.

ومن هؤلاء التابعين من تحيّر وقال بالوقفة، وسرت فيهم رقيقة الصابئة، فقالوا: باتخاذ آلهة كثيرة مشتركين في الإلهية بزعمهم وفي الخلق والأمر، وصنعوا لهم تماثيل مظاهر يتعبدون لها ويتضرعون عند المهمات والملمات إليها، ويقربون لها الدّخنات، وينذرون إليها النذور، وحاكوا[٢] الصابئة في كثير من أفعالهم.

ومن هؤلاء التابعين المذكورين من سرت فيه رقيقة الثنوية، فثنّوا وأشاروا إلى الإلهين المزعومين بالتصليب على وجوههم بأصبعين، واتخذوا رؤوس تيجانهم شعبتين، وقالوا بالطبيعتين والمشيئتين، وحاكوا المجوس الثنوية، والتحشية في تشويههم لصورهم وحلقهم لذقونهم وأوساط رؤوسهم، ووقود القناديل والشمع ليلاً ونهاراً، والتحلي بالذهب والجواهر ولبس المصبغ عند العبادة اقتفاءً بالمجوس.

ومنهم أيضاً من سرت فيهم هذه الرقيقة فتحيروا ووقفوا عن القول بإلهين، فجمعوا لهم بآرائهم إلهاً واحداً في التسمية مثلثاً في الكنه مركباً، وسمّوا تثليثه: أباً وابنا وروحاً. ومنهم من سمّى: أباً وابناً وأمّاً. يعنون: الشيء والحياة والنطق، فالشيئية الواجبة والحياة مريم والنطق الممكن المسيح الصالح لأن يكون / إلهاً ولا يكون إنساناً، ولأن يكون قادراً ولا يكون عاجزاً.

٩٨/أ

---

(١) في الأصل كتبت: (واستنتجوا بالثا)، ولا معنى لها، والثاني: المسيح.

(٢) في الأصل كتبت: (حكوا) في الموضعين.

ومن هؤلاء الأتباع[١] من سرت رقائق عدة وتزاحمت فاندهشوا، ووسوست لهم نفوسهم فرجعوا إلى الفلسفة الفجّة البتراء، ورأوا رأياً فلسفيّاً في الإنسان أنه زبدة الأكوان، وفيه بالقوة وبالفعل ما في سائر العالم من معقولات ومحسوسات، مندرجة فيه بادية منه ظاهرة عليه شاهدة له محصلة عنده صادرة عنه، وأنه يعلم بعض الكليات علماً بكلية القائم به، فقالوا: إنه مظهر العقل، والعقل مظهر الباري. وخصصوا المسيح بذلك؛ لما ظهر منه من العجائب والمعجز، وسيما كونه تكلم في المهد، ولم يعلموا أن صبي يوسف تكلّم في المهد شهادة ببراءة يوسف[٢]، وصبي اليمامة تكلّم في المهد شهادةً بأن محمداً رسول الله ثم لم يتكلم بعدها حتى شب، كما في التواريخ من كلامه[٣].

ومنهم أيضاً من سرت فيهم الرقيقة اليهودية فجسّموا وأغلظوا في التجسيم، فركبوا الإله تركيب الجسوم، وقالوا بحلوله واتحاده بالأبدان، ولم يفرقوا بين معنى القدم وبين معنى الحدث ولا بين الواجب والممكن، وكان هؤلاء شرّاً مكاناً وأضل سبيلاً.

---

(١) في الأصل كتبت: (التباع) .

(٢) جاء في سورة يوسف: آية ٢٦، وقد اختلف في الشاهد، فقيل: صبي أنطقه الله، وروي عن ابن عباس رضي الله عنه وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم، وقيل: رجل حكيم من أهلها. والأول رجحه الطبري والشنقيطي وغيرهما. ينظر: تفسير ابن كثير ٣٨٤/٤، أضواء البيان ٢١٧/٢.

(٣) الخبر رواه البيهقي في دلائل النبوة ٥٩/٦، وقال: إن صحت فيه الرواية. ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة رقم: (٢٨٤٤). وفيه: معرض – أحد رواته – وشيخه مجهولان، وكذلك شاصويه، واستنكروه على الكديمي. قاله ابن حجر في الإصابة ١٢٤/٦.

وأصح منهما: ما رواه البخاري (ح ٣٤٣٦)، ومسلم (ح ٢٥٥٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى. . وصاحب جريج. . وصبي يرضع من أمه).

ولو أن هذه الفرق الضالة سمعوا ما أنزل إلى الرسول النبيّ الأمي خاتم النبيين وصاحب التمام والذي وجب عليهم أن يسمعوا منه / ويطيعوه لاهتدوا من الضلالة وأنقذوا من الجهالة، وكانوا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين (الآية)[١]، القائلين في الإله من حيث المعقول المبرهن والأدلة القطعية والحق الصرف[٢]:

ب/٩٨

نؤمن أن الله سبحانه شيء لا كالأشياء، واجب الوجود لذاته، لا يتصل به شيء من الممكنات، ولا يتحد به منها شيء، ولا يحلّ بها <ولا تحلّ به>[٣]، ولا يمتزج بشيء منها ولا تمتزج به، ولا ذاته علة لذواتها ولا ذواتها معلولة لذاته، وأنه سبحانه أوجدها بقصده واختياره لا بالطبع والقوة، وأنه لا متصل بالعقل الأول ولا متّحد به ولا ممتزج به؛ لأنه لو كان متصلاً بالعقل الأول اتصالاً لازم الثبوت[٤] لزم منه ما ذهب إليه القائلون بالعلة والمعلول، وهو محال، كما ندل عليه[٥].

---

(١) إشارة إلى الآية ٦٩ من سورة النساء، قال تعالى: (ڃ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ).

(٢) ما سيذكره المؤلف - غفر الله لنا وله - من اعتقاد إنما هو من عقيدة المتكلمين واستدلالاتهم المبتدعة، ولا حاجة لها في الرد على النصارى، بل هي مما تضعف بها الحجة وتزيد في المحاجّة. فليت المؤلف ما أدرج هذا في كتابه، ولو سلك طريقة القرآن والالتزام بألفاظه وأدلته في بيان العقيدة لكان غاية في البيان وصحة الاستدلال.

(٣) زيادة من هامش الأصل. وينظر: التعليق السابق على مثل هذه الألفاظ المجملة في ل ب/٦٣ ص٢٨٢، ل أ/٩٤ ص٣٧٨.

(٤) لازم الثبوت عند المتكلمين: كل ما يلزم ويقبل الارتفاع بالوهم دون الوجود بخلاف الذاتي الذي لا يرتفع بالوهم ولا في الوجود والعرضي الذي يقبل الارتفاع في الوجود والوهم. وقد يتداخل الذاتي بلازم الثبوت فلا يظهر فرق. ينظر: معيار العلم ص: ٩٧.

(٥) العلة عند الفلاسفة: ما يتوقف عليه وجود الشيء خارجاً ومؤثراً فيه، وهي عندهم أربع علل: مادية، وصورية، وفاعلة، وغائية، والغائية هي: التي يكون وجود الشيء من أجلها، وهي أيضاً: إما أن تكون تامة، وتسمّى المستقلة، وهي التي يجب وجود المعلول عنها. أو ناقصة، وهي بخلافها. ينظر: التعريفات للجرجاني ص: ١٥٤، المعجم الفلسفي ٢/٩٧.

وإن كان منفصلاً عن العقل الأول بالانفصال اللازم الثبوت لزمه الحصر بذلك الانفصال اللازم الثبوت.

وثبوت الانفصال المطلق إن كان واجباً معه قديماً لزم منه قدم المنفصل عنه، وهو محال، وإن كان ليس بقديم ولا واجب فهو ممكن، وإذا كان الانفصال ممكناً استحال لزوم ثبوته على الإطلاق، فهو لا متصل به على الإطلاق ولا منفصل عنه على الإطلاق.

وكذلك مجموع الممكنات؛ فإنها في قبضة الإحاطة الوجودية، لا متصلة بذاته ولا منفصلة عن إحاطته، لأن / الذاتين القائمتين بنفسيهما لا تدخل إحداهما في الذات الأخرى بمعنى الامتزاج والاتحاد؛ لأن الذاتين لا يكونان واحداً، والقائمين بنفسيهما لا يكونان في حيّز واحد، لكن عند حلول أحدهما في الحيّز ارتفاع للثاني من ذلك الحيّز، فيمتنع حلول القديم والممكنات في حيّز واحد معاً، فلزم أن لا يكون حالّاً في ذاته <شيء>[1] ولا ذاته حالة في حيّز العالم؛ لأن القديم لا يمازج الحوادث ولا يقبل

٩٩/أ

وقول الفلاسفة هو أن العلة مع المعلول علة غائية تامة تستلزم معلولها فلا يتأخر ولا يتقدم، كما يفيض النور من مصدره، ولازم قولهم أن لا يحدث شيء، وأن كل ما حدث في العالم إنما حدث بغير إحداث، وهذا ظاهر البطلان لكل أحد، وفيه سلب للقدرة والإرادة وصفة الخلق للخالق. ينظر: تهافت الفلاسفة ص: ٤٨، مجموع الفتاوى ٢٢٥/١٨، الملل والنحل للشهرستاني ١١١٩/٢.

وسيأتي إبطال المؤلف له بعد صفحات. وقوله: (محال)، المحال: ما يمتنع وجوده في الخارج. والممتنع: ما يستحيل وجوده على الإطلاق. المعجم الفلسفي ٤٢٣/٢. وظاهر صنيع المؤلف عدم التفرقة بينهما.

(١) زيادة من هامش الأصل.

الحلول بها، ولا تقبل القائمات بأنفسها القيام بغيرها، فالعالم بأسره وحيّزه خارج عن ذاته تعالى منفصل عنه مباين له بالذات والحقيقة[١].

ومن الدليل على ذلك: أننا تأملنا العالم، علويه وسفليه، وكلياته وجزئياته، وجواهره وأعراضه، وسائر الموجودات، فوجدناها ممكنات الوجود والعدم، ووجدنا لها محيطاً حاوياً لها تتناهى إليه، ولم نجد وراءه وجوداً ممكناً، ولا وراء خلقه خلقاً؛ لأنه لو كان وراء الممكنات ممكنات ووراء الممكن ممكن لتسلسلت الممكنات إلى غير نهاية، وللزم من إيجاد الممكنات إلى غير نهاية عدمُ الواجب الوجود إلى غير نهاية، ولأن الغيرين لا يجتمعان فيما لا يتناهى معاً[٢]، والوجود حكم لازم الثبوت واجب الوجود، فلا يوجد وجود إلا به، فإذا لم يكن واجب الوجود ثابتاً فلا يثبت وجود الممكنات، فثبوت وجود الممكنات في الشاهد دليل على / ثبوت واجب الوجود[٣].

---

(١) ينظر في امتناع الحلول: حجة الإمام أحمد في الرد على الجهمية ص: ٣٠١، وشرحها في درء التعارض ١٣٤/٦. وينظر نظير حجة المؤلف في: أبكار الأفكار للآمدي ٥٢/٢، نهاية العقول للرازي، وتعليق ابن تيمية عليه في بيان تلبيس الجهمية ٢٤/٥.

(٢) الغيرين: الممكن إلى غير نهاية، والواجب إلى غير نهاية. والواجب عند المتكلمين: عبارة عن ما يلزم من فرض عدمه محال. والممكن: عبارة عن ما لو فرض موجوداً أو معدوماً لم يلزم عنه لذاته محال، ولا يتم ترجيح أحد الأمرين إلا بمرجح من خارج. ينظر: المبين في ألفاظ الحكماء والمتكلمين للآمدي ص: ٣٢٧ ت. الأعسم، معيار العلم للغزالي ص: ٣٤٣.

(٣) هذا دليل (الممكن والواجب) عند فلاسفة ومتكلمي أهل الإسلام، قرره ابن سينا والجويني وطوره الرازي والآمدي، وأصله من دليل الحدوث عند المتكلمين. وتمام هذا الدليل بإبطال الدور والتسلسل، وقد جعل الرازي والآمدي ذلك ضروريّاً. ينظر في تقريرها: أبكار الأفكار ٢٢٧/١، وتعليق ابن تيمية عليه في درء التعارض ٩٢/٣، وغاية الدليل: إثبات واجب الوجود من غير تعيين أو مباينة للعالم، فضلاً عما فيه من صعوبة إثبات ومخاطرة في المعتقد. ينظر: درء التعارض ١٥٦/٨، الصفدية ٢١٢/٢.

ب/٩٩

وقولنا: واجب الوجود أي: لازم الثبوت حكم ضروري[١]، وذلك أن الوجودات المسلسلة إلى غير نهاية لا تتحصل إلا بالوجود الواجب الذي يتناهى وجودها إلى وجوده، وهو غير متناهٍ[٢] لغيره، لأنه لما كان مجموع الممكنات محصوراً من طرفي الآخرية والأولية والبداية والنهاية كان أولها مسبوقاً بعدم وجودها، فإن كان السابق أيضاً مسبوقاً بعدم وجوده تسلسلت الوجودات السابقة إلى غير نهاية.

ولما كانت عدمات الموجودات سابقة للموجودات وأن كل موجود يتقيد بالأولية فأولية وجوده مسبوقة بعدمها، فإذا طردت[٣] الموجودات السابقة إلى غير نهاية لزمها عدمات إلى غير نهاية عكساً؛ لأن عدم الموجودات سابق لوجودها إلى غير نهاية، وإذا لم تتناهَ عدماتها لم يتحصل وجودها، ولما تحصّل وجودها في الشاهد لزم من ذلك تناهي عدمها إلى وجودها، ويلزم من تناهي عدمها إلى وجودها تناهي وجودها إلى عدمها، والوجود والعدم المتناهيان مسبوقان بوجود غير مسبوق بعدمه، وهو المشار إليه بالوجود المطلق، الذي لا أول له، ولا هو محصور بين طرفي الأولية والآخرية، ولا هو مسبوق بعدم ذاته ووجوده، وإن عدم الممكنات مسبوق بوجوده الواجب، ووجودها مسبوق بعدمها، فذلك هو المشار إليه بواجب الوجود[٤]. /

---

(١) في الأصل كتبت: (حكماً ضرورياً).

(٢) في الأصل كتبت: (متناهي)، وكذا فيما يأتي مثلها.

(٣) في الأصل كتبت: (طرت) وهو غلط.

(٤) هذا من أدلة إبطال التسلسل عند المتكلمين، وينظر في نظيره: أبكار الأفكار للآمدي ٢٣١/١، واستدراكه عليها! وتعليق ابن تيمية عليها في درء التعارض ٤٤/٣، كما ذكر في ٩٩/٣ أربعة أوجه لإبطال التسلسل، منها: أن الموجودات بعضها ممكن وبعضها واجب، وأن الممكن مفتقر إلى الواجب، ولا يقوم بنفسه، فيكون متناهياً إلى موجبه وموجده.

أ/١٠٠

والرب المعبود الذي لولا وجوده الواجب لم يكن يتحصل لما بعده وجود، وهذا معنى قولنا: إن الوجود حكم لازم الثبوت أزلاً وأبداً، والممكنات بين أزليته وأبديته في أوليتها وآخريتها؛ لأنه لما استحال أن تكون الممكنات غير متناهية الطرفين فثبت أنها متناهية إلى منتهى محيط بها ممكن الوجود وهو العقل الأول والحجاب الأعظم، عاد الكلام على المحيط بالعقل الأول الذي إليه المنتهى فرأيناه واجب الوجود لا غيره، لأننا دلّلنا على أن لو كانت الممكنات أخذت في الوجود إلى غير نهاية استحال أن يجتمع الواجب والممكن فيما لا يتناهى معاً، أو تكون الممكنات غير متناهية الوجود، فيكون الواجب معدوماً إلى غير نهاية أو يكونا موجودين فيما لا يتناهى معاً، وذلك أعظم استحالة؛ لأن إيجاد متغايرين فيما لا يتناهى محال؛ لاستحالة الجمع بين الضدين وتداخل الوجود في الوجودين كما لا تكون الذات الواحدة ذاتين، فلزم من ذلك أن الممكنات متناهية إلى الواجب، وأن الواجب ليس بمنتهٍ إلى غيره، كما أن وجوده ليس بمتناهٍ إلى عدمه ولا إلى وجود غيره، لأنه لو تناهى إلى غيره للزم أن يكون محصوراً بين حاصرين وللزم أيضاً أن يكون ذلك الغير متناهياً إلى الغير، وما تسلسل فلا يتحصّل[1].

---

[1] وهذه الحجة لا تتم إلا على قول المثبتين للصفات وقيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى، وإلا لزم الترجيح بلا مرجح، وانقلاب الممتنع الذاتي إلى الإمكان الذاتي، وهذا مما تجزم العقول ببطلانه، وبهذا استطالت الفلاسفة على المتكلمة الذين منعوا التسلسل، ولم يسلم الفلاسفة من الترجيح بلا مرجح؛ لأنهم زعموا أن الحوادث كلها حدثت بلا سبب وإنما بعلة مقارنة! فقول المتفلسفة أبعد عن الحق من المتكلمين ممن التزم الترجيح بلا مرجح في حادث معين. والفصل في المسألة: في إثبات الصفات لله تعالى وأنه لم يزل ولا يزال فاعلاً قادراً ذا مشيئة وحكمة. وفي بيان أن التسلسل – وهو ترتيب أمور غير متناهية – منه ما هو ممتنع: وهو التسلسل في المؤثرات والعلل. ومنه ما هو ممكن: وهو التسلسل في مفعولات الله أزلاً، فهو سبحانه لم يزل حيّاً قادراً مريداً. ومنه ما هو واجب: وهو ما دلّ الشرع والعقل عليه من دوام أفعال الله أبداً وأزلاً. وهذا

وذلك بأن واجب / الوجود لما لم يكن إلا واحداً لزم أن لا يحيط به غيره، لأن ذلك الغير إن كان واجب الوجود لزم أن يكون واجبين وهو محال، وإن كان حادثاً فالحادث لا يحصر القديم ولا يحيط به، لأن الواجب الوجود هو الذي لا يتقيد بالحصر لأنه مطلق الوجود، فلزم أن يكون محيطاً بالمتناهيات ولا تحيط به، وأن لا يكون في مكان لاستحالة النهاية عليه، لأن المكان: عبارة عن الظرف الحاوي للموجود المحوِي[1]، وواجب الوجود مطلق لا يحتويه المكان والزمان، لأن المكان لا يخرج عن تحديد الجهات الست، فهو إما أن يكون فوقاً لما تحته أو عكسه أو محاذياً لما وراءه أو مقابلاً لما هو أمامه أو متناهياً نحو يمينه أو شماله، وكل هذه الأقسام

ب/١٠٠

من اتصاف الله بصفات الكمال، وأن صفاته وأفعاله قديمة متعلقة بذاته فلم يزل خلّاقاً مريداً، ومفعولاته حادثة مسبوقة بعدم، ويعرف هذا بمعرفة الفرق بين آحاد الحوادث وجنس الحوادث الذي لم يزل متعاقباً، وبمعرفة أنه لا يلزم من الحكم على الأفراد أن يكون حكماً على الجملة على كل حال، وقد قرر هذا بعض المتكلمين كالآمدي. وهذه المسألة من محارات العقول وصعاب المسائل؛ لذا كثر اضطراب الطوائف فيها، والله يهدي من يشاء إلى الحق. ينظر في تفاصيلها من كلام ابن تيمية: شرح حديث النزول ص: ٤١٩، منهاج السنة ١/٢٩٩، الصفدية ١/١٤٤، درء التعارض ٣/٦١، ١٤٤، ٨/١٦١.

[1] هذا موافق لتعريف الحكماء (الفلاسفة)، وإليه مال الرازي والآمدي من المتكلمين، والمكان عندهم له حقيقة ووجود. وعند المتكلمين أن المكان: هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وينفذ فيه، وهو عند أكثرهم لا حقيقة له ولا وجود. وهناك أقوال أخرى ذكرها الأشعري في مقالات الإسلاميين ٢/١١٥. ولا فرق بين المكان والحيز اصطلاحاً عند الأكثر، وفرّقَ بينهما بعضهم: بأن الحيز أعم، وقيل: الحيز تقدير المكان، وقيل غير ذلك. والجهة والحيز أو المكان معان متقاربة، وهي من مقولات الأين؟ وإن كانت الجهة تدل على منتهى الحركة والحيز على ما تصح فيه الحركة. ينظر: معيار العلم ص: ٣٠٣، المبين للآمدي ص: ٣٤٩، التعريفات للجرجاني ص: ٢٤٤، المواقف للإيجي وشرحها للجرجاني ٥/١٣٨، منهاج السنة لابن تيمية ٢/٥٥٥، المعجم الفلسفي ١/٤١٩.

باطلة؛ لأنه لو كان فوقاً لما تحته لزمه الحدّ[١] والحصر والتناهي إلى ذلك التحت وبه، فإن كان ذلك التحت قديماً لزم منه وجود واجبين وهو محال، وإن كان حادثاً تبين أن القديم محصور بالحادث وهو محال، وكذلك القول فيما فوقه، ولو أنه تحت لما فوقه أيضاً للزم التقسيم الأول والتقدير الأول وهو محال، وكذلك القول باستحالة حصره في سائر جهاته، فلزم من ذلك أن يكون وجوده تعالى لذاته منزهاً عن المكان والجهة والحيّز والتناهي والحصر والفوق والتحت[٢].

---

(١) الحدّ لفظ مجمل، لم يرد في النصوص نفياً أو إثباتاً، فإن أريد به معنى صحيح قُبل، كمراد من أطلقه أنه سبحانه بائن من خلقه، أو مراد من نفاه بأن العباد لا يمكنهم إدراكه أو إدراك صفاته أي: علم كيفيتها، وهذا هو المعنى الوارد عن السلف كابن المبارك والدارمي. وإن أريد به معنى باطل لم يقبل. ينظر: مجموع الفتاوى ٤١/٣، وبيان تلبيس الجهمية ٦٢٧/٢.

(٢) نفي المكان عن الله تعالى بدعوى التناهي والحصر بالجهات الست قال به المتكلمون، وهي شبهتهم في نفي علو الله المكاني واستوائه على العرش، وقد ذكر نظير هذه الحجة الرازي في أساس التقديس، وأفاض في ردها ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية ٣٠٥/٣، وفي درء التعارض ٢٨٧/٦، كما ذكرها الآمدي في أبكار الأفكار ٣٨/٢ واعترض عليها.

ومما ذكر ابن تيمية في إبطال قول نفاة العلو والاستواء: أن ألفاظ المكان والحيز والجهة ألفاظ مجملة اصطلاحية لم ترد في النصوص الشرعية، وفيها حق وباطل، ولذا كان الواجب فيها الاستفصال كسائر المجملات، قال الإمام ابن تيمية في درء التعارض ١٥/٧: (وهؤلاء يتكلمون بلفظ الجهة والحيز والمكان، ويعنون بها تارة أمراً معدوماً، وتارة أمراً موجوداً، ولهذا كان أهل الإثبات. . . منهم من يطلق لفظ الجهة، ومنهم من لا يطلقه. . . وكذلك لفظ المكان. . . وأما لفظ المتحيز فمنهم من ينفيه، وأكثرهم لا يطلقه ولا ينفيه؛ لأن هذه ألفاظ مجملة تحتمل حقّاً وباطلاً. وإذا كان كذلك؛ فيقال: قول القائل: إن الله في جهة أو حيز أو مكان. إن أراد به شيئاً موجوداً غير الله، فذلك من جملة مخلوقاته ومصنوعاته، فإذا قالوا: إن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه امتنع أن يكون محصوراً أو محاطاً بشيء موجود غيره، سواء سمي مكاناً أو جهة أو حيزاً أو غير ذلك، ويمتنع أيضاً أن يكون محتاجاً إلى شيء من مخلوقاته: لا عرش ولا غيره، بل هو بقدرته الحامل للعرش ولحملته، فإن البائن عن المخلوقات العالي عليها يمتنع أن

وهو في ذاته مطلق الوجود ليس معه في ذاته غير ذاته، ولا محصور بغيرٍ لوجوده الحاصر غيره، ولا / تدرك الأفهام لوجوده نهاية، ولا تبلغ الأوهام لذاته غاية؛ لأن الأفهام والأوهام إنما تتصور ما دخل تحت الحدود والتناهي والمقدار والحيّز والمكان والزمان، وما لا يتقيد بهذه التقسيمات فلا يدركه إلا هو ولا يعلمه سواه، وذلك لأن العلم به وحقيقته لا يطابقه من جميع الوجوه؛ لأن حقيقة العلم إنما هو: معنى يطابق

أ/١٠١

يكون في جوف شيء منها. . . وإن أراد بمسمّى الجهة والحيز والمكان أمراً معدوماً، فالمعدوم ليس شيئاً، فإذا سمّى المسمِّي ما فوق المخلوقات كلها حيزاً وجهة ومكاناً، كان المعنى: أن الله وحده هناك، وليس هناك غيره من الموجودات: لا جهة ولا حيز ولا مكان، بل هو فوق كل موجود من الأحياز والجهات والأمكنة وغيرها، سبحانه وتعالى). وينظر: منهاج السنة ٢/٥٥٦.

كما ردّ رحمه الله الزعم بحصر الجهة بالجهات الست ولوازمها، فقال في درء التعارض ٦/٣٢٧: (الجهات قسمان: حقيقية، وإضافية. فالحقيقية جهتان: وهما العلو والسفل، فالأفلاك وما فوقها هو العالي مطلقاً، وما في جوفها هو السافل مطلقاً. وأما الإضافية فهي بالنسبة إلى الحيوان، فما حاذى رأسه كان فوقه، وما حاذى رجليه كان تحته، وما حاذى جهته اليمنى كان عن يمينه. . .)، ثم ضرب مثالاً: بما لو علق رجل وكانت رجلاه إلى السماء ورأسه إلى الأرض، كان هذا باعتبار الجهة الحقيقية لم يتغير الحكم، بخلاف الإضافية، وعليه: فليس الذين في جهة من الأرض تحتاً لما يقابلهم من جهتها الأخرى، بل كلهم فوق الأرض وتحت السماء، والله من فوقهم سبحانه. ومما يقال أيضاً: أن العلو والإحاطة لا يتنافيان ولا يتناقضان، والعلم بالعلو غير موقوف على العلم بالإحاطة ولا شرط فيه؛ فإن المخلوق قد يكون ممسكاً بيده حمصة محيطاً بها وهو فوقها، ولا يلزم أن يكون شكلها شكل يده ولا شكل يده شكلها، وقد يجعلها تحت قدميه وهو عالٍ عليها من غير أن يكون محيطاً من كل جهة، والناس يعلمون أن السماء فوق الأرض قبل أن يخطر بقلوبهم أنها محيطة بها، فإذا صحّ ذلك في المخلوقات وكان ممكناً من غير أن يقال: إنها تحت، وإن ذلك نقص، فالعلي الأعلى المحيط بكل شيء الذي لا يقدر العباد قدره الذي تكون الأرض قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه، كيف يتعذر في حقّه؟! مع توافر النصوص بأوجه مختلفة على وصفه بالعلو وأنه مستوٍ على عرشه سبحانه وتعالى. وينظر: الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص: ٢٩٣، مختصر الصواعق المرسلة ٣/١٠٦١، ١٢٧٣.

ماهية المعلوم على ما هو المعلوم عليه[١]، وقيام معنى المطابق لما لا يتناهى في علم المتناهي محال؛ لأن العقول متناهية بحد الحدود والكميّة والتناهي فلا يتعدى طوره ولا يدرك ما هو خارج عن حصره، فالعلم به لا يطابقه من جميع الوجوه لأحد من خلقه كلياتها وجزئياتها[٢].

فإن قال قائل: إن قولكم هذا يدل على واجبٍ لوجودٍ محيطٍ بمنتهى إحاطة العقل الأول وبما سواه من العقول والجواهر الروحانية والأفلاك والعالم كله من جميع الوجوه، وذلك يؤدي إلى محالات:

أحدها: أنه يكون متناهياً إلى المحيط بها -أعني: العقول الأُول المتناهية إليه- والمحيط بالشيء فإنه محاط بمحيطه؛ لأن وجود المحاط مقابل لوجود المحيط من سائر جهاته.

والثاني: أن ذلك يلزم المقابلة من جميع الجهات، والمقابلة يلزم منها أن يكون ذا جهات من ذاته، وقد دلّلتم على أن الجهات في حقه محال.

---

(١) ينظر: معيار العلم ص: ٧٦، المعجم الفلسفي ٢/٩٩.

(٢) هذه قاعدة نفيسة في العلم الإلهي، وهي مقتضى ما قرره السلف من التسليم للنصوص وعدم معارضتها بالعقول، فلا يدرك حقيقة ذاته إلا هو سبحانه، ولا نثبت له إلا ما أثبت له الوحي الصادق ولا نتعدى بعقولنا.

وهنا ملاحظات: إحداها: ليت المؤلف قرر هذه القاعدة وعمل بها في تقريره الواجب في حق الله تعالى؛ فلم يورد تسميات لم ترد مع إغفاله طريقة القرآن في إثبات وحدانية الله سبحانه.

الثانية: أن هذا الكلام ربما أطلقه النفاة للصفات لنفي أن يكون لذاته كيفية وكنه.

الثالثة: أن عدم إدراك كنه ذات الباري ليس خاصّاً بالوهم أو الخيال أو الحس، بل حتى العلم والعقل.

الرابعة: أن قوله: (مطلق الوجود. . .) مآله إلى الوجود الذهني الذي نسبه إلى المعطلة. ينظر: بيان تلبيس الجهمية ١/٣١٠.

والثالث: أن الإحاطة بالجهات الست[١] يلزم منها التجويف بذات / المحيط بالمتناهيات[٢].

ب/١٠١

فالجواب: أن الحصر الضروري ألزم الإحاطة، وهو أننا دلّلنا على استحالة كون واجب الوجود فوقاً لما تحته أو تحتاً لما فوقه أو محصوراً بجهاته؛ لأنه تعالى منزه عن ذلك، ودلّلنا على أنه سبحانه قائم بذاته لا في مكان وليس له في ذاته جهة ولا لغيره؛ لاستحالة النهاية على ذاته إلى غيره، ورأينا العالم بأسره متناهياً محصوراً فيما لا يتناهى، فرأيناه لا يتصف بالمكان والحصر والجهات، فلم نر تلك الصفات من صفات الممكنات المتناهية، وليس وراء الممكنات وجود ثان سوى وجود الواجب الوجود، فلزمنا الحصر الضروري ثبوت الإحاطة، لأنه تعالى إذا لم يكن فوقها ولا تحتها ولا في جهة من جهاتها ولا خارجاً عنها ولا داخلاً فيها؛ فيتبيّن أنه تعالى ليس بموجود! لأنه لا يكون موجودٌ داخلٌ في الوجودية يخرج عن هذه التقسيمات اللازمة، إلا ما ذهبت إليه المعطلة من القول بالوجود الذهني الذي لا حقيقة له في الخارج بوجه من الوجوه[٣]، أو الاتحادية القائلون بأنه هو العالم والعالم هو، ظاهره خلق

---

(١) في الأصل كتبت: (الستة) وكذلك مثيلاتها فيما سيأتي.

(٢) هذه اللوازم المذكورة (التناهي، المقابلة بالجهات، التجويف) إنما تلزم على من جعل الواجب بوصفه محيطاً مفتقراً للمحاط، وهو لازم يفر منه المعطلة؛ لاعتقادهم أن إثبات الصفات لازمه الافتقار! وهذا من شؤم قياس الخالق بالمخلوق، ففروا من التشبيه إلى التعطيل، والافتقار لفظ مجمل، إن أريد أنه يفتقر إلى شيء مباين عنه، سواء كان شرطاً أو علة؛ فهذا ممنوع. وإن قيل: إنه مفتقر إلى نفسه، كان حقيقته أنه لا يكون موجوداً إلا بنفسه، وهذا المعنى حق. وإن قيل: مفتقر إلى صفاته اللازمة أو جزئه أو لوازم ذاته، كان حقيقته أنه لا يكون موجوداً إلا بصفات الكمال، وهذا حق، وليس مفتقراً في كل ذلك إلى غيره. ينظر: درء التعارض ١/٢٨٢، ٤/٢٠٤.

(٣) المعطلة: وصف لكل من عطل الباري عن ما يجب له من الأسماء أو الصفات، وأعظمهم الفلاسفة والجهمية، وإليهم يشير المؤلف، فالقول بالوجود الذهني بمعنى: أن الكليات موجودة في الخارج. هو قول الفلاسفة، والباطنية، والجهمية، الذين يسلبون عن الله كل وصف وجودي، ويجعلونه كليّاً

وباطنه حق، فظاهر العالم بأسره أسماء للواجب وصفات![1]

وقد دلّلنا على استحالة هذه المذاهب، واستحالة القول بالحلول / كذلك. ١٠٢/أ

فلمّا لم تحط الممكنات به تعالى أحاط بها، ولما لم تحصره الجهات حصرها، ولما استحال عليه الحلول بحيّزها لزم مباينته بالذات عن ذوات الممكنات والحلول بها، فهذه الأقسام الضرورية لا ريب فيها ولا مخرج منها[2].

وأما قول القائل: إنه يلزم من إحاطته بالجهات أن يكون تعالى بمعنى الإحاطة مقابل الجهات، فإن ذلك لا يضر؛ لأن الوجود والمحيط بسائر الجهات تعتبر في بحر ذاته الغير متناهٍ كنقطة ماء، ولا يمنع أن يقابل بنقطة ماء من وجود إحاطته بسائر الممكنات بمجموعها، وهذا دليل على الكمال[3].

مطلقاً، وهذا لا يوجد إلا في الأذهان لا في الخارج. وأصل ضلالهم: اشتباه ما في الأذهان بما في الأعيان، وأن ما في الذهن من الكليات مطابق لما في الخارج، وأنه يصح أن يكون في الخارج مطلق، والحق خلاف ذلك. ينظر: الصفدية لابن تيمية ٢٧٩/٢، تأريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ليوسف كرم ص: ٧٠. وهذا الغلط سرى إلى كل من عطل الباري عن صفاته من المتكلمين، الذين لا يصفونه إلا بالسلوب أو بالإثبات المطلق الذي لا حقيقة له في الخارج. ينظر: درء التعارض ١١٦/١، ١٢٧/٥، التدمرية ص: ١١٦.

(١) الاتحادية: هم أهل وحدة الوجود، وأن الوجود والموجود واحد، والحلول والاتحاد طريق وسلّم إليها أو تجوز بالعبارة، ولذا سمّوا اتحادية وحلولية ووجودية. ينظر: درء التعارض ٢٤٣/٨، حقيقة مذهب الاتحاديين لابن تيمية ص: ٤، عقيدة الصوفية ووحدة الوجود الخفية د. القصير ص: ٥٥.

(٢) وهذه حجة الإمام أحمد على الجهمية، في القسمة العقلية الحاصرة، للخالق والمخلوق، إما أنه خلقه في نفسه، أو خارجاً عنه ثم دخل فيه، أو لم يدخل فيه، والأولان باطلان باتفاق، ولم يذكر أنه لا خارج ولا داخل؛ لأن هذا من شأن المعدوم لا الموجود القائم بنفسه. ينظر: درء التعارض ١٣٦/٦.

(٣) التزام المؤلف بالمقابلة ولو بنقطة من بحر يفسد ما قرره من نفي الجهة؛ لأن النقطة الواحدة وملايين النقط المتناهية لا فرق بينها في مقابل اللامتناهي، وهذا يفسد أيضاً برهان

وأما قول القائل: إنه يلزم من إحاطته بالمتناهيات التناهي إليها من جميع الجهات. فإنه محال؛ لأن التناهي عبارة عن الدخول تحت حصر الكميّة وحدّ الماهية وتحديد الأينية، وتناهي الذات والوجود إلى أن يتناهى طرفاها من جميع الجوانب حتى تحدد له جهات ست ويحيط به من فوقه ومن تحته وحوله، وهو سبحانه منزه هنالك عن الفوقية والتحتية والجهات والحدّ حتى تلزمه هذه المحالات، فلا فوق ولا تحت ولا جهة له ولا حدّ ولا مقدار ولا تناهي لذاته[١].

ب/١٠٢

فإن قال قائل: إن الإحاطة تلزم / أن يكون الوجود الذي هو محيط بجهة الفوق فوقاً لما تحته، والمحيط بجهة التحت للممكنات تحتاً لما فوقه، وكذلك حتى تتحدد له بالمقابلة جهات ست محيطة لمقابلة الجهات الست المحاطة.

فالجواب: أما تحديد الجهات: فإنها من حيث توجه الجهات إليه، لا من حيث إنه ذو جهات لذاته.

التطبيق المعتمد عند المتكلمين؛ لأن حادثاً واحداً أو ملايين الحوادث لا فرق بينها ما دام أحد طرفي السلسلة غير متناهٍ، وإذا كانت العقول متقاصرة عن استيعاب عدد من عوالم مع العالم المشهود، فهي لما لا يتناهى أضعف، ولذا كان من كمال العقل: الاستسلام للوحي المعصوم؛ بأن يوصف الله بالعلو، لا أن يصحح المقابلة من كل جهة وإن كان كنقطة بحر! فإن هذا يصحح وصف أنه تحت، تعالى الله عن ذلك. ينظر: درء التعارض ٩/١٧٧، ٢٠١.

(١) هذه الحجة غايتها تنزيه الله من العدم، وهو لا يفيد شيئاً؛ لاتفاق أهل الملل عليه، وقد غلط المؤلف بعدم معرفة الفرق بين الجهات الحقيقية والإضافية، وقد بيّن الإمام أحمد حجة عقلية اعتبارية لاجتماع جهة العلو مع الإحاطة، فقال في الرد على الزنادقة والجهمية ص: ٩٣[٢]: (لو أن رجلاً كان في يده قدح من قوارير صافٍ، وفيه شراب صافٍ، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله سبحانه، وله المثل الأعلى، قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه)، وضرب مثلاً آخر فيمن بنى داراً وخرج منها.

والثاني: أن الجهات المتوجهة إلى إحاطته بها إنما هي محدودة لنقطة الإحاطة بها، ونقطة الإحاطة جزء الماهية، والإحاطة بالجزء والتحديد له لا يلزم منه الإحاطة بالكل ولا تحديد الكل[1].

وسآتيكم بنبأ غريب، وفصل أذكره للتأنيس عجيب، فأقول:

يا أيها القائل والمعترض، ويا أيها السامعون، اسمعوا وعوا، إن الأفهام إذا سارت بسير الأوهام في وسع وجود لا يتناهى فهي تسير إلى أن ينقطع، فإذا انتهى سيرها في تلك العظمة الغير متناهية ثم التفتت الأذهان إلى ما وراءها نحو الممكنات لرآها الذهن في حيّزها نقطة مختفية في إحاطة بحر غير متناهٍ، وإذا سرت فيما لا يتناهى تلاشت هنالك النقطة المتلاشية إلى أن لا يدرك لها وجود أصلاً، فينطمس معناها المحاط ومعنى الإحاطة كانطماس نقطة في ذاتية البحر المحيط، وكانطماس الطائر في الجو عن النظر بسبب البعد المفرط، فمن أين يقال: إن الطائر المختفي في الجو والنقطة المطموسة في البحر أحاطا في الطواميس الواسعة؟ / ١٠٣/أ

ولا معنى للإحاطة إلا الحصر لمجموع ماهية المحاط وذاتيته ووجوده من كل الوجوه، وأما مجموع الممكنات فإنها فوق نقطة الإحاطة بحسب وسعها لا بحسب وجود المحيط بها، فإن الوجود والذات لا تحت له ولا فوق؛ لاستحالة التناهي عليه، وأما الفوق والتحت والجهات والحد فهي بالنسبة إلينا وإلى المتناهيات المحصورة بحدودها والمحدودة بحصرها.

---

(١) هذا من لوازم إنكار العلو لله سبحانه، فإن من توجهت له الجهات بلازم الحصر الضروري لا بد أن يكون في جهتها، ولو تحتاً! وإلا كان معدوماً، ومثل هذا الجواب ما ذكره الأشاعرة من إثبات الرؤية لا في جهة! وهذا تناقض؛ لأن كل مرئي لا بد أن يكون في جهة، وما ذكره الرازي في أساس التقديس ص: ٩٧ من تعليلات هزيلة لتوجه الناس إلى السماء عند الدعاء الدال على علوه سبحانه، حيث علله بأنه مكان ظهور الأنوار في السماء، أو لكون الهواء فيها، أو لنزول الغيث منها، ونحوها. ينظر: إبطال ابن تيمية لذلك في: بيان تلبيس الجهمية ٤/٤٣٠، ٤٨١.

وأما قول القائل: بأنه لو كان محيطاً بالجهات الست لزمه التجويف[(١)] المحدد بالإحاطة. فذلك محال من وجوه:

أحدها: أن الإحاطة تلزم التجويف للأجسام أو الجواهر المحيّزة، فمن ليس هو بجسم ولا جوهر ذي حيّز ولا محصور بمماثل من أين يلزمه التجويف بالإحاطة كما يلزم الأجسام والجواهر المحيّزة التجويف بالإحاطة؟! إذ الإحاطة وجودها الداخل في الحيّز لما في إحاطته، ولما استحال كونه جسماً أو جوهراً ذا حيّز استحال أن يدخل عليه بالإحاطة من التجويف ما يدخل على الأجسام والجواهر المحيّزة، ولما كان مغايراً للأجسام والجواهر المحيّزة فكذا إحاطته بالممكنات مغايرة لإحاطة الأجسام بالأجسام والجواهر بالجواهر، والمغاير بالذات والحقيقة والإحاطة بالأجسام مغايرها بالأحكام، فإذا لزمها بالإحاطة التجويف لم يلزم المغاير / لها من حكم ما لزمها فلا يلزمه التجويف[(٢)].

ب/١٠٣

الوجه الثاني: أنه إن صح بأن تدرك ماهيته وحقيقته وكنهه أو تعقل لزم أن يعقل لإحاطته بالممكنات التجويفُ، وإذا لم يصح إدراك الماهية والحقيقة لا يتصور التجويف أبداً بوجه من الوجوه[(٣)].

---

(١) التجويف: هو فراغ في داخل الشيء. ينظر: المعجم الوسيط ص: ١٤٨.

(٢) ومثل ذلك يقال في جميع ما أثبت من الصفات الواردة، فإن القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر. ونفي بعض الصفات بدعوى التجسيم لازم لجميعها؛ لذا كان مقتضى الشرع والعقل الإثبات من غير تمثيل. ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (التدمرية) ١٧/٣.

(٣) وهذا معنى قول السلف: القول في الصفات كالقول في الذات، وفرع عنه، فإذا لم تدرك كنه ذاته مع إثباتها فكذلك لا يدرك كنه صفاته. قال ابن القيم في الصواعق المرسلة ٩٤٠/٣: (المعاني ثابتة للرب تعالى، وهو موصوف بها، فلا ننفيها عنه بتسميتكم للموصوف بها: جسماً، كما أنا لا نسبّ الصحابة لأجل تسمية الروافض لمن يحبهم ويواليهم: نواصب. . . ولا نرد ما أخبر به الصادق عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله لتسمية أعداء الحديث لنا: حشوية،

وكذلك إذا لم يكن محصوراً باتصاله بمنتهى الممكنات والأجسام كيف تدخل عليه هذه المحالات المتخلّية عن الأفهام؟! وهو أنه تعالى لما استحال عليه الحلول بالذات والحقيقة في حيّز العالم لزم الذات التباين؛ لاستحالة الحلول، ولما كانت الممكنات بأجسامها وجواهرها وأعراضها ومجموعها متناهية لزم أن تتناهى إلى الواجب، لأنها لو تناهت إلى ممكن آخر والممكن إلى ممكن، فلا بد أن تتناهى الممكنات على كل تقدير، فإن لم تتناهَ عدم وجود الواجب، وعدم وجود الواجب محال، فاستحال أن تكون الممكنات غير متناهية.

والوجه الثالث: أننا لما عقلنا الموجودات بأسرها والممكنات بمجموعها، ورأيناها متناهية من طرفي الأولية والآخرية ومحصورة تحت الكميّة والحدود والماهية، وأن مجموعها محصور تحت إحاطة العقل الأول المحيط[١] بالعقول والنفوس والأرواح والجواهر الروحانية وسائر الممكنات، ورأينا تلك الإحاطة العظيمة الحاوية للكل ذات حيّز لا يخرج عن الماهية والكيفية /، وكل داخل تحت الماهية والكيفية فإنه معقول للعقول، محصور بالحد، محدود للذهن، متناهٍ بحاصره، محاط بماهيته، فلزمه التناهي الذاتي، وذلك التناهي الذاتي محاط بغيره لا ريب[٢].

١٠٤/أ

ولا نجحد صفات خالقنا وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه لتسمية الفرعونية المعطلة لمن أثبت ذلك: مجسِّماً ومشبهاً). وينظر: مجموع الفتاوى ٢٥/٣.

(١) في الأصل (المحيطة).

(٢) يلاحظ ضعف الجواب، وسببه عدم التفريق في تسلسل الحوادث بين منع تسلسل آحادها وجوازه في نوعها وجنسها الذي هو مقتضى دوام أفعال الله تعالى. ينظر: الصفدية لابن تيمية ١٧٥/٢.

وذهب الفيلسوف[١] ها هنا إلى القول باتحاد ذات المحيط المشار إليه بالمحاط، ولزوم اتحاد ذاته بذاته أزلاً وأبداً، فهما واحدٌ بالوجود والقدم، وأن الرتب ألزمت التسميات الممتازة[٢]، فاصطلحوا – أعني: الفلاسفة — على رتبة بالعناصر[٣]، وعلى أخرى بالهيولى والصورة[٤]، وعلى أخرى بالنفس حيث هي محل المدبِّرات[٥]، واصطلحوا على المحيط بها: بالعقل، وعلى الوجود المحيط بالعقل: بالباري، وقالوا

---

[١] ما ذكره المؤلف هو من آراء أرسطو، وهو المراد غالباً عند الإطلاق. وقد ذهب أرسطو إلى القول باتحاد النفس بالبدن، وقد استمد من ذلك النصارى دليلاً على اتحاد اللاهوت بالناسوت، كما أشار إلى ذلك الغزالي، وأجاب عنه: بأن غاية ما عندهم هو التقليد المحض للفيلسوف، وأن القياس بين النفس والباري قياس باطل؛ لفقدان العلة المصححة للقياس، كما أنه من قياس التعقيد المهجور، الذي هو محاولة لإثبات حكم خفي بما هو أخفى منه!. ينظر: الرد الجميل ص: ٢٣٦، وتقديم د. حلمي ص: ١٦١.

[٢] ذكر الفارابي وابن سينا أن الرتب ست: الأول ثم العقول التسعة أو الثمانية أو السبعة ثم العقل الفعّال الذي يفيض بعالم العناصر (علم الكون والفساد) والرابط بين العالم العلوي والسفلي ثم النفس الكلية ثم الصور ثم المادة. على خلاف في بعض التفاصيل، وقد حاول ابن سينا تنزيل هذه الرتب على الأسماء الدينية من العرش والكرسي وحملة العرش والقلم وجبريل الأمين. وكل ذلك رجم بالغيب وتخرصات لا دليل عليها، ينظر: تأريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ص: ٣٧٨، ومجموع الفتاوى ٢٨٦/١٧، وتعليق سابق في ل ب/٨٦ ص٣٤٨.

[٣] العناصر: العنصر: اسم للأصل الأول الذي تتألف منه الأجسام المختلفة الطباع، وهو أربعة عند القدماء: الأرض والماء والنار والهواء. وعند أرسطو العنصر الخامس: مادة الأجرام العلوية. ينظر: التعريفات ص: ١٦٣، المعجم الفلسفي ١١٢/٢.

[٤] الهيولى: لفظ يوناني، بمعنى: الأصل والمادة. وفي الاصطلاح الفلسفي: هي جوهر وجوده بالفعل إنما يحصل لقبول الصورة الجسمية لقوة فيه قابلة للصور، وليس له في ذاته صورة تخصه إلا معنى القوة. ينظر: التعريفات ص: ٢٧٩، المعجم الفلسفي ٥٣٦/٢. والصورة التي تقابل الهيولى: الموجود في شيء آخر لا كجزء منه، ولا يصح وجوده مفارقاً عنه، وهي ما يعين الهيولى. ينظر: معيار العلم ص: ٢٩٧، الملل والنحل ٩٧٨/٢.

[٥] المدبِّرات: هي العقول والنفوس الفلكية المدبِّرة لأجرام الأفلاك بزعمهم.

بارتباط الذوات الجامعة معاً أزلاً وأبداً، واصطلحوا على المحيط أيضاً: بالعلة، وعلى المحاط: بالمعلول، وقالوا: إن الأجسام مظاهر العقل الفعال، والعقل مظهر الباري ومعلول ذاته، اندفع عنه بالقوة والطبع لا بالقصد والاختيار.

وقالوا: إن العلة والمعلول والمظهر والمبطن منهما وجود الأزل، وإن العقل الأول حامل صفات الإلهية ليس فوقه صفة تعقل ولا قصدية تتحصل سوى وجود فرداني، يفيد العقلُ المادةَ الثبوتية والقوة الوجودية طبعاً بالخاصة والقوة، والإحكام / والتدبيرات والاختيارات إنما تتجلى من ذات العقل لذاته، وأن رتبة العقل محل الاختيارات والتدبيرات والتصورات، وأن الباري منزه عن قيام ذلك بذاته، بل هو ذات مجردة ووجود مطلق لا يحد بحصر ولا يحصر بحد[١].

ب/١٠٤

فنظرنا – نحن المسلمين[٢] – فيما ذهبوا إليه، فظهر لنا خطؤهم في كثير منه، ودليلنا على ذلك: أن الرب رب لذاته والعبد عبد لغيره، والرب لا يكون عبداً، فلو كان الرب هو العقل والعقل هو الفلك لم يكن بين حقيقة العقل وحقيقة الفلك تغاير في الذات والحقيقة، وكذلك لم يكن بين ذات الفلك وحقيقته وبين عالم العناصر القابلة الاستحالات تغاير، ولما ظهر في الشاهد تغاير الفلك وذات العقل عن حقيقتهما وعن حقيقة ذوات العناصر، دل ذلك على التغاير، وإذا لزم التغاير من

---

(١) ينظر ملخص رأي الفلاسفة وأرسطو في: الجمع بين رأي الحكيمين للفارابي ص: ١٠١، النجاة لابن سينا ص: ٢٤٩، والإشارات والتنبيهات له ١١٩/٣، الملل والنحل ٩٦٣/٢، فصل المقال: ٤٢.

وينظر في الرد عليهم: الصفدية ٨٥/١، درء التعارض ٤١٢/٣، ٢٧٨/٩، الرد على المنطقيين ص: ٢١٤، ثلاثتها لابن تيمية. وللمتكلمين: الشامل للجويني ص: ٢٢٩، تهافت الفلاسفة للغزالي ص: ١٣٤، لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول للمكلاتي ص: ١٥٥، نهاية الإقدام للشهرستاني ص: ٥٦، أبكار الأفكار للآمدي ٢٥٨/٢.

(٢) في الأصل (المسلمون).

هذا الطرف أمكن تغاير ذلك الطرف المتناهي للعقل إلى وجود الباري تعالى، وإذا أمكن التغاير لزم الانفصال الذاتي، والانفصال الذاتي يمنع الاتحاد وثبوت الاتصال المطلق بالعقل الأول أزلاً وأبداً[١].

ودليل ثانٍ: أن عالم العناصر قابل للتغير والاستحالة، وتلك التغيرات تلزم تغير صفات العقول المتعلقة بها، وتغير صفات / العقل المعلولة يلزم منه تغيرات حدثت في علته الأولى؛ لأن العلة تفيد المعلول للكون والفساد والتغيرات، والمعلول لا يفيد العلة، فكان يلزم أن تكون العلة المغيرة صادرة عن العلة الأولى، وقبول تغيرات صفات العلة الأولى يلزم عنه تغير الحقيقة عمّا هي عليه، وثبوت العلة الأولى على حقيقة واحدة يُلزمهم ثبوت حقيقة المعلول على حالة واحدة، مع كون تغير المعلولات وقبولها للاستحالات محالاً، وما يفضي إلى المحال محال؛ لأنه كيف يحلّ التغير في المعلول ولا يكون ذلك التغير مبدله عن العلة الأولى؟! وكما كانت العلة مفيدة المادة والثبوت والبقاء، وكل ذلك منبعث عنها بالقوة، كيف لا تكون تلك التغيرات منبعثة عنها بالقوة؟! ولا فرق، فإن كانت التغيرات في المعلولات انبعثت عنها بالقوة والطبع لزم أن يكون أصل التغير في ذات العلة الأولى، وتغير المعلولات تبع لها، وإن كان محل التغير في المعلولات ولا تشعر العلة به ولا هو صادر عنها فكذلك أيضاً لا يشعر المعلول بالعلة ولا يتصل بالمادة كما لا تتصل العلة الأولى بالتغير[٢].

أ/١٠٥

---

[١] للآمدي كلام نحوه في أبكار الأفكار ٢/٦٢ ردّاً على قول النصارى بالاتحاد، وأن المغايرة تمنع الاتحاد. وينظر في إبطال الاتحاد: المحصل للرازي ص: ١١٢، حقيقة مذهب الاتحاديين لابن تيمية ص: ٢٧.

[٢] نقض قول الفلاسفة بالتغير والاستحالة في عالم العناصر هو بمعنى حدوث الحوادث اليومية المشاهدة، كما يقوله المتكلمون. ينظر: المواقف للإيجي ص: ٣٧٦، ويتم نقض قول الفلاسفة: بإثبات قادر مختار ما شاء كان واجباً بغيره لا بنفسه، بدلاً من الإيجاب الذاتي الذي

فإن ألزمونا اتصال المادة والقوة من العلة إلى المعلول ألزمناهم اتصال التغير / من المعلول إلى العلة. ب/١٠٥

فإن قالوا: إن المعلول يقبل المادة طبعاً والعلة تقبل التغير طبعاً، وقوتها دافعة التغير على الإطلاق. فالجواب: إن قوابل المعلولات متعلقة بخاصيّة عللها بالقوة، والعلة متحدة القوة بالمعلول طبعاً، والاتحاد يلزم الاشتراك في سائر الأحكام؛ لأن اتحاد قوابل المعلول بقوة العلة وخاصتها المقبولة باعثة أحكام التغيرات إلى العلة بواسطة العلة المجردة المتعلقة بالذاتين، كما هي باعثة المادة والثبوت الوجودي أزلاً وأبداً.

وقالوا أيضاً: إن وجود المعلول متولد عن العلة وفائض عنها بالقوة، وإن الفيض المعلول لم يزل متعلقاً بعلته، وإنه لا يصدر عن الواحد إلا واحد، ولا يجوز أن يصدر عن الواحد اثنان، وذلك لأن المعلول الفائض عن العلة بالطبع والخاصة لا يغاير طبيعة العلة أبداً بوجه من الوجوه، كما أن الحرارة المدفوعة عن النار لا تغاير طبع النار.

فقلنا لهم: كان يلزم من هذا أن يكون طبع آخر المعلول ملائماً لطبيعة أول العلل، ويلزم من ذلك استحالة التغاير بين العلة والفيضة بالطبع وبين معلولها الفائض عنها؛ لأنه هو نفس طبيعتها بعينه، كما أن الحرارة نفس طبيعة النار بعينها، ووجوه تغاير طبع المعلولات / في الشاهد يدل على استحالة هذا القول، وكذلك استحالة أنه لا يصدر عن الواحد إلا واحد، فذلك الواحد الصادر إن كان مغايراً لطبيعة علته لزم أن لا يكون صادراً عنه بالطبع والقوة؛ لأن الطبع لا يخالف نفسه، وهو المطلوب، وإن كان صادراً عنه وهو ملائم لطبعه كملاءمة الحرارة لطبيعة النار فكان يلزم أن لا يصدر عن الواحد إلا واحد بملاءمة الطبع، وذلك يلزم استحالة التغاير بين العلة أ/١٠٦

يقتضي قدم شيء من العالم أو سلب شيء من صفات الكمال للباري سبحانه. وأيضاً: بأن استلزام المعلول لعلته يعقبه مباشرة ليس مقارناً له ولا متراخياً عنه. ينظر: منهاج السنة ١/١٦٣، درء التعارض ٢/٣٢٥.

والمعلول والصادر والصادر عنه، ووجود تغاير طبائع الموجودات في الشاهد وتغاير حقائقها وذواتها يدل على استحالة هذه الدعوى الباطلة، وذلك بأن تغاير الحقائق وذوات الممكنات وتغاير طبائعها يدل على انفصال ذواتها؛ لأن الغيرين لا يتلاءمان بالطبع، والمتلائمين[١] لا يتقاطعان؛ لأن الطبيعة لا تفارق نفسها، فواجب الوجود لما كان مغايراً للعقل الأول امتنع أن يكون علته، وإذا امتنع أن يكون علته لزمه الانفصال واستحال الاتحاد والممازجة والتعلق اللازم أزلاً وأبداً، وهو المطلوب[٢].

ولما علمنا هذا وفهمناه حق فهمه، ودلّلنا عليه بالأدلة القاطعة لم يأخذنا شبه الحلولية ولا الاتحادية ولا الوحدية، / ولا المعطلة، ولا المشبهة ولا المجسمة، ولا الدهرية، ولا أهل الحيرة والوقفة، بل قلنا كما قال أبونا وأبوكم إبراهيم عليه السلام: وجهنا وجوهنا للذي فطر السماوات والأرض حنفاء مسلمين وما نحن من المشركين[٣].

ب/١٠٦

---

(١) في الأصل كتبت: (الميلان)، ولا معنى لها، والمثبت أقرب للمعنى.

(٢) من ردود الغزالي في تهافت الفلاسفة ص: ١٣٤: أن قول الفلاسفة من أنه موجب بالذات، وأن العلة مقارنة لمعلولها، وأن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد: فيه سلب للباري أن يكون فاعلاً أو أن له فعلاً أو أن العالَم المختلف في تراكيبه مفعول له. ومن ردود الإمام ابن تيمية على الفلاسفة في نظرية صدور الواحد عن واحد: أنها تناقض نظرية الخلق والتدبير التي جاءت في كلام الأنبياء الدالة على كمال مشيئة الباري وحكمته، وأيضاً: أن الواحد البسيط لا يمكن أن يصدر عنه شيء، بل كل ما في الخارج إنما يصدر عن اثنين فصاعداً. ينظر: مجموع الفتاوى ٢٨٦/١٧، شرح الأصفهانية ص: ٤٦، المحصل للرازي: ١٤٥، أبكار الأفكار للآمدي ٢٥٨/٢.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنعام: آية ٧٩ حين أبطل حجج مشركي زمانه: (ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ).

وقال كل واحد منّا ما أمر الله سبحانه لنبيّه محمد ﷺ أن يقول بقلبه ولسانه ونقوله نحن كذلك: ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ﴾ الآيتان[١].

انقضى الكلام على معرفة الإله جل جلاله من حيث المعقول والرأي البادي للعقل السليم، وما يجب للإله من الوصف وما يجوز وما يستحيل[٢].

وواحسرة عليكم أيها النصارى، الإخوان في النوعية والشخصية، لو أنكم تعقلون هذا القول الذي ذكرته لكم ودلّلت به وأوضحته، وأرجو إن شاء الله تعالى أن تعقلوه ليتبين لكم ما بان لنا، وتعلموا[٣] أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وإن كان لكم مخرجٌ وبرهانٌ مخالفٌ[٤] للحق فأتوا به! ولا برهان لكم ولا مستند ولا أثارة من علم ولا سابقة ممن تقدّمكم من الأمم، تجعلون لأنفسكم فينا أسوة! ولا أسوة لكم، والسلام على من اتبع الهدى.

تم الجواب بالنفثات السُّبوحية عن رسالة أهل الملة المسيحية

على يد الفقير إلى من هو بالعفو جدير: أبي بكر بن علي بن عوض النزوحي ١٠٧/أ

في خامس عشرين ربيع الأول من عام ٧٧٣[١] /.

---

(١) الآيتان من سورة الأنعام: ١٦٢، ١٦٣.

(٢) معرفة الله وما يجب له وما يمتنع عليه التي هي أصل الدين وأساس الهداية إنما تعرف عن طريق الرسل، وقد جاؤوا بتوحيد الله وتعظيمه وتنزيهه، بأوضح العبارات وأصدق الأدلة، وما ذكره المؤلف تبع فيه طرائق المتكلمين المبتدعة من الاعتماد على الألفاظ المجملة والأدلة الموهمة، وهذا هو (الكلام المذموم عند السلف، كلام من يترك الكتاب والسنة، ويعول في الأصول على عقله، فكيف بمن يعارض الكتاب والسنة بعقله؟). ينظر: درء التعارض ٢٧٥/٧.

(٣) في الأصل (تعلمون).

(٤) في الأصل (مخرجاً وبرهاناً مخالفاً).

(١) هذا آخر ما وجد في المخطوط الأصل، وأبو بكر بن علي وهو ناسخها، ولم أجد له ترجمة.

هذا ختام التعليق على التحقيق، سائلاً الله التسديد والتوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث بالرحمات، وبعد.

فإن جواب شيخ الربوة محمد بن أبي بكر الدمشقي رحمه الله على رسالة نصارى جزيرة قبرص أحد الجهود العلمية الإسلامية الذي دافع به افتراءات النصارى في القرن الثامن الهجري، وبعد دراسته وتحقيقه تبيّن لي:

أن الجواب مما يستعان به على معرفة عقائد النصارى وإبطالها، فقد أتى على مجملها، وهو من الجهود المتوسطة غير الطويلة المملة ولا القصيرة المخلة، كما أنه متوسط في قيمته العلمية، ولعل التحقيق يكسبه رتبة أعلى.

أيضاً: أهمية رسالة النصارى فهي جامعة لأغلب الشبهات التي يثيرها قساوسة النصارى في كل زمن، وقد نقلها شيخ الإسلام في الجواب الصحيح كاملة بنصها وأجاب عليها بما لا مثل له، فلا غنى لدراسي النصرانية ومناظري أتباعها منه.

ومما يجمل توقيعه في الختام ما يلي:

أولاً: خطر التشكيك في الإسلام ومصادره، وأهمية استشعار ذلك، ووجوب الدفاع عن الإسلام وأهله بالعلم والحكمة في كل زمن.

ثانياً: تهافت شبهات النصارى أمام العقل الصحيح، وأهمية قيام مجادلة النصارى على المعقولات الصحيحة السالمة من الشكوك المؤيدة بالوحي المعصوم.

ثالثاً: أهمية الالتزام بالكتاب والسنة لفظاً ومعنى في مجادلة المخالف، والدعوة إلى أصول الدين من الأمر بالتوحيد وتصديق المرسلين، وعدم الخوض في المعقولات المبتدعة أو التواريخ المجهولة.

رابعاً: أثر التأويل الفاسد في تحريف كلام الأنبياء عليهم السلام ودعوتهم، وأنه سبيل إبليس في إفساد نعمة الله على آدم وذريته، النعمة المعنوية من فهم كلام الله والرضا به، والنعمة الحسية من الوصول إلى مرضاة الله والتلذذ برؤيته ودخول جنته.

خامساً: أهمية الالتزام بالأساليب العلمية في الجدال، وتطلّب كمالات الأدب مع المخالف من الترفق والشدة، وأثر ذلك ولو بعد حين.

سادساً: من النصح لدين الإسلام نفي تحريف المبطلين وتأويل الغالين فيه، وأن لا يحابى في دين الله أحد من المسلمين، ولو كان ذلك في مناظرة أهل الكتاب والمشركين، فإن النعمة تامة والدين كامل والقائم بالحق منصور إلى قيام الساعة، كما لا يمكّن للمبطلين ولا يعانون في معرفة مواضع الخلل في أهل الإسلام ليتسللوا إليها بالتشكيك في جمال الإسلام وكماله، وإضعاف شوكة المسلمين.

سابعاً: أهمية إبراز الجهود العلمية لأهل العلم في مجادلة أهل الكتاب، وتقويمها وتصويبها على منهج السلف الصالح في مجادلة أهل الكتاب، وأن الخطأ في فهم منهج السلف في الرد على المخالفين مؤثر في ردّ الشبهات، كما أن سلوك طرق المبتدعة موهن في قوة المجادل لأهل الكتاب والمشركين.

هذا آخر الختم، وأسأل الله حسن الختام، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنيّة.
- فهرس الأحاديث النَّبويّة.
- فهرس نصوص أسفار أهل الكتاب.
- فهرس الأبيات الشعريّة .
- فهرس المصطلحات.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الفرق والمذاهب.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة الفاتحة			
﴿پ پ ڀ ڀ﴾		١	٢٣٥، ٢٤١
سورة البقرة			
﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ ڀ﴾		١	١٩٥، ١٩٧، ٢١٣
﴿ڦ ڦ ڄ ڄ﴾		٤٠	١٧٢، ٢١١
﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ﴾		٦٢	١١٢، ٢٢٢
﴿ڃ ڃ ڃ ڃ﴾		٧١	١٧٣
﴿ڃ ڃ ڃ﴾		٨٥	١٧١
﴿ے ۓ ۓ ﯔ ﯕ﴾		٨٧	١٧٠، ٢٨٥
﴿ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ﴾		١١٥	٣٥٩
﴿ڤ ڤ ڦ ڦ﴾		١٤٣	١٦٠
﴿ۆ ۇ ۈ ۈ ۋ ﴾		١٥١	٩٠، ١٦٥
﴿ۋ ې ې ې ې □ □ .. ﴾		١٦٤	٩١، ١٦٥
﴿ڃ ڃ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ﴾		٢١٣	١٩٤، ٢٤٥
﴿□ □ □ □ □ □﴾		٢١٠	٣٥٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ۋ ۋ ۅ ې﴾	٢٥٥	٣٥٥
﴿ڨ ڤ ڦ ڦ چ﴾	٢٥٨	١٨٠

سورة آل عمران

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ﴾	١	١٦٦، ١٩٥
﴿ٹ ٹ ٿ ٿ ڈ ڈ ڤ﴾	١٨	١٧٣
﴿□ □ □﴾	٣٧	٢٣٣
﴿ڈ ڈ ۀ ۀ﴾	٤٢	١٧٠
﴿□ □ □ ى ى﴾	٥٢	٣٨٦
﴿ٹ ٹ ٿ ٿ ٹ ڈ﴾	٥٥	١٧٠، ٣٣٣
﴿ہ ہ ہ ہ ھ﴾	٥٩	٣٣٤
﴿ڤ ڤ ڦ ڦ ڤ ڤ﴾	٦٤	١٧٤
﴿ڤ ڦ ڦ چ چ﴾	٨٥	٩٢، ١٦٨، ١٧٢
﴿ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ﴾	١١٠	١٦٠
﴿ے ۓ ۓ ڭ ڭ﴾	١١٣	١٧١
﴿ک گ گ گ گ گ﴾	١٨٤	١٩٥

سورة النساء

﴿ۂ ۃ ہ ۀ ہٖ﴾	٤٣	٢٤١
﴿ڇ ڃ ڃ ڃ﴾	٦٩	٢٣٦
﴿ۃ ہ ۀ ہٖ ہٕ ھ ھ﴾	١٥٣	١٢٩
﴿ گ گ گ گ گِ گ گِ گِ﴾	١٥٧	١٧٠، ٣٣٤
﴿ڷ ڷ ڐ ڐ ۂ ۃ ہ﴾	١٥٩	٢٢٣، ٢٩٤
﴿ڇ ڃ ڃ ڃ﴾	١٦٤	٢٥٨
﴿ٻ □ □ □ □﴾	١٧٠	١٦٧
﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ﴾	١٧١	٩٤، ١٢٤

سورة المائدة

﴿ۋ ې ې ﴾	١٣	٣٤٣
﴿ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ﴾	١٥، ١٩	١٦٧
﴿گِ گِ گ گ گ گ ڱ ڱ ڷ ڷ﴾	١٧	١٢٧، ١٤١، ١٩٧
﴿ے ے ۓ﴾	٤٥	٣٦٤
﴿ٱ ٻ ٻ ٻ پ﴾	٤٨	١٩٥
﴿ڃ ڃ ڍ﴾	٤٩	١٩٥
﴿□ □ □﴾	٦٤	٣٦٢

﴿چ چ چ چ چ چ﴾	٦٧	١٧٤
﴿ڑ ڑ ڑ ک ک ک ک گ﴾	٧٣	١٢٦، ١٤١
﴿ے ے ۓ ۓ﴾	٨٢	٢٢٢
﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ﴾	١١٠	٢٥٨، ٣٣٤
﴿ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ﴾	١١٢	٢٢٢
﴿ڤ ڤ ڤ﴾	١١٥	٢٣٢
﴿ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ﴾	١١٦	١٢٨، ١٤١، ١٤٢
﴿ں ں ڻ ڻ﴾	١١٦	٣٦١
﴿ۈ ۈ ۇٴ﴾	١١٧	٣٣٣

سورة الأنعام

﴿ں ں ڻ ڻ ڈ﴾	١٤	٢٤١
﴿ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ﴾	٥٤	٣٦٥
﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ﴾	٩١	١٧٩
﴿ٹ ٹ ٹ﴾	١٠٣	٣٥٥
﴿ہ ھ ھ﴾	١٣٠	١٧٤
﴿ڭ ڭ ڭ﴾	١٦٢	٢٤١، ٤٠٧

سورة الأعراف

الآية	رقمها	الصفحة
﴿چ چ چ چ﴾	٥٤	٣٦٦
﴿□ □ □ □□ □ □﴾	١٥٥	١٧٢
﴿ﮉ ﮊ ۀ ۀ ہ ہ ﮨ ﮩ﴾	١٥٨	١٦٧
﴿ﭾ ﭿ ﮀ﴾	١٩٩	٢٤٣

سورة الأنفال

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ﴾	١٧	٢٧٣

سورة التوبة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ۋ ۋ ې ې ﯦ ﯧ﴾	٣١	١٨٠
﴿ھ ھ ے ے﴾	٥	٢٤٤
﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ﴾	٢٩	٢٤٤
﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ﴾	٧٣	٣٤٤

سورة يونس

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ﮬ ے ے ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ﴾	٩٤	١٩٦، ٢١٠

سورة هود

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ۆ ۈ ۈ﴾	١٣	١٨٢

سورة يوسف

﴿ﭼ ﭽ ﭾ﴾ ١٠٨ ٢٤١

سورة إبراهيم

﴿ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ﴾ ٤ ٩١، ١٦٧

سورة الحجر

﴿ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ﴾ ٩ ٣٦٩

سورة النحل

﴿ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ﴾ ٢ ١٣٠

﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ﴾ ٣٦ ٩١، ١٦٧

سورة الإسراء

﴿ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ﴾ ٢٣ ١٨١

سورة الكهف

﴿ﯼ ﯽ ﯾ □ □﴾ ٤ ١٢٧، ١٤١

سورة مريم

﴿ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ﴾ ١٦ ٢٨٢

﴿ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ﴾ ٨٨ ١٢٧، ١٤١

سورة طه

﴿ﭲ ﭳ ﭴ﴾ ٣٩ ٣٦٤

﴿ۅ ۋ ۋ ې﴾	٤٦	٣٦١
﴿ﭙ ﭚ □ □﴾	١١٠	٣٥٥

سورة الأنبياء

﴿ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ﴾	٢١	١٨٠
﴿ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ﴾	٦٢	١٨١
﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ﴾	٩١	١٧٠

سورة الحج

﴿ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ﴾	٥	١٨١
﴿ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ﴾	١٧	١١٢
﴿ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ﴾	٤٠	١٧١

سورة المؤمنون

﴿ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ﴾	١٢	١٨١
﴿ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ﴾	٩١	١٨٠
﴿ی ﭑ ﭒ □ □ □ □ □ □ □﴾	١١٧	١٨١

سورة النور

﴿ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ﴾	٣٠	١٧٤

سورة الشعراء

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ﴾	١	١٩٧

سورة النمل

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ﴾	٧	٣٣٦

سورة القصص

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ﴾	٨٨	٣٦٠

سورة العنكبوت

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ﮬ ﮮ ﮯ ﮰ﴾	٤٤	٣٦٦
﴿ٻ ٻ ٻ ٻ﴾	٤٦	٢١٩، ٢٤٣

سورة الروم

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ﴾	٤٧	١٦٨

سورة السجدة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ﴾	٣	١٦٥

سورة سبأ

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ﴾	٢٤	٢٤٢
﴿ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ﴾	٢٤	٢٢٦، ٢٤٢
﴿ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ﴾	٢٨	١٦٧

سورة يس

﴿ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ﴾	٦٠	١٧٤
﴿□ □ □ ﯼ﴾	٧٠	١٦٦
﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ﴾	٧١	٣٦٢
﴿ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ﴾	٧٨	١٨٠

سورة الصافات

﴿ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ﴾	١٧١	٢٥٨

سورة ص

﴿ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ﴾	٧٥	٣٦٣

سورة الزمر

﴿□ □ □﴾	٦٧	٣٦٣

سورة غافر

﴿ﯜ ﯝ ﯞ﴾	١٥	١٣٠
﴿ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ﴾	٦٥	٣٥٥

سورة فصلت

﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ﴾	١	١٩٧
﴿□ □ □ □ □ □﴾	٥٣	٣٨٦

سورة الشورى

﴿ڈ ٹ ٹ ٿ﴾ ١١ ٣٥٥

﴿□ □ □ □ □ □ □﴾ ١٥ ١٩٧، ٢١٤، ٢٤٣

﴿□ □ □﴾ ٥١ ٢٨٨

سورة الزخرف

﴿ۋ ۋ ۆ و﴾ ٣٢ ٣٦٩

سورة الأحقاف

﴿ڤ ڤ ڦ﴾ ٨ ٢٤٣

﴿ک ک ڳ ڳ گ گ گ﴾ ٩ ٢٢٦

سورة الفتح

﴿پ ڀ ڀ پ﴾ ١٠ ٣٦١

سورة ق

﴿□ □ □﴾ ١٥ ١٨١

سورة القمر

﴿ژ ڑ﴾ ١٤ ٣٦٤

﴿□ □ □ □ □﴾ ٤٩ ٣٦٩

سورة الحديد

﴿ﭑ ﭒ ﭓ﴾	٢٥	١٩٤
﴿ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ﴾	٢٧	١٧٠

سورة المجادلة

﴿ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ﴾	٧	٣٦١

سورة الصف

﴿□ □ □ □ □ □﴾	١٤	١٩٥

سورة التحريم

﴿ﭔ ﭕ □﴾	١٢	٢٥٨، ٢٨١، ٢٨٥

سورة الملك

﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ﴾	١٣	١٨٠

سورة القلم

﴿□ □ □ □﴾	٤٢	٣٦٥

سورة الفجر

﴿□ □﴾	٢٢	٣٥٨

سورة البينة

﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ﴾	١	١٧٣

سورة الكافرون

﴿ٱ ٻ ٻ﴾	١	١٩٧، ٢٤٣

سورة الإخلاص

﴿ٱ ٻ ٻ ٻ﴾	١	١٧٤، ٣٥٤

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة
(أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي)	١٣٥
(إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل)	١٣٣
(إن الشمس لم تُحْبَس على بشر إلا ليوشع)	٣١٥
سبب نزول سورة الإخلاص	٣٥٣
سئل عن الضالين من هم؟ فقال: (هم النصارى)	٢٣٦
حادثة أصحمة النجاشي	١٧٢
حادثة بحيرا ونسطور	١١٦
حديث سواد بن قارب	١١٨
حديث وفد نجران	١٤٩
(الحمّادين ، أهل الختان، أناجيلهم في صدورهم، قرابينهم دماؤهم)	١٦٣
(خلق الله آدم على صورته)	٢٧٠
(فيك مثل من عيسى ابن مريم)	٢٩٥
(اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)	١٤٣
(لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة)	٣٨٨
(ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله)	٢٤٢

معجزاته ﷺ في تبوك ٢٣٣

(والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم) ٢٩٤

فهرس نصوص أهل الكتاب

أولاً: نصوص العهد القديم:

طرف النص	الإصحاح/ الفقرة	الصفحة
سفر التكوين		
(قال الله لإسماعيل: سمعتك)	٢٠/١٧	٩٨
(وكان روح الله ترفّ على الماء)	٢/١	٢٥٧، ٢٨٦
(وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا)	٢٦/١	٢٧٠، ٣٠٤، ٣٣٧
(ها آدم قد صار كواحد منا)	٢٢/٣	٣٠٤
(وأمطر الرب ... على سدوم وعامورة)	٢٤/١٩	٣٠٥
رفع أخنوخ إلى السماء	٢٤/٥	٣١٤
سفر الخروج		
لوط وابنتيه	٣٠/١٩	١٨٣
(أنت ابني بكري الذي ارتضيت)	٢٢/٤	٢٦٦، ٣١٤
(ابني بكري إسرائيل)		
(وكلّم الله لموسى من العلّيقة)	٦/٣	٣٠٥
(لا يكون لك معبود دوني)	٤/٢٠	٣١٧

(يا موسى عبدي، لا يقدر أحد ينظر إلي فيعيش)	٢٠/٣٣	٣١٨

سفر اللاويين

(لا تكشفوا رؤوسكم ولا تشقوا ثيابكم)	٦/١٠	٢٠٥
(ولا يحلقوا عوارض لحاهم)	٥/٢١	٣٢٧

سفر التثنية

(جاء الله من سيناء)	٢/٣٣	٩٦، ١٣١، ٢٩٤
(نبي يقيمه الله لكم من إخوتكم مثلي)	١٨/١٨	٩٧
(ولم يقم من بعدُ في بني إسرائيل نبي كموسى)	١٠/٣٤	٩٧
(قال الله لموسى: سأقيم لبني إسرائيل نبيّاً مثلك)	١٥/١٨	٩٩
(إن خشبة الصلب ملعونة)	٣٢/٢١	١٥٤
(أليس هذا الأب الذي صنعك، وبراك)	٦/٣٢	٢٥٧

سفر يشوع

المشي على ماء نهر الأردن ومعهم التابوت	٣	٣١٦

سفر صموئيل الثاني

(أريد أن أبني لك يا ربّ بيتاً. فقال له: يا داود أي بيت يسعني؟)	٧	٣١٨

سفر الملوك الأول

(والآن يا ربّ إله إسرائيل، ليحقق كلامك لداود أبي) ٢٦/٨ ٢٩١

وإحياء الموتى من إيليا وأليسع ١٧/١٧ ٣١٥

سفر الملوك الثاني

رفع إيليا ١١/٢ ٣١٤

سفر أيوب

(روح الله خلقني وهو يعلّمني) ٤/٣٣ ٢٥٧

سفر المزامير

(اللهم أيد عبدك / الذي جعلته ملكاً ونبيّاً مباركاً) ١/٧٢ ١٠٣

(ذبحوا بنيهم وبناتهم للشيطان) ٤٠/١٠٦ ٢١٩

(روحك القدس لا تنزع مني) ١١/٥١ ٢٥٧

(بكلمة الله تشدّدت السماوات والأرض) ٦/٣٣ ٢٥٧، ٣٣٤، ٣٨٠

(الرب قال لي: أنت ابني) ٧/٢ ٣٠٥

(قال الرب لربي: اجلس عن يميني) ١/١١٠ ٣٠٥

سفر إشعياء

(أركون السلام). ٥/٩ ١٠١

(غنّوا للرب أغنية جديدة، تسبيحة من أقصى الأرض) ١٠/٤٢ ١٠٥، ١٠٩

النص	الموضع	الصفحة
(قال لي ملاك الله: قم فانظر ماذا ترى؟)	٦/٢١	١٠٧
(ويحجّون في كل شهر ومن سنة إلى سنة إلى بيت الله الحرام)	٤/٦٠	١٠٨
(في ذلك اليوم سأبطل السبوت والأعياد كلها)		١٠٨
(يقول الله في بني إسرائيل: سمعوا كلامي ووصاياي فلم يحفظوها)	٤/٢٤	٢٢٠
(يقول الله: يا بني إسرائيل نجّستم الجبل المقدس)	١١/٦٥	٢٢٠
(إن الله قد بغض بني إسرائيل)		٢٢٠
(قل لصهيون: هنا تفرح وتهلل)	٩/٥٢	٢٩٠
(ييبس القتاد ويجفّ العشب وكلمة الله باقية إلى الأبد)	٨/٤٠	٢٥٨
(وأما إسرائيل فيخلص بالرب خلاصاً أبديّاً)	١٧/٤٥	١٣٣
(قال الله: إني أعرف لبني إسرائيل قلوبهم القاسية الخبيثة)	١٤/٦٦	٢٢٤
معجزة ردّ الشمس عشر درجات	٨/٣٨	٣١٦
(ها هي العذراء تحبل وتلد ابناً)	١٤/٧	٢٩٢
من أعجب الأعاجيب أن رب الملائكة سيولد)		٢٩٢
(إن غلاماً ولد لنا وابناً أعطيناه)	٦/٩	٣٠١
(تخرج عصاه من أصل يشي، وينبت نوْر منها)	١/١١	٣٠١
(اذهب وقل لهذا الشعب: ستسمعون سمعاً لا تفهمونه)	٩/٦	٣٠٢

(هكذا مقتت نفسي سبوتكم ورؤوس شهوركم) ٢/٣ ٣٠٣

(رب القوات) ٣/٦ ٣٠٦

سفر أرميا

الله بعد هذا في الأرض يظهر ويتقلب مع البشر) ٩/١٤ ٢٩١

(قال الله: كما أن الحبشي لا يستطيع أن يكون أبيض فكذلك بنو إسرائيل) ١٤/١٣ ٢٢١

(في ذلك الزمان يقوم لداود ابن، وهو ضوء النور) ٦/٢٣ ٢٨٩

سفر حزقيال

(قال الله: إنما رفعت يدي عن بني إسرائيل) ٢٣/٢٠ ٢٢١

سفر دانيال

(إلى أربعمائة سنة واثنتين وثمانين سنة يأتي المسيح) دانيا ٢٦/٩ ٢٨٩

(أما رؤيا الملك رأس الصنم وعنقه من الذهب الخالص) ٣٨/٢ ١١٠

(سيأتي على شعبك وقرية قدسك سبعون) ٢٤/٩ ٢٢٤

سفر عاموس

(لا تذبحوا بعد العجول) ٢١/٥ ٢٢٥

سفر ميخا

(قال الله: في آخر الزمان إذا أتى المسيح يدعو الأمم) ٢/٤ ٢٢٥

(وأنت يا بيت لحم قرية يهوذا) ٢/٥ ٢٩١

سفر حبقوق

(إن الله في الأرض يتراءى) ٢/٣ ٢٩١

سفر زكريا

(ابتهجي جدّاً يا ابنة صهيون) ٩/٩ ١١٨

(افرحي يا بيت صهيون) ١٠/٢ ٢٩٠

ثانياً: نصوص العهد الجديد[١]:

طرف النص	الإصحاح/ الفقرة	الصفحة
	إنجيل متى	
(لا تدعوني صالحاً، ليس صالح إلا وحده)	١٧/١٩	١٢٦
(كونوا سماويين، وأبونا الذي في السماوات)	٤٨/٥	١٣١
(لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل)	٦/٢	١٣٥
(لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)	٢٤/١٥	١٣٥، ١٦٨
(هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم)	٥/١٠	١٣٥
(فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم)	١٩/٢٨	١٣٥، ٢٥٨، ٢٦٨
(فلمّا اعتمد يسوع صعد للوقت)	١٦/٣	١٤٠
(إيلي، إيلي، لِمَ شَبَقْتَنِي؟ أَيْ: إلهي، إلهي، لِمَاذا تركتنِي؟)	٤٦/٢٧	١٤٥
(وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد)	٥٥/٢٧	١٤٦
(أبونا الذي في السماوات)	٩/٦	١٥٦
(افعلوا الخير يفرح بكم أبوكم الذي في السماء)	١٤/٦	١٥٦
(إنكم صائرون إلى حياة أبدية)	٢٠/١٩	١٧٧

(١) أثبت في الفهرس ما ذكره متّى في إنجيله ولو ذكره غيره، وما ذكره مرقس مما لم يتفق فيه مع متى، وما ذكره لوقا مما لم يذكره متى ومرقس، وما انفرد به يوحنّا عن الثلاثة.

(ما جئت لأنقض بل لأكمل)	١٧/٥	٢٠٩، ٣٠٧
معجزة الخبز والسمكتين	١٣/١٤	٢٣٠
(المشيئة مشيئتك لا مشيئتي)	٣٩/٢٦	٢٤٣،٣٠٧
رحلة المسيح إلى مصر	١٣/٢	٢٧٩
(أن جبريل الملاك قال ليوسف: اذهب وخذ امرأتك)	٢٠/١	٢٨١
(عمانوئيل)	٢٣/١	٢٨٩
(هذه الكلمة ليست منّي بل هي ممن أرسلني)	١٧/٥	٣٠٦
(لم يجِ ابن البشر ليُخدَم، وإنما جاء ليَخدُم)	٢٨/٢٠	٣٠٨
(اجلسوا ها هنا حتى أصلي)	٣٦/٢٦	٣٠٨
(أليس مكتوباً في التوراة: الله إلهك خف)	٨/٤	٣٠٨
(وجدت العصافير وكراً يسكنونه)	٢٠/٨	٣١٠
(أحبّوا أقرباءكم وأحبّوا أعداءكم، وباركوا على من لعنكم)	٤٤/٥	٣١٢، ٣١٩
(قد بلغت نفسي إلى الموت)	٣٨/٢٦	٣١٥
تجربة الشيطان للمسيح	٤	٣١٧
(يا إلهي لم خليتني وسلمتني بيد أعدائي؟)	٢٧/٢٧	٢١٨
(تصدقوا بكل شيء يكون لكم)	٢٠/٦	٢١٨

(لا تجمعوا في بيوتكم ذهباً ولا فضة ولا نحاساً)	٢٤/٦	٣١٩
(من سألك تعطيه فلا تمنعه)	٣٩/٥	٣١٩

إنجيل مرقس

(لست أفعل مشيئتي)	٣٦/١٤	١٢٦
من آمن واعتمد خلص)	١٦/١٦	١٤٠
(أنت راقد وتراني في هذه الشدة والعاقة والضيق)	٣٣/١٤	٣١٠

إنجيل لوقا

ليلة البشارة	٢٦/١	١٢٨
(ويعطيه الرب كرسي داود أبيه)	٣٠/١	١٣٥
(إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة)	١/١	١٩٩
(ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع)	٢١/٢	٢٠٢، ٢٧٧
تقبيل المراة لرجلي المسيح	٣٤/٧	٢٧٨
اكتتاب مريم وابنها	١/٢	٢٨٢
(لا تدعني صالحاً)	١٨/١٨	٣٠٩
(اذهب واهرب من ها هنا)	٣١/١٣	٣٠٩
(أنت ولدي وحبيبي وابني)	٢١/٣	٣١١

إنجيل يوحنا

النص	الموضع	الصفحة
(إني ذاهب عنكم وخير لكم أن أذهب)	٧/١٦	١٠٠
(يعلمكم كل شيء)	٢٦/١٤	١٠٠
(إذا أنا ذهبت فإن أركون العالم يأتي إليكم)	٣٠/١٤	١٠١
(يوبّخ العالم على العدل)	٨/١٦	١٠١
(حق حق أقول لكم أن البارقليط الآتي بعدي)	٢٥/١٥	١٠٢
(لست إيليّا ولا أكمد، وإنما أنا ابن للبشر الوحيد)	١٩/١	١٠٢
(ودم يسوع المسيح ابنه يطهّرنا من كل خطيئة)	٧/١	١٥٥
(إني صاعد إلى أبي وأبيكم)	١٧/٢٠	١٥٦
(أين ربي؟ من أخذ ربي؟ أين ذهبوا بربي؟)	١/٢٠	١٩١، ١٥٣
معجزة تحويل الماء خمراً	١١/٢	٢٧٩، ٣١٨، ٣٣٩
(هذه الكلمة ليست منّي بل هي ممن أرسلني)	٣٠/٥	٣٠٩
(قد علموا أنك أنت الذي أرسلتني)	٨/١٧	٣٠٩
(لا أدين الناس وحدي)	١٦/٨	٣٠٩
(إذا هم شهدوا اثنين صادقين أني أشهد على نفسي والله الذي أرسلني)	١٧/٨	٣٠٩
(الأعمال التي عملتها تشهد علي بأن الله الذي أرسلني)	٣٦/٥	٣٠٩

(ليس أتكلّم بأمري، ولكن بأمر الذي أرسلني)	٤٩/١٢	٣٠٩
(ومن نظر إلي فقد نظر إلى الأب، وأنا وأبي سواء)	٨/١٤	٣١١
(لم يره أحد ولا يراه أحد قط)	١٨/١	٣١٨
منديل المسيح	٧/٢٠	٣٢٦

أعمال الرسل

(ولم تُترك نفسه في الهاوية)	٣١/٢	١٥٧
يهودية بولس	٨	٣٢٣
إباحة أكل المقتول والمخنوق	٢٦/١٥	٣٢٦

الرسائل

جعل القربان من الخبز والخمر جسد الرب	رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس (٧/٥)	٣٢٦
(جبرائيل روح الله الحي)	رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس (٣/٣)	١٢٤
(فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح)	رسالة بولس إلى غلاطية (١٤/٦)	١٥٣
(صار لعنة لأجلنا)	رسالة بولس إلى غلاطية (١٣/٣)	١٥٤
(في أيام بشريته قَرب تضرعات واستغاثات)	رسالة بولس إلى	١٢٨

	العبرانيين (٥/٧)	
(ذهب فكرز للأرواح التي في السجن)	رسالة بطرس الأولى (١٩/٣)	١٥٧

الأناجيل غير القانونية

أن المسيح قبل السادسة من عمره خاطب المعلم والشاب والصغار كواحد مثلهم.	إنجيل الطفولة لتوما (٦، ٧)	٣٣٩
أن يوسف النجار لم يخطب مريم وإنما كفلها لتسكن في بيته	إنجيل يعقوب الطفولي (١٢/٩)	٢٠٩

فهرس الأبيات الشعرية

شطر البيت	القائل	الصفحة
انظر إلى العرش على مائه	ابن عربي	٢٨٦
أنتم حقيقة كل موجود يرى	ابن اسرائيل	٣٢
الله أكبر يا الله من قدر	شيخ الربوة	٢٨
تأدب حتى لم يجد من يناظره	شيخ الربوة	٣٠
عجبت للجن وأجناسها	سواد بن قارب	١١٨
عجباً للمسيح بين النصارى	أبو العلاء المعري	٣٠٧
قل للذي يزعم من جهله	شيخ الربوة	٣٢٨
مريضةٌ في حواشي مرطها بَلَل	أبو إسحاق الغزي	٨٨
للنفس وجهان لا تنفك قابلة	شيخ الربوة	٤٣
نظر الهلال إليه أول ليلة	شيخ الربوة	٤٣
يا من تعالى أن يجوز بذاته	شيخ الربوة	٣٤٧
يا من يقال لهم كونوا على ثقة	شيخ الربوة	٢٨٤
يا من تأنس لطيفه بكثيفه	شيخ الربوة	٢٩٩

فهرس المصطلحات

المصطلح	الصفحة
الأب	٢٦٤
أسقف	٨٨
الأسطوخودس	٢٢٨
الأركون	١٠١
الأرغون	٢٠٧
الأشبين	٢٠٩
الأسماء الذاتية والصفاتية والإضافية والنسبية والأفعلية	١٧٥،١٧٦
الأفستا	١١١
الأقانيم	١٣٨
الإنجيل	٨٥
الأوفاق	٢٥
الأمانة	١٥٦
بيت الرب	١٠٥
البطرق	٨٨
البارقليط	١٠٠، ١٣٠
البيمارستان	٢١
التاويل	٣٥٦
التثليث	٢٦٠
التسلسل	٣٩٣
التجويف	٣٩٩
التجسد	٢٧٥
التواتر	٢١٣
التوراة	٨٤
التعميد	١٤٠

التماثيل ٢٠٥

الجاثليق ٨٩

الجسم ٢٨٣

الجوهر ٣٧٢

الجهة ٣٩٥

الحسبة ٢٨

الحزّان ٣٠٥

الحنيفية ٢٧٣

خبر الواحد ٢٩٧

خميس العهد ٣٥٠

الخوانق ٢٠

الدير ٢٥٤، ٢٦٠

الرباط ٢٠

الرقيقة ٢٤٠

الرسول ٢٤٦

روح القدس ٨٤، ١٢٥

الروح ٣٤٠

الزاوية ٢٠

السرار ٢٠٣

السكنجبين ٢٢٨

السماع ٢٥

الشعانين ٣٢٨

الصورة ٤٠٣

الظاهر والباطن ٢٩٧

العاشور ٣٥٤

العقل ٣٧٥

العقل الكلي ١٣٧

العلة	٣٨٩
العناصر	٤٠٣
عنقاء مغرب	٢١٥
العوسجة	٣٣١
الغيرين	٣٩٠
الفراسة	٤١
الفصح	١٠٠
الفداء	١٥٥
الفلاحة	٤٢
قسس	٨٨
القداس	٢٢٣
القلندس	٢٠٢
الكروبيم	٣٤٢
الكوزموغرافيا	٣٨
الكهان	٩٥
الكيمياء	٢٥
لازم الثبوت	٣٨٩
المحال والممتنع	٣٨٩
المزامير	١٠٣
المكان	٣٩٣
الممكن	٣٩٠
المرافع	٣٢٨
مجمع النصارى	١٢٣
ناموس	٩٧
النسخ	٣٨٣
النفس الكلية	١٣٨
الوسطية	١٦٠

الوكالة ٢٩

الواجب ٣٩٠

هجمة الفصح ٣٢٨

الهيولى ٤٠٣

فهرس الأعلام[1]

العلم	الصفحة
أحمد بن تيمية	٨٨
أخنوخ عليه السلام	٣١٢
أرميا عليه السلام	١٠٦
أرسطو	٤٠
الأسكندر	٨٦
ابن إسرائيل	٣٢
إشعياء عليه السلام	١٠٨
أصحمة النجاشي	١٧٢
الأفرم	٢٨
أفلوطين	١٣٧
أفليمون	٤٠
أليسع عليه السلام	٣١٣
أوغسطس	٢٨٢
أنطيوخس	١٨٤
أيوب عليه السلام	٢٥٧
إيليا عليه السلام	٣١٢
بحيرا	١١٦
البرزالي	٢٤
بطرس	١٤٧
ابن البطريق المؤرخ	٦٧
بوخذناصر الكلداني	١٨٤
بولس	٣٢٠
بولس الأنطاكي	٤٦
بيبرس	١٧

(1) فهرسة العلم حسب الشهرة، وموضع ترجمته، مع إهمال (ابن) في الترتيب.

توما ٢٤٦
ثابت بن قرة ٤٢
ابن الجزري المؤرخ ٢٤
حبقوق عليه السلام ٢٩٠
الحسن بن أيوب ٤٧
حزقيال عليه السلام ٢٢١
حزقيا عليه السلام ٣١٥
حمزة بن عبد المطلب ١٤٣
خليل بن قلاوون ١٧
دانيال عليه السلام ١١٠
داود عليه السلام ١٠٤
دميان ٢٢٧
الرازي المنصوري ٤٠
الرازي الفخر ٤٠
زرادشت ١١٢
الزيات ٤٢
سالومة ٢٧٧
ابن سبعين ٣٢
سطيح الكاهن ١١٣
سمعان ٢٧٨
سنحاريب ١١٠
سليمان عليه السلام ٢٩٢
سواد بن قارب ١١٨
الشافعي ٤٠
الصفي بن العسال ٤٦
صليبا بن يوحنا ٣٨٠
عاموص عليه السلام ٢٢٥

العاقب الأسقف	١٤٩
عبد المسيح	١١٣
عزرا عليه السلام	١٨٦
فيلبس	٣١٠
قارون	٣١٤
قابيل	٢٤٧
القرافي	٦٣
قسطنطين	١٢١
قطز	١٧
قلاوون	١٧
قنيان	٢٤٧
كراي	٢٧
كليام	٨٧
كوز الأسقف	١٤٩
محمد بن قلاوون	١٧
مريم المجدلانية	١٤٥
ميخا عليه السلام	٢٢٥
نجيم	٢٧
نسطور	٢٨٤
هابيل	٢٤٧
هيرودس	٢٧٨
هيلانة	٣٢٥
ابن وحشية	٤٢
الوطواط	٣٩
يزدجرد	٨٦
يوحنا عليه السلام	١٣٩
يوسف النجار	٢٠٩

يوشع بن نون عليه السلام ٣١٤

فهرس الفرق والمذاهب

الفرقة	الصفحة
الاتحادية	٣٩٦
البراهمة	٣٨٢
التتار	١٦
الحواريون	١٥٠
الخوارج	٢٩٤
الرفاعية	٢٤
السامرة	٩٩
الصابئة	١٢٥، ٢٤٨
العرب، قيدر	١٠٧، ٩٧
الفريسيون	١٣٤
الفلاسفة	١٣٦
فلاسفة النصارى	١٣٧
المارونية	٢٠١
المعطلة	٣٩٥
المماليك	١٦
الملكية	٢٠٠
النساطرة	٢٠٠
اليعاقبة	٢٠٠

فهرس الأماكن والبلدان

البلد	الصفحة
أحد (جبل)	١٤٢
الأردن	٣١٠
بابل	١٨٧
بيت عيانا	١٠٢
بيت المقدس	١١٧
بيت لحم	٢٧٧
بيمارستان صفد	٣٧
تابور (جبل)	٢٤٦
تبوك	٢٣٣
الجليل	٣٠٩
حبراض	٢٩
الحبشة	١٠٦
حصن الأكراد	٢٩
حطين	٢٧
الخانقاه الصلاحي	٢٧
الربوة	٢٨
زاوية طالب	٢٤
الساحل	٢٩
ساوة	١١٣
سبأ	١٠٥
سدوم وعامورة	٣٠٤
سعير	٩٦
السهاوة	١١٣
سيناء	٩٦
صفد	٢٧

صقلية ١١٥

صيدنايا ٢٥٤

الطابغة ٢٣٢

طرابلس ٢٨

علمين الفقراء ٢٩

العلّية (حجرة) ١٨٩

فاران ٩٦

قبرس ٨٣

قبة النسر ٢٤

قصر حجاج ٢٤

الماغوصة ٣٨٠

المرقب ٨٧

ميرون ٢٥٣

الناصرة ١٢٢

ناصرة الجليل ٢٨٠

نجران ١٤٩

يثرب ١٠٥

فهرس المصادر والمراجع[1].

- أبجد العلوم، صديق حسن ط.دار ابن حزم ط.الأولى ١٤٢٣هـ.
- أبكار الأفكار في أصول الدين الآمدي، ت.د.أحمد المهدي ط.دار الكتب والوثائق بالقاهرة ط.الثانية ١٤١٤هـ.
- *أبوكريفا العهد الجديد، جمع د.إبراهيم المطرزي ط.الأولى.
- الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، د.عبدالرزاق قنديل ط.دار التراث بالقاهرة ١٤٠٤هـ.
- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة القرافي، ت.د.بكر زكي عوض ط.مكتبة وهبة بالقاهرة ط.الثالثة ١٤٣٠هـ.
- نسخة أخرى: ت.د.ناجي داود رسالة غير منشورة في جامعة أم القرى ١٤٠٤هـ.
- اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، لواء أحمد عبدالوهاب ط.دار وهبة بالقاهرة ط.الأولى ١٤٠٧هـ.
- أدب الجدل والدفاع في العربية بين المسلمين والمسيحيين واليهود، موريتس شتينشندر تر.صلاح عبدالعزيز ط.المجلس الأعلى للثقافة بمصر ٢٠٠٥م.
- الأدلة الكتابية على فساد النصرانية، د.أحمد حجازي السقا ط.دار الفضيلة بمصر ١٩٩١م.
- أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين، د.محمد شوقي الجزيري ط.دار الإرشاد ط.الأولى ١٩٩٦م.
- أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، المنسوب غلطاً للقرافي ت.دمشقية.
- *أديان العالم، حبيب سعيد ط.دار التأليف والنشر للكنيسة بالقاهرة.
- الاستقامة، ابن تيمية ت.د.محمد رشاد ط.مكتبة السنة بالقاهرة ط.الثانية ١٤٠٩هـ.
- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة، د.علي وافي ط.دار نهضة مصر بالقاهرة.
- الأصول الوثنية للمسيحية، أندريه نايتون وآخرون تر.سميرة عزمي ن.المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.

---

(1) وضعت الرموز التالية اختصاراً: (ن) نشر، (ت) تحقيق، (تر) ترجمة، (ط) طبع أو الطبعة، (*) مرجع مؤيد لعقائد أهل الكتاب.

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي ط.دار عالم الفوائد ط.الأولى ١٤٢٦هـ.
- *أضواء على ترجمة البستاني (فاندايك)، د.غسان خلف ط.جمعية الكتاب المقدس ببيروت ٢٠٠٩م.
- إظهار الحق، الشيخ رحمت الله الهندي ت.د. ملكاوي ط.دار الحديث بالقاهرة ط.الثانية.
- الأعلاق النفيسة، ابن رسته ط.ليدن ١٨٩٣م.
- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمدﷺ، القرطبي ت.أحمد حجازي ط.دار التراث العربي.
- الإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء، د.ف.عبدالرحيم ط.دار القلم بدمشق ط.الأولى ١٤١٣هـ.
- الإعلام بمناقب الإسلام، العامري ت.د.غراب ط.دار الأصالة بالرياض ط.الأولى ١٤٠٨هـ.
- الأعلام، الزركلي ط.دار العلم للملايين ط.الخامسة عشر ٢٠٠٢م.
- أعيان العصر وأعوان النصر، الصفدي ت.علي أبو زيد وآخرون ط.دار الفكر المعاصر ببيروت ط.الأولى ١٤١٨هـ.
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم ت.الفقي ط.دار الكتب العلمية ببيروت ١٤١٢هـ.
- إفحام اليهود، السموأل بن يحيى ت.د.الشرقاوي ط.مكتبة الزهراء بالقاهرة.
- نسخة أخرى: بذل المجهود في إفحام اليهود ت.عبدالوهاب طويلة ط.دار القلم بدمشق ط.الأولى ١٤١٠هـ.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية ت.د.العقل ط.الرشد بالرياض ط.الخامسة ١٤١٧هـ.
- الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، الطوفي ت.د.سالم القرني ط.العبيكان ط.الأولى ١٤١٩هـ.
- *إنجيل برنابا، تر.خليل سعادة ن.محمد رشيد رضا ط.مطبعة صبيح.

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني ط.دار الكتب العلمية ببيروت ط.الأولى ١٤١٨هـ.
- البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح، الشيخ زيادة بن يحيى ت.د.الخلف ط.الجامعة الإسلامية ط.الأولى ١٤٢٣هـ.
- البداية والنهاية، ابن كثير ت.أحمد فتيح ط.دار الحديث بالقاهرة ط.الأولى ١٤١٣هـ.
- نسخة أخرى: ت.د.التركي ط.دار هجر ط.الأولى ١٤١٧هـ.
- البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، د.أحمد حجازي ط. دار البيان العربي ١٩٧٧م.
- بولس وتحريف المسيحية، هيم ماكبي تر.سميرة عزمي ن.المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.
- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية ت.مجموعة محققين ط.مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة ١٤٢٦هـ.
- بين الإسلام والمسيحية، أبو عبيدة الخزرجي ت.د.محمد شامة ط.مكتبة وهبة بالقاهرة ط.الثانية.
- تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، د.الزعبي ط.دار الآفاق العربية ط.الأولى ٢٠١٣هـ.
- تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، د.عجيبة ط.دار الآفاق العربية ط.الأولى ٢٠٠٦م.
- تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي ت.د.بشار معروف ط.دار الغرب الإسلامي ط.الأولى ١٤٢٤هـ.
- تأريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه (تاريخ ابن الجزري)، ابن الجزري ت.د.عمر تدمري ط.المكتبة العصرية ط.الأولى ١٤١٩هـ.
- *تأريخ التراث العربي المسيحي، الأب سهيل قاشا ط.منشورات الرسل ٢٠٠٣م.
- تأريخ الأدب الجغرافي العربي، كراتشكوفسكي تر.صلاح الدين عثمان ط. جامعة الدول العربية.
- تأريخ العرب، د.فليب حتي وآخرون ط.دار العراب بدمشق ٢٠١٣م.
- تأريخ الفلسفة العربية، د.جميل صليبيا ط.الشركة العالمية للكتاب ط.الثالثة ١٩٩٥م.

- *تأريخ الفكر المسيحي، هيل جوناثان تر.سليم أسكندر وآخرون ط.دار الكلمة ط.الأولى ٢٠١٢م.
- *تأريخ الكنيسة، يوحنا الأسيوي تر.صلاح محجوب ط.المجلس الأعلى للثقافة بمصر ٢٠٠٠م.
- *تأريخ الكنيسة القبطية، منسي القمص ط.مطبعة اليقظة ط.الأولى ١٩٣٤م.
- *تأريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري ت.مرقس داود ط.مكتبة المحبة.
- *تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري ت.أنطون صالحاني اليسوعي ط.المطبعة الكاثوليكية ببيروت ط.الثانية ١٩٥٨م.
- *تأملات في سفر دانيال، رشاد فكري ط.مطبعة الأخوة بالقاهرة ١٩٩٠م.
- تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبدالجبار ت.عبدالكريم عثمان ط.دار العربية ببيروت.
- تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التأريخ أسبابه ونتائجه، د.بسمة جستينية ط.دار القلم بدمشق ط.الأولى ١٤٢٠هـ.
- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، عبدالله الترجمان ت.الداعوق ط.دار البشائر الإسلامية ط.الأولى ١٤٠٨هـ.
- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، أبو الريحان البيروني ت.د.محمود مكي ط.دورية الذخائر ديسمبر ٢٠٠٣م (١٠٩).
- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، القاضي الجعفري ت.د.محمود قدح ط.العبيكان بالرياض ط.الأولى ١٤١٩هـ.
- التذييل والاستدراك على معجم المؤلفين، العلاونة ط.دار المنارة بجدة ط.الأولى ١٤٢٣هـ.
- *تقديم الكتاب المقدس، د.القس أسطفانوس ط.دار الكتاب المقدس بمصر ط.الثالثة ٢٠٠٩م.
- *التوراة السامرية، تر.الكاهن أبو الحسن الصوري السامري ن.أحمد حجازي ط.دار الأنصار ط.الأولى ١٣٩٨هـ.
- التوراة بين الوثنية والتوحيد، سهيل ديب ط.دار النفائس ببيروت ط.الثانية ١٤٠٥هـ.

- التلمود وموقفه من الإلهيات عرض ونقد، د.أبو بكر ثاني ط.الجامعة الإسلامية بالمدينة ط.الأولى ١٤٣٣هـ.
- التناقض والتحريف في الأناجيل الأربعة، د.سارة العبادي ط.الرشد بالرياض ط.الثانية ١٤٢٦هـ.
- *تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، ابن كمونة اليهودي ط.دار الأنصار ط.الثانية.
- الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، جمع محمد عزير شمس والعمران ط.عالم الفوائد ط.الثانية ١٤٢٢هـ.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية ت.علي حسن وآخرون ط.دار العاصمة بالرياض ط.الثانية ١٤١٩هـ.
- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د.الخطيب ط.دار عالم الكتب بالرياض ط.الثانية ١٤٠٦هـ.
- حول موثوقية الأناجيل، السعدي ن.رسالة الجهاد بليبيا ط.الأولى ١٣٩٥هـ.
- *الخريدة النفيسة في تأريخ الكنيسة، الأسقف إيسودروس ت.د،ميخائيل أسكندر ط.مكتبة المحبة.
- *دائرة المعارف الكتابية، تحرير مجموعة من اللاهوتيين ط.دار الثقافة بالقاهرة ط.الثالثة.
- الدارس في تأريخ المدارس، النعيمي ط.دار الكتب العلمية ط.الأولى ١٤١٠هـ.
- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د.سعود الخلف ط.أضواء السلف بالرياض ط.الخامسة ١٤٢٧هـ.
- دراسات في الملل والنحل، د.الشرقاوي ط.مطبعة المدينة ط.الأولى ١٤١٤هـ.
- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د.محمد ضياء الرحمن الأعظمي ط.الرشد الرياض ط.الثانية ١٤٢٤هـ.
- الدراسات النفسية عند المسلمين الغزالي بوجه خاص، عبدالكريم العثمان ط.مكتبة وهبة بالقاهرة ط.الأولى ١٤٠٨هـ.

- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية ت.محمد رشاد سالم ط.جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ط.الثانية ١٤١١هـ.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر ط.دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ط.الثانية ١٣٩٥هـ.
- الدعوة إلى الإسلام، المستشرق أرنولد تر.حسن إبراهيم وآخرون ن.مكتبة النهضة المصرية.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي ت.د.عبدالمعطي قلعجي ط.دار الكتب العلمية ببيروت ط. الأولى ١٤٠٨هـ.
- دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني ت.محمد قلعة وعبدالبر عباس ط.دار النفائس ط.الثانية ١٤٠٦هـ.
- الديارات، أبو الحسن الشابشتي ت.كوركيس عواد ط.دار الرائد العربي بلبنان ط.الثالثة ١٤٠٦هـ.
- ديوان ابن عربي، شرح أحمد حسن ط.دار الكتب العلمية ط.الأولى ١٤١٦هـ.
- الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ ، علي بن ربن الطبري ت.عادل نويهض ط.دار الآفاق الجديدة ببيروت ط.الأولى ١٣٩٣هـ.
- *رجال الكتاب المقدس،القس إلياس مقار ط.دار الثقافة بالقاهرة ط.الثانية.
- رحلة الوزير في افتكاك الأسير، الغساني الأندلسي ت.نوري الجراح ط.دار السويدي بأبي ظبي ط.الأولى ٢٠٠٢م.
- رحيل الصليبيين عن الشرق، د.سعدون عباس ط.دار النهضة العربية ١٩٩٥م.
- الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل، الغزالي ت.د.عبدالعزيز حلمي ط.المطابع الأميرية ١٣٩٤هـ.
- الرد على الزنادقة والجهمية، الإمام أحمد بن حنبل ت.د.دغش العجمي ط.دار القبس ط.الأولى ١٤٣١هـ.
- نسخة أخرى: ت.د.الشرقاوي ط.دار الجيل ط.الثالثة ١٤١٠هـ.

- رسالة أشرف الحديث في شرفي التوحيد والتثليث، محي الدين اليعقوبي ط.دارة معهد الآداب الشرقية.
- رسالة خاتم النبيين محمد ﷺ ضرورتها وطرائق إثباتها ولوازمها، د.ثامر غشيان ط.الرشد بالرياض ط.الأولى ١٤٢٦هـ.
- رسالة في اللاهوت والسياسة، سبينوزا ت.حسن حنفي مراجعة.فؤاد زكريا ط.جداول ط.الأولى ٢٠١١م.
- الروح، ابن القيم ت.بسام العموش ط.ابن تيمية ط.الأولى ١٤٠٦هـ.
- زبدة الفكرة في تأريخ الهجرة، الأمير بيبرس الدوادار ت.دونالدس ط،المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ببيروت ط.الثانية ٢٠١٠هـ.
- السياسة في علم الفراسة، شيخ الربوة الدمشقي ت.الشاغول ط.الجزيرة بالقاهرة.
- *سفر دانيال مفصلاً، ناشد حنا ط.مطبعة الأخوة بالقاهرة ط.الثانية ١٩٩٥م.
- الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، د.عبدالعزيز صالح ط.مكتبة الأنجلو المصرية ط.الثانية ١٩٧٩هـ.
- شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، الجويني ت.أحمد حجازي ط.المكتبة الأزهرية للتراث ٢٠٠٨م.
- الصابئة، د.أحمد العدوي ط.رؤية بالقاهرة ٢٠١٢م.
- *الصحائح في جواب النصائح، الصفي بن العسال ط.مطبعة عين شمس.
- العبادات في الأديان السماوية، عبدالرزاق الموحي ط.دار الأوائل بدمشق ط.الأولى ٢٠٠١م.
- العصر المماليكي في مصر والشام، د.سعيد عاشور ط.دار النهضة العربية بمصر ط.الثانية ١٩٧٦م.
- عصر سلاطين المماليك، د.قاسم عبده ط.دار الشروق بالقاهرة ط.الأولى ١٤١٥هـ.
- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد طاهر التنير ط.إدارة القرآن والعلوم الإسلامية بكراتشي ط.الثالثة ١٤١٤هـ.

- عقد الجمان في تأريخ أهل الزمان عصر سلاطين المماليك، للعيني ت.د.محمد أمين ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤١٢هـ.
- العقود الدرية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، ابن عبد الهادي ت.العمران ط.دار عالم الفوائد ط.الأولى ١٤٣٢هـ.
- *علماء مسيحيون في ديار المسلمين، الأب كميل اليسوعي ط.دار المشرق ببيروت ط.الأولى ٢٠٠٨م.
- *علماء النصرانية في الإسلام، لويس شيخو ت.كميل اليسوعي ط.المكتبة البولسية بلبنان ١٩٨٣م.
- الفراسة عند العرب وكتاب الفراسة للفخر الرازي، د.يوسف مراد تر.مراد وهبة ط.الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٢م.
- الفصل في الملل والنحل، ابن حزم ت.د.محمد نصر د.عبدالرحمن عميرة ط.دار الجيل ببيروت ١٤٠٥هـ.
- فصول في أديان الهند، د.محمد ضياء الرحمن الأعظمي ط.دار البخاري بالمدينة ط.الأولى ١٤١٧هـ.
- فضح التلمود تعاليم الحاخاميين السرية، الأب آي بي براناتيس اعداد.زهدي الفاتح ط.دار النفائس ط.الثانية ١٤٠٣هـ.
- الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/العاشر، د.الشرفي ط.دار المدار الإسلامي ط.الثانية ٢٠٠٧م.
- *فلسفة الكلمة (اللوغوس)، د.رشدي حنا ن.رابطة خريجي الكلية الأكليريكية بالقاهرة ١٩٨٤م.
- الفهرست، النديم ت.رضا تجدد ط.طهران ١٣٩١هـ.
- *قاموس الكتاب المقدس، تحرير نخبة من اللاهوتيين ط.الحرية ببيروت ط.الرابعة ٢٠٠٥م.
- القاموس المحيط، الفيروز آبادي ط.دار الجيل.
- قبرص والحروب الصليبية، د.سعيد عاشور ط.الهيئة المصرية للكتاب ط.الثانية ٢٠٠٢م.

- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي ط.دار الحرم بالقاهرة ط.الأولى ٢٠١٠م.
- قصة الحضارة، ديورانت تر.د.محمد بدران ط.دار الجيل.
- الكتاب المقدس، ط.جمعية الكتاب المقدس بلبنان (المشتركة) العهد القديم ط.الرابعة ١٩٩٣م والعهد الجديد ط.الثلاثون ١٩٩٥م.
- نسخة أخرى: ط.دار المشرق الكاثوليكية ط.الثالثة ١٩٩٤م.
- نسخة ثالثة: ط.دار الكتاب المقدس بمصر ٢٠٠٤م.
- الكنيسة وأسرارها السبعة، جمال شرقاوي ط.مكتبة وهبة بالقاهرة ط.الأولى ١٤٢٩هـ.
- الكوميديا الإلهية الجحيم، دانتي تر.حسن عثمان ط.دار المعارف ط.الثالثة.
- الله واحد أم ثالوث، محمد مجدي مرجان ن. مكتبة النافذة ط.الثانية ٢٠٠٤م.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد ط.مجمع المللك فهد بالمدينة المنورة ١٤١٥هـ.
- *مجموعة الشرع الكنسي، حنانيا إلياس ط.منشورات النور ط.الثانية ١٩٩٨م.
- *مجلة المشرق الكاثوليكية ببيروت، إدارة. لويس شيخو (الأعداد من السنة الأولى ١٨٩٨م حتى السنة الحادية عشر ١٩٠٨م)
- محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة ط.دار الفكر العربي ط.الثالثة.
- محمد ﷺ في أسفار المجوس الزرادشتيين، د.الشفيع الماحي ن.مجلة جامعة الملك سعود م٦ العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (٢) ص٢٦١ سنة ١٤١٤هـ.
- محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى، عبدالأحد داود تر.محمد فاروق ط.العبيكان بالرياض ط.الأولى ١٤٢٨هـ.
- *المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، الأب لويس شيخو ط.دار المشرق ببيروت ط.الثانية ٢٠٠٠م.
- المخطوطات الجغرافية العربية في مكتبة البودليان، د.النعيم ط.مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية ٢٠٠٦م.

- *المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد ط.الكنيسة الأسقفية بالقاهرة.
- مروج الذهب، المسعودي ط.الشركة العالمية للكتاب ١٩٨٩م.
- المسند، الإمام أحمد ت.مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ط.مؤسسة الرسالة ط.الثانية ١٤٢٠هـ.
- المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبدالوهاب ط.مكتبة وهبة بالقاهرة ط.الثانية ١٤٠٨هـ.
- *المسيحية والحضارة العربية، الأب جورج قنواتي ط.المؤسسة العربية للنشر.
- المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبير تر.د.عبدالحليم محمود ط.دار المعارف بالقاهرة.
- المسيحية (النصرانية)، ساجد مير ط.دار السلام بالرياض ط.الأولى ١٤٢٣هـ.
- مصادر النصرانية دراسة ونقداً، د.عبدالرزاق ألارو ط.دار التوحيد بالرياض ط.الأولى ١٤٢٨هـ.
- معجم الألفاظ التأريخية في العصر المملوكي، محمد دهمان ط.دار الفكر بدمشق ط.الأولى ١٤١٠هـ.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي ط.دار صادر ١٣٩٧هـ.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحاله ط.مؤسسة الرسالة.
- المعجم الفلسفي، د.جميل صليبيا ط.دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط. مكتبة الشروق الدولية ط.الرابعة ١٤٢٥هـ.
- معيار العلم، الغزالي ت.د. سليمان دنيا ط.دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٩م.
- *مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية، بولس البوشي ت.الأب سمير خليل ط.المكتبة البولسية بلبنان ١٩٨٣م.
- مقالات الإسلاميين، الأشعري ت.هلموت ريتر ط.مكتبة ابن تيمية ط.الثانية ١٤٣٠هـ.
- مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون ط.دار الكتب العلمية ط.الأولى ١٤١٣هـ.
- الملل والنحل، الشهرستاني ت.د.محمد بدران ط.أضواء السلف.

- المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمت الله والدكتور فندر، ت.د.ملكاوي ط.دار ابن تيمية بالرياض ط.الثانية ١٤١٢هـ.
- مناظرة بين الإسلام والنصرانية، ط.مكتبة الصحابة ط.الأولى ١٤٢٧هـ.
- مناظرة في الرد على النصارى، الرازي ت.د.النجار ط.دار الغرب الإسلامي ١٩٨٦م.
- منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى دراسة علمية من خلال جهود الإمام ابن تيمية، د.عبدالراضي بن عبدالمحسن ن.مكتبة التربية الإسلامية بالقاهرة ط.الأولى ١٤١٢هـ.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية ت.د.محمد رشاد سالم ط.جامعة الإمام بالرياض ط.الثانية ١٤١١هـ.
- منهجية جمع السنة النبوية وجمع الأناجيل دراسة مقارنة، د.عزية طه ط.الثانية ١٤١٧هـ.
- المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، ابن كنان الصالحي ت.د.حكمت إسماعيل ن.وزارة الثقافة السورية ١٩٩٣م.
- *موجز تأريخ المسيحية، الأنبا ديوسقورس اعداد.ميخائيل أسكندر ط.مكتبة المحبة بالقاهرة.
- موسوعة الفلسفة، د.بدوي ط.المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط.الأولى ١٩٨٤م.
- الموسوعة العربية الميسرة، إشراف.د.حسين نصار ن.الجمعية المصرية لنشر المعرفة ط.الثالثة ٢٠٠٩م.
- *موسوعة آباء الكنيسة، تحرير.عادل فرج ط.دار الثقافة بالقاهرة ط.الثانية.
- موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام، د.العبادي ط.الرشد بالرياض ط.الأولى ١٤٢٦هـ.
- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د.المحمود ط.الرشد بالرياض ط.الأولى ١٤١٥هـ.
- *ميمر في إكرام الإيقونات، أبو قرة ت.د.الأب ديك ط.المكتبة البولسية بلبنان ١٩٨٦م.
- نبوءات نهاية العالم عند الإنجيليين وموقف الإسلام منها، محمد عزت ط.دار البصائر بالقاهرة ط.الأولى ١٤٣٠هـ.
- النبوات، ابن تيمية ت.د.الطويان ط.دار أضواء السلف بالرياض ط.الأولى ١٤٢٠هـ.

- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، شيخ الربوة الدمشقي ت.فرين ومهرن ط.الأولى ١٨٨٦م.
- نسخة أخرى: ت.غسان الناصير وآخرون ط.دار العراب بدمشق ٢٠١٣هـ.
- النسخ في القرآن الكريم، د.مصطفى زيد ط.دار الوفا ط.الثالثة ١٤٠٨هـ.
- النصرانية من التوحيد إلى التثليث، د.محمد الحاج ط.دار القلم بدمشق ط.الأولى ١٤١٣هـ.
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم ت.د. الحاج ط. دار القلم بدمشق ط.الأولى ١٤١٦هـ.
- هل افتدانا المسيح على الصليب؟ د.منقذ السقار سلسلة الهدى والنور (٤).
- الوافي بالوفيات، الصفدي ط.دار إحياء التراث العربي ط.الأولى ١٤٢٠هـ.

فهرس الموضوعات (التفصيلي)

المقدمة ٣
أهمية الكتاب وسبب اختياره ٥
الدراسات السابقة ٦
خطة التحقيق ٧
منهج التحقيق ٩
الرموز في التحقيق ١٠
شكر وتقدير ١١

القسم الأول: الدراسة

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف ١٤ - ٤٤

عصر المؤلف ١٥
نسب المؤلف ٢٣
مولده ونشأته ٢٥
أعماله ٢٧
شيوخه وتلاميذه ٣٠
عقيدته ٣٢
مذهبه الفقهي ٣٤
مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه ٣٥
وفاته ٣٧
آثاره العلمية ٣٧
شيء من نظمه ٤٣

الفصل الثاني: دراسة الكتاب ٤٤ - ٨٠

التعريف برسالة أهل جزيرة قبرص ٤٥
الاختلاف حول مؤلفها ٤٦
محتوى الرسالة ٤٩
أهمية الرسالة عند النصارى ٥٠

تحقيق اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه	٥١
سبب تأليف الكتاب	٥٢
تأريخ كتابته	٥٢
موضوع الكتاب	٥٣
منهج المؤلف في الكتاب	٥٥
قيمة الكتاب العلمية	٥٨
موارد المؤلف	٥٩
الملحوظات على الكتاب	٦٠
المقارنة بين الكتاب وكتاب الأجوبة الفاخرة للقرافي	٦٣
المقارنة بين الكتاب وكتاب الجواب الصحيح لابن تيمية	٦٦
وصف النسخة الخطية للكتاب	٧٢
وصف النسخ الخطية لرسالة أهل جزيرة قبرص	٧٣
نماذج من صور المخطوطات	٧٤
النص المحقق	**٨٣- ٤٠٧**
عنوان الكتاب	٨٣
خطبة المؤلف	٨٤
تأريخ التأليف وسببه	٨٥
نسختان من رسالة النصارى	٨٨
مقدمة رسالة النصارى	٨٩ ح
دعوى أن محمدا ﷺ أرسل للعرب خاصة	٩٠
بداية الجواب على رسالة النصارى	٩٢
الأدب في مخاطبة الأنبياء	٩٢
توقيف الأسماء الحسنى	٩٣
البشارة المتقدمة بالنبي ﷺ	٩٥
البشارات من التوراة	٩٥
البشارة الأولى	٩٥

بشارة الثانية	٩٧
البشارة الثالثة	٩٨
بشارة الرابعة	٩٩
البشارات من الأناجيل	١٠٠
البشارة الأولى ومعنى البارقليطيس	١٠٠
البشارة الثانية ومعنى الأركون	١٠١
البشارة الثالثة	١٠٢
البشارة الرابعة ومعنى أكمد	١٠٣
البشارات في المزامير وكتب الأنبياء	١٠٣
بشارة داود عليه السلام	١٠٣
بشارة إشعياء	١٠٦
بشارة أخرى لإشعياء	١٠٨
بشارة أخرى لإشعياء	١٠٨
رؤيا بختنصر وتعبير دانيال لها	١١٠
علامات النبي ﷺ في كتب المجوس	١١٢
حادثة بحيرا ونسطور الراهبين	١١٦
حادثة بيت المقدس	١١٧
قصة سواد بن قارب مع نجيّه	١١٨
انتظار النصارى الأوائل مجيء النبي ﷺ	١٢١
تبديل قسطنطين للنصرانية	١٢٢
توبيخ النبي ﷺ للنصارى	١٢٥
الأركون	١٢٩
البارقليط	١٣٠
نكتة: تفسير (جاء الله من سينا	١٣١
وأشرق من ساعير	١٣٢
واستعلى بجبال فاران)	١٣٢
نكتة: إنكار اليهود لعيسى عليه السلام	١٣٣

نكتة: رسالة المسيح إلى قومه ١٣٥
نكتة: فرق النصارى ١٣٧
نكتة: رأفة المسيح بقومه ١٤٢
نكتة: في سياق حادثة الصلب وشناعة القول به ١٤٥
صلب آخر مكان عيسى ١٤٨
حادثة أسقفي نجران ١٤٩
معنى المسيح والحواريين ١٤٩
حال المسيح بعد صلبه على ما زعمه النصارى ١٥١
إبطال دعوى الصلب ١٥٢
من أنكر الصلب من أهل الكتاب ١٥٣
نكتة:تبديل قسطنطين لدين النصارى وإدخال معتقدات الصابئة في دينهم ١٥٤
ابتداع الأمانة ١٥٥
ابتداع الفداء بالصلب ١٥٦
ابتداع التصاوير ١٥٧
إبطال بدع النصارى ١٥٨
نكتة: وسطية أهل الإسلام ١٥٩
عود: إبطال دعوى خصوصية الرسالة المحمدية بالعرب ١٦٣
تفسير الآيات التي توهم النصارى أنها تدل على الخصوصية ١٦٤
الآيات الدالة على عموم الرسالة ١٦٦

فصل (الأول)

دعوى أن القرآن مؤيد لكتبهم ودينهم ١٦٩
ذكر أهل الكتاب في القرآن ١٧١
عظمة القرآن تنوع أساليبه ١٧٣

فصل (الثاني)

حجج القرآن ١٧٨
حكايات التوراة ١٨٢

تحريف التوراة ١٨٣
الأناجيل الأربعة ١٨٨
وصف إنجيل متّى ١٨٨
إنجيلي لوقا ومرقس ١٨٩
إنجيل يوحنّا ١٨٩
الاختلاف بين الأناجيل ١٩٠
إرسال النبي ﷺ لإصلاح ما فسد ١٩١
فصل (الثالث)
دعوى أن القرآن أثبت صحة الكتب التي بأيدي النصارى ١٩٣
دعوى عدم التغيير والتبديل لكتب النصارى ١٩٥
إبطال ما استدلوا به على دعواهم ١٩٦
ذكر سند الأناجيل ١٩٧
إنجيل الصبوة ١٩٨
معنى الإنجيل ٢٠٠
خلو الأناجيل من الشرائع ٢٠١
ابتداع الصيام وكيفيته ٢٠٢
ابتداع قراءة الأناجيل ٢٠٥
الميراث عند النصارى ٢٠٧
الطلاق والزواج ٢٠٨
معنى التواتر ٢١١
تفسير ما توهمته النصارى مؤيدا لكتبهم ٢١٣
إبطال دعوى عدم التغيير في الأناجيل ٢١٥
فصل (الرابع)
دعوى النصارى أن الكتب السابقة مؤيدة لما هم عليه ٢١٨
ذم اليهود في القرآن والكتب السابقة ٢٢٦
حال المكذبون للرسالة الخاتمة ٢٢٧
تفسير المائدة ٢٢٨

معجزات المسيح ٢٣١
معجزات نبينا محمدﷺ ٢٣٢
طلب الهداية وتكراره ٢٣٤
فصل: في الشرك ٢٣٦
تفسير آيات الصفح والإعراض في القرآن ٢٤٢
إبطال تسمية تلاميذ المسيح بالرسل ٢٤٤
فصل: في سبب بعثة الرسل ٢٤٨
عود: حال تلاميذ المسيح ٢٥١
مخارف الكنائس ٢٥٢

فصل (الخامس)

دعوى صحة الأقانيم الثلاثة والاستدلال لها بالمعقول ٢٥٥
إبطال التخصيص بالتثليث ٢٥٨
معنى الأب ٢٦٣
التجسيم في لفظ الأمانة ٢٦٤
معنى الابن ٢٦٥
إبطال تشبيه التثليث بالشمس وشعاعها ونورها ٢٦٦ح
إبطال نقل التثليث عن المسيح ٢٦٧
معنى الكلمة ٢٧٠
أولي العزم من الرسل ٢٧١
التجسد عند النصارى ٢٧٤
استحالة الحلول ٢٧٥
بشرية المسيح ٢٧٧
اختلاف الأناجيل في نسب المسيح ٢٧٨
بتولية مريم عليه السلام ٢٨٠
إبطال التجسد ٢٨٣
تفسير الثالوث ٢٨٤

فصل (السادس)

دعوى التجسد ٢٨٦

تمسك النصارى بألفاظ من كتب الأنبياء على ألوهية المسيح ٢٨٩

إبطال ما تمسكوا به من ألفاظ على ألوهية المسيح ٢٩١

قول اليهود في المسيح ٢٩٣

ضعف أخبار النصارى عن المسيح ٢٩٥

فصل (السابع)

دعوى اصطفاء النصارى ٢٩٩

دعوى صحة التثليث بدلالة الكتب السابقة ٣٠١

إبطال ما احتجوا به على التثليث ٣٠٤

إبطال ألوهية المسيح بما في كتب النصارى ٣٠٧

إبطال ما استدلوا به على ألوهية المسيح ٣١١

اختلاف الأناجيل في موت المسيح ٣١٨

أثر بولس في النصرانية ٣٢٠

أثر بطرس في النصرانية ٣٢٥

نموذج من تضرعات النصارى ٣٢٧

فصل (الثامن)

دعوى التثليث وأمثلته ٣٢٩

دعوى التجسد وطبيعة ألوهية المسيح ٣٣٠

إبطال دعوى التجسد ٣٣٣

حكاية وسوسة الشيطان للنصارى بالقول بالتجسد ٣٣٥

الكلام على الروح ومذاهب المتكلمين فيها ٣٣٨

تقسيم الأرواح والتعليق عليه ٣٤٠

الغلط في معرفة الروح عند الفلاسفة ٣٤٢ ح

فصل (التاسع)

دعوى أن التثليث كالصفات عند المسلمين ٣٤٥
إثبات التمثيل في عقيدة النصارى ٣٤٧
سياق وقوع الشرك في النصرانية ٣٤٩
إبطال نسبة التمثيل والتشبيه إلى المسلمين ٣٥١
الموقف من نصوص الصفات والتعليق على قول المؤلف ٣٥٤
ردّ دعوى أن التثليث كالصفات ٣٦٦ ح

فصل (العاشر)

دعوى صحة تسمية الله تعالى بالجوهر ٣٦٨
تفسير الجوهر والعرض ٣٦٩
إبطال تسمية الله بالجوهر ٣٧٠
مباحث متعلقة بالجوهر ٣٧٢
ردّ كون الضوء جوهراً ٣٧٤

فصل (الحادي عشر)

دعوى الاستغناء عن الشريعة المحمدية وأن الكمال حصل بشريعة عيسى عليه السلام ٣٧٥
أنواع الشرائع ٣٧٧

فصل (الثاني عشر)

خاتمة رسالة النصارى ٣٧٩
دعوة النصارى إلى التفكر في الأجوبة ٣٨٠
عود: إبطال دعوى الاستغناء عن الشريعة المحمدية ٣٨٠
نبذة في سيرة المسيح عليه السلام ٣٨٢
إبطال الاتحاد والحلول ٣٨٦

الدليل الكلامي على وجود واجب الوجود ٣٨٨
الموقف من الألفاظ المجملة ٣٩١ ح
تعقيب على كلام المؤلف في الحد والمكان ٣٩٢ ح
الوجود الذهني والخارجي ٣٩٤
إثبات الإحاطة العلو لله تعالى ٣٩٥
إبطال قول الفلاسفة بالتسلسل والعلة المقارنة لمعلولها ٣٩٩
خاتمة في دعوة النصارى إلى الإسلام ٤٠٤

الخاتمة ٤٠٨
الفهارس ٤١١
فهرس الآيات القرآنية ٤١٢
فهرس الأحاديث النبوية ٤٢٢
فهرس نصوص أهل الكتاب ٤٢٣
فهرس الأبيات الشعرية ٤٣١
فهرس المصطلحات ٤٣٢
فهرس الأعلام ٤٣٦
فهرس الفرق والمذاهب ٤٤٠
فهرس الأماكن والبلدان ٤٤١
فهرس المصادر والمراجع ٤٤٣
فهرس الموضوعات (التفصيلي) ٤٥٤
الفهرس الإجمالي ٤٦٤

الفهرس الإجمالي

المقدمة	٣
التعريف بالمؤلف	١٤
دراسة الكتاب	٤٤
التحقيق	٨٣
الفصل الأول	١٦٩
الفصل الثاني	١٧٨
الفصل الثالث	١٩٣
الفصل الرابع	٢١٨
الفصل الخامس	٢٥٥
الفصل السادس	٢٨٦
الفصل السابع	٢٩٩
الفصل الثامن	٣٢٩
الفصل التاسع	٣٤٥
الفصل العاشر	٣٦٨
الفصل الحادي عشر	٣٧٥
الفصل الثاني عشر	٣٧٩
الخاتمة	٤٠٨
الفهارس	٤١١

تمت

والحمد لله رب

العالمين.

بتأريخ ١١/١٤٣٥هـ